
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
رسائل إلى الشباب
أبو عمار
محمود المصري
التقوى



رسائل
إلى الشباب

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ١٦٤٨٦/ ٢٠١٠

الترقيم الدولى: 4 - 157 - 429 - 977 - 978



للطبع والنشر والتوزيع

الإدارة : ٤٤٧١٥٥٠٦ - ٠١٠١٦٦٨٠٦٧

١٥ ش ١٥ مايو - شبرا الخيمة

ف / ت / ٤٤٧١٥٥٠٦ - م / ٠١٠١٥٩٢٢٧١

٥ ش ابن البيطار خلف الجامع الأزهر

ت / ٢٥١٤١٧٠٤

موقعنا على الإنترنت:

www-daraltakoa.com

E-mail: webmaster@daraltakoa.com

التوزيع

اليقين - شبرا الخيمة : ٤٤٧٣١٨٢٤

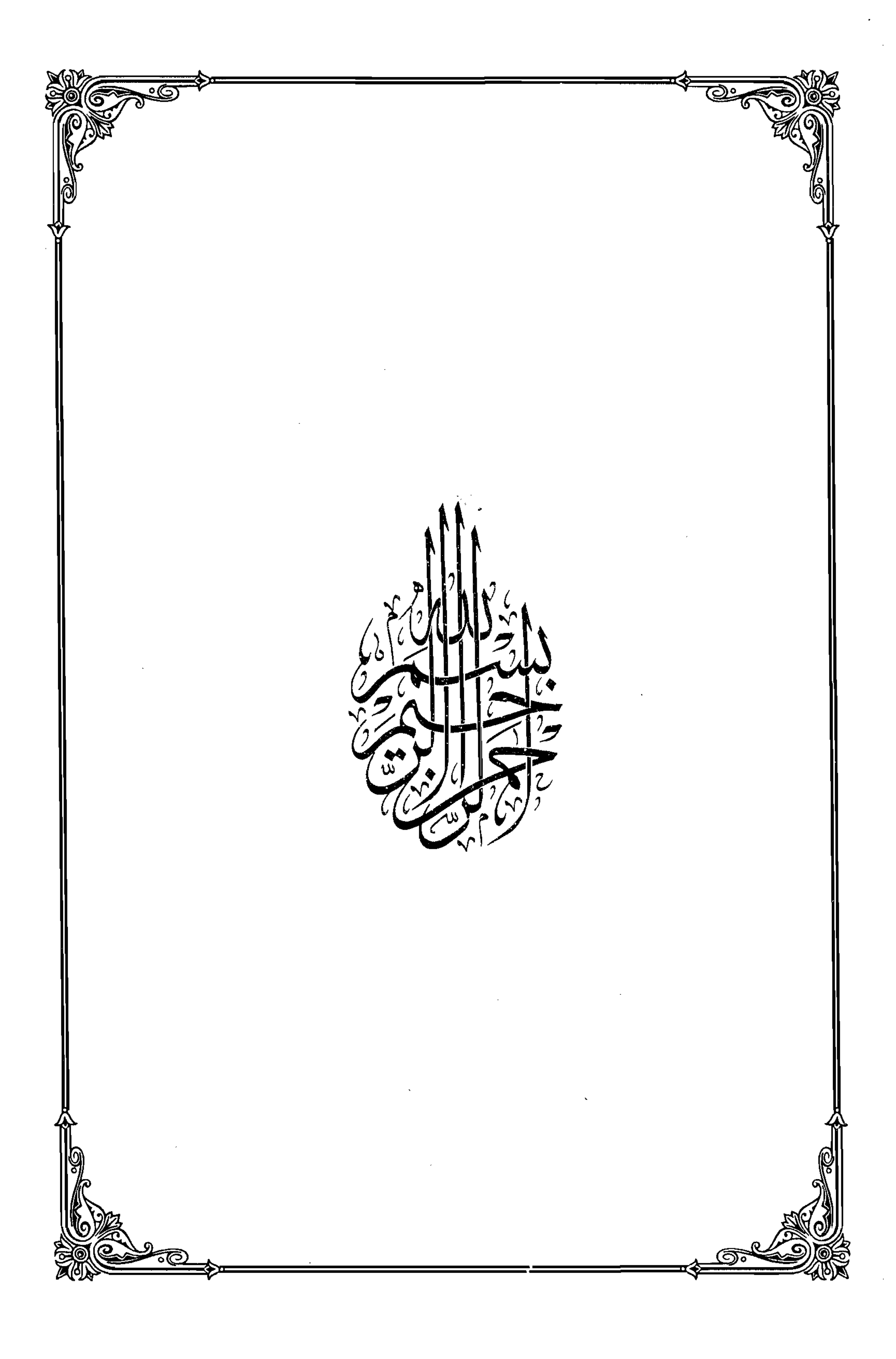
المدينة المنورة - مدينة نصر : ٢٢٧٥٥٣٠٤

مكتبة الشامي - بالإسكندرية : ٠٣٤٩٦٠٦٢٠

رسائل إلى الشباب

فضيلة الشيخ
محمود المصري
أبو عمار




بسم الله الرحمن الرحيم



التوبة يا شباب



مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[2].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[3].

أما بعد:

أخى الحبيب: ها هى رسالتى القصيرة وكلماتى القليلة تخرج من قلب يحبك فى الله راجيًا لك كل خير فى الدنيا والآخرة ناصحًا لنفسى ولنفسى - فأنت عندى بمنزلة نفسى - لعل الله أن ينفعنى وإياك بتلك الكلمات فيكون موعدنا على الحوض لنشرب سويًا من يد الحبيب محمد ﷺ شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا.

أخى الحبيب: إنك على يقين من أن حياتك ستنتهى وأنك سترحل عن

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

هذه الدنيا ولكن إلى أين الرحيل؟ إن كنت تريد الجنة فلماذا لا تتوب وتُسرع الخُطا إلى طاعة علام الغيوب . . قال ﷺ : «**من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة**»[١] .

أخى: لا تتردد فى التوبة فلعلها تكون آخر ساعة فى عمرك فتلقى الله على تلك التوبة.

قال سعيد بن المسيب: أُنزل قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً** ﴾[٢] فى الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب.

وقال بعضهم: إن العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادمًا حتى يدخل الجنة فيقول إبليس: ليتنى لم أوقعه فى الذنب.

ويروى أن رجلاً سأل ابن مسعود عن ذنب ألمَّ به هل له من توبة؟ فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان؛ فقال له: إن للجنة ثمانية أبواب كلها تُفتح وتغلق إلا باب التوبة، فإن عليه ملكًا موكلاً به لا يُغلق فاعمل ولا تيأس.

قال عمر رضي الله عنه: اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرقُّ أفئدة.

ويروى أنه كان فى بنى إسرائيل شاب عَبَدَ الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة، ثم نظر فى المرآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك فقال: إلهى أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة، فإن رجعت إليك أتقبلنى؟ فسمع قائلاً يقول (ولا يرى شخصًا): أحببتنا فأحببناك، وتركتنا فتركناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإن رجعت إلينا قبلناك[٣] .

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

* أدلج: سار من أول الليل - والمراد التشمير فى الطاعة.

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٢٥).

(٣) الإحياء / للإمام الغزالى (٤/ ٢١).

فأسأل الله أن يرزقنى وإياك توبة تُقربنا من رحـمته وجنته ورضوانه وأن يتوب علينا لنتوب وأن يثبت قلوبنا على التوبة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم

أخي الحبيب: هل تدبرت هذه الآية ولو مرة واحدة. أما علمت أن مغفرة الذنوب صفة من صفات الله وهى رحمة من الله يسوقها إلى عباده.

قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾(٢).

فهو غفور لمن تاب إليه .. ودودٌ يتودد إلى عباده وهو غنىٌ عنهم.

قال تعالى فى الحديث القدسى: «يا عبادى! إنكم تُخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفرونى أغفر لكم، يا عبادى! إنكم لن تبلغوا ضُرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، يا عبادى! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك فى مُلكى شيئًا، يا عبادى! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما نقص ذلك من مُلكى شيئًا ..» (٣).

توبة العبد محفوفة بتوبتين من الله (عز وجل)

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾(٤).

وقال ﷺ: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيئو النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئو الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»(٥).

---

(١) سورة غافر: الآية: (٣).

(٢) سورة البروج: الآية: (١٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) سورة النساء: الآية: (٢٧).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩) كتاب التوبة.

وقال تعالى: «يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفرونى أغفر لكم»(١).

وقال تعالى: «يا ابن آدم إن ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى، وإن ذكرتنى فى ملأ ذكرتك فى ملأ خير منهم، وإن دنوت منى شبرًا دنوت منك ذراعًا، وإن دنوت منى ذراعًا دنوت منك باعًا، وإن أتيتنى تمشى أتيت إليك أهرول»(٢).

فيا لها من رحمة من الرحمن الرحيم الذى وسعت رحمته كل شيء . . فتوبة العبد إلى الله عز وجل محفوفة بتوبتين من الله عز وجل: توبة قبلها، وتوبة بعدها.

الأولى: إذن وتوفيق، والثانية: قبولٌ وإثابةٌ.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(٣)، فأخبر الله عز وجل أن توبته عليهم سبقت توبتهم. وأنها هى التى جعلتهم تائبين، فكانت سببًا مقتضيًا لتوبتهم، وهذا القدر من سِر اسميه «الأول والآخر» فهو المُعد والممد، ومنه السبب والمسبب، والعبد تواب والرب تواب، فتوبة العبد رجوعه إلى سيده بعد الإباق، وتوبة الرب نوعان: إذن وتوفيق، وقبول وإثابة.

والتوبة لها مبدأ ومنتهى، فمبدؤها الرجوع إلى الله عز وجل، بسلوك صراطه المستقيم الذى أمر بسلوكه بقوله تعالى: **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾**(٤)، ونهايتها الرجوع إليه فى الميعاد، وسلوك صراطه الذى نصبه موصلاً إلى جنته، فمن رجع إلى الله

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (١١٩٩٧) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٣٧).

(٣) سورة التوبة: الآية: (١١٨).

(٤) سورة الأنعام: الآية: (١٥٣).

فى هذه الدار بالتوبة، رجع إليه فى المعاد بالثواب، . . . قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾(١).

الله يفرح بتوبتك

يا لها من كلمات تجعل شمس التوبة تضىء القلب وتنير الصدر بنور الحق الذى جاء به النبى ﷺ من عند الحق - جل جلاله -.

قال ﷺ: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال** - من شدة الفرح - **اللهم أنت عبدى وأنا ربك... أخطأ من شدة الفرح**»(٢).

وقال الله جل وعلا: «**يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى... يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى... يا ابن آدم لو أنك أتيتنى بقُراب الأرض خطايا** - أى بقرب ما يملأ الأرض من الخطايا - **ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»(٣).

كتب الله الرحمة بيده ليدل على عِظم المغفرة

إن الله خلق الكائنات بكُن فيكون، إلا أشياء؛ لشرفها وكرامتها على الله، خلقها بيده، وكتب أشياء لكرامتها عليه بيده، فخلق آدم بيده، وخلق

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٧١).
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٤٤) كتاب التوبة.
(٣) حسن: رواه الترمذى (٣٥٤٠) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٣٨).

جنة عدن بيده، وكتب التوراة لموسى بيده، وكتب كتاب الرحمة بيده. فما أعظم كرم الرحمن.

قال رسول الله ﷺ: **«كتب ربكم على نفسه بيده، قبل أن يخلق الخلق: رحمتي سبقت غضبي»** (١).

وقال رسول الله ﷺ: **«لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»** (٢).

والمغفرة رحمة: قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا** ﴾ (٤)(٥).

تيسير التوبة لأمة الحبيب ﷺ

احمد الله يا أخي على أنك من أمة الحبيب ﷺ فلقد يسَّر الله التوبة لأمته ﷺ فجعل مجرد الندم توبة مقبولة .. قال ﷺ: **«الندم توبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له»** (٦) ... بل جعل الله التوبة سببًا في تبديل السيئات إلى حسنات فقال (جل وعلا): ﴿ **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ (٧).

---

(١) صحيح: رواه بهذا اللفظ ابن ماجه (١٨٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٤٧٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٩٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٧٥١) كتاب التوبة.

(٣) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٤) سورة النساء: الآية: (٤٨).

(٥) البحار الذاخرة في أسباب المغفرة / د. سيد حسين (ص: ٢٢).

(٦) حسن: رواه الطبراني (٣٠٦/٢٢، رقم ٧٧٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣٩٨/١٠)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٨٠٣).

(٧) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

وتدبر معى كيف كانت توبة الله (جل وعلا) على بنى إسرائيل.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١).

قال الإمام ابن كثير فى تفسيره:

«هذه صفة توبته تعالى على بنى إسرائيل من عبادة العجل . . عن ابن عباس، قال: قال الله تعالى: إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقى من ولد ووالد، فيقتله بالسيف ولا يبالى من قتل فى ذلك الموطن.

وعن ابن عباس أيضًا قال: أمر موسى قومه - من أمر ربه عز وجل - أن يقتلوا أنفسهم، واحتبى الذين عبدوا العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل، فأخذوا الخناجر من أيديهم، وأصابتهم ظُلة شديدة، فجعل يقتل بعضهم بعضًا، فانجلت الظلة عنهم، وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل، كل من قُتل منهم كانت له توبة، وكل من بقى كانت له توبة(٢).

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٥٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٣١).

لمثل هذا اليوم فأعدوا

أخى الحبيب: لو أنك تملك الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل ثم جاء اليوم الذى ستدخل فيه قبرك فهل تعدل الدنيا كلها أول ليلة فى هذا القبر؟

هل تفكرت أخى الحبيب كيف سيكون حالك فى هذا القبر الموحش؟ قال ﷺ يومًا لأصحابه: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم عذاب القبر**»(١).

* بل تدبر معى هذا المشهد المهيب.

فعن البراء رضي الله عنه **أنه قال**: بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ بصر بجماعة فقال: «**علام اجتمع هؤلاء؟**» فقيل: على قبر يحفرونه، ففزع رسول الله ﷺ، فبدر بين يدى أصحابه مسرعًا، حتى انتهى إلى القبر، فجثا على ركبتيه، فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع؟ فبكى حتى بلَّ الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا فقال: «**أى إخوانى، لمثل هذا اليوم فأعدوا**»(٢).

دع عنك ما قد فات فى زمن الصبا
واذكر ذنوبك وابكها يا مذنبُ
لم ينسه الملكان حين نسيته
بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعبُ
والروح منك وديعة أودعتها
ستردها بالرغم منك وتُسلبُ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٤١٩٥) كتاب الزهد، مختصرًا، وأحمد (١٨١٢٧) أول مسند الكوفيين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧٥١).

وغـرور دنيـاك التى تـسـعى لهـا
دارٌ حـقـيـقـتـهـا متـاعٌ يذهبُ
الليل فـاعلم والنـهـار كـلاهمـا
أنفـاسـنا فـيـهـمـا تُعـد وتُحـسبُ

لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا

* عن أبى ذرٍّ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنِّى أرى ما لا ترون، أطَّت السماء وحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربعِ أصابع إلا وملك واضعٌ جبهته ساجدًا لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفُرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى»**[١].

* هل رأيت جنازة محمولة على الأعناق؟ هل تعلم أنك ستكون مكان هذا الرجل فى يوم من الأيام؟ فيا تُرى كيف سيكون حالك؟

قال ﷺ: **«إذا وُضعت الجنازة، واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدمونى قدمونى، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها، أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شىء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق»**[٢].

* بل هل تفكرت فى مشاهد الآخرة لتكون لك حاديًا إلى التوبة والعودة إلى طاعة الله (جل وعلا).

قال ﷺ: **«كيف أنعم وصاحب القرن - إسرافيل - قد التقم القرن؟ وحنى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ»**، فقال أصحابه: كيف نقول: قال: **«قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»**[٣].

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٣١٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٩٠) كتاب الزهد، وأحمد (٢١٠٠٥) مسند الأنصار رضي الله عنهم، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٤٤٩).
(٢) صحيح: رواه البخارى (١٣١٤) كتاب الجنائز.
(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٣١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (١٠٦٥٥) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٩٢).

وقال ﷺ: «تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميلٍ فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يُلجمه العرق إلجامًا»(١).

وقال ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله - عز وجل - يوم القيامة»(٢).

وقال ﷺ: «إذا صار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار جىء بالموت، حتى يوقف بين الجنة والنار. ثم يُذبح، ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم»(٣).

حملة العرش يستغفرون لك أيها الحبيب

بل إن حملة العرش يستغفرون لك أيها الأخ الحبيب .. فهل عرفت قدرك فى ظل هذا الدين؟

إنك تستمد عزك ومكانتك من طاعتك للملك (جل وعلا) الذى يُسخِّر لك الكون كله من أجلك.

فها هم حملة العرش يستغفرون لك .. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾(٤).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٧٩) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٨٦٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٨) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٥٠) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) سورة غافر: الآية: (٧).

بل ها هو الكون كله يدعو لك إذا انشغلت بالدعوة إلى الله.

قال ﷺ: **«إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة فى جُحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على مُعلم الناس الخير»**(١).

النبى ﷺ خبأ دعوته شفاعة لأمته

أما علمت أخى الحبيب أن النبى ﷺ خبأ دعوته ليشفع للعصاة من أمته يوم القيامة.

قال ﷺ: **«لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها وإنى اختبأت دعوتى»**، وفى رواية: **«وأريد أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة»**، وفى رواية: **«فتعجَّل كل نبى دعوته»**، وزاد فى رواية: **«فهى نائلة من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا»**(٢).

وقال ﷺ: **«أتانى آت من عند ربى، خيَّرنى بين أن يُدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، وهى لمن مات لا يشرك بالله شيئًا»**(٣).

فالحبيب ﷺ يفضل مغفرة الله (جل وعلا) للأمة المحمدية على دخول نصف أمته الجنة .. وهذا هو القدر الحقيقى للتوبة ومغفرة الذنوب.

خوف الصحابة رضي الله عنهم

ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم فى غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن، فهذا الصِّدِّيق رضي الله عنه يقول: وددت أنى شعرة فى جنب عبد مؤمن .. بل كان يمسك بلسانه ويقول: هذا الذى أوردنى الموارد.

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٨٥) كتاب العلم، والدارمى (٢٨٩) فى مقدمة سننه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٢١٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٤) كتاب الدعوات، ومسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٤١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٣١٧) كتاب الزهد، وأحمد (٢٣٤٥٧) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦).

وكان يبكى كثيراً ويقول: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، . . . وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشـية الله - عز وجل -. . . وأُتى بطائر، فأخذه فقلبه ثم قال: ما صِيد من صَـيد، ولا قُطِعت من شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح، فلما احتضر قـال لعائشة: يا بنية إنى أصبت من مال المسلمين هذه العباءة وهذا الحلاب وهذا العبد، فأسرعى به إلى ابن الخطاب، وقال: والله لوددت أنى كنت هذه الشجرة تؤكل وتُعضد.

وقال قتادة: بلغنى أن أبا بكر قال: ليتنى خضرة تأكلنى الدواب.

وهذا عمـر بن الخطاب قرأ سورة الطـور إلى أن بلغ قوله: ﴿**إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ**﴾[1] فبكى واشتد بكاؤه حـتى مرض وعادوه، وقال لابنه وهو فى الموت: ويحك ضع خدى على الأرض، عساه أن يرحمنى ثم قال: بل ويل أمى، إن لم يغفر الله لى، (ثلاثًا) ثم قـضى - مات - وكان يمر بالآية فى وِرده بالليل فتخيفه، فيبقى فى البيت أيامًا يُعاد، يحسبونه مريضًا، وكان فى وجهه ﷺ خطان أسودان من البكاء.

وقال له ابن عباس: مصَّر الله بك الأمصار، وفـتح بك الفتوح،وفعل، فقال: وددت أنى أنجو لا أجر ولا وزر.

وهذا أبو الدرداء ﷺ **كـان يقـول:** إن أشـد ما أخـاف على نفـسى يوم القيامة أن يقال لى: يا أبا الدرداء، قد علمت، فماذا عملت فيما علمت؟

وكان يقول: لو تعلمون مـا أنتم لاقون بعد الموت لما أكلتم طعـامًا على شـهوة، ولا شـربتم شرابًا عـلى شهـوة، ولا دخلتم بيتًـا تسـتظلون فيـه، ولخرجتم إلى الصعيـد تضربون صدوركم، وتبكون على أنفسكم، ولوددت أنى شجرة تُعضد ثم تؤكل.

وكان عبد الله بن عباس ﷺ أسفل عينيه مثل الشراك البالى من الدموع.

---

(١) سورة الطور: الآية: (٧).

وكان أبو ذر يقول: يا ليتنى كنت شجرة تُعضد، ووددت أنى لم أُخلق، . . وعُرضت عليه النفقة فقال: عندنا عنز نحلبها وحُمُر ننقل عليها ومحرر يخدمنا، وفضل عباءة، وإنى أخاف الحساب فيها.

وقرأ تميم الدارى ليلة سورة الجاثية، فلما أتى على هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (١).

جعل يرددها ويبكى حتى أصبح.

وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة: أنشدك الله هل سمانى لك رسول الله ﷺ، يعنى فى المنافقين؟ فيقول: لا. ولا أزكى بعدك أحداً (٢).

أصحاب الأنبياء يسألون المغفرة

وأين نحن - أخى الحبيب - من أصحاب الأنبياء - صلوات ربى وسلامه عليهم - وعلى الرغم من ذلك فلقد كانوا يحرصون كل الحرص على التوبة. وطلب المغفرة من الغفور الرحيم.

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٣).

وقال تعالى عن إبراهيم (عليه السلام) والذين آمنوا معه: ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤).

وقال تعالى عن قوم موسى (عليه السلام): ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا

---

(١) سورة الجاثية: الآية: (٢١).

(٢) الداء والدواء/ للإمام ابن القيم (ص: ٤٧ - ٥٠) بتصرف.

(٣) سورة آل عمران: الآيتان: (١٤٦، ١٤٧).

(٤) سورة الممتحنة: الآية: (٥).

أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى فى شأن المهاجرين: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢).

النبى ﷺ يتوب فى اليوم مائة مرة وأنت لا تتوب مرة!!

* عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرةً**» (٣).

* وعن الأغر بن يسار المزنى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة**» (٤).

أخى الحبيب: النبى ﷺ يتوب فى اليوم الواحد مائة مرة .. وأنت لا تتوب ولو مرة واحدة .. وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وعلى الرغم من ذلك يتوب فى اليوم مائة مرة ويقوم الليل حتى تتفطر قدماه.

فأين أنت أخى الحبيب من هدى النبى ﷺ ؟.

اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عنا

وها هو دعاء المؤمنين فى أعظم ليلة من ليالى العمر - ليلة القدر - يدور حول طلب العفو والمغفرة وذلك لنعرف قدر التوبة ونعيم المغفرة.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أى

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٤٩).

(٢) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٣٠٧) كتاب الدعوات.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولى: **اللهم إنك عفو تُحب العفو فاعفُ عنى**»[١].

كيف يجتمع اليقين بالمعاد والتخلف عن العمل

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

فإن قلت: كيف يجتمع التصديق الجازم الذى لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار ويتخلف العمل؟

قيل: هذا لعمر الله سؤال صحيح وارد على أكثر الخلق، فاجتماع هذين الأمرين من أعجب الأشياء، وهذا التخلف له عدة أسباب:

أحدها: ضعف العلم ونقصان اليقين، .. ومن ظن أن العلم لا يتفاوت فقوله من أفسد الأقوال وأبطلها.

وقد سأل إبراهيم الخليل ربه أن يريه إحياء الموتى عيانًا بعد علمه بقدرة الرب على ذلك، ليزداد طمأنينة ويصير المعلوم غيبًا شهادة. وقد قال ﷺ: «**ليس الخبر كالمعاينة**»[٢].

فإذا اجتمع إلى العلم عدم استحضاره، أو غيبته عن القلب فى كثير من أوقاته أو أكثرها، لاشتغاله بما يضاده، وانضم إلى ذلك تقاضى الطبع، وغلبات الهوى، واستيلاء الشهوة وتسويل النفس وغرور الشيطان، واستبطاء الوعد، وطول الأمل ورقدة الغفلة، وحب العاجلة، ورخص التأويل، وإلف العوائد فهناك لا يمسك الإيمان إلا الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا، وبهذا السبب يتفاوت الناس فى الإيمان والأعمال، حتى ينتهى إلى أدنى مثقال ذرة فى القلب.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٥١٣) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٥٠) كتاب الدعاء، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٢٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٨٤٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٣٧٣).

وجماع هذه الأسباب يرجع إلى ضعف البصيرة والصبر، ولهذا مدح الله سبحانه أهل الصبر واليقين، وجعلهم أئمة الدين فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(١)(٢).

الفرق بين حسن الظن والغرور

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

قد تبين الفرق بين حُسن الظن والغرور، وأن حسن الظن إن حمل على العمل وحث عليه وساق إليه فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي، فهو غرور. وحُسن الظن هو الرجاء فمن كان رجاؤه هاديًا له إلى الطاعة زاجرًا له عن المعصية، فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاء، ورجاؤه بطالة وتفريطًا، فهو المغرور.

ولو أن رجلاً كانت له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه، فأهملها ولم يبذرها، ولم يحرثها، وحسن ظنه بأنه يأتي من مغلها ما يأتي من غير حرث ولا بذر ولا سقي، ولا تعاهد الأرض، لعدَّه الناس من أسفه السفهاء، وكذلك لو حسن ظنه وقوى رجاؤه بأن يجيئه ولد من غير جماع، أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب للعلم وحرص تام عليه، وأمثال ذلك.

فكذلك من حسن ظنه وقوى رجاؤه في الفوز بالدرجات العلا والنعيم المقيم من غير تقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وبالله التوفيق(٣).

أيا عبدُ كم يراك الله عاصيًا
حريصًا على الدنيا وللموت ناسيًا

(١) سورة السجدة: الآية: (٢٤).

(٢) الداء والدواء / للإمام ابن القيم (ص: ٤٤، ٤٥) بتصرف.

(٣) الداء والدواء (ص: ٤٥).

أنسيت لقاء الله واللحد والثرى
ويومًا عبوسًا تشيب فيه النواصيا
لو أن المرء لم يلبس ثيابًا من التُّقَى
تجرد عريانًا ولو كان كاسيا
ولو أن الدنيا تدوم لأهلها
لكان رسول الله حيًّا وباقيا
لكنها تفنى ويفنى نعيمها
وتبقى الذنوب والمعاصى كما هى

إياك والمعصية

عن معاذ قال: أوصانى رسول الله ﷺ فقال: «**لا تشرك بالله شيئًا، وإن قُتلت أو حُرقت، ولا تعقن والديك، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدًا، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشربن خمرًا، فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية، فإن بالمعصية حلَّ سخط الله**»(١).

قال أبو الوفاء بن عقيل: احذره ولا تغتر به، فإنه قطع اليد فى ثلاثة دراهم، وجلَد الحد فى مثل رأس الإبرة من الخمر، وقد دخلت امرأة النار فى هرة، واشتعلت الشملة نارًا على من غلَّها، وقد قُتل شهيدًا.

* أما علمت - أخى الحبيب - أنك ستُسأل عن كل لحظة من عمرك وستبكى الدماء بدل الدموع على كل لحظة ضاعت فى غير طاعة الله (جل وعلا).

(١) حسن لغيره: رواه أحمد (٢١٥٧٠) مسند الأنصار ﷺ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٥٧٠)، وقال: حسن لغيره.

* عن أبى برزة الأسلمى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تزُول قدما عبدٍ حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»[١].

* وعن عدىٍّ بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدمٍ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**»[٢].

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجبةً فقال: «**هل تدرون ما هذا؟**» قُلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا حجر رُمى به فى النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوى فى النار الآن حتى انتهى إلى قعرها، فسمعتم وجبتها**»[٣].

الحجر يصل إلى قعر النار بعد سبعين سنة!!!. تالله لو كان الهبوط فى الماء أو الهواء لمات الإنسان من هول الهبوط فكيف إذا كان الهبوط فى دركات جهنم .. فاتق الله يا أخى واتق النار ولو بشق تمرة وإذا وقعت فى معصية فبادر إلى التوبة واعلم أنك غير معصوم - فالعصمة دُفنت يوم أن دُفن الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم - ولكن احذر من الإصرار على المعصية .. وتوجه إلى الله (جل وعلا) وتذلل إليه ليثبت أقدامك على طاعته وقُل بلسان الحال والمقال.

بك أستجير ومن يُجير سواك

فأجر ضعيفًا يحتمى بحماكَ

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤١٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، والدارمى (٥٣٧) فى مقدمة سننه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٠٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥١٢) كتاب التوحيد، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

إني ضعيف أستعين على قوى
ذنبي ومعصيتي ببعض قواكَ
أذنبت يا رب وآذتني ذنوبٌ
ما لها من غافرٍ إلاكَ
دنيايا غرتني وعفوك شدني
ما حيلتي في هذه أو ذاكَ
رباه قلب تائب ناجاك
أترده وترد صادق توبتي
حاشاك ترفض تائبًا حاشاكَ
فليرضَ عني الناس أو فليسخطوا
أنا لم أعد أسعى لغير رضاكَ

كلا لا تطعه واسجد واقترب

وإذا أراد شيطان من شياطين الإنس أن يأخذ بيديك إلى معصية الله فتذكر قوله تعالى: ﴿كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [١] . . . وتذكر رحمة الله التي وسعت كل شيء.

* عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**يقول الله عزَّ وجل: من جاء بالحسنة، فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة، فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفر. ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرَّب منِّي ذراعًا، تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يُشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرةً**»[٢].

* وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فإذا

(١) سورة العلق: الآية: (١٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٨٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

امرأةٌ من السبى تسعى، إذ وجدت صبيًّا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها، فأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار؟**» قلنا: لا والله. فقال: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»(١).

* **وعن أبى هريرة قال**: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**جعل الله الرحمة مائة جُزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل فى الأرض جُزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تُصيبه**»(٢).

* وعنه عن النبى ﷺ فيما يحكى عن ربه تبارك وتعالى: «**قال: أذنب عبدٌ ذنبًا، فقال: اللهم اغفر لى ذنبى، فقال الله تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخُذُ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أى رب اغفر لى ذنبى، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذُ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أى رب اغفر لى ذنبى، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخُذُ بالذنب، قد غفرت لعبدى، فليفعل ما شاء**»(٣).

وقوله تعالى: «**فليفعل ما شاء**» أى: ما دام يفعل هكذا، يُذنب ويتوب أغفر له، فإن التوبة تهدمُ ما قبلها.

* وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذى نفسى بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، وجاء بقوم يُذنبون، فيستغفرون الله تعالى، فيغفر لهم**»(٤).

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُدنَى المؤمن يوم القيامة من ربِّه حتى يضع كنفه عليه، فيُقرِّره بذنوبه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: ربِّ أعرفُ، قال: فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى صحيفة حسناته**»(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٩٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٧٥٤) كتاب التوبة.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٧٥٢) كتاب التوبة.
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥٠٧) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٧٥٨) كتاب التوبة.
(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٩) كتاب التوبة.
(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٧٠) كتاب الأدب، ومسلم (٢٧٦٨) كتاب التوبة.

لبثت ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وقمت أشكو إلى مولاى ما أجدُ
فقلت يا أملى فى كل نائبة
ومن علّيه لكشف الضر أعتمدُ
أشكو إليك ذنوبًا أنت تعلمها
مالى على حملها صبرٌ ولا جَلَدُ
وقد مددت يدى بالذل مبتهلاً
إليك يا خير من مُدّت إليه يدُ
فلا تردّنها يا رب خائبة
فبحر جودك يروى كل من يَرِدُ

لا تُشمت بك الأعداء

* قال يحيى بن معاذ الرازى: عجبت من ذى عقل يقول فى دعائه: اللهم لا تُشمت بى الأعداء، ثم هو يشمت بنفسه كل عدو له. قيل: وكيف ذلك؟ قال: يعصى الله فيُشمت به فى يوم القيامة كل عدو.

وقد ذكر الإمام أحمد عن أبى الدرداء: «اعبدوا الله كأنكم ترونه، وعُدُّوا أنفسكم فى الموتى، واعلموا أن قليلاً يغنيكم خير من كثير يلهيكم، واعلموا أن البر لا يبلى، وأن الإثم لا يُنسى».

- أخى: إن هيئتك الجميلة وأنت تلبس القميص القصير والعمامة وتضع السواك والمصحف فى قميصك وتُطلق لحيتك .. إن هذا المنظر يغيظ أعداء الله .. فكما امتلأت قلوبهم غيظًا فى الدنيا بهيئتك الجميلة فاحرص على أن تمتلئ قلوبهم غيظًا يوم القيامة بطاعتك لله (جل وعلا).

* * *

لا تغتر بحلم الله (جل وعلا)

ومع ذلك - يا أخى - إياك أن تغتر بحلم الله، فلقد قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾[١].

قال معروف: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق.

وقال بعض العلماء: من قطع عضواً منك فى الدنيا بسرقة ثلاثة دراهم لا تأمن أن تكون عقوبته فى الآخرة على نحو هذا.

وقيل للحسن: نراك طويل البكاء فقال: أخاف أن يطرحنى فى النار ولا يبالى.

وكان يقول: إن قومًا ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة يقول أحدهم؛ لأنى أُحسن الظن بربى... وكذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل.

وسأل رجل الحسن فقال: يا أبا سعيد، كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تنقطع؟

فقال: والله لأن تصحب أقوامًا يخوفونك حتى تدرك أمنًا خير لك من أن تصحب أقوامًا يُؤمِّنونك حتى تلحقك المخاوف.

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أسامة بن زيد، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يجاء بالرجل يوم القيامة، فيُلقى فى النار، فتندلق أقتابه - الأمعاء - فيدور فى النار كما يدور الحمار برحاه، فيطوف به أهل النار، فيقولون: يا فلان، ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**»[٢][٣].

(١) سورة الحجر: الآيتان: (٤٩، ٥٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٦٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٩٨٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) الداء والدواء / (ص: ٢٩).

لا تنظر إلى صغر المعصية

كان هلال بن سعد يقول: «لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظمة مَن عصيت».

وقال الفضيل بن عياض: بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا نُكت فى قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت، حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذى ذكره الله عز وجل: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**»(١)(٢).

* وعن طارق بن شهاب يرفعه قال: «دخل رجل الجنة فى ذباب، ودخل رجل النار فى ذباب».

قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟

قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم، لا يجوزه أحد حتى يقرِّب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرّب، قال: ليس عندى شيء، قالوا له: قرب ولو ذبابًا، فقرّب ذبابًا، فخلوا سبيله فدخل النار. وقالوا للآخر: قرّب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا من دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة».

وقال ﷺ: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه**»، وضرب لهن رسول الله ﷺ مثلاً: «**كرجلٍ كان بأرضٍ فلاةٍ**

---

(١) سورة المطففين: الآية: (١٤).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٣٣٣٤) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٢٤٤) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٩٢) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٧٠).

فحضر صنيع القوم فجعل الرجل يجئ بـالعود والرجل يجئ بالعود حتى جمعوا من ذلك سوادًا وأجَّجوا نارًا فأنضجوا ما فيها»(١).

الذنوب ... وهلاك الأمم من قبلنا

أخى الحبيب: هل سألت نفسك يومًا عن سبب هلاك الأمم من قبلنا؟ أما علمت أنهم هلـكوا بسبـب إعراضـهم عن طاعـة الله (جل وعـلا) وعـدم توبتهم.

وإذا لم تكن الذنوب هى سـبب هلاكهم فـما الذى أخـرج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنـعـيم والبـهـجـة والسـرور، إلى دار الآلام والأحـزان والمصائب؟.

وما الذى أخرج إبليس من ملكوت السـماء وطرده ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه فـجُعلت صـورته أقبح صـورة وأشنعهـا، وباطنه أقبح من صـورته وأشنع؟

وما الذى أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟

وما الذى سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعـجاز نخل خـاوية، ودمرت مـا مرت عليه من ديارهـم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

ومـا الذى أرسل على قـوم ثمـود الصـيـحة حـتى قطـعت قلوبهم فى أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟

وما الذى رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها

(١) رواه أحمد والطبـرانى والبيهقى وصححـه العلامة الألبانى رحمه الله فى صـحيح الجامع (٢٦٨٦)، (٢٦٨٧).

عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعًا، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هى من الظالمين ببعيد؟

وما الذى أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظُّلَل. فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارًا تلظَّى؟

وما الذى أغرق فرعون وقومه فى البحر ثم نُقلت أرواحهم إلى جهنم فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟

وما الذى خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذى أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميرًا ؟

وما الذى أهلك قوم صاحب يس بالصيحة، حتى خمدوا عن آخرهم؟

وما الذى بعث على بنى إسرائيل قومًا أولى بأس شديد، فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية والنساء، وأحرقوا الديار ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبَّروا ما علوا تتبيرًا ؟

وما الذى سلط عليهم أنواع العقوبات، مرة بالقتل والسبى وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى: ﴿ **لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ** ﴾[1].

عن جُبير بن نُفير قال: «لما فُتحت قبرص فُرِّق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض. فرأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكى، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك، فى يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك يا جبير ما أهون

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (١٦٧).

الخلق على الله عز وجل، إذا أضاعوا أمره، بينما هى أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى»[١][٢].

خصال خمس ... أعوذ بالله أن تدركوهن

قال ﷺ : «**يا معشر المهاجرين، خمس خصال، أعوذ بالله أن تدركوهن، ما ظهرت الفاحشة فى قوم، حتى أعلنوا بها إلا ابتُلوا بالطواعين والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطَروا، ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما فى أيديهم، وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله عز وجل فى كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم**»[٣].

* ومن تأمل فى تلك الخصال لعلم علم اليقين أن سببها تعلق القلب بالدنيا وضعف اليقين بالآخرة.

* **قال الإمام ابن القيم:**

وأعظم الخلق غروراً من اغتر بالدنيا وعاجلها، فآثرها على الآخرة، ورضى بها بديلاً من الآخرة، حتى يقول بعض هؤلاء: الدنيا نقد، والآخرة نسيئة، والنقد أحسن من النسيئة[٤].

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت

أن السلامة فيها ترك ما فيها

---

(١) الأثر رواه أحمد فى الزهد (ص: ١٧٦).

(٢) الداء والدواء (ص: ٥٢).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠١٩) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٧٨).

(٤) الداء والدواء / (ص: ٤٢).

لا دار للمــرء بعــد الموت يسكنهــا
إلا التى كــان قــبل الموت يبنـيـهــا
فــإن بناهــا بخـيـرٍ طاب مــسـكنه
وإن بناهــا بشــرٍ خـــاب بانيــهــا
أين الملـوك التى كــانـت مــسلطنة
حتى سقــاها بكأس الموت ساقـيها
أمـوالـنا لذوى الميراث نجــمـعــهـا
وديارنـا لخــراب الـدهر نبنـيــهــا
كم من مـدائن فـى الآفـاق قـد بُنيت
أمـست خـرابًا وأفنى الموت أهليـهـا
إن المكارم أخـــلاقٌ مـطـهـــرةٌ
الديـن أولهــا والـعــقل ثـانيــهــا
والعلـم ثالثــهــا والحلـم رابعــهــا
والجـود خامـسها والفـضل ساديها
والبــر ســابعــهـا والشـكر ثامنهــا
والصـبر تاسـعـهـا والـلين باقـيـهـا
والنفـس تعلم أنـى لا أصــادقــهــا
ولست أرشـد إلا حـيـن أعـصـيـهـا
لا تركنن إلـى الدنيـا ومــا فـيــهــا
فـالموت لا شك يــُفـنينا ويفـنيـهـا
واعـمل لدارٍ غـدًا رضـوان خـازنهـا
والجـار أحـمـد والرحـمن ناشـيـهـا
قـصـــورها ذهبٌ والمسـك طينتــهـا
والزعـفـران حـشـيـشٌ نابتٌ فـيـهـا

أنهـارها لبنٌ مصـفًّى ومن عـسلٍ
والخمـر يجرى رحيقًا فى مجاريها
والطير تجرى على الأغصان عاكفةً
تسِّبح الله جهـرًا فـى مـغانيـها
فمن يشترى الدار فى الفردوس يعمرها
بركـعـة فى ظلام الليل يُحييـها

سنستدرجهم من حيث لا يعلمون

وقد يغتر بعض الناس برؤية أهل المعاصـى وقد فتح الله عليهم من نعيم الدنيا وملذاتها الخير الكثـير . . وما علم هؤلاء أن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة ولو كانت تساوى جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء.

قال ﷺ: «**إذا رأيت الله عـز وجل يعطى العبد مـن الدنيا على معـاصيـه ما يحب، فإنما هو استدراج**» ثم تلا قوله عز وجل: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ**﴾(١)»(٢).

وقال بعض السلف: إذا رأيت الله عز وجل يتابع عليك نعمه وأنت مقيم على معاصيه فاحذره، فإنما هو استدراج منه يستدرجك به، وقد قال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۝٣٣ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ۝٣٤ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾(٣).

وقد ردَّ سبحانه على من يظن هذا الظن بقوله: ﴿**فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ**

(١) سورة الأنعام: (٤٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٦٨٦٠) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحـمه الله فى صحيح الجامع (٥٦١).

(٣) سورة الزخرف: الآيات: (٣٣-٣٥).

فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلاَّ ﴾ (١).

أى ليس كل من نعَّمته ووسعت عليه رزقه أكون قد أكرمته، ولا كل من ابتليته وضيقت عليه رزقه أكون قد أهنته، بل أبتلى هذا بالنعم، وأكرم هذا بالابتلاء.

وقال بعض السلف: رُب مُستَدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم .. ورب مغرور بستر الله عليه وهو لا يعلم، ورب مفتون بثناء الناس عليه وهو لا يعلم(٢).

وربما اتكل بعض المغترين على ما يرى من نعم الله عليه فى الدنيا، وأنه لا يغير ما به، ويظن أن ذلك من محبة الله له وأنه سيعطيه فى الآخرة أفضل من ذلك، فهذا من الغرور.

التوبة ... والنور على الصراط

وها هى التوبة تضىء لك طريقك إلى الله فى الدنيا والآخرة.

ففى الدنيا تعيش فى جنة الإيمان التى لو يعلم قدرها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف .. والتوبة تضىء لك قبرك بنور العمل الصالح .. والتوبة تضىء لك الطريق فوق الصراط يوم القيامة .. والتوبة تقودك إلى جنة الرحمن (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣).

---

(١) سورة الفجر: الآيات: (١٥ - ١٧).

(٢) الداء والدواء (ص: ٤١).

(٣) سورة التحريم: الآية: (٨).

أسألك بعزك وذلى إلا رحمتنى

فهيا أخى الحبيب ارفع يديك إلى من يسمع دبيب النملة السوداء تحت الصخرة الصمّاء فى الليلة الظلماء، واطلب منه أن يعينك على التوبة وأن يغفر ذنوبك.

* قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

فلله ما أحلى قوله فى هذه الحال: «أسألك بعزك وذلى إلا رحمتنى، أسألك بقوتك وضعفى، وبغناك عنى وفقرى إليك، هذه ناصيتى الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواى كثير، وليس لى سيد سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال مَن خضعت لك رقبته، ورَغِم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذَلَّ لك قلبه».

يا من ألوذُ به فيما أؤمله

ومن أعوذ به مما أحاذرهُ

لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره

ولا يهيضون عظمًا أنت جابره (١)

وقفة مع النفس

أخى الحبيب: قف مع نفسك لتعرف ماذا تريد . . بل ولتعرف ما الذى يشغلك عن طاعة الله والقُرب منه.

* إن كان المال هو الذى يشغلك فاعلم أن المال لا ينفعك فى قبرك ولا فى آخرتك إلا إذا أنفقته فى طاعة الله (جل وعلا).

قال ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد

(١) مدارج السالكين: (١/ ١٨٧).

يرجع أهله وماله ويبقى عمله»[١].

هذه هى الحقيقة . . . لا ينفعك إلا عملك الصالح.

* وإن كان الأولاد هم الذين يشغلونك عن الله فاعلم أن الأولاد نعمة لمن استعملهم فى طاعة الله . . ونقمة لمن انشغل بهم عن الله، ولذا قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾[٢].

وقال ﷺ: «**إن الولد مبخلةٌ مجبنةٌ مجهلةٌ محزنةٌ**»[٣].

أما إن استعملت أولادك فى طاعة الله وجعلتهم وقفًا لخدمة دين الله فإنهم بذلك يكونون نعمة تنتفع بها فى حياتك وبعد موتك.

قال ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له**»[٤].

* وإن كان المنصب والجاه هو الذى يشغلك عن الله، فاعلم أخى الحبيب أن المنصب زائل ولو دام لغيرك ما وصل إليك.

* وإن كانت الدنيا كلها تشغلك عن الله فقد قال خالقها (جل وعلا) عنها: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾[٥].

* وعن المُستورد بن شدَّاد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما الدنيا**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥١٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٦٠) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) سورة التغابن: الآيتان: (١٤، ١٥).

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٣/ ٣٣٥، رقم ٥٢٨٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩٩٠).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.

(٥) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدُكم أصبعه فى اليم، فلينظر بم يرجع؟»[(١)].

* **وعن أبى هريرة ﷺ قال:** قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[(٢)].

* وعن ابن عمر ﷺ، قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى، فقال: «**كن فى الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**».

وكان ابن عمر ﷺ، يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخُذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك[(٣)].

قالوا فى شرح هذا الحديث معناه: لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنًا، ولا تُحدِّث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب فى غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذى يريد الذهاب إلى أهله... وبالله التوفيق.

* وعن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى ﷺ، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله دُلَّنى على عمل إذا عملته أحبنى الله، وأحبنى الناس، فقال: «**ازهد فى الدنيا يُحبك الله، وازهد فيما عند الناس يُحبك الناس**»[(٤)].

* وعن عبد الله بن الشِّخِّير ﷺ، أنه قال: أتيت النبى ﷺ وهو يقرأ: «﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾» قال: «**يقول ابن آدم: مالى، مالى، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟**»[(٥)].

* وعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثَّر فى جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «**ما لى**

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٨٥٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) **صحيح:** رواه البخارى (٦٤١٦) كتاب الرقاق.

(٤) **صحيح:** رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٢٢).

(٥) **صحيح:** رواه مسلم (٢٩٥٨) كتاب الزهد والرقائق.

وللدنيا؟ ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»(١) .

فيا أيها الأخ الحبيب: اجعل الهموم همًّا واحدًا ليكفيك الله هموم الدنيا والآخرة.

قال ﷺ : «من كانت الآخرة همَّه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرَّق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له»(٢) .

* وعن عُبيد الله بن محصن الأنصارى الخطمى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من أصبح منكم آمنًا فى سربه، معافى فى جسده، عندهُ قوتُ يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»(٣) .**

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **«قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه»(٤) .**

* **فهيا أيها الأخ الحبيب:** تُب إلى الله من كل المعاصى والذنوب واعلم أنك ستنسى كل شقاءٍ بغمسة واحدة فى الجنة، كما أخبر الحبيب ﷺ .

فقد قال ﷺ مخبراً عن هذا المشهد العظيم الذى يحدث يوم القيامة: «يؤتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيُصبغ فى جهنم صبغة ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتَى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٧٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٠٩) كتاب الزهد، وأحمد (٣٧٠١) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٦٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥١٠).

(٣) حسن: رواه الترمذى (٢٣٤٦) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٤١) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠٤٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٠٥٤) كتاب الزكاة.

ما مرّ بى بؤسٌ قط، ولا رأيت شدة قط»(١).

اتق دعوة المظلوم

وأخيرًا: أخى الحبيب اتقِ مظالم العباد فإن الذنب إذا كان فى حق الله (جل وعلا) فالتوبة قريبة؛ لأنك إذا قلت: يا رب . . ناداك ربك: لبيك عبدى قد غفرت لك.

أما إذا كان الذنب فى حقٍّ من حقوق العباد فإنه لا يغفر تلك المظالم إلا العباد.

* عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه، من عرضه أو من شىء، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه**»(٢).

وقال ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب**»(٣).

وقال ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم فإنها تُحمل على الغمام يقول الله: وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين**»(٤).

واعلم يا أخى الحبيب أن الله (عز وجل) لا يحب الظالمين . .

قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ (٥). . وكذلك فإن الله يحرم الظالمين نعمة الهداية . . قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (٦).

* **وعن جابر** ﷺ **أن رسول الله** ﷺ **قال:** «**اتقوا الظلم فإن الظلم**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٥٣٤) كتاب الرقاق.

(٣) حسن: رواه أحمد (١٢١٤٠) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٩).

(٤) حسن: رواه الطبرانى (٤/ ٨٤ رقم ٣٧١٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٨٧٠).

(٥) سورة آل عمران: الآية: (٥٧).

(٦) سورة البقرة: الآية: (٢٥٨).

ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشُّحَّ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»(١).

* وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليُملي للظالم فإذا أخذه لم يُفلته» ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(٢) »(٣).

* وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفلس من أُمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار»(٤).

أخي الحبيب: مهما بلغت ذنوبك فتذكر قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٥).

أسأل الله (جل وعلا) أن يرزقك توبة صادقة تقربك من رحمة الله وجنته ورضوانه .. وأن يحول بينك وبين مظالم العباد، وأن يرزقك حُسن الخاتمة، وأن يجمعني بك في جنته ومستقر رحمته.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

أبو عمار

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) سورة هود: الآية: (١٠٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٨٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٥٨٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

يا شباب..
حي على الصلاة



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٣].

أما بعد: فإن الدنيا دار ممر وليست بدار مقر.. وإن الله (عز وجل) خلقنا لغاية جليلة أخبر عنها بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[٤]، ولكن أكثر الناس نسوا تلك الغاية التى من أجلها خُلقوا.

* أخى الحبيب: أما علمت أنك فى ميدان السباق الحقيقى الذى لطالما تسابق فيه أهل الإيمان والتقوى لما سمعوا قول الحق (جل وعلا): ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[٦].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).
(٢) سورة النساء: الآية: (١).
(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).
(٤) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).
(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٣٣).
(٦) سورة البقرة: الآية: (١٤٨).

فمـا كان منهم إلا أن أسهـروا ليلهم وأظمأوا نهـارهم بالقيام والصـيام ليظفروا بالمغفرة والرحمة والرضوان.

* وها أنا أواصل المسـير مع إخوانى وأخـواتى من خلال تلك الـرسائل التى هى بعنوان (رسائل إلى الشـباب) والتى كان أول إصـداراتها بعنوان (يا شـباب.. الوقت هـو الحيـاة).. وها نحن على مـوعـد مع رسالة أخـرى بعنوان: (يا شباب.. حى على الصلاة).. وهى رسالة مهمة جدًّا.

* فإن الصلاة هى أعظم الأركان بعد الشهادتين وهى أم العبادات وميزان تعظيم الدين فى قلب المؤمن فـهى التى أمر الله بهـا وهى الوصية الأخـيرة لرسول الـلـه ﷺ وهى ملجأ المؤمن فى الكربات وهى التى يرفع الـله بها الدرجات ويغـفر بهـا الخطيئـات وينجو بهـا العبـد من عذاب رب الأرض والسمـاوات وهى أمنيـة المعذَّبين والأمـوات وهى العاصـمة من الشـهوات والناهية عن المنكرات وهى الحادى للنعيم المقيم فى الجنات.

* فيا شـباب.. حى على الصلاة فالجنة تناديكم فـهل من مجيب؟...
وهل سنجد شبابًا يشتاق إلى جنة الرحمن فـيعلنها اليوم توبة صادقة ويغسل جبال الذنوب بـدموع التوبة، فيـتوضأ ويقف بيـن يدى الله (جل وعلا).. ولسان حاله ومقاله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[1].

* أسأل الله (جل وعلا) أن ينفع بتلك الرسالة، وأن يجعلها حاديًا لكل شباب وفتيات الأمة لكى يعودوا إلى دينهم وإلى سُنة نبيهم ﷺ.

إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصرى
(أبو عمار)

(١) سورة طه: الآية: (٨٤).

حال النبى ﷺ مع الصلاة

لقد بلغت الصلاة مبلغًا عظيمًا وقدرًا عاليًا فى قلب النبى ﷺ حتى كانت أغلى من نسيم الهواء الذى يتنفسه الإنسان.

وحسبُنا أن نتأمل قول النبى ﷺ : «حُبِّب إلىَّ من دنياكم: النساء والطِّيب وجُعلت قُرة عينى فى الصلاة»(١).

قال المروزى: ولو لم يستدل المؤمن على أن الصلاة أحب الأعمال إلى الله إلا بما ألزم قلب حبيبه المصطفى محمد ﷺ من حب الصلاة وجعل قرة عينه فيه دون سائر الأعمال كلها، وإن كان مُحبًّا لجميع الطاعات، ولكنه خص الصلاة فأخبر أن قُرة عينه جُعلت فى الصلاة لربه لكفاه بذلك دليلاً(٢).

وقد كان النبى ﷺ يفزع إلى الصلاة. . . . ففزع إليها ليلة الأحزاب.

قال حذيفة: «رجعت إلى النبى ﷺ ليلة الأحزاب، وهو مشتمل فى شملة يصلى، وكان رسول الله ﷺ إذا حَزَبه أمر صلَّى»(٣).

وفزع إليها يوم بدر: . . . عن (على) قال: لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا نائم غير رسول الله ﷺ يصلى ويدعو حتى أصبح.

* وكان يفزع إليها كذلك عند تجدد النعم.

فمن ذلك أن الله -عز وجل- لما أنعم على نبيه ﷺ بفتح مكة اغتسل وصلى ثمانى ركعات شكرًا لله عز وجل.

وكان ﷺ يحب الصلاة حُبًّا جمًّا لدرجة أنه كان يقول لبلال: «يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها»(٤).

---

(١) صحيح: رواه النسائى (٣٩٣٩) كتاب عشرة النساء، وأحمد (١١٨٨٤) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٢٤).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٣١).

(٣) حسن: رواه أبو داود (١٣١٩) كتاب الصلاة، وأحمد (٢٢٧٨٨) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٧٠٣).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٨٥) كتاب الأدب، وأحمد (٢٢٥٧٨) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٨٩٢).

بل إنه ﷺ في مرض الموت وفي آخر لحظات حياته يُغشَى عليه ثم يفيق ويقول: «**أصلَّى الناس؟**» فيقولون له: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، ويُغشى عليه ثم يفيق ولا يسأل إلا نفس السؤال: «**أصلى الناس؟**»(١).

وتأملوا معي كيف كانت صلاته ﷺ كما وصفها حذيفة رضي الله عنه.

- **روى مسلم عن حذيفة** رضي الله عنه **قال**: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلى بها في الركعة، فمضى، فقلت: يركع بها ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرآها، يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوَّذ، ثم ركع، فجعل يقول: «**سبحان ربى العظيم**»، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: «**سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد**» ثم قام قيامًا طويلاً قريبًا مما ركع، ثم سجد، فقال: «**سبحان ربى الأعلى**»، فكان سجوده قريبًا من قيامه.

وفي رواية للنسائي: لا يمر بآية تخويف أو تعظيم لله -عز وجل- إلا ذكره(٢).

* **وروى مسلم عن جابر** رضي الله عنه **قال**: «غزونا من رسول الله ﷺ قوما من جُهينة، فقاتلوا قتالاً شديدًا»... الحديث، وفيه: «وقالوا -أي: المشركون- إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد»(٣).

* ولكونها كانت «قرة عينه ﷺ كان ﷺ يطيل القيام والتهجد، ولا يقوى على مفارقتها».

حال سلفنا الصالح مع الصلاة

* كان أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان يحبون الصلاة، ويشتاقون إليها، فلقد استولت على قلوبهم واستغرقت نفوسهم فقد تعلموا

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٨٧) كتاب الأذان، ومسلم (٤١٨) كتاب الصلاة.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٧٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.
(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٤٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

ذلك من النبى ﷺ .

فعن أبى الدرداء ﷺ قال: «لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يومًا واحدًا: الظمأ لله بالهواجر، والسجود فى جوف الليل، ومجالسة قوم ينتقون من خيار الكلام كما يُنتقى أطايب التمر» ولما حُضر عامر بن عبد قيس -رحمه الله- جعل يبكى، فقيل له: «ما يبكيك؟» قال: «ما أبكى جزعًا من الموت، ولا حرصًا على الدنيا، ولكن أبكى على ظمإِ الهواجر، وعلى قيام ليالى الشتاء».

* روى أن عبد الله بن الزبير ﷺ كان يصلى فى جوف الكعبة وهو مُحاصَر بجيش عبد الملك بن مروان الذى يسدد ضرباته بالمنجنيق من جبل أبى قبيس للقضاء عليه وعلى أتباعه، ومرت فلقة من حجر عظيم بين لحيته وحلقه، فما زال ﷺ عن مقامه، ولا ظهر على صورته هَمٌّ ولا اهتمام، ولا قطع قراءته، ولا ركع دون ما يركع، حتى فرغ من صلاته.

بل إنه كان يصلى حين تقف الضربات أحيانًا فتسقط العصافير على ظهره من أعلى الحرم، تصعد وتنزل فى أمان، وهى تظنه جذم حائط، أو جذع شجرة.

ولقد ركع ذات مرة، وكان رجل من أصحابه يقرأ القرآن، فما قام ﷺ من ركعته حتى انتهى الرجل من تلاوة «البقرة» و «آل عمران» و «النساء» و«المائدة».

وروى أنه كان يصلى ذات يوم فى بيته، فسقطت حية من السقف، فطوقت على بطن ابنه «هاشم» فصرخ النسوة، وانزعج أهل الدار، واجتمعوا على قتل الحية، فقتلوها، وسَلِم الولد، فعلوا كل ذلك، وابن الزبير فى صلاته، لم يلتفت، ولا درى بما كان حتى فرغ من صلاته.

* وقال عدى بن حاتم ﷺ: «ما دخل علىَّ وقت صلاة إلا وأنا مشتاق إليها» وكيف لا؟ وقد قال الصادق المصدوق ﷺ: «**سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله**»... الحديث، وفيه: «**ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا**

خرج منه حتى يعود إليه»[(١)].

* وكان أبو مسلم الخولانى -رحمه الله- يجتهد فى العبادة، ويقول: «أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا؟! كلا والله، لنزاحمنهم عليه زحامًا، حتى يعلموا أنهم قد خلَّفوا وراءهم رجالاً».

* بل هذا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يصلى بالقرآن كله فى ركعة الوتر... وهذا عروة بن الزبير -رحمه الله- تُقطع رجله وهو ساجد بين يدى الله -جل وعلا- وكان قد عرضوا عليه أن يشرب شيئًا يُذهب عقله حتى لا يشعر بألم القطع فقال: لا أُذهب عقلى بشىء حرمه الله، ولكن انتظروا حتى أدخل فى الصلاة فإذا سجدت فاقطعوا رجلى.

* بل هذا سعيد بن المسيب -رحمه الله- يصلى أربعين سنة خلف الإمام فى الصف الأول لا تفوته تكبيرة الإحرام.

* **بل قال ثابت رحمه الله:** «اللهم إن كنت أذِنت لأحد أن يصلى فى قبره فأذن لى».

* **وعن أبى رجاء قال:** «ما أجدنى آسى على شىء من أمر الدنيا إلا أن أعفر وجهى فى التراب كل يوم خمس مرات لربى عز وجل».

* **وقال بعضهم معبراً عن هذا النعيم وقرة العين بذكر الله والصلاة:** «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه، لجالدونا عليه بالسيوف»...

وقال آخر: «إنه لتمر بى أوقات أقول: إن كان أهل الجنة فى مثل هذا إنهم لفى عيشٍ طيب»... وقال آخر: «مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا لذيذ العيش فيها، وما ذاقوا أطيب ما فيها»، وقال آخر: «إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة».

* ولذلك كان من تعظيم قدر الصلاة أن النبى ﷺ كان يأخذ البيعة على إقامتها.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

* **عن جرير بن عبد الله قال:** «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»(١).

قال الحافظ: كان النبى ﷺ أول ما يشترط بعد التوحيد إقامة الصلاة؛ لأنها رأس العبادات البدنية، ثم أداء الزكاة؛ لأنها رأس العبادات المالية، ثم يعلم كل قوم ما حاجتهم إليه أمسّ فبايع جريرًا على النصيحة؛ لأنه كان سيدِ قومه، فأرشده إلى تعليمهم بأمره بالنصيحة لهم(٢).

الصلاة هى الركن الأعظم بعد الشهادتين

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

إن الصلاة هى الركن الأعظم بعد الشهادتين.

ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «بُنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وحج البيت، وصوم رمضان»(٣).

* **وفى الصحيحين:** عن أبى سعيد رضي الله عنه أن رجلاً قال لما قسم رسول الله ﷺ الغنائم: يا رسول الله، اتق الله! فقال: «**ويلك! ألست أحق أهل الأرض أن أتقى الله؟!**».

فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: «ألا أضرب عنقه يا رسول الله؟».

فقال: «**لا، لعله أن يكون يصلى**»(٤).

* **وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا**

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٦) كتاب الإيمان.
(٢) فتح البارى (٢/٨).
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٨) كتاب الإيمان، ومسلم (١٦) كتاب الإيمان.
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣٥١) كتاب المغازى، ومسلم (١٠٦٤) كتاب الزكاة.

ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»[(١)].

الصلاة إيمان

قال البيهقى -رحمه الله-: «وليس من العبادات - بعد الإيمان الرافع للكفر- عبادة سماها الله - عز وجل- إيمانًا، وسمى رسول الله ﷺ تركها كفرًا إلا الصلاة»[(٢)] اهـ.

* ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: **«آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تؤدوا خُمس ما غنمتم»**[(٣)] . . . فجعل الصلاة من الإيمان بالله وحده.

* ولذلك سمى الله -عز وجل- الصلاة إيمانًا كما فى قوله -جل وعلا-: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**﴾[(٤)] يعنى: صلاتكم عند البيت.

الصلاة أم العبادات

لقد كُلِّف العبد أن تستحوذ الصلاة على كل كيانه، ظاهرًا وباطنًا، وتستغرق قلبه ولسانه وجوارحه. . . .، قال تعالى: ﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾[(٥)].

وقال ﷺ كما فى الصحيحين: **«إن فى الصلاة لشغلاً»**[(٦)].

فحرم على المصلى الأكل، والشرب، والالتفات، والحركة، بخلاف ما عدا الصلاة من العبادات التى تُفرض على بعض الجوارح دون بعض، فللصائم أن

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥) كتاب الإيمان، ومسلم (٢٢) كتاب الإيمان.

(٢) شعب الإيمان (٣/ ٣٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣٦٨) كتاب المغازى، ومسلم (١٧) كتاب الإيمان.

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).

(٥) سورة البقرة: الآية: (٢٣٨).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (١٢١٦) كتاب الجمعة، ومسلم (٥٣٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

يتكلم ويتحرك، وللمجاهد أن يلتفت ويتكلم، وللحاج أن يأكل ويشرب، أما الصلاة ففيها ألوان العبودية الشاملة للقلب والعقل والبدن واللسان.

فللسان: الشهادتان، والتكبير، والتعوذ، والبسملة، وتلاوة القرآن، والتسبيح، والتحميد، والاستغفار، والأدعية، وللجوارح: قيام وركوع، وسجود، واعتدال، وخفض، ورفع، وقعود، وللعقل: تفكُّر، وتدبُّر، وتفهُّم، وتفقه، وللقلب: خشوع، ورقة، وخوف وطمع، والتذاذ، وضراعة، وبكاء[1].

الصلاة شأنها عظيم عند الله

إن الصلاة شأنها عظيم عند الله -جل وعلا- ولذلك فقد تميزت على ما عداها من الفرائض بخصائص لا تُعد ولا تُحصى.

وحسبنا أنها العبادة الوحيدة التى منحها الله لنبيه محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج بلا واسطة من فوق سبع سماوات لعلو قدرها ومكانتها عند الله -جل وعلا- فهى الفريضة الوحيدة التى فُرضت فى السماء.

الصلاة أفضل الأعمال

* **ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: «أفضل الأعمال: الصلاة لوقتها»**.... وقال رسول الله ﷺ: **«الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر»**[2].

أى: أن الصلاة أفضل ما وضعه الله -أى: شرعه- من العبادات، ففرضُها أفضل الفروض ونفلها أفضل النوافل.

* * *

(١) الصلاة لماذا / الدكتور محمد إسماعيل المقدم - حفظه الله - (ص: ١٢-١٣).

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (١/ ٨٤، رقم ٢٤٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٧٠).

الصلاة امتثال لأمر الله (جل وعلا)

اعلم أيها الأخ الحبيب... وأيتها الأخت الفاضلة أن العبد عندما يصلى فهو يمتثل أمر الخالق (جل وعلا) الذى أمر بإقامة الصلاة، فقد قال تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ...﴾[١].

* وعن الحارث الاشعرى ﷺ عن النبى ﷺ: «**أن يحيى - عليه السلام- قال لبنى إسرائيل وقد جمعهم: إن الله تبارك وتعالى أمرنى بخمس كلمات أن أعملهن، وآمركم أن تعملوا بهن**» الحديث، وفيه: «**وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته ما لم يلتفت**»[٢].

الصلاة تحرر البشرية من العبودية لغير الله

لما دخل ربعى بن عامر ﷺ على رستم قائد جيوش الفرس فسأله: من أنتم؟ وما الذى جاء بكم إلى هنا؟ فقال له ربعى: نحن قومٌ ابتعثنا الله لنُخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

* **أجل والله**: فالمسلم ينظر إلى هذا الكون كله من حوله نظرة صاحب السلطان. لأن الله - عز وجل- خلق هذا الكون وسخَّره لنا فلا يمكن بحالٍ من الأحوال أن ينشغل المؤمن بحطام الكون عن خالق الكون -جل وعلا-.

* ولذلك نجد أن المؤمن قد حدد وجهته عندما يقوم ليصلى ويقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٣] فهو لا يعبد غير الله ولا يستعين بغير الله -

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٣١).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٨٦٣) كتاب الأمثال، وأحمد (١٦٧١٨) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٢٤).

(٣) سورة الفاتحة: الآية: (٥).

جل وعلا- ولذا كانت الصلاة من أعظم أسباب تحرير البشرية من العبودية لغير الله.

الصلاة هى عبودية كل الكائنات

فالكون كله يسبح بحمد الله، والكون كله يسجد ويصلى لله (جل وعلا). فقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (١) فالظاهر من سياق تلك الآية أن الطير تُسبح وتصلى صلاة لا يعلم كيفيتها إلا الله كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (٢).

بل إن الملائكة يصلون أيضًا فقد قال تعالى فى حقهم: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾(٣).

* وروى مسلم أن النبى ﷺ قال لأصحابه: «ألا تصفُّون كما تصف الملائكة عند ربها؟» ثم ذكر كيفية اصطفافهم فقال: «يُتمون الصف الأول فالأول، ويتراصون فى الصف»(٤).

* وقد فضلنا الله على بقية الأمم بأن «جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة»(٥).

* وهم يصلون مع المؤمنين.. ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا، فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه»(٦).

---

(١) سورة النور: الآية: (٤١).
(٢) سورة الإسراء: الآية: (٤٤).
(٣) سورة فصلت: الآية: (٣٨).
(٤) صحيح: رواه مسلم (٤٣٠) كتاب الصلاة.
(٥) صحيح: رواه مسلم (٥٢٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.
(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٧٨٠) كتاب الأذان، ومسلم (٤١٠) كتاب الصلاة.

وكذا يحضرون مع المؤمنين صلاة الجمعة... قال ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة، يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاءوا يستمعون الذكر»(١).

* بل تأمل معى هذين المشهدين:

قال ﷺ: «إنى لأرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطَّت السماء، وحُق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدًا»(٢).

* وفى الصحيحين أنه فى حديث الإسراء قال ﷺ: «... فَرُفع لى البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»(٣).

* بل إن الجن أيضًا مكلفون بالصلاة فقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(٤).

* وهكذا فالكون كله يسبح بحمد الله (جل وعلا).

الصلاة هى القاسم المشترك بين كل الأديان

اعلم أيها الأخ الحبيب أنه لم يأت دين من الأديان إلا وكانت الصلاة عموده الأكبر بعد التوحيد فلم يخل دينٌ من تلك العبادة على اختلاف صورها وأشكالها فى كل ديانة.

فقد حكى الله عز وجل عن إبراهيم -عليه السلام- دعاءه: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢١١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٨٥٠) كتاب الجمعة.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٣١٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٩٠) كتاب الزهد، وأحمد (٢١٠٠٥) مسند الأنصار ﷺ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٤٤٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٠٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٦٤) كتاب الإيمان.

(٤) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

(٥) سورة إبراهيم: الآية: (٤٠).

ونوَّه جل وعلا بشأن إسماعيل -عليه السلام- فقال سبحانه: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾(١).

وقال سبحانه مخاطبًا موسى -عليه السلام-: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾(٢).

ونادت الملائكة مريم أم عيسى -عليهما السلام-: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(٣).

وقال عيسى -عليه السلام- محدثًا بنعمة ربه سبحانه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾(٤).

وقد أخذ الله الميثاق على بنى إسرائيل، فجعل إقامة الصلاة من أهم مواده: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾(٥).

وقال جل وعلا مخاطبًا خاتم النبيين ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(٦).

* وقال ﷺ: «إنا معشر الأنبياء أُمرنا أن نُعجِّل إفطارنا ونؤخر سحورنا ونضع أيماننا على شمائلنا فى الصلاة»(٧).

* * *

(١) سورة مريم: الآية: (٥٥).

(٢) سورة طه: الآية: (١٤).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٤٣).

(٤) سورة مريم: الآية: (٣١).

(٥) سورة البقرة: الآية: (٨٣).

(٦) سورة طه: الآية: (١٣٢).

(٧) صحيح: رواه الطيالسى (ص ٣٤٦، رقم ٢٦٥٤)، والطبرانى (١١/١٩٩، رقم ١١٤٨٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٨٦).

الصلاة ميزان يُقاس به إيمان العبد

فإذا أردت أن تقيس إيمان العبد فانظر لحاله مع الصلاة.

* **قال ﷺ: «من أراد أن يعلم ما له عند الله، فلينظر ما لله عنده»** [(١)].

والناس يتفاضلون فى الصلاة قبل أن يتفاضلوا فى غيرها - من فضل علم أو ذكاء- وهى المقياس الصحيح، وبها يُحكَم على دين الرجل، ومكانته فى الإسلام، وليس امتياز هؤلاء الرجال الذين خلد التاريخ ذكرهم، وكان لهم فضل فى الأقران والمعاصرين، ولسان صدق فى الآخرين، إلا لامتيازهم فى هذه الصلاة، وتفوقهم فيها على معاصريهم وأضرابهم، وبلوغهم فيها درجة «الإحسان» ووصولهم فيها إلى أسمى مكان» [(٢)] اهـ.

وعن الحسن قال: «يا ابن آدم أى شىء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك؟!».

الناس فى الصلاة على مراتبَ خمسٍ

* **قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:** والناس فى الصلاة على مراتب خمس:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذى انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثانى: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها لكن قد ضيع مجاهدة نفسه فى الوسوسة، فذهبت مع الوساوس والأفكار.

الثالث: من يحافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه فى دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته فهو فى صلاة وجهاد.

---

(١) حسن: رواه ابن المبارك فى الزهد (١/ ٢٩١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠٠٦).

(٢) الأركان الأربعة (ص: ٨٧).

الرابع: من إِذا قـام إلى الصلاة أكـمل حقـوقـها وأركـانها وحـدودها، واستغرق قلبه مـراعاة حدودها وحقوقها لئلا يُضـيع شيئًا منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغى، وإكمـالها وإِتمامها، قد استغـرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدى ربه -عـز وجل- ناظرًا بقلبه إليه، مراقبًا له ممتلئًا من مـحبـته وعظمـتـه كأنه يراه ويشـاهده، وقـد اضمـحلت تلك الوسـاوس والخطرات، وارتفعت حُجُبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره فى الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا فى صلاته مشـغول بربه - عز وجل- قرير العين به.

فالقسـم الأول مُعاقَب، والثانى مُـحاسَب، والثالث مُكَفَّر عنه، والرابع مُثاب، والخامس مُقرَّب من ربه -عز وجل-(١).

الصلاة شعار ديار المسلمين

فكمـا أن النبى ﷺ أخبـر أن حُكم الكفر يرتفع عن الـعبد بالـصلاة فكذلك يرتفع حكم الكفر عن أى دولة بظهور شعائر الإسـلام وفى مقدمتها الصلاة، وذلك أننا إذا دخلنا أى بلد ولم نسـمع فيـها أذانًا ولم نجـد فيـها مساجد فهذا دليل على أن تلك الدار دار كفر.

* روى البخـارى أن النبى ﷺ قال: **«من صلى صلاتنا، واستقـبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذاكم المسلم الذى له ذمة الله، وذمة رسوله، فلا تخفروا الله فى ذمته»**(٢).

---

(١) الوابل الصيب (ص: ٣٨-٣٩).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٩١) كتاب الصلاة.

* وروى البخارى عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: «إن النبى ﷺ كان إذا غزا بنا قومًا، لم يكن يغزو بنا حتى يُصبح وينظر، فإن سمع أذانًا كَفَّ عنهم، وإن لم يسمع أذانًا أغار عليهم»(١).

الصلاة... مدرسة خلقية

إن الصلاة هى المدرسة التى يتربى فيها المسلم على الأخلاق الحميدة ويتخلص فيها من الأخلاق المذمومة ولذا قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(٢).

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾(٣).

فاستثنى المحافظين على الصلاة من أصحاب الأخلاق الذميمة.

* ولذلك لما فوجئ قوم شعيب بالدعوة إلى التوحيد، والفضيلة والتقوى، والإنكار على ما كانوا فيه من ظلم وبخس وتطفيف، أقبلوا على حياة شعيب يلتمسون فيها مصدر هذا الانقلاب وهذا الاختلاف فقد وُلد ونشأ فيهم كابن قبيلة وابن بلد، والذى يردون إليه طبيعة هذا الخصام والنزاع، فلم يجدوا فى حياته شيئًا أوضح من الصلاة التى كانوا يشاهدونها، ويتعجبون لحسنها وطولها، فقالوا: ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (٤) اهـ(٥).

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (٦١٠) كتاب الأذان.
(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٤٥).
(٣) سورة المعارج: الآيات: (١٩-٢٣).
(٤) سورة هود: الآية: (٨٧).
(٥) الأركان الأربعة (ص: ٤٩).

الصلاة تنهاك عن فعل المنكرات

قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١).

* فإذا صليت صلاة خاشعةً فإن صلاتك ستنهاك لا محالة عن فعل المنكرات، وستكون سببًا لصلاح قلبك فإذا صلح قلبك صلحت جوارحك، وانقادت إلى طاعة الله (جل وعلا)... كما فى الصحيحين: «**ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب**»(٢).

* **ولما قيل للنبى** ﷺ : إن فلانًا يصلى الليل كله، فإذا أصبح سرق!، قال ﷺ : «**سينهاه ما تقول**» أو قال: «**ستمنعه صلاته**»(٣).

وقال رسول الله ﷺ : «**عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد**»(٤).

من حفظ الصلاة فقد حفظ دينه

* قال ﷺ : «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله**»(٥).

* **وعن المسور بن مخرمة** رضي الله عنه قال: «دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو مُسجًى، فقلت: كيف ترونه؟ قالوا: كما ترى، قلت: أيقظوه بالصلاة،

---

(١) سورة العنكبوت: الآية: (٤٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٩٤٨٦) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١٢٣٧).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٣٥٤٩) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٠٧٩)، وضعف العلامة الألبانى الجملة الأخيرة: «ومطردة للداء عن الجسد»، انظر ضعيف الجامع (٣٧٨٩).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٦١٦) كتاب الإيمان، وابن ماجه (٣٩٧٣) كتاب الفتن، وأحمد (٢١٥١١) مسند الأنصار رضي الله عنهم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١٣٦).

فإنكم لن توقظوه بشيء أفزع له من الصلاة، فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين، فقال: «ها الله إذاً، ولا حق فى الإسلام لمن ترك الصلاة»... فصلَّى، وإن جرحه ليثعب(١) دمًا».

* وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى الآفاق: **«إن أهم أموركم عندى الصلاة، فمن حفظها فقد حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، ولا حظ فى الإسلام لمن ترك الصلاة»**(٢).

الصلاة صلة بين العبد وربه (جل وعلا)

* قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- إذا وقف فى الصلاة صاحب القلب العامر بمحبة الله وخشيته والرغبة فيه وإجلاله وتعظيمه وقف بقلبٍ مُخبت خاشع له قريب منه سليم من معارضات السوء، قد امتلأت أرجاؤه بالهيبة وسطع فيه نور الإيمان، وكشف عنه حجاب النفس ودخان الشهوات، فيرتع فى رياض معانى القرآن، وخالط قلبه بشاشة الإيمان بحقائق الأسماء والصفات وعلوها وجلالها الأعظم، وتفرد الرب سبحانه بنعوت جلاله وصفات كماله.

فاجتمع همه على الله، وقرَّت عينه به، وأحس بقربه من الله قربًا لا نظير له، ففرغ قلبه له وأقبل عليه بكُليته، وهذا الإقبال منه بين إقبالين من ربه، فإنه سبحانه أقبل عليه أولاً فانجذب قلبه بإقباله، فلما أقبل على ربه حظى منه إقبالاً آخر أتم من الأول.

وها هنا عجيبة من عجائب الأسماء والصفات تحصل لمن تفقَّه قلبه فى معانى القرآن، وخالط بشاشة الإيمان بها قلبه بحيث يرى لكل اسم وصفة موضعًا من صلاته ومحلاً منها، فإذا انتصب قائمًا بين يدى الرب -تبارك

(١) أى يسيل دمًا.

(٢) رواه مالك فى الموطأ (٦) كتاب وقوت الصلاة.

وتعالى- شاهد بقلبه قيوميته، وإذا قال: الله أكبر شاهد كبرياءه.

وإذا قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقد أوى إلى ركنه الشديد، واعتصم بحوله وقوته من عدوه الذى يريد أن يقطعه عن ربه ويباعده عن قربه؛ ليكون أسوأ حالاً.

فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقف هنيهة يسيرة ينتظر جواب ربه له بقوله: «**حمدنى عبدى**»، فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ انتظر الجواب بقوله: «**أثنى علىَّ عبدى**»، فإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[1] انتظر الجواب بقوله: «**مجدنى عبدى**».

فيالذة قلبه وقرة عينه وسرور نفسه بقول ربه: عبدى.. ثلاث مرات، فوالله لولا ما على القلوب من دخان الشهوات وغم النفوس لاستطيرت فرحًا وسرورًا بقول ربها وفاطرها ومعبودها: حمدنى عبدى وأثنى علىَّ عبدى ومجدنى عبدى[2].

أسهم الإسلام ثلاثة

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث أحلف عليهن: لا يجعل الله تعالى من له سهم فى الإسلام كمن لا سهم له، وأسهُم الإسلام ثلاثة: الصلاة، والصوم، والزكاة»[3].

* ومن المعلوم أن الصلاة هى أكثر العبادات ذكرًا فى كتاب الله، بل إن الله (عز وجل) لم يذكر الصلاة مقرونة بأى فريضة أخرى إلا قدم عليها الصلاة لعظم شأنها ومكانتها.

---

(١) سورة الفاتحة: الآية: (٤).

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان (١/ ١٤٢-١٤٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٤٥٩٧) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٢١).

المصلى فى حماية الله وحفظه

قال ﷺ: «**احفظ الله يحفظك**»(١) والمعنى: أى: احفظ حدوده وحقوقه وأوامره بالامتثال ونواهيه بالاجتناب.

ومن أعظم ما يحفظه العبد أن يحافظ على الصلاة فلقد أمر الله بالمحافظة عليها فقال: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى**﴾(٢).

ومدح المحافظين عليها بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾(٣).

* فالمصلى يكون فى حفظ الله وحمايته.

* روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «**من صلى الصبح فهو فى ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشىء، فإنه من يطلبه من ذمته بشىء يدركه، ثم يكبه على وجهه فى نار جهنم**»(٤).

* فالله (عز وجل) يجعل الصلاة سببًا لحفظ العبد.

وحفظ الصلاة للمصلى على أوجه، منها: حفظه عن المعاصى لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾(٥) فمن حفظ الصلاة حفظته الصلاة عن الفحشاء.

ومنها: حفظه من البلايا والمحن، قال تعالى: ﴿**اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ**﴾(٦)، ومنها: حفظه من عذاب القبر، وعذاب النار يوم القيامة(٧).

قال بعض الصالحين: «والله ما عدا عليك العدو إلا بعد أن تخلى عنك

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٣٨).

(٣) سورة المؤمنون: الآية: (٩).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٥٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) سورة العنكبوت: الآية: (٤٥).

(٦) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).

(٧) التفسير الكبير / الرازى (٢/ ٢٧٤).

المولى، فلا تظنن أن العدو غلب، ولكن الحافظ أعرض».

* **وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:**

أحدهما: حفظه له فى مصالح دنياه، كحفظه فى بدنه، وقد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته فى ذريته، كما قيل فى قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**﴾(١): «إنهما حُفظا بصلاح أبيهما» قال سعيد بن المسيب لابنه: «لأزيدن فى صلاتى من أجلك، رجاء أن أُحفظ فيك»، ثم تلا هذه الآية: ﴿**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**﴾.

*ومن عجيب حفظ الله لمن حفظه أن يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظة له من الأذى، كما جرى لسفينة مولى رسول الله ﷺ «حيث كُسر به المركب، وخرج إلى جزيرة، فرأى الأسد، فجعل يمشى معه حتى دلَّه على الطريق، فلما أوقفه عليها، جعل يهمهم كأنه يودعه، ثم رجع عنه»(٢).

النوع الثانى من الحفظ -وهو أشرف النوعين-: حفظ الله للعبد فى دينه وإيمانه، فيحفظه فى حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان.

الصلاة تجلب لك الرزق (بإذن الله)

أيها الأخ الحبيب... أيتها الأخت الفاضلة: اعلموا أن الصلاة من أعظم أسباب الرزق، لأن الانشغال بهموم الآخرة والاستعداد لها بالعمل الصالح (وعلى رأسه الصلاة) يجعل الدنيا تأتى إلى العبد وهى صاغرة.

* **قال ﷺ : «من كانت الآخرة همه؛ جمع الله له شمله، وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له»**(٣).

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٨٢).

(٢) رواه الطبرانى والحاكم بإسنادٍ حسن.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥١٠).

* وقال ﷺ: «إن الله تعالى يقول: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتى، أملأ صدرك غنى، وأَسُدَّ فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أَسُدَّ فقرك»[١].

* وقد رُوى فى بعض الآثار: «وإن العبد ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه»[٢] فمن شؤم تضييع الصلاة نقصان الرزق ومحق البركة.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[٣]. ويستشعر من الآية أن الصلاة مطلقًا تكون سببًا لإدرار الرزق، وكشف الهم.

* وبيَّن (جل وعلا) أن المال خادم وأن الدين مخدوم، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة...»[٤].

* وقال ﷺ: «ثلاثة كلهم ضامن على الله، إن عاش رُزق، وكُفى، وإن مات أدخله الله الجنة، من دخل بيته فسلم، فهو ضامن على الله، ومن خرج إلى المسجد، فهو ضامن على الله، ومن خرج فى سبيل الله، فهو ضامن على الله»[٥].

* ولو كان يجوز لأحد أن يترك الصلاة لانشغاله بما عداها، لكان أولى الناس بذلك المجاهد الذى يكافح العدو، ومع ذلك لم يُعذَر فى ترك الصلاة، وشرع الله له صلاة الخوف.

أو المريض الذى أنهكه المرض، . . . لكن تبقى الصلاة فريضة عينية فى حقه، ويصلى حسب ما يستطيع، فلا يُتصور مسلم لا يصلى إلا امرأة

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤١٠٧) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩١٤).

(٢) ضعيف: رواه ابن ماجه (٩٠) فى مقدمة سننه، وأحمد (٢١٨٨١) باقى مسند الأنصار، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (١٤٥٢).

(٣) سورة الذاريات: الآيات: (٥٦-٥٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢١٣٩٩) مسند الأنصار ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٨١).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٢٤٩٤) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٥٣).

حائضًا أو نُفساء، . . . والله تعالى أعلم(١).

عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن ناسًا من أهل السوق سمعوا الأذان، فتركوا أمتعتهم وقاموا إلى الصلاة، فقال: هؤلاء الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾(٢).

الصلاة تجلب لك المزيد

قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(٣).

ومما لا شك فيه أن الصلاة من أعظم العبادات التى يتقرب بها العبد إلى الله شكرًا على نعمه التى لا تُعد ولا تُحصى.

قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ (٤) فعمل داود - عليه السلام- شكرًا فقام أحسن القيام وصام أحسن الصيام بشهادة سيد الأنام ﷺ حيث قال -كما فى الصحيحين-: «**أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثُلثه وينام سُدسه**»(٥).

* **وعن المغيرة بن شعبة** رضي الله عنه **قال**: قام النبى ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(٦).

* بل ولما أنعم الله على النبى ﷺ بفتح مكة بادر إلى شكر هذه النعمة الكبرى، فدخل دار أم هانئ بنت أبى طالب، واغتسل، وصلى ثمان

(١) الصلاة لماذا؟ (ص: ١٠٥).

(٢) سورة النور: الآية: (٣٧).

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٧).

(٤) سورة سبأ: الآية: (١٣).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٢٠) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٣٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨١٩) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

ركعات «سبحة الضحى» شكراً لله تعالى(١).

* وهكذا كلما أكثرت من السجود لله وشكرت الله على نعمه كلما فتح الله لك باب المزيد من خيرى الدنيا والآخرة.

الصلاة سبب للنجاة من النفاق ومن النار

فقد قال رسول الله ﷺ: **«من صلى لله أربعين يومًا فى جماعة، يدرك التكبيرة الأولى، كُتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق»**(٢).

* بل تأمل معى هذا المشهد المهيب من مشاهد يوم القيامة، وذلك حين يُكشف عن ساق الملك (جل وعلا) ويريد المنافقون أن يسجدوا لله، فلا يستطيعون، وإذا بأهل التوحيد والإيمان والصلاة يسجدون للحق (جل وعلا).

* روى **البخارى عن** أبى سعيد ﵁ **قال:** سمعت النبى ﷺ يقول: **«يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياءً وسُمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا»**.

ولذا قال تعالى موضحًا هذا المشهد المهيب: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾(٣).

الصلاة تُرغم أنف الشيطان وأعوانه

لقد أقسم الشيطان على إغوائك فهو يريد أن يأخذك معه إلى نار جهنم، ومن أجل ذلك فإنه يبذل كل ما فى وسعه من أجل أن يصرفك عن الصلاة بشتى الطرق والوسائل.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٧) كتاب الصلاة، ومسلم (٣٣٦) كتاب الحيض.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٤١) كتاب الصلاة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٦٥).

(٣) سورة القلم: الآيتان: (٤٢-٤٣).

ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[١].

* فالشيطان يغتاظ إذا رأى عبدًا ساجدًا لله (جل وعلا).

* عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكى يقول: يا ويلى، أُمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأُمرت بالسجود فأبيت فلى النار**»[٢].

* فأنت إذا حافظت على صلاتك فإنك بذلك ترغم أنف الشيطان.

* ولذا شرع النبى صلى الله عليه وسلم للمصلى إذا سها فى صلاته سجدتين، وقال: «**إن كانت صلاته تامة كانتا ترغمان أنف الشيطان**» وفى رواية: «**ترغيمًا للشيطان**»[٣] وسماهما: «المرغمتين».

* بل إن صلاتك ترغم أنف أعوان الشيطان من اليهود وغيرهم... قال صلى الله عليه وسلم: «**ما حسدتكم اليهود على شىء ما حسدتكم على السلام والتأمين**»[٤].

فكيف بما عدا التأمين من إعلان الأذان، وتعمير المساجد، وتراصِّ المصلين، راكعين، ساجدين، خاشعين؟!

الصلاة كفارة للذنوب والخطايا

* روى مسلم عن ابن مسعود أن رجلاً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه أصاب من امرأة إما قُبلة أو مسّ يد، كأنه يسأل عن كفارتها، فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[٥].

فقال الرجل يا رسول الله ألى هذه؟ قال: «**هى لمن عمل بها من أمتى**».

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٩١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨١) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٥٧١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٨٥٦) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦١٣).

(٥) سورة هود: الآية: (١١٤).

* وقال ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن، ما اجتُنبت الكبائر»[١].

وقال ابن العربى: وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة فى بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تطهر العبد من أقذار الذنوب حتى لا تُبقى له ذنبًا إلا أسقطته[٢].

الصلاة يكشف الله بها الكربات

الصلاة معقل المسلم وملجؤه، الذى يأوى إليه، والعروة الوثقى التى يعتصم بها، والحبل الممدود بينه وبين ربه الذى يتعلق به، وهى غذاء الروح، وبلسم الجروح، ودواء النفوس، وإغاثة الملهوف، وأمان الخائف، وقوة الضعيف، وسلاح الأعزل»[٣].

* قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٤].

وقال أمير المؤمنين على رضي الله عنه: «لقد رأيتنا ليلة بدر، وما فينا إنسان إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ فإنه كان يصلى إلى شجرة، ويدعو حتى أصبح»[٥].

وقال حذيفة رضي الله عنه: «رجعت إلى النبى ﷺ ليلة الأحزاب، وهو مشتمل فى شملة يصلى، وكان رسول الله ﷺ إذا حزَبه أمرٌ صلى»[٦].

ويُروى أن ثابتًا قال: «كان النبى ﷺ إذا أصابته خصاصة نادى بأهله: «صلوا، صلوا» قال ثابت: «وكان الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة».

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣) كتاب الطهارة.

(٢) فتح البارى (٢/ ١١-١٢) مواقيت الصلاة.

(٣) الأركان الأربعة / للندوى (ص: ٣٠).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٤٥).

(٥) رواه أحمد (١١٦٥) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير حارثة بن مضرب فمن رجال أصحاب السنن.

(٦) رواه محمد بن نصر المروزى فى تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٣١).

* وقد حُكى عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنه كان إذا أُشكلت عليه آية، أو التوى عليه علم، عمد إلى بعض المساجد المهجورة، فقام يصلى، فيعفر وجهه بالتراب، ويطيل السجود، ويقول: «يا معلم إبراهيم علمنى» وكان شديد الابتهال، عظيم التذلل لله تعالى، يفتخر بأنه سائل مستجد، عريق فى «الشحاذة» ورثها أبًا عن جد، قد سُمع ينشد فى بعض مناجاته ودعواته:

أنا المُكدَّى وابنُ المكدَّى

وهكذا كان أبى وجدِّى[1]

* وليست الصلاة مقصورة على فريضة تؤدَّى فى وقتها، ويتخلى بها المسلم عما أوجبه الله من فرض، فذلك فرض لا يقبل الله عنه صرفًا ولا عدلاً، ولكنها جُنة المسلم وسلاحه، والمفتاح الدائم الذى يفتح به كل قفل، ويكشف به كل هم وغم.

* ففى الخوف صلاة، وللاستسقاء صلاة إذا انقطع المطر وهلكت البهائم، وانقطعت السُّبل، وللتوبة صلاة: فعن أبى بكر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من عبد يذنب ذنبًا فيتوضأ، فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلى ركعتين، ثم يستغفر الله لذلك الذنب، إلا غفر الله له»**[2].

وللخسوف والكسوف صلاة: قال ﷺ: **«إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيات من آيات الله، يُخوف الله بهما عباده، فإذا رأيتم ذلك، فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم».**

وفى رواية: «فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا»[3] وإذا أراد العبد أن تُقضى له حاجة، أو تفرج عنه كربة فبإمكانه أن يقدم بين يدى دعائه صلاة

(١) الأركان الأربعة (ص: ٨٠).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٥٢١) كتاب الصلاة، والترمذى (٣٠٠٦) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (١٣٩٥) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وأحمد (٤٨) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٣٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٤٤) كتاب الجمعة، ومسلم (٩٠١) كتاب الكسوف.

ركعتين، باعتبار أن تقديم عمل صالح بين يدى الدعاء من آدابه(١).

الصلاة علاج للأمراض النفسية

ومن عجائب الأخبار ما نشرته مجلة «الدعوة» العدد (١٢٢٥) من أن عميد الأطباء النفسانيين فى ألمانيا اعتاد أن يعالج مرضاه بإسماعهم «الأذان» دون أن يعرف أنه النداء الإسلامى باللغة العربية لأداء الصلاة، ولما اكتشف هذه الحقيقة قال نقيب الأطباء النفسانيين فى ألمانيا: «إن كلمات الأذان الذى يدعو المسلمين إلى الصلاة، تُدخل السكينة إلى قلب المريض النفسى حتى لو لم يكن يفهم معانيها!! وأضاف: «إن الأذان يزرع النور والأمل بداخل المصابين بالاكتئاب، أو فقدان الثقة بالنفس، أو كراهية الحياة، أو الشعور بالفشل».

* **قلت:** فإن كان هذا شأن الأذان فما ظنكم بالصلاة نفسها.

أما **قال تعالى:** ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾(٢) ومن المعلوم أن الصلاة كلها ذكر لله (جل وعلا).

الصلاة سببٌ للنصر والتمكين

قال تعالى: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾(٣).

فالعبد ينصر الله (عز وجل) بطاعته وترك معصيته، ولذلك قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ**﴾ ومن المعلوم أن عيسى (عليه السلام) لم يقاتل أبدًا فأين كانت النصرة... قال تعالى: ﴿**فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾(٤)، فكانت النصرة هنا نصرة إيمانية.

---

(١) الصلاة لماذا؟ (ص: ٨٥).

(٢) سورة الرعد: الآية: (٢٨).

(٣) سورة محمد: الآية: (٧).

(٤) سورة الصف: الآية: (١٤).

قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١) ولعل فى تشريع صلاة الخوف حال الالتحام المسلح ما يشير إلى أثر الصلاة فى استجلاب نصر الله تعالى، ... وعن سعد رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عند البخارى: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم**»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾(٣) ومعناه: إنى معكم بالنصر والتأييد إن كنتم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، ومن كان الله معه فقد تولاه، والله عز وجل لا يُعَزُّ من عاداه، ولا يُذَلُّ من والاه، بل الذل حليف من حاربه وعصاه، قال صلى الله عليه وسلم: «**وجُعل الذلة والصَّغار على من خالف أمرى**»(٤).

وعباد الله الذين يعاقب بهم أعداءه ويعذبهم بأيديهم، ويستمدون منها زادًا ووقودًا فى جهادهم، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾(٥) الآية... وبهذه العبودية يتعرف عليهم الحجر آخر الزمان، ويناديهم: «**يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودى خلفى فتعال، فاقتله**»(٦) الحديث.

فإذا فتح الله عليهم يكون أعظم ما يقدمونه إقامة الصلاة فى الناس: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾(٧)(٨).

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (٤٥).
(٢) صحيح: رواه النسائى (٣١٧٨) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن النسائى، والحديث بنحوه فى البخارى.
(٣) سورة المائدة: الآية: (١٢).
(٤) صحيح: رواه أحمد (٥٠٩٣) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٣١).
(٥) سورة الإسراء: الآية: (٥).
(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٢٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٩٢٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة.
(٧) سورة الحج: الآية: (٤١).
(٨) الصلاة لماذا: (ص: ١٠٩).

الذى ينتظر الصلاة كالفارس المجاهد.. فكيف وهو يصلى؟

* عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «منتظر الصلاة بعد الصلاة، كفارس اشتد به فرسه فى سبيل الله على كشحه[1] وهو فى الرباط الأكبر»[2].

* فإن كان هذا وصف النبى صلى الله عليه وسلم لمن ينتظر الصلاة فكيف به حين يقوم بين يدى الله (جل وعلا) ليصلى ويبكى ويتضرع؟!!

الملائكة تدعو لمن ينتظر الصلاة.. فكيف بمن يصلى؟

* ففى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إن أحدكم فى صلاة مادامت الصلاة تحبسه، والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يقم من مصلاه، أو يُحدث»[3].

فإن كانت الملائكة تدعو كل هذا الدعاء للعبد الذى ينتظر الصلاة فكيف إذا قام ووقف بين يدى الله ليصلى ويبكى ويخشع ويضع جبهته فى التراب طلبًا لرضوان الله (جل وعلا)؟!!

خيركم من طال عمره وحَسُن عمله

قال صلى الله عليه وسلم : «خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشرُّ الناس من طال عمره وساء عمله»[4].

* فالعبد كلما طال عمره فى طاعة الله كلما كان ذلك خيرًا له.

---

(١) الكاشح: هو العدُو الذى يُضمر عداوته.

(٢) حسن: رواه أحمد (٨٤١١) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٤٥٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٢٩) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٦٤٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٩) كتاب الزهد، وأحمد (١٧٢٢٧) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٩٦).

فعن أبى هريرة ﷺ قال: «كان رجلان من (بَلِيٍّ) من (قضاعة) أسلما مع رسول الله ﷺ فاستُشهد أحدهما، وأُخِّر الآخر سنة، فقال طلحة بن عبيد الله: فرأيت المؤخَّر منهما أُدخل الجنة قبل الشهيد، فتعجبت لذلك، فأصبحت، فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ: **«أليس قد صام بعده رمضان، وصلى ستة آلاف ركعة، وكذا وكذا ركعة، صلاة سنة؟»**.

وفى رواية ابن ماجة قال ﷺ: **«فلما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض»**(١).

من الصديقين والشهداء

* **عن عمرو بن مرة الجهنى** ﷺ **قال:** جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان، وقمته، فممَّن أنا؟ قال: **«من الصديقين والشهداء»**(٢).

من حافظ على الصلاة لقى الله مسلماً

* إن المحافظة على الصلاة عنوان لاستسلام العبد لأوامر الخالق (جل وعلا) ولذا قال ابن مسعود ﷺ «من سرَّه أن يلقى الله غداً مسلمًا، فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس، حيث ينادَى بهن، فإنهن من سنن الهدى، وإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، ولعمرى لو أن كلكم صلى فى بيته، لتركتم سُنة نبيكم، ولو تركتم سُنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد رأيت الرجل يُهادَى بين الرجلين، حتى يدخل فى الصف»(٣).

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٩٢٥) كتاب تعبير الرؤيا، وأحمد (٨١٩٥) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٥٩١).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان (٨/ ٢٢٣، رقم ٣٤٣٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٦١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٦٥٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا سُنن الهدى، وإن من سُنن الهدى الصلاة فى المسجد الذى يؤذن فيه»(١).

عهد من الله بالمغفرة للمصلين

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «**أشهد أنى سمعت رسول الله** صلى الله عليه وسلم **يقول: «خمس صلوات افترضهن الله عز وجل، مَن أحسن وضوءهن، وصلاَّهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن، كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل، فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذَّبه**»(٢).

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن العبد إذا قام يصلى، أُتى بذنوبه كلها، فوضعت على رأسه وعاتقيه، فكلما ركع أو سجد، تساقطت عنه**»(٣).

* وفى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شىء؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شىء، قال: «**فكذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا**»(٤).

أهل الصلاة هم الفائزون برحمة الله

فقد قال (جل وعلا) عن المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤدون سائر الفرائض: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(٥).

---

(١) انظر السابق.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٥) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٤٢).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى مسند الشاميين (١/ ٢٧٩، رقم ٤٨٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٦/ ٩٩)، والبيهقى (٣/ ١٠، رقم ٤٤٧٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٧١).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٨) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٦٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) سورة التوبة: الآية: (٧١).

* وعن إبراهيم ومجاهد فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾(١) الآية قالا: «الصلوات الخمس».

إذا أردت القرب من الله فعليك بالصلاة

قال تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾(٢).

وقد قال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»(٣).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «من كان فى الصلاة فهو يقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يوشك أن يفتح له»(٤).

* وروى البخارى أن الله تعالى قال فى الحديث القدسى: «وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينَّه ولئن استعاذنى لأعيذنَّه»(٥) الحديث.

وإذا أردت القرب من رسول الله ﷺ فعليك بالصلاة

عن ربيعة بن كعب رضي الله عنه أنه قال: «كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه وحاجته، فقال لى: «سلنى» فقلت: أسألت مرافقتك فى الجنة، قال: «أوَ غير ذلك»؟ قلت: هو ذاك قال: «فأعنِّى على نفسك بكثرة السجود»(٦).

(١) سورة الكهف: الآية: (٢٨).
(٢) سورة العلق: الآية: (١٩).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٨٢) كتاب الصلاة.
(٤) رواه أبو نعيم فى الحلية (١/ ١٣٠)، والبيهقى فى الشعب (٣/ ١٤٦، رقم ٣١٤٨)، وابن المبارك فى الزهد (١/ ٨، رقم ٢١).
(٥) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.
(٦) صحيح: رواه مسلم (٤٨٩) كتاب الصلاة.

الصلاة آخر وصية للنبى ﷺ

ألا تعلم أيها الأخ الحبيب أن الصلاة هى آخر وصية أوصى بها النبى ﷺ وهو فى الرمق الأخير من حياته.

فعن على رضي الله عنه قال: كان آخر كلام النبى ﷺ : **«الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»**(١) .

* فإن أردت أن تحفظ وصية الحبيب ﷺ فعليك بالصلاة.

الصلاة من أسباب النجاة من عذاب القبر

من المعلوم أن العبد إذا تزود بالعمل الصالح فإن ذلك يكون من أسباب النجاة من عذاب القبر، ومن أعظم الأعمال الصالحة التى يتزود بها العبد (الصلاة).

* قال رسول الله ﷺ : **«إن الميت إذا وُضع فى قبره، إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمنًا، كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن يساره، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتَى من قِبل رأسه، فتقول الصلاة: ما قِبلى مدخل، ثم يُؤتَى عن يمينه، فيقول الصيام: ما قِبلى مدخل، ثم يُؤتى عن يساره، فتقول الزكاة: ما قِبلى مدخل، ثم يُؤتى من قِبل رجليه، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف إلى الناس: ما قِبلى مدخل...»**(٢) .

* * *

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥١٥٦) كتاب الأدب، وابن ماجه (٢٦٩٨) كتاب الوصايا، وأحمد (٥٨٦) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٦١٦).

(٢) حسن: رواه ابن حبان (٧/ ٣٨٠، رقم ٣١١٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٦١).

الصلاة أمنية الأموات والمعذبين

فعن أبى هريرة ﷺ قال: «مر النبى ﷺ على قبرٍ دُفن حديثًا، فقال: «**ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفَّلون يزيدهما هذا فى عمله أحب إليه من بقية دنياكم**»[(١)].

* فالعبد حين يعاين الحقائق ويرى العذاب أمام عينيه يتمنى العودة مرة أخرى إلى الدنيا ليصلى ويتصدق ويفعل كل الخيرات، ولكن هيهات هيهات فقد مضى الأجل وضاع العمر فى اللهو واللعب وما بقيت إلا التبعات.

وقال عز وجل: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾[(٢)] فهم يسألون الرجعة عند الاحتضار، وكذلك يسألونها إذا وقفوا على النار، . . . قال جل وعلا: **﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[(٣)] وكذا يتمنونها إذا عُرضوا على ربهم: **﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾**[(٤)].

وكذا يتكرر سؤالهم الرجعة وهم فى غمرات الجحيم كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[(٥)(٦)].

من أجل ذلك أوصانا رسول الله ﷺ فقال: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل

(١) صحيح: رواه ابن المبارك (١/ ١٠ ، رقم ٣١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥١٨).
(٢) سورة الشورى: الآية: (٤٤).
(٣) سورة الأنعام: الآية: (٢٧).
(٤) سورة السجدة: الآية: (١٢).
(٥) سورة فاطر: الآية: (٣٧).
(٦) الصلاة لماذا؟ (ص: ١١٣).

شغلك، وحياتك قبل موتك»(١) .

إذا صلحت صلاتك صَلَحَ سائر عملك

وإذا صلحت الصلاة، صلح سائر عمل المرء، قال رسول الله ﷺ: «**أول ما يُحاسَب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صَلَحَت صَلَحَ سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله**»(٢) .

* فاحرص أخى الحبيب أن تصلى كما كان النبى ﷺ يصلى؛ لأنه إذا صلحت صلاتك صلح سائر عملك يوم القيامة، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ .

الصلاة نور وبرهانٌ ونجاة يوم القيامة

* عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبى ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: «**من حافظ عليها؛ كانت له نوراً وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وهامان، وفرعون، وأُبى بن خلف**»(٣) .

* فالصلاة نورٌ فى الدنيا وفى القبر ويوم القيامة، ولذا قال ﷺ: «**...والصلاة نور**»(٤) .

* فالصلاة تنير القلب وتكسو الوجه نوراً وإشراقًا. فقد قال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا**

(١) رواه الحاكم (٤/٣٤١، رقم ٧٨٤٦)، والبيهقى فى الشعب (٧/٢٦٣، رقم ١٠٢٤٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٢/ ٢٤٠ ، رقم ١٨٥٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٧٣).

(٣) ضعيف: رواه الدارمى (٢٧٢١) كتاب الرقاق، وأحمد (٦٥٤٠) مسند المكثرين من الصحابة، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الترغيب والترهيب (٣١٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣) كتاب الطهارة.

يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [١].

قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ قيل: الصلاة تُحسِّن وجوههم، . . . قال ابن عباس: «السمت الحسن»، وعن منصور عن مجاهد قال: «الخشوع».

* وهى نورٌ للمؤمن فى قبره -كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «صلوا ركعتين فى ظلمة الليل لظلمة القبر».

* كما أنه يتلألأ جبين المصلى يوم القيامة.

قال صلى الله عليه وسلم: «بشِّر المشائين فى الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»[٢].

* ولذلك فإنه عندما تُقسَّم الأنوار يوم القيامة ويصعد المؤمنون والمنافقون على الصراط سرعان ما تنطفئ أنوار المنافقين فينادون على المؤمنين ويقولون لهم: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[٣].

فيأتيهم الجواب: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾[٤] فهذا هو نور الصلاة والأعمال الصالحة التى يتقرب بها العبد إلى ربِّه (عز وجل) ولذلك فإن العبد كلما ازداد طاعة لله كلما غمره النور يوم القيامة من كل مكان ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾[٥].

* * *

---

(١) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٦١) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٢٣) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٢٣).

(٣)، (٤) سورة الحديد: الآية: (١٣).

(٥) سورة الحديد: الآية: (١٣).

الصلاة تحرم أجسادكم على النار

* قال رسول الله ﷺ: «تحترقون[١] تحترقون، فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون، فلا يُكتب عليكم شيء حتى تستيقظوا»[٢].

* وقد ضمن الله (عز وجل) النجاة من النار لمن حافظ على صلاتى الفجر والعصر، . . . فعن عمارة بن رُويبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها»[٣].

وقال ﷺ: «من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها؛ حُرِّم على النار»[٤].

النار لا تأكل آثار السجود

قال المروزى: ومن فضل الصلاة على سائر الأعمال أن من دخل النار من المؤمنين لم يجدوا شيئًا من الأعمال التى عملوها بجوارحهم تمنع شيئًا من أجسادهم من الاحتراق إلا السجود لله فى الدنيا، فإن النار لم تُصب مواضع السجود من المصلين خاصة[٥].

* عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يُخرج من النار من أراد أن يرحم ممن كان شهد أن لا إله إلا

---

(١) أى: تقعون فى الهلاك بسبب الذنوب الكثيرة.

(٢) حسن صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٢/٣٥٨ ، رقم ٢٢٢٤)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٧)، وقال: حسن صحيح.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٦٣٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٢٦٩) كتاب الصلاة، والترمذى (٤٢٧) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١١٦٠) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وأحمد (٢٦٢٢٢) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٩٥).

(٥) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٩٢).

الله، أمر الله أن يُخرجوهم، فيعرفوهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من بنى آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتُحشوا، فيصب عليه من ماء يقال له: ماء الحياة، فينبتون نبات الحبة فى حميل السيل»(١) الحديث.

الصلاة ترفع درجتك فى الجنة

قال ﷺ: «صلاة فى إثر صلاة لا لغو بينهما كتابٌ فى علِّيين»(٢).

وقال ﷺ: «ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلى ركعتين يُقبل بقلبه وبوجهه عليهما إلا وجبت له الجنة»(٣).

وقال ﷺ: «من حافظ على الصلوات الخمس، ركوعهن، وسجودهن، ومواقيتهن، وعلم أنهن حق من عند الله دخل الجنة، أو قال: وجبت له الجنة، أو قال: حُرم على النار»(٤).

* وروى مسلم أن النبى ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»(٥).

الصلاة.. ولذة النظر إلى وجه الله (جل وعلا)

إن أعظم نعمة فى الجنة هى نعمة النظر إلى وجه الله (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٦).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٧٤) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان.
(٢) حسن: رواه أبو داود (١٢٨٨) كتاب الصلاة، وأحمد (٢١٧٧٠) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٣٧).
(٣) صحيح: رواه أبو داود (٩٠٦) كتاب الصلاة، والنسائى (١٥١) كتاب الطهارة، وأحمد (١٦٩٤٢) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٧).
(٤) حسن: رواه أبو داود (٤٢٩) كتاب الصلاة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود.
(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥١) كتاب الطهارة.
(٦) سورة القيامة: الآيتان: (٢٢-٢٣).

وقد ربط النبي ﷺ بين رؤية الرب تبارك وتعالى وبين الصلاة.

فيما رواه جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة - يعنى البدر - فقال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**» ثم قرأ: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**﴾(١)(٢).

ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وهيئة من أعمال الصلاة

وهي الأذان، والطهارة، وستر العورة، واستقبال القبلة، والقيام والنية والتكبير، والاستعاذة، والبسملة وقراءة الفاتحة، والسورة والركوع والسجود، والتشهد.

الأذان: إذا سمعت النداء بالأذان فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمَّر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة.

وأما **الطهارة**: فإذا أتيت بها في مكانك وهو طرفك الأبعد، ثم في ثيابك وهو غلافك الأقرب، ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى، فلا تغفل عن طهارة قلبك بالتوبة والندم والعزم على عدم العودة وردِّ المظالم فطهارة الباطن أولى من طهارة الظاهر.

وأما ستر العورة: فمعناه تغطية مقابح البدن عن أعين الخلق فلتتذكر عند ذلك مقابح باطنك وما تشتمل عليه فضائح سرِّك فاستحضر عند ذلك الحياء من الله (عز وجل) الذي لا تخفى عليه خافية؛ لأنها مما لا يمكن ستره.

وأمَّا استقبال القبلة فهو صرف ظاهر الوجه عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله عز وجل، فاعلم أن الواجب مع ذلك صرف القلب عن سائر الجهات إلى الله عز وجل، ولذا كان دعاء الاستفتاح: «**وجهت وجهي للذي**

(١) سورة طه: الآية: (١٣٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥٤) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

فطر السماوات والأرض حنيفًا»[١] فالمراد إقبال القلب وإخلاصه لله عز وجل بعد توجيه البدن إلى بيت الله.

وأما **القيام**: فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدى الله (عز وجل) فتذكر عند ذلك القيام بين يديه يوم القيامة عند السؤال فاستشعر عند ذلك عظمة الله (عز وجل) وأعِدَّ للقيام بين يدى الله (عز وجل) ما تنجو به يوم القيامة.

وأما **النية**: فاستشعر بها الإخلاص إلى الله عز وجل طمعًا فى ثوابه وخوفًا من عقابه ومحبة فى قربه، ودرِّب نفسك عند ذلك على استحضار نية الإخلاص فى كل قول وعمل، واعلم أنه لا ينجو يوم القيامة إلا المخلصون.

وأما **التكبير**: فإذا نطق به لسانك فينبغى أن لا يكذبه قلبك فإن كان فى قلبك شىء أكبر من الله سبحانه أو كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل وأنت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبَّرته فيكون قولك «الله أكبر» كلامًا باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته، وما أعظم الخطر فى ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرمه سبحانه وعفوه.

وأما **الاستعاذة**: فاعلم أنها الاحتماء بجناب الله العظيم من الشيطان الرجيم.

وأما **البسملة**: فانوِ بها التبرك باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم.

وإذا قلت: ﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾[٢] فاستحضر فى قلبك أنواع لطفه ليتضح له رحمته فينبعث الرجاء من قلبك.

وأما **قراءة الفاتحة**: فتذكر قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: **«قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حمدنى عبدى وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله تعالى: أثنى علىَّ عبدى، وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: مجَّدنى عبدى.**

فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٧١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) سورة الفاتحة: الآية: (٣).

سأل فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل»[١].

وأما قراءة السورة: فعليك بتدبر القراءة والوقوف عند كل آية حتى تفهم معناها... قال الله عز وجل: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٢] فلا يغفل عند أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه، ولكل واحد حقٌّ، فالرجاء حق الوعد والخوف من حق الوعيد، والعزم على الطاعة حق الأمر والنهى، والاتعاظ حق الموعظة، والشكر حق المنة، والاعتبار حق القصص[٣].

وأما الركوع والسجود:

قال ابن قدامة: واستشعر فى ركوعك التواضع وفى سجودك زيادة الذل لأنك وضعت النفس موضعها ورددت الفرع إلى أصله بالسجود على التراب الذى خُلقت منه وتفهَّم معنى الأذكار بالذوق[٤].

وأما التشهد:

قال الغزالى: فإذا جلست له فاجلس مناديًا وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات، أى من الأخلاق الطاهرة لله، وكذلك الملك لله، وهو معنى التحيات، وأحضر فى قلبك النبى ﷺ وشخصه الكريم وقل: سلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين، ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة مجددًا عهدًا لله سبحانه بإعادة كلمتى الشهادة، ثم صلِّ على رسول الله ﷺ الصلاة الإبراهيمية، ثم تعوَّذ بالله من أربع: من عذاب النار، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، وشر فتنة المسيح الدجال، ثم سلم،

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٩٥) كتاب الصلاة.
(٢) سورة محمد: الآية: (٢٤).
(٣) إحياء علوم الدين (١/ ٣٠١) بتصرف.
(٤) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٢).

واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين، واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة واستشعر كذلك الوجل والحياء من التقصير فى الصلاة، وخَفْ أن لا تُقبل صلاتك وأن تكون ممقوتًا بذنب ظاهر أو باطن فتُرد صلاتك فى وجهك، وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله.

فهذا تفضيل صلاة الخاشعين، الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم على صلاتهم يحافظون، والذين هم على صلاتهم دائمون، والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم فى العبودية، . . . فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذى يُسِّر له منه ينبغى أن يفرح، وعلى ما يفوته ينبغى أن يتحسر، وفى مداواة ذلك ينبغى أن يجتهد[1].

عقوبة تارك الصلاة

إن مغبة ترك الصلاة شديدة، وحسبُك يا تارك الصلاة أنك بذلك قد خُنت الأمانة وجعلت حياتك كلها عُرضة للعذاب والهلاك فى الدنيا والآخرة.

وها هى بعض العواقب الوخيمة لترك الصلاة:

١- ترك الصلاة كفر:

ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة».

وفى رواية لمسلم: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[2].

وقال ﷺ: «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[3].

---

(١) الإحياء (١/ ٣٠٤) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٢) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٢١) كتاب الإيمان، والنسائى (٤٦٢) كتاب الصلاة، وابن ماجه (١٠٧٩) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، وأحمد (٢٢٤٢٨) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤١٤٣).

* وعن محجن بن الأدرع الأسلمى أنه كان فى مجلس مع النبى ﷺ فأذن بالصلاة، فقام النبى ﷺ ثم رجع ومحجن فى مجلسه، فقال له: «**ما منعك أن تصلى، ألست برجل مسلم؟**» قال: «بلى، ولكنى صليت فى أهلى»، فقال له: «**إذا جئت فصلِّ مع الناس، وإن كنت قد صليت**»[1].

ومعناه: «لو كنت مسلمًا لصليت».

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «من ترك الصلاة، فلا دين له».

* وعن عبد الله بن شقيق عن أبى هريرة رضي الله عنه: «كان أصحابُ رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركُه كفر غير الصلاة»[2].

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: «**لا إيمان لمن لا صلاة له، ولا صلاة لمن لا وضوء له**»[3].

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «أما إنه لا حظَّ لأحد فى الإسلام أضاع الصلاة».

٢- ترك الصلاة من أكبر الكبائر:

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى-: «لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدًا من أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر، وأن إثمه عند الله أعظم من إثم قتل النفس، وأخذ الأموال، ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه فى الدنيا والآخرة»[4].

---

(١) صحيح: رواه النسائى (٨٥٧) كتاب الإمامة، وأحمد (١٥٩٥٨) أول مسند المدنيين رضى الله عنهم أجمعين، ومالك فى الموطأ (٢٩٨) كتاب النداء للصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٦٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٢٢) كتاب الإيمان، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن الترمذى.

(٣) صحيح موقوف: رواه اللالكائى فى اعتقاد أهل السنة (٤/ ٨٢٨، رقم ١٥٣٦)، ومحمد بن نصر المروزى فى تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٠٣، رقم ٩٤٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٥٧٥)، وقال: صحيح موقوف.

(٤) الصلاة وحكم تاركها (ص: ٣).

٣- تارك الصلاة برئت منه ذمة الله:

* قال ﷺ: «**لا تشرك بالله شيئًا، وإن قُتلت، وحُرّقت، ولا تعقنَّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدًا، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله**» (١) الحديث.

٤- ترك الصلاة خيانة للأمانة:

فالأمانة تشمل التكاليف كلها.. وعلى رأسها الصلاة فمن تركها فقد خان الأمانة، وقد قال (جل وعلا): ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (٢).

٥- عقوبات متلاحقة لمن ترك الصلاة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الذى تفوته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله**» (٣).

والموتور: من أُخذ أهله وماله، وهو ينظر إليه، وذلك أشد لغمِّه، ومن فاتته الصلاة أشبهه لاجتماع غمِّ الإثم، وغم فقد الثواب، كما يجتمع على الموتور غمان: غمُّ السلب، وغمُّ الطلب بالثأر.

* **وروى البخارى أن النبى ﷺ قال: «من ترك صلاة العصر حبط عمله»** (٤).

* فإن كان هذا حال من ترك صلاة العصر فقط فما ظنكم بمن ترك الصلوات الخمس؟!!!

* **بل روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين»** (٥)... فيسعى فى

---

(١) حسن لغيره: رواه أحمد (٢١٥٧٠) مسند الأنصار رضي الله عنهم، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٥٧٠)، وقال: حسن لغيره.

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٢٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٢) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٢٦) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٥٥٣) كتاب مواقيت الصلاة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٨٦٥) كتاب الجمعة.

صلاح دنياه، ولو خرب أُخراه، وهو يحسب أنه يُحسن صُنعًا.

٦- ترك الصلاة تضييع لحقوق عباد الله الصالحين:

لأنه يجب عليه في التشهد أن يقول: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» قال ﷺ: «**إذا قالها بلغت كل عبد لله صالح في السماء والأرض**»[١] فإذا ترك الصلاة، عطل هذه التحية الطيبة عن أن تبلغ أولياء الله الصالحين[٢].

٧- ترك الصلاة سبب للوقوع في الشهوات:

فهناك تلازم حقيقي بين ترك الصلاة والوقوع في الشهوات قال تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾[٣] فكل من أضاع الصلاة لابد أن تستعبده الشهوات؛ لأن من عقوبة السيئة السيئة بعدها؛ ولأن مَنْ ضيع الصلاة فهو لما سواها أضيع.

وكما أن من ثمرات الصلاة أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فكذلك الفحشاء والمنكر ينهيان عن الصلاة، وفي طليعة «الفحشاء والمنكر» يأتي الخمر والقمار اللذان يستعبدان الإنسان لرغائبه وشهواته، وينهيانه عن الصلاة، . . . قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾[٤].

ولأجل ذلك عظمت مصيبة تارك الصلاة بسبب السُّكر، وتضاعفت عقوبته.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من ترك الصلاة سُكرًا مرة واحدة، فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسُلبها، ومن ترك الصلاة سكرًا أربع مرات كان حقًّا على الله - عز وجل- أن يسقيه من طينة الخبال» قيل: وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: «**عصارة أهل جهنم**»[٥][٦].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٠٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٤٠٢) كتاب الصلاة.

(٢) الصلاة لماذا؟ (ص: ١٧٩).

(٣) سورة مريم: الآية: (٥٩).

(٤) سورة المائدة: الآية: (٩١).

(٥) حسن: رواه أحمد (٦٦٢١) مسند المكثرين من الصحابة، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٨٥).

(٦) الصلاة لماذا؟ (ص: ١٧٠).

٨- تارك الصلاة يُحشر مع أئمة الكفر:

عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: «**من حافظ على الصلاة؛ كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها؛ لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون، وهامان، وأُبى بن خلف**»(١).

* **قال بعض أهل العلم**: «وإنما يُحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة؛ لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه، أو بوزارته، أو بتجارته فإن اشتغل بماله حُشرَ مع قارون وإن اشتغل بملكه حُشر مع فرعون وإن اشتغل بوزارته حُشر مع هامان، وإن اشتغل بتجارته حُشر مع أُبى بن خلف تاجر الكفار بمكة»(٢).

٩- ترك الصلاة يُظلم القلب ويسود الوجه:

ترك الصلاة يظلم القلب، ويسود الوجه، وذلك لأن الطاعة نور، والمعصية ظلمة، وكلما قويت الظلمة ازدادت الحيرة حتى يقع تاركها فى الضلالات، وهو لا يشعر، كأعمى خرج فى ظلمة وحده، وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر فى العين، ثم حتى تعلو الوجه، فيصير سوادًا يدركه أهل البصائر، وتحصل حين ذلك الوحشة بينه وبين الناس سيما أهل الخير، فيجد وحشة بينه وبينهم، وكلما قويت تلك الوحشة بَعُد منهم، وحُرم بركة النفع بهم، وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بَعُد من حزب الرحمن(٣).

١٠- ترك الصلاة يورث النفاق:

إن العبد إذا ترك الصلاة فإن النفاق يدب فى قلبه، فالمنافق لا يطيق الصلاة، وإذا قام إلى الصلاة فإنه يأتيها وهو كسلان كما وصف الله حال المنافقين فقال: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾(٤).

---

(١) ضعيف: رواه الدارمى (٢٧٢١) كتاب الرقاق، وأحمد (٦٥٤٠) مسند المكثرين من الصحابة، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الترغيب والترهيب (٣١٢).

(٢) الصلاة وحكم تاركها (ص: ٢٢).

(٣) الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى، للإمام ابن القيم (ص: ٤٩).

(٤) سورة النساء: الآية: (١٤٢).

أى: أنهم يصلون مراءاة وهم متكاسلون متثاقلون، لا يرجون ثوابًا، ولا يعتقدون على تركها عقابًا.

وقال سبحانه فى شأن المنافقين: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى﴾[1] الآية.

قال ابن عباس: «إن كان فى جماعة صلَّى، وإن انفرد لم يُصلِّ».

* **وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلى بالناس، ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من حطب؛ إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»**[2].

* **وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فى شأن صلاة الجماعة:** ولقد رأيتنا، وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان يُؤتَى بالرجل يُهادَى بين الرجلين[3] حتى يقام فى الصف»[4].

* **وعن ابن عمر رضي الله عنه قال:** «كنا إذا فقدنا الرجل فى الفجر والعشاء أسأنا به الظنَّ»[5].

١١- ترك الصلاة من أسباب سوء الخاتمة:

اعلم أيها الأخ الحبيب واعلمى أيتها الأخت الفاضلة، أن ترك الصلاة من أعظم أسباب سوء الخاتمة، فقد قال ﷺ - كما عند مسلم -: «**يُبعث كل عبد على ما مات عليه**».

* ولقد رأى رسول الله ﷺ رجلاً لا يتم ركوعه، وينقر فى سجوده وهو

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٥٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٤) كتاب الأذان، ومسلم (٦٥١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) أى: يمشى بينهما معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٥٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) صحيح موقوف: رواه ابن أبى شيبة (١/ ٢٩٢ ، رقم ٣٣٥٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٤١٧)، وقال: صحيح موقوف.

يصلى، فقال: «**لو مات هذا على حاله هذه، مات على غير ملة محمد** ﷺ»[(١)] .

فإن كان الذى يصلى ولكنه يسىء صلاته متوعداً بسوء الخاتمة فكيف بمن يهجر الصلاة بالمرة؟!!

١٢- ترك الصلاة من أسباب عذاب القبر:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾[(٢)] .

ومن المعلوم أن تارك الصلاة لا يعمل عمل الأبرار وإنما يعمل بعمل الفجار.

قال ابن القيم - رحمه الله -: «ولا تظن أن قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾ يختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء فى نعيم فى دورهم الثلاثة، وهؤلاء فى جحيم فى دورهم الثلاثة»[(٣)] . اهـ.

* قال تبارك وتعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾[(٤)] .

وقد فُسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر.

بل ويخبر النبى ﷺ عن حال كل من عصى الله وابتعد عن طاعته، يخبر النبى ﷺ عن حاله فى قبره فيقول: «**ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بما يسوؤك، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول: وأنت فبشرك الله بالشرِّ، من أنت؟ فوجهك الوجه يجىء بالشر! فيقول: أنا عملك الخبيث**»[(٥)] .

ويخبر النبى ﷺ أن تارك الصلاة يظل يُعذَّب فى قبره إلى يوم القيامة ففى الحديث الذى رواه البخارى عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبى ﷺ

---

(١) حسن: رواه الطبرانى (٤/ ١١٥، رقم ٣٨٤١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٥٢٨).

(٢) سورة الانفطار: الآيتان: (١٣-١٤).

(٣) الجواب الكافى (ص: ١٠٧).

(٤) سورة طه: الآية: (١٢٤).

(٥) صحيح: رواه أحمد (١٨٠٦٣) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٧٦).

قال: «رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدى....» الحديث، وفيه: «...وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه، فيثلغ رأسه [١]، فيتدهده [٢] الحجر ها هنا، فيتبع الحجر، فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصبح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى» [٣] الحديث.

١٣- تارك الصلاة يُحشر فى وادى سقر:

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة: ألا تعلمون أن المضيعين للصلاة والمفرطين فيها لهم الغى.

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [٤].

والمستكبرون عن الركوع لله (عز وجل) والمستهترون بمواقيت الصلاة لهم الويل، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [٥] ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [٦].

وأما الذين يتركون الصلاة فهم فى وادى سقر.... قال تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [٧].

- ولكن يا ترى ما وادى سقر؟

يقول تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [٨].

---

(١) يثلغ رأسه: أى: يشدخه، ويشقه.
(٢) يتدهده: يتدحرج، والمقصود أنه يدفعه من علو إلى سفل.
(٣) صحيح: رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير.
(٤) سورة مريم: الآية: (٥٩).
(٥) سورة المرسلات: الآيتان: (٤٨-٤٩).
(٦) سورة الماعون: الآيتان: (٤-٥).
(٧) سورة المدثر: الآيات: (٣٨-٤٥).
(٨) سورة المدثر: الآيات: (٢٧-٣٠).

شبهات... والرد عليها

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

أريد أن أسأل أى مسلم: لماذا لا تصلى؟ ومن المعلوم أن كل واحدٍ سيذكر سببًا يمنعه من الصلاة، وسوف نتولى الرد عليه.

١- يقول أحدهم: أنا لا أصلى لأن الصلاة ثقيلة جدًّا.

نقول: يخففها عليك أن تعلم أنك عبدٌ لله (جل وعلا).. وأن تعلم أنها كانت خمسين صلاة فخُففت إلى خمس صلوات، ويخففها أيضًا عليك أن تستعين بالله (جل وعلا) أن يجعل الصلاة قرة عينك كما كانت قرة عين النبى ﷺ.

٢- يقول: مش مهم الصلاة... وكفاية إنى أنا باحب الخير للناس.

نقول: كيف تزعم أنك تحب الخير للناس، وأنت لم تحبه لنفسك فتركت الصلاة وجعلت نفسك عُرضة لعذاب الله يوم القيامة... ثم ما الذى يمنع أن تحب الخير للناس، وأن تصلى فى نفس الوقت؟

٣- يقول المشكلة أننى ليس عندى وقت للصلاة.

نقول: يعنى عندك وقت للطعام والشراب، والعمل ولكل شىء إلا الصلاة... هل نسيت أيها الأخ الحبيب أن الغاية العظمى من وجودك فى هذه الدنيا أن تكون عبدًا لله ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[1].

فهل يجوز لك أن تؤثر الدنيا بمتاعها الزائل على طاعة الله (جل وعلا)..

هل تعلم أيها الأخ الحبيب أن المجاهد فى سبيل الله لا يجوز له أن يترك الصلاة فكيف بك وأنت فى هذا الأمان وبين تلك النعم؟!!

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

٤- يقول: المشكلة أننى أعرف أناسًا فى غاية السوء ومع ذلك فهم يصلون.

نقول: إذن فما عليك إلا أن تصلى وتكون قدوة للناس بأخلاقك ومعاملاتك وأمانتك لتكون سببًا فى تغيير تلك الصورة السيئة ويكون ذلك فى ميزان حسناتك.

٥- يقول: مادام القلب أبيض يبقى خلاص.. لسنا فى حاجة إلى الصلاة.

نقول: إن الذى فى مكنونات القلوب لا يعلمه إلا علام الغيوب (جل وعلا)... فنحن لا نعلم إذا كان قلبك أبيض أم غير ذلك، ولكننا نعلم يقينًا أن صاحب القلب الأبيض لا بد أن يكون من الذين يسجدون لله (جل وعلا).

٦- يقول: المشكلة أننى كلما صليت جاءتنى المصائب من كل مكان.

نقول: إن هذا اختبار من الله (عز وجل) لك لأنه يحبك.

أما سمعت قول النبى ﷺ عندما قال: **«إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم..»**(١).

وأنت تعلم كيف عانى النبى ﷺ من شدة البلاء ومع ذلك كان راضيًا عن الله... فما عليك إلا أن ترضى وتُسلم وتعلم أن الدنيا دار بلاء وأن النعيم الحقيقى الكامل لن يكون إلا فى جنة الرحمن (جل وعلا).

٧- يقول: المشكلة إن إمام المسجد يطيل فى القراءة.

نقول: إن أردت أن تبحث عن مسجد آخر قريب لا يطيل فيه الإمام فى القراءة فافعل، ولكن لو أنك استشعرت أن هذا القرآن هو كلام ربنا (جل وعلا) فلن تشعر بطول القراءة أبدًا... كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه والله لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام ربنا... ومع ذلك فنحن نوصى أئمة المساجد بعدم الإطالة.

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٣١) كتاب الفتن، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١١٠).

٨- يقول: ذنوبى كثيرة وأشعر بأن صلاتى غير مقبولة.

نقول له: أحسن الظن بالله واعلم أن الله أرحم بك من رحمة الأم بطفلها الرضيع فلو أنك تُبت توبة صادقة فإن الله (عز وجل) سوف يبدل سيئاتك كلها حسنات فقد قال تعالى: ﴿**إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ (١).

٩- يقول: المشكلة أننى لا أستطيع أن أغسل رجلى خمس مرات.

نقول: توضأ واغسل رجلك مرة واحدة فى اليوم والبس جوربًا أو شرابًا وإذا أردت أن تتوضأ فامسح عليه فى سائر الصلوات الخمس إذا كنت مقيمًا، وثلاثة أيام بلياليهن إذا كنت مسافرًا.

١٠- يقول: أنا لا أستطيع أن أصلى إلا وأنا جالس فأستحيى أن أصلى فى المسجد حتى لا يسخر الناس منى.

نقول: صلِّ قائمًا فإن لم تستطع فصلِّ جالسًا فإن لم تستطع فصلِّ على جنبك. فإن كنت تريد أن تترك الصلاة حياء من الناس فمن باب أولى أن تصلى حياءً من الله.

١١- يقول: سوف أصلى إن شاء الله من يوم الجمعة القادمة.

نقول: وهل تضمن أن تعيش ساعة واحدة... والله أنا أخشى أن تموت قبل أن تصلى.

- وأنا أُهدى لك هذه القصة: كان هناك شابٌ يشرب الخمر ولا يصلى وبعد سنوات عديدة قابله بعض الشباب الأفاضل فأخذوا يدعونه إلى الله بكل رحمة وحنان فانفتح قلبه وعاد إلى البيت فاغتسل وتوضأ ولبس ملابس نظيفة وذهب إليهم فى المسجد ووقف خلف الإمام ليصلى صلاة المغرب، وما إن سجد الإمام وسجد خلفه هذا الشابُّ حتى فاضت روحه مع أول

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

سجدة سجدها لله (جل وعلا).

* فالإنسان لا يدرى متى يأتيه الموت.. قد تموت وأنت ساجد لله وقد تموت وأنت تارك للصلاة.

ومن مات على شيء بُعث عليه.. فيا ترى هل تحب أن تُبعث وأنت ساجد لله أم تحب أن تُبعث وأنت تارك للصلاة.

* **أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:**

يا من تركتم الصلاة.. تذكروا أننا عما قريب سنلقى الله وسيسألنا عن كل صغير وكبير.

أقول لكل واحد منكم: بالله عليك قُم الآن... نعم الآن.. وتوضأ وصلِّ واسجد بين يدَى الله واسكب دموع الندم عسى الله أن يغفر لك وأن يتوب عليك وأن يرحمك وقُل بلسان الحال والمقال: «أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، دعاء مَن خضعت لك رقبته، وفاضت لك عَبرته، وذَلَّ لك جسمه، ورَغِم لك أنفه».

وأخيراً: فإننى أسأل الله (جل وعلا) أن يهدى كل عُصاة المسلمين وأن يردهم إلى دينه وإلى سنة حبيبه ﷺ وأن يرزقهم نعمة الصلاة التى هى من أعظم النعم.

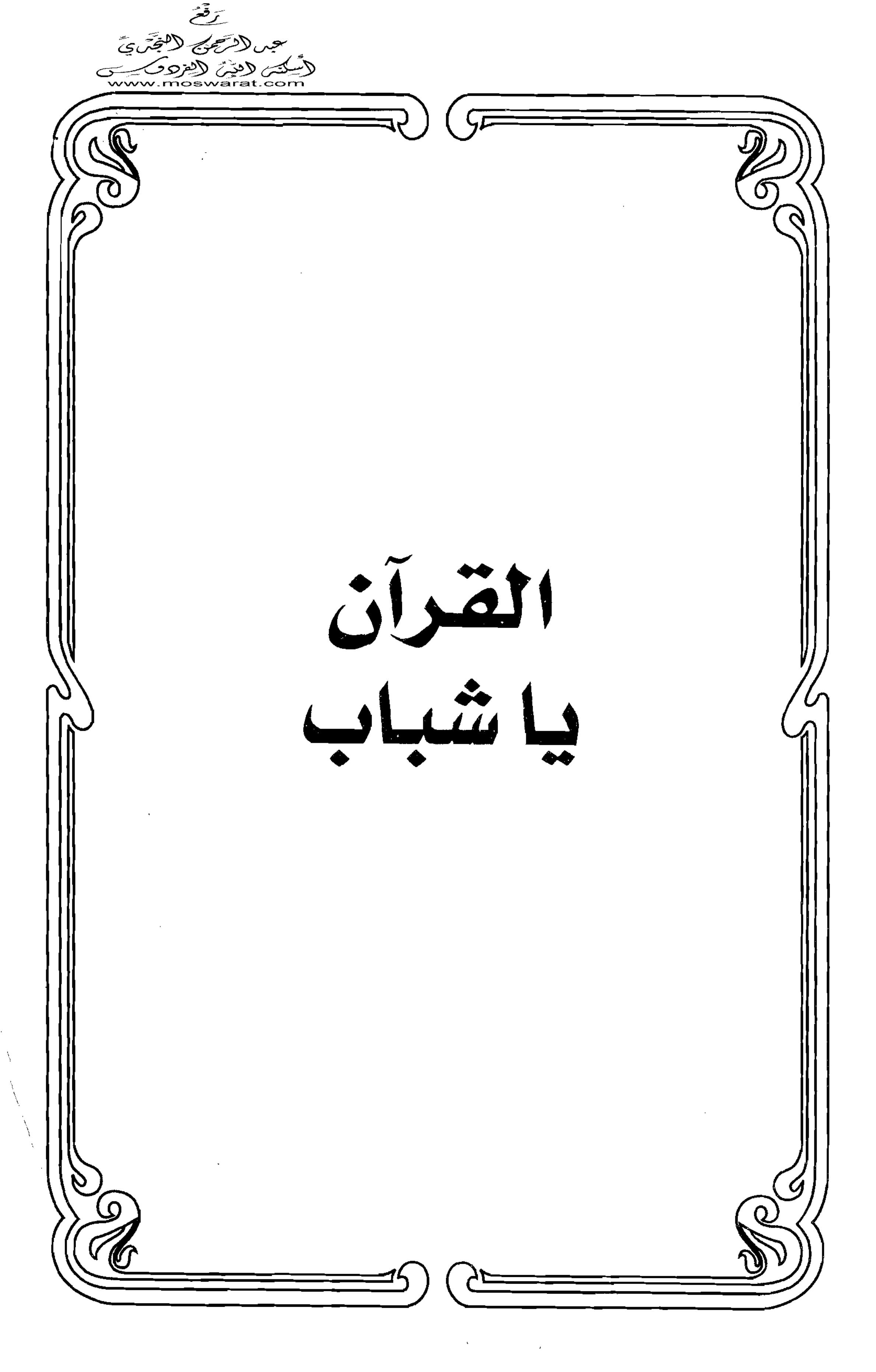
كما أسأله (سبحانه) أن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناتى يوم أُدرج فى أكفانى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)



القرآن
يا شباب



مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾(١).

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾(٢).

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾(٣).

أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله الذى ختم به جميع الرسالات... وهو منهج حياة متكامل يكفل للعبد السعادة فى الدنيا والآخرة فهو كلام الله المُعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فلقد كانت البشرية قبل مبعث النبى ﷺ تعيش فى ظلمات الشرك والكُفران فجاء النبى ﷺ بكتاب الله (عز وجل) ليُخرج الكون كله من ظلمات الشرك والكفران إلى أنوار التوحيد والإيمان، ولذا قال تعالى عن

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

هذا الكتاب العظيم: ﴿الٓر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾(١)، فتحولت الأمة بهذا الكتاب من الشرك والجاهلية إلى الهداية والتوحيد، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن أمة تعيش على هامش الحياة إلى أمة تأخذ بزمام البشرية كلها إلى سعادة الدارين.

فلقد جاء القرآن الكريم ليربى أمة ويُنشئ مجتمعًا ويقيم نظامًا... والتربية تحتاج إلى زمنٍ وإلى تأثير وانفعال بالكلمة وإلى حركة تترجم التأثير والانفعال إلى واقعٍ منظورٍ فى دنيا الناس.

* **تأمل قول عائشة ﵂ حينما سُئلت عن النبى ﷺ فقالت:** «كان خُلُقه القرآن»(٢).

فمن أراد أن يتخلق بخُلق النبى ﷺ فعليه بالقرآن وبسُنة سيد الأنام ﷺ.

بل لقد كان أصحاب النبى ﷺ يعلمون يقينًا أن النصر لا يأتى إلا إذا اعتصمت الأمة بكتاب ربها وسُنة نبيها ﷺ. فها هو سعد بن أبى وقاص ﵁ يمر على خيام المجاهدين -فى معركة القادسية فإذا سمع القرآن من تلك الخيمة يقول: من هنا يأتى النصر، وإذا وجد أهل الخيمة التى بجوارها غافلين عن قراءة القرآن قال: ومن هنا تأتى الهزيمة. فلا عزَّ للأمة إلا فى التمسك بكتاب ربها (عز وجل).... ويوم أن تخلّت الأمة عن كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ وذهبت تلتمس العزة فى غير كتاب الله أذلها الله (عز وجل) لأذل الأمم، وما هذا الذل الذى نراه الآن إلا بما كسبت أيدينا ويعفو الله عن كثير.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: (١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٤٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، وأحمد (٢٤٧٧٤) باقى مسند الأنصار، واللفظ له، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٨١١).

فهيا يـا شباب الصحوة إلى النبع الصافى.. إلى كـتاب الله (عز وجل) فأقـبلوا على حفظه ومدارسـته والعمل بما فـيه ليرفع الله قـدركم فى الدنيا والآخرة وليرفع البلاء عن الأمة ويُنزل نُصرته على عباده الموحدين.

وها أنا أسوق لحضراتكم تلك الرسالة الموجزة عسى أن يجعلها الله سببًا فى شحذ همم شبـابنا وفتياتنا لحفظ القرآن والعمـل بما فيه.. فاللهم ارزقنا حفظ كتـابك والعمل بما فيه -ابتغاء وجـهك الكريم- وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

ثمرات حفظ القرآن

إن لقراءة القرآن وحفظه من الثمرات ما لا يُحصَى فتعالوا بنا لنطوف بين تلك الثمرات عسى أن تكون حاديًا لنا ولأولادنا على حفظ القرآن.

أهل القرآن هم أهل المنزلة السامية

القرآنُ الكريمُ كلُّه كلامُ الله الذى لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، ومن أنعم الله عليه بقراءته كله أو حفظِه كله، فتلك هى الغايةُ العليا، والمنزلةُ الساميةُ التى تشرئبُ إليها الأعناقُ.

فقارئ القرآن يُضىء الله قلبه بنور الإيمان ويقيه ظُلمات يوم القيامة ويُبعد عنه الشدائد ويهديه إلى صراطه المستقيم ويشرح به صدره ويجعل ملائكته يدعون له بالرحمة والمغفرة. فبالقرآن تعمر القلوب والبيوت ويعمُّها الخير والبركة وتخرج الشياطين منها وتبتعد عنها، ويُعلى الله قدر قارئ القرآن فى الدنيا والآخرة.

أهل القرآن يرجون تجارة لن تبور

إن أهل القرآن الذين تعايشوا معه بقلوبهم وجوارحهم ولم يريدوا من ورائه حُطام الدنيا الزائل، يرجون تجارة لن تبور، بل شهد الله (عز وجل) بصلاحهم.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ (١).

---

(١) سورة فاطر: الآيتان: (٢٩، ٣٠).

وقد كان قتادة رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القُرَّاء[١]، وذلك لما أثبتته لهم من الأجر العظيم والثواب المضاعف، فهم لا ينعمون بالأجرِ وافيًا وإنما يزيدهم الله إكرامًا وفضلاً، . . . قال القرطبي: هذه الزيادةُ هي الشفاعةُ في الآخرة[٢].

لا غنى لنا عن كتاب الله (عز وجل)

قال ابن عبد البر: «القرآن أصل العلم، فمن حفظه قبل بلوغه، ثم فرغ إلى ما يستعين به على فهمه من لسان العرب كان له ذلك عونًا كبيرًا على مراده منه»[٣].

إن كتاب الله لا يستغني عنه أي مسلم أبدًا، فالفقيه يستدل بآياته والذي يُعلِّم الناس العقيدة يحتاج إلى كل آية في كتاب الله، ومن يُعلم الناس سُنن الله في الأمم السابقة يحتاج إلى كتاب الله.

وبالجملة فالقرآن منهج حياة متكامل لا يستغني عنه مسلمٌ بحال من الأحوال.

حفظ القرآن يقودك إلى الصراط المستقيم

إننا نعلم يقينًا أن الشاب إذا انشغل منذ صغره بحفظ كتاب الله، فإن ذلك يشغله عن الوقوع في المعاصي، ومن ثمَّ فإنه ينقاد إلى صراط الله المستقيم، فهو ما بين حفظ ومراجعة ومدارسة لتفسير تلك الآيات وحرصٍ على معرفة أسباب النزول، وهكذا يجد نفسه يخرج من علم إلى آخر حتى يصير في نهاية أمره عالمًا من علماء الأمة العاملين المخلصين.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٤٥).

(٣) صحيح جامع بيان العلم وفضله (٤٥٤).

حفظ القرآن استثمار للحظات العمر

لقد أمرنا النبى ﷺ أن نغتنم كل لحظة فى حياتنا فى طاعة الله فقال ﷺ : «**اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»(١).

ففى الوقت الذى ينشغل فيه أهل الدنيا بدنياهم وحُطامها الزائل ويجعلون مجالسهم فى الغيبة واللهو والغفلة، وإذا بأهل القرآن يغتنمون كل لحظة ويتعايشون بقلوبهم وأرواحهم مع كتاب الله (عز وجل) قراءةً وحفظًا وتدبُّرًا وعملاً بما فيه.

أخى الحبيب: إن النفس لأمارة بالسوء إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، والوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك فاغتنم لحظات عمرك فى حفظ كتاب الله والعمل بما فيه.

القرآن علاج لقسوة القلوب

يشكو كثير من الناس من قسوة قلوبهم ويسألون عن العلاج لتلك القسوة فنقول لهم: إن أعظم وسيلة لعلاج تلك القسوة هو الإقبال على كتاب الله (عز وجل) فقد قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ (٢).

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح: رواه الحاكم (٤/ ٣٤١، رقم ٧٨٤٦)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٢٦٣، رقم ١٠٢٤٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٥).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٢٣).

القرآن يجعلك تزداد إيمانًا

ومن أراد زيادة الإيمان يومًا بعد يوم فعليه بكتاب الله، فقد قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾(١). وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(٢). فأنت حينما تقرأ فى القرآن كيف نصر الله عباده من الأنبياء والمرسلين (صلوات ربى وسلامه عليهم) وكيف أخزى الكافرين فإنك تزداد إيمانًا، وعندما تقرأ عن وعد الله لعباده المؤمنين بالجنة والرضوان... ووعيد الله للكافرين بالسخط والنيران فإنك أيضًا تزداد إيمانًا.

فعن جندب رضي الله عنه قال: كنا غلمانًا حزاورة(٣) مع رسول الله ﷺ فتعلَّمنا الإيمان قبل أن نتعلَّم القرآن، ثم تعلَّمنا القرآن فازددنا به إيمانًا(٤).

لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٥)، فلقد كان النبى ﷺ يحفظ القرآن ويداوم على تلاوته ومعارضة جبريل به فى كل سنة مرة وفى السَّنة التى قُبض فيها عرضه عليه مرتين. فمن حفظ القرآن فقد تأسَّى بالحبيب ﷺ.

* * *

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (٢).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٤).

(٣) الحزاورة: جمع حزور، وهو الغلام إذا قارب البلوغ.

(٤) نزهة الفضلاء (١/ ٣٨٣).

(٥) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

حفظ القرآن من خصائص هذه الأمة

حفظ القرآن من خصائص هذه الأمة المحمدية، . . . قال ابن الجزرى (رحمه الله): «ثم إن الاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على خط المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة».

وقال أيضًا: «فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج فى حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء، بل يقرأه بكل حال كما جاء فى صفة أمته: (أناجيلهم فى صدورهم) وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا فى الكتب، ولا يقرؤونه كله إلا نظرًا، لا عن ظهر قلب.

سلفنا الصالح.. وحفظ القرآن

قال الإمام النووى: «كان السلف لا يُعلِّمون الحديث والفقه إلا لمن يحفظ القرآن»[١].

وقال ابن عبد البر: «طلب العلم درجات ومناقل ورتُب، لا ينبغى تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف - رحمهم الله -، ومن تعدى سبيلهم عامدًا ضَلَّ، ومن تعداه مجتهدًا زَلَّ فأول العلم حفظ كتاب الله (عز وجل) وتفهمه. . .»[٢].

وقال أبو الفضل الرازى: «وعلى الحفظ والتحفيظ كان الصدر الأول ومَن بعدهم»[٣].

فمن أراد أن يتأسى بسلفه الصالح فعليه بحفظ القرآن.

❊ ❊ ❊

(١) المجموع (١/ ٣٨).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٦٦).

(٣) فضائل القرآن (ص: ٣٣).

حفظ القرآن سهلٌ وميسورٌ

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾(١).

قال القرطبى: «**أى سهلناه للحفظ وأعنَّا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه فيُعان عليه؟**»(٢). وإن من وجوه إعجاز القرآن الكريم تيسير حفظه على جميع الألسنة حتى حفظه الأعجمى وغيره.

وحفظ القرآن هو الأصل فى تلقِّيه فلقد وصف الحق (جل وعلا) هذا القرآن بقوله: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾(٣).

وقال تعالى فى الحديث القدسى: «**إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك، وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرأه نائمًا ويقظان**»(٤).

قال النووى: «فمعناه محفوظ فى الصدور لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على مرّ الزمان»(٥).

حفظة القرآن هم أهل الله

قال ﷺ: «**إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»(٦)... فيا لها من معية لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متاعٍ زال فإن من تمام إكرام الله (عز وجل) لحملة القرآن أن جعلهم من أهله وخاصته...، ففى الوقت الذى انتسب فيه أهل الفن لفنهم وأهل الثراء لمالهم، وإذا بأهل القرآن يفوزون بمعية مالك الملك وملك الملوك (جل وعلا).

(١) سورة القمر: الآية: (١٧).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٣٤).
(٣) سورة العنكبوت: الآية: (٤٩).
(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.
(٥) مسلم بشرح النووى (١٧/ ٢٠٤).
(٦) صحيح: رواه ابن ماجه (٢١٥) فى مقدمة سننه، والدارمى (٣٣٢٦) كتاب فضائل القرآن، وأحمد (١١٨٧٠) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٦٥).

لا يستمتع بقيام الليل إلا أهل القرآن

فمن المعلوم أن الذى يقرأ القرآن -فى قيام الليل- من المصحف لا يشعر باللذة التى يشعر بها من يقرأ القرآن من صدره، ولذلك فإننا نجد أن من أعظم الأسباب التى تجعل العبد يتكاسل عن قيام الليل أنه ليس معه قرآن -أى لا يحفظ القرآن-.

فقيام الليل هو شرف المؤمن وهو وقت الرحمات التى تتنزل من عند رب الأرض والسماوات فهو وقت التنزل الإلهى إلى السماء الدنيا.

قال ﷺ : «**من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتب من القانتين، ومن قام بألف آية كُتب من المقنطرين**»(١).

القرآن يجعلك فى صُحبة الأخيار

ومن المعلوم أن مجالس أهل القرآن لا يكون فيها إلا أهل الصلاح والتقوى، وبالتالى فالقرآن يجعلك فى صُحبة الأخيار. وقد قال ﷺ : «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»(٢).

وأخبر عن حال الناس يوم القيامة فقال ﷺ : «**المرء مع من أحب**»(٣)، فإذا أحببت أهل القرآن وصحبتهم ستكون منهم وستُحشر معهم يوم القيامة -إن شاء الله تعالى-.

* * *

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٣٩٨) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٣٩).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وأحمد (٧٩٦٨) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٤٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٦٨) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٤١) كتاب البر والصلة والآداب.

حافظ القرآن.. دليله بين يديه

إن الذى يحفظ القرآن إذا قام يومًا ليخطب فى الناس أو يُذكرهم فى درسٍ من دروس العلم فدليله بين يديه لا يحتاج إلى أن يبحث عنه... فعنده كل الأدلة من القرآن فى السلوك والآداب والأحكام والفرائض والترغيب والترهيب والقصص والعِبر، فكلما أراد أن يتكلم فى موضوعٍ بعينه يجد الأدلة من القرآن تنساب من فمه لتصل إلى قلوب الناس مباشرة.

كنوز من الحسنات فى حفظ القرآن

إن الذى يريد حفظ كتاب الله لا يستطيع ذلك إلا بكثرة الترداد والمذاكرة والحفظ، وقد قال ﷺ : «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن: ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف**»[1]. فلك أن تتخيل عدد الحروف التى يقرؤها شابٌّ يجلس فى بيت الله ساعتين أو أكثر فى الحفظ والتلاوة.

القرآن حُجة لك أو عليك

إن القرآن إما أن يكون حُجة لك أو عليك.. كما قال ﷺ : «**والقرآن حُجة لك أو عليك**»[2].

فإذا جلس الشاب يقرأ القرآن ويحفظه ويعمل بما فيه -وهو لا يريد بذلك إلا وجه الله- فإن القرآن سيكون- بإذن الله- يوم القيامة حُجة له وشفيعًا له.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٩١٠) كتاب فضائل القرآن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٦٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣) كتاب الطهارة.

حفظ القرآن ييسر قراءته فى كل وقت

فالذى يحفظ القرآن يستطيع أن يقرأه وهو يمشى.. وهو يقود سيارته، وهو ينتظر أحد إخوانه... فالشاهد أنه يستطيع أن يلهج لسانه بالقرآن فى أى وقت، أما الذى لا يحفظ القرآن فلا يستطيع أن يقرأ إلا إذا فتح المصحف أمامه،... وتلك نعمة يكرم الله بها كل من حفظ كتابه.

حفظ القرآن من أسباب النجاة من النار

إن العبد يسعى بكل ما يستطيع لكى ينجو من عذاب النار، وقد كتب الله (جل وعلا) لمن حفظ القرآن -ابتغاء وجه الله- ألا تحرقه النار، فقد قال ﷺ: «**لو جُمع القرآن فى إهابٍ ما أحرقه الله بالنار**»(١).

حفظ القرآن مهرٌ للصالحات

وقد كان من سلفنا الصالح من يتزوج امرأة صالحة ويجعل مهرها حفظ بعض السور من القرآن.

فعن **سهل بن سعد** رضي الله عنه قال: أتت النبى ﷺ امرأة فقالت: يا رسول الله! جئت لأهب لك نفسى، فنظر إليها رسول الله ﷺ، فصعَّد النظر إليها وصوَّبه، ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئًا، جلست فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله! إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: «**هل عندك من شىء؟**» فقال: لا والله يا رسول الله، قال: «**اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئًا؟**» فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئًا؟» فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا

---

(١) حسن: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٢/ ٥٥٥، رقم ٢٧٠٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٦٦).

رسول الله ما وجدت شيئًا، قال: «**انظر ولو خاتمًا من حديد**» فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتمًا من حديد، ولكن هذا إزارى -قال سهل: ما له رداء- فلها نصفه، فقال رسول الله ﷺ: «**ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شىء، وإن لبسته لم يكن عليك شىء؟**» فجلس الرجل حتى طال مجلسه ثم قام فرآه رسول الله ﷺ موليًا فأمر به فدُعى فلما جاء قال: «**ماذا معك من القرآن؟**» قال: معى سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا عدَّها، قال: «**أتقرؤهن عن ظهر قلبك؟**» قال: نعم قال: «**اذهب فقد ملَّكتكها بما معك من القرآن**»[١].

فإن لم تجد من يزوجك بما معك من القرآن فاصبر حتى تقدمه مهراً لواحدة من الحور العين فى جنة الرحمن (جل وعلا).

يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله

وحامل القرآن له قدرٌ عظيم فى الدنيا والآخرة.. ففى الصلاة التى هى عمود الإسلام وركنه الثانى أخبر النبى ﷺ أنه لا يؤم الناس فى الصلاة إلا أقرؤهم لكتاب الله.

عن أبى مسعود الأنصارى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة...**»[٢].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٣٠) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (١٤٢٥) كتاب النكاح.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٧٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

لا حسد إلا فى اثنتين

ويُخبر النبى ﷺ أن الذى يحمل القــرآن يستحق أن يغبطه الناس -أى يحسدونه حسدًا محمودًا- لأنه قد تبوأ مكانة عظيمة فى الدنيا والآخرة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: **«لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار»**[(١)].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال: **«لا حـسد إلا فى اثنتـين: رجل علَّمه الله القـرآن فهو يتلوه آنـاء الليل وآناء النهار، فسـمعه جار له فـقال: ليتنى أوتيت مـثل ما أوتى فلان، فعملت مـثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه فى الحق، فقـال رجل: ليتنى أوتـيت مثل مـا أوتى فلان، فعـملت مثـل ما يعمل»**[(٢)].

إن من إجلال الله إكرام حامل القرآن

إن إكرام حامل القرآن ليس إكـرامًا لشخصه، وإنما هو إجلال لكلام الله الذى يحمله فى صدره، ولذا قال ﷺ : **«إن من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه....»**[(٣)].

إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا

وكمـا أن حامل القرآن هو أولى الناس بإمـامة الناس فى صلاتهم فـهو أيضًا من أولى الناس بالإمارة والولاية.

(١) متـفق عليه: رواه البخـارى (٥٠٢٥) كتاب فضـائل القرآن، ومسلم (٨١٥) كـتاب صلاة المسـافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٠٢٦) كتاب فضائل القرآن.

(٣) حسن: رواه أبو داود (٤٨٤٣) كتاب الأدب، وحـسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صـحيح الجامع (٢١٩٩).

فعن نافع بن عبد الحارث أنه لقى عمر ﷺ بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال: من استعملت على أهل الوادى؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومَن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟، قال: إنه قارئ لكتاب الله (عز وجل)، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**»(١).

حفظ القرآن خيرٌ من الدنيا وما فيها

إذا فرح أهل الدنيا بدنياهم وأهل المناصب بمناصبهم وأهل المال بأموالهم فجدير أن يفرح حامل القرآن بكلام الله الذى لا توازيه الدنيا بكل ما فيها من متاعٍ زائل.

فعن أبى هريرة ﷺ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان؟**» قلنا: نعم، قال: «**فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم فى صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان**»(٢).

وعن عقبة بن عامر ﷺ **قال:** خرج رسول الله ﷺ ونحن فى الصُّفَّة فقال: «**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتى منه بناقتين كوماوين فى غير إثم ولا قطع رحم؟**» فقلنا: يا رسول الله، نحب ذلك، قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله (عز وجل) خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨١٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٠٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٠٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

حافظ القرآن هو خير الناس

وإذا كان الله (جل وعلا) قد جعل لكل عبد قدرًا ومنزلة فإن أهل القرآن هم خير الناس منزلة، فقد قال رسول الله ﷺ: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»(١).

أهل القرآن تتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة

قال ﷺ: «**... وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفَّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده...**»(٢).

حافظ القرآن كالثمرة ذات الريح الطيب

قارئ القرآن رائحته زكية ومذاقه حُلو كالأُترجة... ومن هنا فهو جليسٌ صالح يقترب إليه الصالحون العاملون ليشموا من عطره وينفحوا من شذاه.

عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأُترجة(٣)، ريحها طيبٌ، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيبٌ، وطعمها مر، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، لا ريح لها، وطعمها مرٌّ**»(٤).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٠٢٧) كتاب فضائل القرآن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) الأترجة: ثمر جامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون يشبه البطيخ.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٤٢٧) كتاب الأطعمة، ومسلم (٧٩٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

حفظ القرآن..والنجاة من فتنة الدجال

ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف؛ عُصم من الدجال**»[١].

بالقرآن تنال محبة الله (جل وعلا)

القرآن كلام الله (عز وجل) فمن أحب كلام الله أحبه الله.

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٢] فلما رجعوا ذُكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**سلوه، لأى شىء يصنع ذلك؟**» فسألوه فقال: لأنها صفةُ الرحمن، فأنا أحبٌّ أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروه أن الله يُحبهُ**»[٣].

القرآن يفتح لك أبواب الخير

قال ﷺ: «**من قرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ عدلت له بربع القرآن، ومن قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عدلت له بثلث القرآن**»[٤].

وقال ﷺ: «**من قرأ آية الكرسى دبُر كل صلاة مكتوبة؛ لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**»[٥].

وقال ﷺ: «**من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة، كَفَتاه**»[٦].

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٠٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) المراد بالختم هنا ختم القراءة فى الركعات وهو قراءة السورة بعد الفاتحة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٧٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٨١٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) حسن: رواه الترمذى (٢٨٩٣) كتاب فضائل القرآن، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٦٦).

(٥) صحيح: رواه النسائى فى الكبرى (٦/ ٣٠، رقم ٩٩٢٨)، والرويانى (٢/ ٣١١، رقم ١٢٦٨)، والطبرانى (٨/ ١١٤، رقم ٧٥٣٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٦٤).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٤٠٠٨) كتاب المغازى، ومسلم (٨٠٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

وقال ﷺ : «من قرأ بمائة آية في ليلة كُتب له قنوت ليلة»[١] .

وقال ﷺ : «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات؛ بنى الله له بيتًا في الجنة»[٢] .

وقال ﷺ : «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة؛ أضاء له من النور ما بين الجمعتين»[٣] .

وقال ﷺ : «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق»[٤] .

والقرآن شفاء - بإذن الله -

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾[٥] .

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده رجاء بركتها[٦] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا في مسير لنا، فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم[٧]، وإن نفرنا غيب، فهل منكم راقٍ؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنه برُقية فرقاه فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنًا، فلما رجع

(١) صحيح: رواه الدارمي (٣٤٥٠) كتاب فضائل القرآن، وأحمد (١٦٥١٠) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٤٦٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٥١٨٣) مسند المكيين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٤٧٢).

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٢/ ٣٩٩، رقم ٣٣٩٢)، والبيهقي (٣/ ٢٤٩، رقم ٥٧٩٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٤٧٠).

(٤) صحيح: رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٧٤، رقم ٢٤٤٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٧٣٦).

(٥) سورة الإسراء: الآية: (٨٢).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠١٧) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٢١٩٢) كتاب السلام.

(٧) سليم: أي لدغته حية.

قلنا له: أكنت تحسن رقية أو كنت ترقى؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب. قلنا: لا تحدثوا شيئًا حتى نأتى أو نسأل النبى ﷺ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبى ﷺ فقال: «وما كان يدريه أنها رقية؟ اقسِموا واضربوا لى بسهم»[١].

القرآن مأدبة الله (عز وجل)

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن هذا القرآن مأدبةُ الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاةٌ لمن اتبعه، لا يزيغُ فيُستعتبُ، ولا يعوجُّ فيقوم، ولا تنقضى عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إنى لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرف»[٢].

قارئ القرآن سبب فى رحمة والديه

عن بريدة الأسلمى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وتعلَّمه وعمل به أُلبس يوم القيامة تاجًا من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويُكسى والده حُلتين، لا يقوم بهما الدنيا، فيقولان: بِمَ كُسينا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن»[٣].

القرآن.. وتفريج الهموم

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كَثُر همُّهُ فليقل: «اللهم إنى عبدك وابن عبدك، وابن أَمتك، ناصيتى بيدك، ماضٍ فىَّ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٠٧) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٢٢٠١) كتاب السلام.

(٢) ضعيف: رواه الدارمى (٣٣١٥) كتاب فضائل القرآن، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الترغيب والترهيب (٨٦٧).

(٣) حسن لغيره: رواه الحاكم (١/٧٥٦، رقم ٢٠٨٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٤٣٤).

حكمك، عدلٌ فىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن ربيع قلبى[١]، وجلاء همِّى وغمِّى، ما قالها عبدٌ قط إلا أذهب الله غمَّه، وأبدله به فرحًا»[٢].

القرآن روحك فى أهل السماء

عن أبى سعيد الخدرى - قال: عليك بتقوى الله فإنه رأس كل شىء وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك فى أهل السماء، وذكرك فى أهل الأرض، وعليك بالصمت إلا فى حقٍّ، فإنك تغلب الشيطان[٣].

عن جندب قال: أوصيكم بتقوى الله، وأوصيكم بالقرآن فإنه نورٌ بالليل المظلم، وهدى بالنهار، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقة، فإن عرض بلاءٌ فقدِّم مالك دون دينك، فإن تجاوز البلاء، فقدم مالك ونفسك دون دينك فإن المخروب مَن خُرب دينه، والمسلوب من سُلب دينه، واعلم أنه لا فاقة بعد الجنة، ولا غنى بعد النار»[٤].

قارئ القرآن لا يُرد إلى أرذل العمر

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من قرأ القرآن لم يُرد إلى أرذل العمر، وذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٥] قال: الذين قرؤوا القرآن[٦].

---

(١) ربيع قلبى: جعل القرآن ربيع قلبه؛ لأن الإنسان يرتاح قلبه فى الربيع من الأزمان ويميل إليه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٧٠٤) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢٢).

(٣) نزهة الفضلاء (١/ ٢٤٨).

(٤) نزهة الفضلاء (١/ ٢٥٨).

(٥) سورة التين: الآيتان: (٥، ٦).

(٦) صحيح: رواه الحاكم (٢/ ٥٧٦، رقم ٣٩٥٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٤٣٥).

حافظ القرآن يُقدَّم فى قبره على غيره

وكما أن الله (عز وجل) أعلى قدر حامل القرآن فى الدنيا وجعله أولى الناس بالإمامة، فقد أعلى قدره فى الآخرة فجعله عند موته أولى الناس بأن يُقدَّم فى قبره.

فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: كان النبى ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أُحد فى ثوبٍ واحد، ثم يقول: «**أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟**»، فإذا أُشير له إلى أحدهما قدَّمه فى اللحد، وقال: «**أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة**» وأمر بدفنهم فى دمائهم، ولم يُغسَّلوا ولم يُصلَّ عليهم(١).

بالقرآن تنجو من عذاب القبر وتدخل الجنة

قال ﷺ: «**سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر**»(٢).

وقال ﷺ: «**إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له وهى سورة تبارك الذى بيده الملك**»(٣).

وقال ﷺ: «**سورة من القرآن ما هى إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة وهى تبارك**»(٤).

حافظ القرآن فى ظل عرش الرحمن

ففى هذا الموقف الرهيب الذى يقف فيه الناس يوم القيامة خمسين ألف سنة بلا طعام ولا شراب ولا ظل... وقد حُشروا جميعًا حُفاةً عُراةً غُرلاً،

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣٤٣) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه أبو الشيخ فى طبقات الأصبهانيين (٢٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١١٤٠).

(٣) حسن: رواه أبو داود (١٤٠٠) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٨٩١) كتاب فضائل القرآن، وابن ماجه (٣٧٨٦) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠٩١).

(٤) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٤/ ٧٦، رقم ٣٦٥٤)، والضياء (٥/ ١١٤، رقم ١٧٣٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٤٤).

وقد دنت الشمس فوق الرؤوس حتى كانت منهم كمقدار ميل والناس يغرقون فى عرقهم -على قدر ذنوبهم-. . . فى هذا الوقت العصيب يخبر النبى ﷺ عن سبعة أصناف كرامٍ يكونون فى ظل عرش الرحمن، فقال ﷺ : «**سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله** -وذكر منهم- **وشاب نشأ فى عبادة الله..**»[1].

ومن المعلوم أن هذا الشاب الذى نشأ فى عبادة الله وتعلق قلبه فى المساجد لا بد وأن يكون تاليًا لكتاب الله حافظًا لآياته.

القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة

ففى هذا اليوم العصيب -يوم القيامة- يبحث الإنسان عمَّن يشفع له لينجو من عذاب النار وليدخل جنة الرحمن (جل وعلا)، وإذا به يجد القرآن شافعًا له مدافعًا عنه أمام الله حتى يأخذ بيديه إلى جنة الرحمن التى فيها ما لا عين رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

عن جابر ؓ أن النبى ﷺ قال: «القرآن شافع مُشفَّع، وماحلٌ مُصدَّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار»[2].

وعن أبى أُمامة الباهلى ؓ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه...»[3].

وقال ﷺ : «الصيامُ والقرآنُ يشفعان للعبد يومَ القيامة، يقولُ الصيامُ: أى ربِّ إنى منعته الطعامَ والشهوات بالنهارِ فشفعنى فيه، يقولُ القرآنُ ربِّ منعتهُ النومَ بالليلِ فشفعنى فيه، فيشفعانِ»[4].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى (٩/ ١٣٢، رقم ٨٦٥٥)، قال الهيثمى (٧/ ١٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٠١٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٠٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) حسن صحيح: رواه أحمد (٦٥٨٩) مسند المكثرين من الصحابة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٩٨٤).

حافظ القرآن مع السفرة الكرام البررة

وحين يفتخر أهل الدنيا بانتسابهم إلى العظماء والوجهاء والأغنياء فإن حافظ القرآن يفتخر بأنه سيكون مع السفرة الكرام البررة الذين اختارهم الله (عزوجل) وشرَّفهم بأن تكون بأيديهم الصحف المطهرة ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ (١) .

قال ﷺ : «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرؤه ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران» (٢).

حافظ القرآن يرتقى فى درجات الجنة

قال ﷺ : «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد لكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه» (٣).

وقال ﷺ : «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارقَ ورتِّل كما كنت تُرتِّل فى دار الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها» (٤).

وقال ﷺ : «يجيءُ القرآن يوم القيامة، فيقول: يا ربِّ حَلِّه، فيُلبسُ تاجَ الكرامةِ، ثم يقول: يا ربِّ زده، فيُلبسُ حُلَّةَ الكرامة، ثم يقولُ: يا رب ارضَ عنه، فيرضى عنه، فيقول: اقرأ، وارق، ويُزادُ بكل آية حسنةً» (٥).

قال ابن حجر الهيتمى: «الخبر المذكور خاصٌ بمن يحفظه عن ظهر قلب، لا بمن يقرأ بالمصحف؛ لأن مجرد القراءة فى الخط لا يختلف الناس فيها ولا

(١) سورة عبس: الآيات: (١٣-١٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩٣٧) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٧٩٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٧٨٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٠٩٦٧) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨١٢١).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٤٦٤) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٩١٤) كتاب فضائل القرآن، وأحمد (٦٧٦٠) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨١٢٢).

(٥) حسن: رواه الترمذى (٢٩١٥) كتاب فضائل القرآن، والدارمى (٣٣١١) كتاب فضائل القرآن، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠٣٠).

يتفاوتون قلة وكثرة، وإنما الذى يتفاوتون فيه كذلك هو الحفظ عن ظهر قلب، فلهذا تفاوتت منازلهم فى الجنة بحسب تفاوت حفظهم(١).

حال النبى ﷺ عند قراءة القرآن

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لى النبى ﷺ: «**اقرأ علىَّ**»، قلتُ يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: «**نعم**» فقرأتُ سورة النساء حتى أتيتُ على هذه الآية ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾ (٢) قال: «**حسبُكَ الآن، فالتفتُّ إليه فإذا عيناهُ تذرفان**»(٣).

وعن عبد الله بن الشخِّير رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء(٤).

وهكذا كان حال رسول الله ﷺ عند قراءة القرآن سواءً كان ذلك فى الصلاة أو خارج الصلاة.

حال السلف مع القرآن

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان أبو بكر إذا قرأ القرآن كثير البكاء».

زاد بعضهم: «فى صلاة وغيرها»(٥).

وعن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها قالت: «ما كان أحدٌ من السلفِ يُغشى عليه ولا يُصعقُ عند قراءة القرآن، وإنما يبكون ويقشعرون، ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله»(٦).

---

(١) الفتاوى الحديثية (١٥٦).

(٢) سورة النساء: الآية: (٤١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٥٨٢) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٨٠٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٩٠٤) كتاب الصلاة، والنسائى (١٢١٤) كتاب السهو، وأحمد (١٥٨٧٧) أول مسند المدنيين رضى الله عنهم أجمعين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٥٤٤).

(٥) أخرجه ابن الأثير فى جامع الأصول (٢/ ٤٦٦).

(٦) أخرجه البغوى فى تفسيره (٧/ ٢٣٨).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ قال: «من جمع القرآن فقد حمل أمرًا عظيمًا، لقد أُدرجت النبوةُ بين كتفيه غير أنه لا يُوحَى إليه فلا ينبغى لحامل القرآن أن يحدّ مع من يحدُّ [(١)] ولا يجهل مع من يجهل؛ لأن القرآن فى جوفه»[(٢)].

حرص السلف على حفظ القرآن

وها هى نماذج مشرقة من حرص السلف على حفظ القرآن.

عن مسروق؛ قال: قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «والله الذى لا إله غيره، ما أُنزلت سورةٌ من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أُنزلت ولا أُنزلت آيةٌ من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أُنزلت ولو أعلم أحدًا أعلمَ منى بكتاب الله تبلغهُ الإبلُ لركبتُ إليه»[(٣)].

وكان عمرو بن سلمة ﷺ وهو من صغار الصحابة حريصًا على تلقِّى القرآن، فكان يتلقى الركبان ويسألهم ويستقرئهم حتى فاق قومه أجمع، وأهلَّه ذلك لإمامتهم، ولنستمع لذلك من روايته ﷺ إذ يقول: «كنا على حاضر فكان الركبان يمرون بنا راجعين من عند رسول الله ﷺ فأدنو منهم فأسمع حتى حفظت قرآنًا، وكان الناس ينتظرون بإسلامهم فتح مكة، فلما فُتحت جعل الرجل يأتيه فيقول: يا رسول الله، أنا وافد بنى فلان وجئتك بإسلامهم، فانطلق أبى بإسلام قومه فرجع إليهم، قال: قال رسول الله: «**قدِّموا أكثركم قرآنًا**» قال: فنظروا وإنى لعلى حِواء عظيم[(٤)]، فما وجدوا فيهم أحدًا أكثر قرآنًا منى، فقدمونى وأنا غلام[(٥)].

---

(١) يحد: أى يغضب.

(٢) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٠٢) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٢٤٦٣) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) الحواء: بيوت مجتمعة من الناس على ماء، والجمع أحوبة (النهاية: ١/ ٤٦٥).

(٥) رواه أحمد (١٩٨٢١) أول مسند البصريين، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

ويتساءل الشاب اليوم وهو يرى هذا النموذج، فقد كان هذا الصحابى الشاب ﷺ حريصًا على حفظ القرآن وتعلمه، ولم يُتَح له ما أُتيح لنا اليوم من وسائل وإمكانات، فليس أمامه حلقة لتحفيظ القرآن، ولا تسجيلات أو مُقرئ متفرغ، بل إن القرآن ليس مجموعًا له فى مصحف يقرأ ويحفظ منه، ومع ذلك يبلغ هذا المبلغ رضى الله عنه.

ونلمس الحرص نفسه عند زيد بن ثابت ﷺ فيأتى قومُه إلى النبى ﷺ مفاخرين بما حصَّل صاحبهم، . . . يحدثنا عن ذلك فيقول: إن قومه قالوا للنبى ﷺ : هذا غلام من بنى النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة فأعجب ذلك النبى ﷺ وقال: «**يا زيد! تعلَّم لى كتاب يهود، فإنى والله ما آمن يهود على كتابى**» قال زيد: فتعلمت كتابهم ما مرت بى خمس عشرة ليلة حتى حذقته، وكنت أقرأت له كتبهم إذا كتبوا إليه وأجيب عنه إذا كتبِ(١).

وآخر أيضًا جاوز العاشرة بقليل وهو البراء بن عازب ﷺ يقول: «فلم يقدم علينا رسول الله ﷺ حتى قرأت سورًا من المفصل»(٢).

وعلى بن هبة الله الجميزى حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين(٣).

ومجد الدين أبو البركات ابن تيمية حفظ القرآن وتفقه على عمه الخطيب فخر الدين، ثم رحل فى صحبة سيف الدين ابن عمه وهو مراهق(٤).

وزيد بن الحسن تاج الدين الكندى قرأ القرآن تلقينًا على أبى محمد سبط الخياط وله نحو من سبع سنين. . . وهذا نادر -كما قال الذهبى- وأندر منه أنه قرأ بالروايات العشر وهو ابن عشر حجج(٥).

---

(١) حسن صحيح: رواه أبو داود (٣٦٤٥) كتاب العلم، والترمذى (٢٧١٥) كتاب الاستئذان والآداب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود.

(٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٧١).

(٣) معرفة القراء الكبار (٢/ ٦٥١).

(٤) معرفة القراء الكبار (٢/ ٦٥٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٤١).

الأوقات التى تستحب فيها كثرة القراءة

قال الإمام النووى (رحمه الله): أفضلُ القراءة ما كان فى الصلاة، وأما فى غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير منه أفضل من الأول، والقراءة بين المغرب والعشاء مُستحبة. وأما قراءة النهار، فأفضلها ما بعد صلاة الصبح، ولا كراهة فى القراءة فى وقت من الأوقات، ولا فى أوقات النهى عن الصلاة (النافلة)(١). ومن السنة كثرةُ الاعتناء بالقراءة فى شهر رمضان، وفى العشر الأخير منه أفضل وليالى الوتر آكَدُ ومن ذلك العشر الأول من ذى الحجة ويوم عرفة(٢).

وصايا غالية لأهل القرآن

وما أجمل وصية الإمام الآجرى فى كتابه أخلاق أهل القرآن -وهذا الكتاب لا ينبغى لحافظ القرآن أن يتخلف عن قراءته وتمعنه -وهى وصية طويلة أجتزئ منها يسيراً، قال (رحمه الله): «فأول ما ينبغى له أن يستعمل تقوى الله فى السرِّ والعلانية باستعمال الورع فى مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه، بصيراً بزمانه وفساد أهله، فهو يحذرهم على دينه، مقبلاً على شأنه، مهمومًا بإصلاح ما فسد من أمره، حافظًا للسانه مميزًا لكلامه». وفيها أيضًا: «إذا درس القرآن فبحضور فهم وعقل، همُّه إيقاع الفهم لما ألزمه الله من اتباع ما أمر والانتهاء عما نهى ليس همته متى أختم السورة؟ همته متى أستغنى بالله عن غيره؟ متى أكون من المتقين؟ متى أكون من المحسنين؟ متى أكون من المتوكلين؟ متى أكون من الخاشعين متى أكون من الصابرين؟ متى أكون من الصادقين؟ متى أكون من الخائفين؟ متى أكون من الراجين؟ متى أزهد فى الدنيا؟ متى أرغب فى

(١) الأذكار النووية (١٤٦).

(٢) التبيان فى آداب حملة القرآن (ص: ١٤).

الآخرة؟ متى أتوب من الذنوب؟ متى أعرف النعم المتواترة؟ متى أشكره عليها؟ متى أعقل عن الله الخطاب؟ متى أفقه ما أتلو؟ متى أغلب نفسى على ما تهوى؟ متى أجاهد فى الله حق الجهاد؟ متى أحفظ لسانى؟ متى أغض طرفى؟ متى أحفظ فرجى؟ متى أستحيى من الله حق الحياء؟ . . .»[١].

وعن الفضيل بن عياض (رحمه الله) أنه قال: «ينبغى لحامل القرآن أن لا يكون له حاجة إلى أحد من الخلق، وينبغى أن تكون حوائج الخلق إليه. وقال: حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغى له أن يلغو مع من يلغو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلهو مع من يلهو»[٢].

وجمع أبو موسى الأشعرى ﷺ الذين قرؤوا القرآن وهم قريب من ثلاثمائة فعظَّم القرآن وقال: «إن هذا القرآن كائن لكم ذخراً، وكائن عليكم وزراً، فاتبعوا القرآن ولا يتبعكم؛ فإنه من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن؛ زجَّ به فى قفاه فقذفه فى النار»[٣].

هلا فعلنا مثلما فعلت الجن

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[٤].

فها هو الحق (جل وعلا) يخبر عن جماعة من الجن استمعوا إلى القرآن فآمنوا ورجعوا إلى قومهم ليدعوهم إلى عبادة الله (عز وجل) واتباع رسول الله ﷺ . . . فهل فعلنا نحن ما فعلته الجن من حمل أمانة الدعوة ودعونا

---

(١) أخلاق أهل القرآن (ص: ٧٩).

(٢) رواه الآجرى (٣٩) وأبو نعيم (٨/ ٩٢).

(٣) أخرجه الدارمى (٣٣٢٨) والآجرى فى فضائل القرآن (ص: ٣).

(٤) سورة الأحقاف: الآيات: (٢٩: ٣١).

الناس إلى عبادة الله (عز وجل) فتلك هى وظيفتنا التى خلقنا الله من أجلها: أن نعبد الله وأن ندعو الكون إلى عبادته.. كما قال ربعى بن عامر لرستم (قائد جيوش الفرس) حينما سأله: من أنتم وما الذى جاء بكم؟ قال ربعى: نحن قومٌ ابتعثنا الله لنُخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

لا يؤخذ القرآن عن مصحفى ولا العلم عن صحفى

إن من أغلى النصائح التى أريد أن أسوقها لكل أخ مسلمٍ ولكل أخت مسلمة أن من أراد أن يُتقن القرآن فليتم قراءته على شيخٍ حافظٍ متقنٍ -وأماً الأخت المسلمة فتقرأ القرآن على أختٍ حافظةٍ متقنة- فلا ينبغى أن يكون اعتمادنا على مجرد القراءة فى المصحفً فحسبٍ، ولذلك كان جبريل (عليه السلام) يأتى إلى النبى ﷺ ويدارسه القرآن.

فلنحرص كل الحرص على الإجازة والإسناد فهى سُنة ورَّثها السلف للخلف والإسناد من خصائص هذه الأمة.

وقفة مع النفس

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: هل وقف أحدكم مع نفسه وقفة صادقة ليسأل نفسه: لماذا أحفظ القرآن؟ هل ليعرف الناس أننى حفظت القرآن.. أو لتكون لى المنزلة والمكانة السامية بين الناس... فلنحرص كل الحرص على أن يكون هذا العمل خالصًا لوجه الله (عز وجل).

عن إياس بن عامر قال: أخذ على بن أبى طالب ﷺ بيدى ثم قال: «إنك إن بقيت سيقرأ القرآن ثلاثة أصناف، فصنف لله، وصنف للجدال، وصنف للدنيا، ومن طلب به أدرك»(١).

(١) أخرجه الدارمى (٣٣٢٩) والآجرى (٢٥).

مظاهر هجر القرآن

ولهجر القرآن مظاهر عديدة منها:

١- ترك تلاوة القرآن.

٢- نسيان القرآن بعد حفظه. . وإلى هذا المعنى أشارت الآية الكريمة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[١].

٣- الإعراض عن القرآن واللغو فيه.

وقد أخبر الحق (جل وعلا) عن قول الكافرين: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[٢].

٤- القول فيه بغير الحق، وهذا صنيعُ الكفار الذين حُكيَ عنهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[٣].

قال القرطبى: أى قالوا فيه غير الحقِّ من أنَّهُ سحرٌ أو شعر[٤].

٥- ترك العمل بالقرآن.

فلقد ذمَّ الحق (جل وعلا) الذين يعلمون ولا يعملون ويقولون ما لا يفعلون، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[٥].

وقال ﷺ: **«يُجاءُ بالرجل يوم القيامة فيُلقى فى النار، فتندلق أقتابه، فيدور بها فى النار، كما يدور الحمار برحاه، فيطيف به أهلُ النار، فيقولون: يا فلان! ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنتُ**

---

(١) سورة طه: الآيات: (١٢٤-١٢٦).

(٢) سورة فصلت: الآية: (٢٦).

(٣) سورة الفرقان: الآية: (٣٠).

(٤) تفسير القرطبى (١٣/ ٢٠).

(٥) سورة الصف: الآيتان: (٢، ٣).

آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه»(١).

أنواع هجر القرآن

هجرُ القرآن أنواعٌ: أحدها: هجرُ سماعه والإيمان به والإصغاء إليه. والثانى: هجرُ العملِ به والوقوفِ عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به. والثالث: هجرُ تحكيمه والتحاكم إليه فى أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظيةٌ لا تُحصِّل العلم. والرابع: هجرُ تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه. والخامس: هجرُ الاستشفاء والتداوى به فى جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوى به، وكل هذا داخل فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾(٢)، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض. والسادس: الحرجُ الذى فى الصدور منه، فإنه تارةً يكونُ حرجًا من إنزاله وكونه حقًّا من عند الله(٣).

مغبة هجر القرآن

إن القلوب إذا لم تعمر بالقرآن سكنتها الشياطين؛ لأن هجر القرآن يُضعف الإيمان بالله (عز وجل) ويجعل القلب خاويًا.

عن معاذ بن جبل ﷺ قال: سيبلى القرآنُ فى صدور أقوام كما يبلى الثوبُ فيتهافتُ، يقرءونه لا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أعمالهم طمعٌ لا يُخالطه خوف، إن قصروا قالوا: سنبلغ، وإن أساءوا قالوا: سيُغفرُ لنا. إنَّا لا نشرك بالله شيئًا (٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٦٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٩٨٩) كتاب الزهد والرقائق.
(٢) سورة الفرقان: الآية: (٣٠).
(٣) الفوائد/ للإمام ابن القيم (ص: ١٠٧- ١٠٨).
(٤) الدارمى (٣٣٤٦).

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: يكون خلفٌ بعد سنين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا، ثم يكون خلفٌ يقرؤون القرآن لا يعدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمنٌ ومنافقٌ وفاجرٌ، المنافق كافرٌ به، والفاجرُ يتأكلُ به، والمؤمنُ يعملُ به(١).

وعن زاذان قال: من قرأ القرآن يتأكلُ به الناس. جاء يوم القيامة ووجههُ عظمٌ ليسَ عليه لحمٌ (٢).

هؤلاء لم يعرفوا قدر القرآن

أترون يا أهل القرآن: أن أولئك الذين سخَّروا القرآن للقراءة فى المآتم، أو الموالد والبدع المحدثة، أترون أولئك عرفوا حق القرآن؟ والآخرون الذين جعلوا من حفظ القرآن فرصة للتكسب والتجارة، وأخذ المبالغ الطائلة على التسجيل والتلاوة، وأولئك الذين جعلوه فرصة للإمامة ببعض العلية وكبار القوم، وصاروا يهينون أنفسهم فى مجالس لا يُذكر فيها اسم الله إلا قليلاً، ويرون ويسمعون ما يناقض كتاب الله صراحة، ومع ذلك لا يحرك فيهم ساكنًا أو يثير فيهم غيرة، أو أولئك الذين يحترفون الرقية ليجعلوا من حاجات المرضى وضعف نفوسهم تكأة للثراء وسلمًا للشهرة... وغير أولئك كثير أترون هؤلاء عرفوا حق القرآن؟

فأعيذكم بالله يا أهل القرآن أن تُرخصوا نفوسكم، وتستبدلوا المكانة التى بوأكم الله إياها بهذه المطامع القريبة (٣).

❊ ❊ ❊

---

(١) أخلاق أهل القرآن (١٠٦).

(٢) رواه أبو نعيم (٤/ ١٩٩).

(٣) حفظ القرآن الكريم / محمد عبد الله الدويش (ص: ٥٣).

الأسباب المعينة على حفظ القرآن

وأما عن الأسباب المعينة على حفظ القرآن فهى كثيرة جدًّا، وسأذكر أهم تلك الأسباب فى إيجاز شديد:

١- إقامة التوحيد لله (جل وعلا):

فإن من أقام التوحيد لله فإن الله (عز وجل) يفتح له كل أبواب الخير - ومن أعظم تلك الأبواب حفظ القرآن- وذلك لأن التوحيد هو أصل الأصول الذى من أجله خلق الله السموات والأرض وأنزل الكتب وأرسل الرسل وجعل الناس يوم القيامة فريقين: فريق فى الجنة وفريق فى السعير.

٢- إخلاص النية لله (جل وعلا):

فإنما الأعمال بالنيات... فكل عمل بغير نية طيبة كالطائر بغير رأس، ولذلك يجب على كل من أراد أن يحفظ كتاب الله (عز وجل) أن يطهر قلبه من الآفات، وأن يجعل نيته خالصة لرب الأرض والسماوات ليفتح الله له كل أبواب الخيرات ويُيسر له حفظ الآيات الكريمات.

أول من تسعر بهم النار يوم القيامة

ولقد أخبر النبى ﷺ عن عقوبة من لم يُرد بحفظه وجه الله تعالى، بل أراد الرياء والسمعة... فقال ﷺ: «**إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه** - وذكر منهم-: **ورجلٌ تعلمَ العلمَ وعلَّمَهُ، وقرأ القرآنَ، فأُتى به فعرَّفه نعمهُ، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلمَ وعلمتهُ، وقرأتُ فيك القرآنَ، قال: كذبتَ، ولكنك تعلمتَ العلم ليقالَ عالمٌ، وقرأتَ القرآن ليقالَ: هو قارئ فقد قيلَ،**

ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهِهِ حتى أُلقِيَ في النار...»(١).

٣- الدعاء:

ومن أعظم الأسباب التي تعينك على الحفظ -الدعاء- فإن «**الدعاء هو العبادة**»(٢)، كما أخبر الحبيب المصطفى ﷺ، بل أمرنا النبي ﷺ أن نكون على يقين من إجابة الدعاء فقال: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب من قلب غافل لاه**»(٣).

فأكثر من الدعاء بأن يجعلك الله (عزَّ وجل) من أهل القرآن... فإنه كما قيل: من أدمن قرع الباب يوشك أن يُفتح له.

٤- الاستغفار:

فإن الإنسان قد ينسى كل ما حفظه بسبب ذنوبه، ولذلك فعليه أن يكثر من الاستغفار... قال ابن مسعود رضي الله عنه: إني لأحتسب أن الرجل ينسى العلم قد علمه بالذنب يعمله... وكان الإمام أبو حنيفة (رحمه الله) إذا أشكلت عليه مسألة قال لأصحابه: ما هذا إلا لذنب أحدثته... وكان يستغفر وربما قام وصلى فتنكشف له المسألة.

٥- طهارة النفس من رذائل الأخلاق:

إنَّ تعلُّم القرآن عبادة القلب وصلاة السرّ وقربة الباطن إلى الله (عز وجل)... وكما لا تصح الصلاة إلا بالطهارة الظاهرة للبدن والملابس والمكان، فكذلك لا تصح العبادة الباطنة -عبادة القلب- إلا بطهارته من النفاق والمكر والخبث، والحقد

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٥) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٤٧٩) كتاب الصلاة، والترمذي (٣٣٧٢) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٢٨) كتاب الدعاء، وأحمد (١٧٨٨٨) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٤٠٧)؛ أما حديث: «الدعاء مخ العبادة»، فضعيفٌ. رواه الترمذي (٣٣٧١) كتاب الدعوات، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: هذا حديث غريب. وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (٣٠٠٣)

(٣) حسن: رواه الترمذي (٣٤٧٩) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٤٥).

والحسد، والعداوة والبغضاء.. وهى نجاسات قلبية ونفسية وباطنية.. والقرآن الكريم كالزرع لا ينبت إلا فى التربة الخصبة الصالحة، أما الأرض السبخة أو المريضة فلا ينبت فيها زرع، وإن نبت بعض الشىء لا ينمو، وإن نما لا يثمر، وإن أثمر لا يأتى بجيد الثمر.. فالقرآن لا ينبت ولا ينمو ولا يثمر إلا فى القلب الطيب الصالح الطاهر.. وعلى هذا ينبغى لطالب القرآن أن يكون نظيفًا طاهرًا من هذه الصفات السيئة، ومتحليًا بالصفات الحسنة السمحة الكريمة.. مثل الصدق، والأمانة، والإخلاص.. وبالجملة كل متطلبات الإيمان.

٦- أن تقصد بتعلمه تحلية باطنك ونقاوة نفسك:

ينبغى لطالب القرآن أن يقصد بتعلمه له تحلية باطنه، ونقاوة نفسه، وطهارة سريرته، وأن يقصد به القرب إلى الله، والترقِّى إلى جوار الملإ الأعلى، والانضمام إلى صفوف الملائكة، كما أخبرتنا بذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع الكرام البررة**»[1]، وكلنا يعلم أن الملائكة كانت تنزل لتسمع أُسيد بن حضير[2].

٧- تحديد وقت معين للحفظ:

ومما يعينك على حفظ القرآن أن تحدد وقتًا يوميًا لحفظ القرآن وتُخبر إخوانك بأنك مشغول فى هذا الوقت حتى لا يأتى إليك أحدٌ فيشغلك عن الحفظ.

٨- عليك بصاحب يعينك على المداومة:

وعليك أن تختار صاحبًا تقيًّا يعينك على حفظ القرآن واجعل بينك وبينه منافسة شريفة فى الحفظ حتى تعلو همتك وتشعر بأن هناك من يسابقك إلى هذا الخير.

٩- لا تنشغل بالحفظ عن التلاوة:

واحذر أن يشغلك الحفظ عن القراءة فى المصحف فإن التلاوة هى وقود

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) سمات طالب حلقة القرآن/ رمضان محمد حسن (ص: ٢٣: ٢٥).

الحفظ... فإن النظر فى المصحف يجعلك تتأكد من سلامة حفظك ويجعلك تقرأ القرآن بتدبر وتأمل حتى تتعايش بقلبك وجوارحك مع كل آية.

١٠- صلاة الحاجة:

وأوصيك أن تصلى ركعتين «صلاة الحاجة» تسأل الله فيهما العون والصواب والإخلاص... ويا حبذا لو صليت أيضًا صلاة التوبة حتى لا تحول ذنوبك بينك وبين حفظ كتاب الله (جل وعلا).

١١- قراءة تفسير الآيات التى تريد حفظها:

ومما يعينك على الحفظ أن تقرأ تفسير الآيات التى تريد حفظها فإنَّ فَهم معناها يجعلها تثبت فى الذاكرة.

١٢- التدرج فى الحفظ:

ينبغى أن تتدرج فى حفظ القرآن، وأن لا تتعجل حفظه حتى تتمكن من حفظه... فلا تكلف نفسك فوق طاقتها، بل عليك أن تختار القدر الذى تستطيع أن تحفظه كل يوم ولا تزيد على ذلك.

١٣- ملازمة شيخ متقنٍ تحفظ على يديه:

وهذا أمرٌ ضرورى حتى تحفظ القرآن بغير أخطاء فإنك لو حفظت القرآن مع نفسك فلربما تُخطئ فى قراءة بعض الآيات فإذا حفظتها على تلك الصورة فمن الصعب أن تُصلح تلك الأخطاء.

١٤- التزم بمصحف واحد:

ومما يعينك على الحفظ أن تلتزم بطبعة معينة فتقرأ وتحفظ منها حتى تستطيع أن تتذكر موضع الآيات والسور.

١٥- المداومة على الأذكار والتحصينات:

ومما يعينك على الحفظ أن تداوم على أذكار الصباح والمساء، وأن تقرأ الأذكار التى جعلها الله سببًا لحفظك من مكايد الشيطان... ومنها على سبيل المثال: أن النبى ﷺ كان إذا دخل المسجد قال: «**أعوذ بالله العظيم**

وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم. وقال: إذا قال ذلك حُفظ منه سائر اليوم»[١]، أى من قال ذلك حفظه الله من الشيطان طوال هذا اليوم.

١٦- أن تصلى بما تحفظه:

وعليك أن تحرص كل الحرص على أن تصلى السنن والنوافل بما تحفظه فى ذلك اليوم... ويا حبذا لو قرأت به فى صلاة الفريضة حتى تتمكن من الحفظ.

١٧- قيام الليل:

فقيام الليل وبخاصة فى الثلث الأخير -هو الوقت المبارك الذى يتنزل فيه الله (عز وجل) تنزلاً يليق بجلاله وكماله إلى السماء الدنيا، وينادى على عباده «... **من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له**»[٢].

فاسأل ربك (عز وجل) أن يغفر ذنوبك وأن يكرمك بحفظ كتابه.

١٨- لا تقدم شيئًا على القرآن:

وإذا بدأت فى طلب العلم فابدأ أولاً بمراجعة الجزء الذى حفظته ثم انشغل بعد ذلك بسائر العلوم حتى لا تطغى علوم الدين على أشرف علم ألا وهو علم القرآن.

١٩- عاقب نفسك عند التقصير:

وإذا قصرت فى حفظ وِردك اليومى من القرآن فعليك أن تعاقب نفسك بشىء من المباحات كالصيام والقيام والصدقة.

٢٠- لا تبدأ فى الحفظ إلا بعد إجادة التلاوة:

ولا تبدأ أبدًا فى حفظ القرآن إلا بعد أن تُجيد تلاوته وتُجيد أحكام التلاوة حتى إذا حفظت كان حفظك سليمًا ليس فيه أخطاء.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٦) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٧١٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

٢١- أن تعلم أن حفظ القرآن هو أول طريق العلم:

فلا يستطيع مسلم أن يتحصل على أى علم من العلوم الشرعية بغير قرآن. . . فالقرآن يفتح لك كل أبواب العلم، بل وكل أبواب الخير فى الدنيا والآخرة.

٢٢- احذر من الكبر والغرور:

وقد يتطرق الكبر والغرور إلى قلب العبد إذا حفظ القرآن. . . وهذا هو بداية الخذلان، فاحذر أيها الأخ الكريم من الكبر والغرور، واحرص على نعمة التواضع، فلقد أخبر النبى ﷺ أن «**من تواضع لله رفعه الله**»(١).

قال العلامة المناوى: «فإن العلم لا يُنال إلا بالتواضع، وإلقاء السمع، وتواضع الطالب لشيخه رفعة، وذله له عزٌّ، وخضوعه له فخر،. . . فلقد أخذ الحَبر -أى العالم الإمام- عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مع جلالته وقرابته للرسول ﷺ بركاب زيد بن ثابت، وقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقبَّل زيدٌ يد ابن عباس وقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا.

وقال السليمي: ما كان إنسان يجترئ على ابن المسيب ليسأله حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير، وقال الشافعى: كنت أتصفح الورق بين يدى مالك برفق لئلا يسمع وقعها. وقال الربيع -تلميذ الإمام الشافعي-: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعى ينظر»(٢).

٢٣- المحافظة على الوضوء مع إحسانه:

والمقصود بالإحسان هنا هو اتباع هدى النبى ﷺ فى الوضوء.

فعن رجلٍ من أصحاب النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح فقرأ فيها (الروم) فأوهم، فلما انصرف قال: «**إنه يُلَبِّس علينا القرآن،**

---

(١) صحيح: رواه أبو نعيم فى الحلية (٨/ ٤٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٦٢).

(٢) فيض القدير للمناوى (٣/ ٢٥٣).

فإن أقوامًا منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء، فمن شهد منكم الصلاة معنا، فليحسن الوضوء»[١].

وقال الحافظ ابن كثير (رحمه الله) بعد أن ذكره فى تفسيره فى آخر سورة الروم: وهذا إسنادٌ حسن، ومتنٌ حسن، وفيه سرٌّ عجيب ونبأ غريب، وهو أنه ﷺ تأثر بنقصان وضوء من ائتمَّ به فدل ذلك على أن صلاة المأموم متعلقة بصلاة الإمام. اهـ.

٢٤- الحرص على حسن الخاتمة:

فإنه من مات على شىء بُعث عليه.. وذلك يجعلك تحرص كل الحرص على أن تتعايش بقلبك ولسانك وجوارحك مع آيات القرآن حتى تموت على ذلك وتُبعث مع أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

٢٥- استحضار نعيم الجنة وعذاب النار:

فإذا ما علمت أن القرآن سبب فى نجاتك من عذاب القبر وسبب فى نجاتك من عذاب النار... بل إذا علمت أنك يوم القيامة سوف ترتقى فى درجات الجنة بالقرآن فإن ذلك يحدوك إلى أن تحفظ القرآن من أوله لآخره حتى تصل إلى أعلى درجات الجنة... جعلنا الله وإياكم من أهل القرآن.

تعلموا القرآن قبل أن يُرفع من المصاحف والصدور

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

احرصوا كل الحرص على حفظ كتاب الله (عز وجل) قبل أن يأتى عليكم اليوم الذى أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ ... وهو اليوم الذى يُرفع فيه القرآن من المصاحف والصدور.

---

(١) حسن: رواه أحمد (١٥٤٤٧) مسند المكيين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٢).

فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**يدرسُ الإسلام كما يدرسُ وَشيُ الثوب، حتى لا يُدرى ما صيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا نُسكٌ، ولا صدقةٌ؟ ويُسرى على كتاب الله فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية، وتبقى طوائفُ من الناس: الشيخ الكبير، والعجوزُ يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، يقولون: (لا إله إلا الله)، فنحن نقولها**». فقال له صلةُ: ما تُغْنى عنهم (لا إله إلا الله) وهم لا يدرون ما صلاةٌ، ولا صيامٌ، ولا نُسكٌ، ولا صدقةٌ؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم رددها عليه ثلاثًا، كل ذلك يُعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه فى الثالثة، فقال: يا صلة! تُنجيهم من النار ثلاثًا [(١)].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ليُنزعنَّ القرآن من بين أظهركم؛ يُسرَى عليه ليلاً، فيذهب من أجواف الرجال، فلا يبقى فى الأرض منه شىء»[(٢)].

قال ابن تيمية: «يُسرى به فى آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى فى الصدور منه كلمة، ولا فى المصاحف منه حرفٌ»[(٣)].

فأسأل الله (عز وجل) أن يرزقنا حفظ القرآن والعمل بما فيه، وأن يرفع درجاتنا فى الجنة بالقرآن، وأن يرزقنا صُحبة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم ، وأن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠٧٧).

(٢) رواه الطبرانى وقال ابن حجر: سنده صحيح ولكنه موقوف [فتح البارى «١٣/ ١٦»].

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٩٨- ١٩٩).

يا شباب..
الوقت هو الحياة

1

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾(٣).

أما بعد:

فاعلم - أخى الحبيب - أن الناس فى هذا العالم على سفر أول منازلهم المهد وآخرها اللحد، والوطن هو الجنة أو النار، والعمر مسافة السفر، فسنين العمر مراحله، وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خطواته، وطاعته بضاعته، وأوقاته رؤوس أمواله، وشهواته وأغراضه قطاع طريقه، وربحه الفوز بلقاء الله تعالى فى دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم، وخسرانه البعد عن الله مع الأنكال والأغلال، والعذاب الأليم فى دركات الجحيم، فالغافل فى نفس من أنفاسه حتى ينقضى فى غير طاعة تقربه إلى الله زلفى، متعرض فى يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى، ولهذا

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

الخطر العظيم والخطب الهائل، شمَّر الموفقون عن ساق الجد، وودعوا بالكلية ملاذ النفس، واغتنموا بقايا العمر»(١).

أذان المرء حــين الطـفـل يأتـى
وتأخـــير الصــلاة إلى الممــات
دليـل أن مـــحـــيـــاه يســـيـــر
كـــمـــا بـين الأذان إلى الـصـــلاة

قال ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: «التؤدة فى كل شىء خير إلا فى أعمال الخير للآخرة».

وقال ﷺ: «**ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا حسر عليها يوم القيامة**»(٣).

بل يوضح النبى ﷺ أن الإنسان سيُسأل عن سنوات عمره كلها بين يدى الله - جل وعلا - .... قال ﷺ: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس** - وفى رواية: **لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع - عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟**»(٤).

ومن هنا كان السلف الصالح الذين تربوا بين يدى المربى الأول الذى رباه الله (جل وعلا) ليربى به الأمم والأجيال، عبر العصور والأزمان - يعرفون قدر الوقت وقيمة العمر، فكانوا يحرصون كل الحرص على كل لحظة من العمر ألا تمر إلا فى طاعة الله فهم يعلمون أن من عقوق الزمن أن

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٣٩١).
(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.
(٣) حسن: رواه البيهقى فى الشعب (١/ ٣٩٢، رقم ٥١١)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/ ٣٦١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٢٠).
(٤) حسن: رواه الترمذى (٢٤١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٢٩٩).

تمضى الساعات بلا فائدة فى دينهم أو دنياهم.

قال ابن مسعود: ما ندمت على شىء كندمى على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلى ولم يزد فيه عملى.

إذا مـــــرَّ بـى يـوم ولـم أقــتـبس هـدى

ولم أسـتـفـد عـلمًـا فـمـا ذاك مـن عـمـرى

هكذا كانت حياتهم لا تكاد تمر عليهم ساعة إلا فى طاعة الله (جل وعلا) لأنهم علموا وأيقنوا أن الوقت هو الحياة، وأن العمر هو الساعات، وأن الإنسان (أيام) فإذا ذهب يومه ذهب بعضه.

هذا هو المعنى الذى نريد أن يرسخ فى أذهان شبابنا المبارك . . نريد أن يشعروا بقدر النعمة التى تغمرهم من كل جانب وأن يستعملوا نعمة الشباب والصحة والقوة فى طاعة الله فيملأوا حياتهم بالطاعة وطلب العلم والدعوة إلى الله (جل وعلا) قبل أن تمر فترة الشباب بغير فائدة تعود عليهم وعلى أمتهم بالخير فيندموا حين لا ينفع الندم.

أسأل الله (جل وعلا) أن يحفظ شبابنا وأخواتنا وأن يستعملهم فى طاعته وفى نصرة دينه وأن يحفظهم من الفتن.

إنه ولى ذلك والقادر عليه . . . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

قيمة الوقت فى الكتاب والسنة

ولقد اعتنى القرآن الكريم والسنة المطهرة بقيمة الوقت فى حياة المسلم.

ولبيان أهمية الوقت أقسم الله (عز وجل) بالوقت فقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾(٣).

ومن المعلوم أن الله (عز وجل) لا يقسم بشىء من خلقه إلا إذا أراد أن يوضح قدره ومكانته أو ليلفت أنظار العباد إليه.

بل ولعظيم قدر الوقت ذكره الله (عز وجل) فى معرض الامتنان على عباده فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (٤).

أى: جعل الليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل فمن فاته عمل فى أحدهما فإنه يستطيع أن يتداركه فى الآخر.

ولذلك فإن من عقوق الزمان أن تمضى ساعة واحدة فى غير عمل يجلب للعبد الخير فى الدنيا أو الآخرة؛ لأن وقت المؤمن أغلى عنده من كنوز الدنيا وزهرتها الفانية.

بل ولقد جاءت السنة المطهرة لتؤكد على قيمة الوقت وتقرر أن العبد يوم القيامة سيُسأل عن أربعة أشياء منها سؤالان عن وقت العبد وعمره وشبابه فلقد قال ﷺ: «**لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال:**

---

(١) سورة العصر: الآيتان: (١، ٢).

(٢) سورة الليل: الآيتان: (١، ٢).

(٣) سورة الضحى: الآيتان: (١، ٢).

(٤) سورة الفرقان: الآية: (٦٢).

عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟»(١).

ومع أن الشباب جزء من العمر إلا أن العبد يُسأل عن العمر ثم يسأل مرة ثانية عن الشباب خاصة لأن مرحلة الشباب هى مرحلة القوة والشهوة وهى مرحلة القوة التى بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة.

كما قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ**﴾(٢).

ولذلك كان من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: «..وشاب نشأ فى عبادة الله ..» (٣).

ومن هنا جاءت السنة لتحض شباب الأمة على اغتنام تلك المرحلة فى نشر الخير وعمل الصالحات التى تعود بالنفع عليهم وعلى الأمة المباركة.

*** اعرف قيمة الوقت وشرف الزمان:**

يقول الإمام ابن الجوزى رحمه الله: «ينبغى للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة فى غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل. ولتكن نيته فى الخير قائمة - من غير فتور - بما يعجز عنه البدن من العمل.

وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات: فنقُل عن عامر بن عبد قيس أن رجلاً قال له: كلمنى. فقال له: امسك الشمس.

ودخلوا على بعض السلف عند موته وهو يصلى، فقيل له: تصلى وأنت فى هذا الحال؟ فقال: الآن تُطوى صحيفتى.

فإذا علم - وإن بالغ فى الجد - أن الموت يقطعه عن العمل، عَمِل فى حياته

---

(١) انظر السابق.

(٢) سورة الروم: الآية: (٥٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

ما يدوم له أجره بعد موته. فإن كان له شيء من الدنيا وقف وقفًا، وغرس غرسًا، وأجرى نهرًا، ويسعى فى تحصيل ذرية تذكر الله بعده، فيكون الأجر له. أو أن يصنف كتابًا من العلم، فإن تصنيف العالم ولده المخلد؛ وأن يكون عاملاً بالخير، عالمًا فيه، فينقل من فعله ما يقتدى الغير به، فذلك الذى لم يمت.

«قد مات قوم وهم فى الناس أحياء»(١).

وكان داود الطائى يستف الفتيت ويقول: بين سف الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية.

وكان عثمان الباقلاوى دائم الذكر لله تعالى، فقال: إنى وقت الإفطار أحس بروحى كأنها تخرج؛ لأجل اشتغالى بالأكل عن الذكر.

وأوصى بعض السلف أصحابه فقال: إذا خرجتم من عندى فتفرقوا، لعل أحدكم يقرأ القرآن فى طريقه، ومتى اجتمعتم تحدثتم.

واعلم أن الزمان أشرف من أن يضيع منه لحظة؛ فإن فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غُرست له نخلة فى الجنة**»(٢) فكم يضيع الآدمى من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل!

والذى يعين على اغتنام الزمان: الانفراد والعزلة مهما أمكن، والاختصار على السلام أو حاجة مهمة لمن يلقى، وقلة الأكل، فإن كثرته سبب النوم الطويل وضياع الليل، ومن نظر فى سير السلف وآمن بالجزاء بان له ما ذكرته(٣).

قال ابن أبى الدنيا: أنشدنا محمود بن الحسين:

مضى أمسك شهيدًا معدلاً
وأعقبه يوم عليك جديدُ

---

(١) صيد الخاطر (ص: ٢٠، ٢١) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٤٦٤) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٤).

(٣) صيد الخاطر (ص: ٤٧٩، ٤٨٠).

فــيومك إن أغنيتــه عــاد نفعــه
عليك ومــاضى الأمس ليس يـعـودُ
فـإن كنت بالأمـس اقـتـرفت إسـاءة
فـثنِّ بإحـســان وأنت حــمـيـدُ
فـلا ترج فـعل الخـير يومًـا إلى غـد
لعـل غــدا يأتــى وأنت فــقـيـدُ

خير الناس من طال عمره وحسن عمله

قال ﷺ : **«خير النـاس من طال عمره وحسن عـمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله»**[1].

فطول العمـر نعمة جليلة إذا استعـملها العبد فى طاعـة الله ونصرة دين الله (جل وعلا).

ومما لا شك فيه أن الإنسان بفطرته يحب الحياة، ويحب أن يطول عمره فيها، بل يحب الخلود فيها لو اسـتطاع، ومن باب هذه الغريزة - غريزة حب الخلود - دخل إبليس إلى أبى البشـر آدم، ودلاه بغروره ليأكل من الشجـرة التى نُهى عنها ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ** ﴾[2].

ولا بد أن نعلم أن العـمر الحـقـيقى للإنسـان لا يقـاس بالسنوات التى قضاها من يوم ولادته إلى يوم وفاته وإنما يقاس عمـره الحقيقى بقدر ما قدم للإسلام من عظائم الأعمال الخيِّرات الصالحات.

يقول صاحب الحِكَم: «رُب عُمْرٍ اتسعت آماده، وقَلّت أمداده، ورب عمر قليلة آماده، كثـيرة أمداده، من بورك له فى عمـره أدرك فى يسير من الزمن

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٣٠) كتـاب الزهد، وأحمد (١٩٩٠٢) أول مسند البصريـين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٩٧).

(٢) سورة طه: الآية: (١٢٠).

من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دائرة العبارة، ولا تلحقه الإشارة».

ولذلك فإنى أنصح كل شاب بأن يكون صاحب همة عالية فيحدد لنفسه هدفًا غاليًا يعيش من أجله ويسعى بكل جهده لتحقيقه .. ولكن عليه أن يختار هدفًا جليلاً كأن يطمح فى أن يكون سببًا فى هداية زملائه فى الجامعة، أو جيرانه .. ويخلص النية لله (جل وعلا) وسوف يرى ثمرة عمله فقد قال ﷺ: «**إن تصدق الله يصدقك ..**».

نبينا ﷺ .. صاحب العمر المبارك

فها هو الحبيب ﷺ يبعثه الله (جل وعلا) فى بيئة شركية تموج بالكفر موجًا .. وإذا به ﷺ يستطيع - بإذن الله - أن يقيم للإسلام دولة تملأ سمع وبصر التاريخ فى سنوات لا تساوى فى عمر الزمان شيئًا.

ويأتى النبى ﷺ يوم القيامة وأمته هى أكثر الأمم.

قال ﷺ: «**إنكم تُتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله**»(١).

وقال ﷺ: «**أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم**»(٢) .. كل هؤلاء فى ميزان حسنات النبى ﷺ.

هكذا كانت البركة فى حياة حبيبنا ﷺ .. وهو أسوتنا وقدوتنا ولذلك ينبغى عليك أيها الأخ الحبيب أن تسأل نفسك الآن: كم هدى الله على يديك من عصاة المسلمين؟ وكم أسلم على يديك من الكفار والملحدين؟

احرص أخى الحبيب على أن تكون سببًا فى هداية رجل واحد ليكون يوم القيامة فى ميزان حسناتك فلقد قال ﷺ - كما فى الصحيحين -:

(١) حسن: رواه الترمذى (٣٠٠١) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٢٨٨) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٣٠١).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٥٤٦) كتاب صفة الجنة، وابن ماجه (٤٢٨٩) كتاب الزهد، والدارمى (٢٨٣٥) كتاب الرقاق، وأحمد (٢٢٤٣١) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٢٦).

«ولأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حُمر النَّعم ..»(١).

صدّيق الأمة الأكبر رضي الله عنه

وها هو أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه أحب الناس إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إنه الرجل الذى بذل نفسه وماله وأهله لنصرة دين الله (جل وعلا) . . وبعد موت النبى صلى الله عليه وسلم تولى أبو بكر الخلافة واستطاع - بإذن الله - فى عامين ونصف أن يحول تلك المحن التى أصابت الأمة إلى منحٍ فقضى على فتنة الردة وأنفذ بعث أسامة بن زيد وجمع القرآن وردَّ الأمة إلى منهج الله وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحق من النبى صلى الله عليه وسلم أن يبشره بأن أبواب الجنة الثمانية كلها ستنادى عليه يوم القيامة.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«من أنفق زوجين من شىء من الأشياء فى سبيل الله دُعى من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعى من باب الصيام، وباب الريان»** فقال أبو بكر: ما على هذا الذى يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة. قال: وهل يُدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: **«نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»**(٢).

وفى رواية ابن حبان من حديث ابن عباس: قال صلى الله عليه وسلم: **«أجل وأنت هو يا أبا بكر»**.

فاروق الأمة عمر رضي الله عنه

وها هو فاروق الأمة عمر رضي الله عنه الذى استطاع - بإذن الله - فى عشر سنوات وستة أشهر أن يقدم للدنيا كلها قدوة لا تبلى.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٤٢) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٩٧) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٢٧) كتاب الزكاة.

قدوة تتمثل فى عاهل قد بركت الدنيا على عتبة داره مُثقلة بالغنائم والطيبات فسرَّحها سراحًا جميلاً، وساقها إلى الناس سوقًا كريمًا . . يقدم إليهم طيباتها، ويدرأ عنهم مضلاتها.

إنه عمر الذى أرهب الملوك والحكام وجاءت تحت قدميه مفاتيح أكبر إمبراطوريتين (فارس والروم) وانتشر الإسلام فى عهده شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا ورفرفت راية الإسلام على شتَّى بقاع الأرض فى فترة لا تساوى فى عمر الزمان شيئًا وهذا كله من بركة الأعمار المباركة من الله (جل وعلا).

وقفة للتأمل

أيها الأخ الحبيب: انظر إلى الخلفاء الراشدين ومن معهم من أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان كيف فتحوا الآفاق، ونشروا الإسلام، وعلموا الأمم، ونقلوها من أديانها الجاهلية، وعاداتها ولغاتها فى عشرات معدودة من السنين، حتى وقف المؤرخون حيارى أمام هذا الانقلاب الذى أحدثه الإسلام فى العالم دينيًّا، ونفسيًّا، وفكريًّا، واجتماعيًّا، وسياسيًّا فى أقل من قرن من الزمان؟!(١).

أبو هريرة رضي الله عنه

وهذا هو الصحابى الجليل أبو هريرة رضي الله عنه الذى قدم للإسلام الكثير والكثير فعلى الرغم من أنه لم يصحب النبى ﷺ إلا أربع سنوات إلا أنه أصبح من أكثر الصحابة رضي الله عنهم رواية لحديث رسول الله ﷺ حتى إنه حدَّث عنه خلقٌ كثير من الصحابة والتابعين فقيل: بلغ عدد أصحابه ثمانمائة.

عن وهب بن منبه عن أخيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: ما من أصحاب

(١) الوقت فى حياة المسلم - د/ يوسف القرضاوى (ص: ٦٠).

النبى ﷺ أحد أكثر حديثًا عنه منى، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب [(١)].

وفى عصرنا هذا أيها الأخ الحبيب فإننا لا نكاد نجد خطيبًا أو واعظًا أو محاضرًا يحدث عن الحبيب ﷺ إلا ونسمع اسم أبى هريرة رضي الله عنه فهو الذى نقل للأمة هذا العلم الغزير .. الذى يكون فى ميزان حسناته يوم القيامة حين لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

وانظر إلى رجل مثل عمر بن عبد العزيز الذى صمم أن يعود بالخلافة إلى رشدها، ويرد الحقوق والمظالم إلى أصحابها، ويؤدى الأمانات إلى أهلها، لا تأخذه فى الله لومة لائم، فلم تمض سنتان ونصف السنة (هى كل مدة خلافته) حتى ملأ الأرض قسطًا وعدلاً.

فلقد استطاع - بإذن الله تعالى- أن يضع يده على الداء الذى استشرى فى أمة الحبيب ﷺ ونجح فى أن يستلَّ جرثومته بيد بيضاء نقية وأن يعيد الأمة عودًا حميدًا إلى شرع الله وإلى سنة رسول الله ﷺ وكأنها تعيش فى زمن الوحى بين الحبيب ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم حتى خرج المنادى يقول: من كان يريد المال فليأت إلى بيت مال المسلمين... وعاد المال إلى بيت مال المسلمين كما هو؛ لأن العفاف كان شعارًا للأمة .. فنادى المنادى: من كان عليه دَين فسداد دَينه من بيت مال المسلمين .. مَن بلغ سن الزواج من الشباب أو الفتيات فزواجهم من بيت مال المسلمين .. مَن أراد أن يحج ولم يستطع فحجه من بيت مال المسلمين .. ثم أمرهم بعد ذلك عمر بن عبد العزيز أن يلقوا الحبوب فى الصحراء لكى تنعم الطيور فى عهد المسلمين ..

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١١٣) كتاب العلم.

وبقيت البركة باركـة فى بيت المال فقال عمر: ما تبقَّى من المال فـتصدقوا به على فقراء أهل الكتاب.

كل ذلك فعله عمـر رضي الله عنه فى أقل من عامين ونصف!! إنها بركـة العمر لكل من عاش على طاعة الله (جل وعلا).

خصائص الوقت

والوقت له خصائص لا بد أن نعـرفها جيدًا لكى نسـتطيع أن نغتنم كل لحظة من لحظاته، ولا يفوتنا منه شىء فنندم حين لا ينفع الندم.

١- سرعة انقضاء الوقت:

فالوقت يمر مَرَّ السحاب ويجـرى جرى الريح، وبخاصة فى هذا الزمان الذى أخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال: «**لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشـهر والشهر كـالجمعة وتكـون الجمعة كـاليوم ويكون اليوم كالسـاعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار**»[(١)].

فالأيام تمر بسرعة عـجيبة بكل ما فيهـا من أفراح وأحزان وإن كانت أيام السعـادة أسرع مـرورًا من أيام الحزن - لا فى الحـقيـقة، ولكن فى شـعور صاحبها - وصدق من قال:

مـــرت سنـين بالـوصـــال وبالهـنا
فكـأنهـــا مـن قـــصــــرهـا أيام
ثم انـشـــئت أيام هجـــر بـعــــدها
فكـأنهـــا من طـولهـــا أعـــوام

---

(١) صحيح: رواه الترمـذى (٢٣٣٢) كتاب الزهد، وصحـحه العلامـة الألبانى رحمه الله فى صـحيح الجامع (٧٤٢٢).

ثم انقضت تلك السنون وأهلها

فكأنها وكأنهم أحلام

وهذا العمر الذى يعيشه الإنسان فى الدنيا يشعر بأن يوم القيامة كأنه كان ساعة أو أقل من ذلك... كما قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ** ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ **كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا** ﴾ (٢).

٢- أن الوقت أغلى ما يملك الإنسان:

إذا كان بعض الناس يقولون: إن الوقت كالذهب فنحن نقول: بل إن الوقت أغلى من الذهب واللؤلؤ ومن كل جواهر الدنيا وزخارفها الفانية.

فالوقت هو الحياة وهو رأس مال المسلم فإذا ضاع رأس المال خسر العبد فى دنياه وآخرته، وإذا استثمر رأس المال فى طاعة الله (جل وعلا) ربح فى الدنيا والآخرة.

ومن لم يعرف قيمة الوقت فى هذه الحياة الدنيا فسوف يعرف قيمته يوم لا ينفع الندم ولا تجدى حسرة .. ولقد وصف الحق (جل وعلا) حال هؤلاء الذين لم يعرفوا قيمة الوقت فقال تعالى واصفًا حالهم عند الموت: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ **وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ (٤).

---

(١) سورة يونس: الآية: (٤٥).

(٢) سورة النازعات: الآية: (٤٦).

(٣) سورة المؤمنون: الآيتان: (٩٩، ١٠٠).

(٤) سورة المنافقون: الآيتان: (١٠، ١١).

بل وصف الحق (جل وعلا) حالهم فى الآخرة عندما يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار . . قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾(١) .

ولذا قال ﷺ : «**أعذر الله إلى امرئ أمهله حتى بلغ ستين عامًا**»(٢) فإن تلك السنوات الطويلة كافية؛ لأن يتوب المذنب وأن يعود الشارد وينتبه الغافل . . فإن لم يتب العبد بعد تلك السنوات الطويلة فقد استحق المقت والعذاب .

الخلطة مفسدة للقلب مضيعة للوقت

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «فأما ما تؤثره كثرة الخلطة: فامتلاء القلب من دخان أنفاس ابن آدم حتى يسود ويوجب له تشتتًا وتفرقًا، وهمًا وغمًا وضعفًا، وحملاً لما يعجز عن حمله من مؤنة قرناء السوء، وإضاعة مصالحه والاشتغال عنها بهم وبأمورهم، وتقسم فكره فى أودية مطالبهم وإراداتهم، فماذا بقى منه لله والدار الآخرة؟!

وهل كان على (أبى طالب) - عند الوفاة - أضر من قرناء السوء؟! لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة واحدة تجلب له سعادة الأبد .

والضابط النافع فى أمر الخلطة أن يخالط الناس فى الخير كالجمعة والجماعة، والأعياد والحج، وتعلم العلم، والجهاد، والنصيحة، ويعتزلهم فى الشر وفضول المباحات، وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم فى فضول المباحات فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله إن أمكنه، ويشجع نفسه

(١) سورة فاطر: الآيتان: (٣٦، ٣٧).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٩) كتاب الرقاق.

ويقوى قلبه ولا يلتفت إلى الوارد الشيطانى القاطع له عن ذلك، بأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحالك، ونحو ذلك، فليحاربه وليستعن بالله، ويؤثر فيهم من الخير ما يمكنه، فإن أعجزته المقادير عن ذلك فليسلَّ قلبه من بينهم كسلِّ الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضراً غائبًا، قريبًا بعيدًا، نائمًا يقظان، ينظر إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامهم ولا يعيه؛ لأنه قد أخذ قلبه من بينهم، ورقى به إلى الملأ الأعلى، يسبح حول العرش مع الأرواح العلوية الزكية، وما أصعب هذا وأشقَّه على النفوس، وإنه ليسير على من يسَّره الله عليه، فبين العبد وبينه أن يصدق الله تبارك وتعالى، ويديم اللجأ إليه، ويلقى نفسه على بابه طريحًا ذليلاً، ولا يعين على هذا إلا محبة صادقة والذكر الدائم بالقلب»(١).

٣- أن الوقت إذا مضى لا يعود:

والإنسان إذا فقد المال فإنه يستطيع أن يعوض هذا المال بل وأكثر من هذا المال الذى فقده أما إذا ضاع يوم من عمره فإنه لا يستطيع أبدًا أن يعوضه إلى قيام الساعة . . ولذا قال الحسن البصرى (رحمه الله): «ما من يوم ينشق فجره، إلا وينادى: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود منى، فإنى إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة».

فكم من رجل بلغ الأربعين أو الخمسين من عمره يتمنى أن يرجع به العمر إلى الوراء ليبدأ صفحة جديدة كلها طاعة لله (جل وعلا) . . فاحرص أخى الحبيب أن تغتنم كل لحظة من عمرك قبل أن تمر أيامك فتندم حين لا ينفع الندم.

وانظر لحال سلفنا الصالح وكيف كانوا يغتنمون كل لحظة فيما يقربهم من الله (جل وعلا) . .

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٥٤ - ٤٥٦) بتصرف.

فها هو عثمان بن عفان ﷺ كان يصلى بالقرآن كله فى ركعة الوتر . .
وها هو الشافعى (رحمه الله) الذى كان يقرأ القرآن فى شهر رمضان ستين مرة - مرة بالليل ومرة بالنهار - فانظر إلى بركة أعمارهم وسل الله (جلَّ وعلا) أن يبارك لك فى عمرك وأن يجعل أيامك عامرة بالطاعة والعطاء لدينك .

سلفنا الصالح .. وقيمة الوقت

لقد علم سلفنا الصالح (رحمهم الله) قيمة الوقت وشرف الزمان فكانوا أحرص على الدقيقة الواحدة من حرصنا على أموالنا ودنيانا كلها .
فتعالوا بنا لنطوف فى بستان سلفنا الصالح لنرى حرصهم على كل لحظة من لحظات العمر .

حماد بن سلمة (رحمه الله)

وانظر إلى سادات الرجال وحفظهم لأوقاتهم:
فهذا حماد بن سلمة، يقول عنه تلميذه عبد الرحمن بن مهدى: «لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدًا، ما قدر أن يزيد فى العمل شيئًا» .
وقال موسى بن إسماعيل التبوذكى: لو قلت لكم: إنى ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكًا، لصدقت، . . . كان مشغولاً: إما أن يحدث، أو يقرأ، أو يسبح، أو يصلى، وقد قسم النهار على ذلك .
قال يونس المؤدب: مات حماد بن سلمة وهو فى الصلاة رحمة الله عليه[١] .

* * *

(١) الحث على طلب العلم، لأبى هلال العسكرى (ص: ٨٧) .

عُبيد بن يعيش (رحمه الله)

وهذا الإمام الحافظ عبيد بن يعيش شيخ البخارى ومسلم، روى عنه عمار بن رجاء قال: «سمعت عبيد بن يعيش يقول: أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدى بالليل، كانت أختى تلقمنى وأنا أكتب الحديث»[١].

ابن عقيل (رحمه الله)

انظر - رحمك الله - إلى الإمام أبى الوفاء ابن عقيل الحنبلى وحفظه لوقته، ومعرفته بنفاسته، يقول: «إنى لا يحل لى أن أضيع ساعة من عمرى، حتى إذا تعطل لسانى عن مذاكرة أو مناظرة، وبصرى عن مطالعة، أعملت فكرى فى حال راحتى وأنا منطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لى ما أُسطره، وإنى لأجد من حرصى على العلم وأنا فى عمر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة. وأنا أقصر بغاية جهدى أوقات أكلى، حتى أختار سف الكعك، وتحسِّيه بالماء على الخبز، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفراً على مطالعة، أو تسطير فائدة لم أدركها فيه، وإن أجل تحصيل عند العقلاء - بإجماع العلماء هو الوقت، فهو غنيمة تنتهز فيها الفرص، فالتكاليف كثيرة والأوقات خاطفة».

هذا الإمام الذى يقول عنه ابن الجوزى: «كان الإمام ابن عقيل دائم الاشتغال بالعلم، وكان له الخاطر العاطر، والبحث عن الغوامض والدقائق، وجعل كتابه المسمى بـ«الفنون» مناطًا لخواطره وواقعاته، وله تصانيف كثيرة فى أنواع العلوم، وأكبر تصانيفه: «الفنون» وهو كتاب كبير جدًّا، فيه فوائد كثيرة جليلة فى الوعظ، والتفسير، والفقه وأصول الفقه، وأصول الدين،

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع - الخطيب (٢/ ١٧٨).

والنحو، واللغة والشعر، والتاريخ».

قال الذهبي: «لم يُصنَّف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب، حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربعمائة، قال ابن رجب: وقال بعضهم: هو ثمانمائة مجلدة».

فانظر رحمك الله - كيف يثمر حفظ الوقت ودأب النفس في الخير والعلم «ثمانمائة مجلدة» أكبر كتاب في الدنيا، إلى جانب تآليف كثيرة غيره.

أبو يوسف القاضي (رحمه الله)

وهذا الإمام أبو يوسف القاضي صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه.

«قال تلميذه القاضي إبراهيم بن الجراح الكوفي ثم المصري: مرض أبو يوسف فأتيته أعوده فوجدته مُغمى عليه، فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم، ما تقول في مسألة؟ قلت: في مثل هذه الحالة؟ قال: ولا بأس بذلك، ندرس لعله ينجو به ناجٍ.

ثم قال: يا إبراهيم، أيما أفضل في رمي الجمار، أن يرميها ماشيًا أو راكبًا؟ قلت: راكبًا. قال: أخطأت. قلت: ماشيًا. قال: أخطأت. قلت: قل فيها يرضى الله عنك.

قال: أما من كان يوقف عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه ماشيًا، وأما ما كان لا يوقف عنده فالأفضل أن يرميه راكبًا. ثم قمت من عنده، فما بلغت باب داره حتى سمعت الصراخ عليه، وإذا هو قد مات رحمة الله عليه»[1].

سليم الرازي (رحمه الله)

وهذا الإمام سليم الرازي أحد أئمة الشافعية المتوفى سنة (٤٤٧هـ)، قال عنه التاج السبكي: «كان - رحمه الله - من الورع على جانب قوي،

(١) الجواهر المضية (١/ ٧٦).

يحاسب نفسه على الأوقات، لا يدع وقتًا يمضى بغير فائدة، إما ينسخ أو يدرس أو يقرأ.

ابن جرير الطبرى (رحمه الله)

وقال الخطيب البغدادى: سمعت السمسمى يحكى أن ابن جرير مكث أربعين سنة، يكتب فى كل يوم منها أربعين ورقة.

وحدث تلميذه الفرغانى فى كتابه - المعروف بكتاب «الصلة»، وهو كتاب وصل به «تاريخ ابن جرير» - أن قومًا من تلاميذ ابن جرير، حصلوا أيام حياته - منذ بلغ الحلم إلى أن توفى وهو ابن ست وثمانين سنة - ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته، فصار منها على كل يوم أربع عشرة ورقة، وهذا شىء لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق.

إذا حسبنا أيام الاثنين والسبعين سنة وجعلنا لكل يوم منها أربع عشرة ورقة تصنيفًا، كان مجموع ما صنفه الإمام ابن جرير نحو ثمانى وخمسين وثلاثمائة ألف ورقة.

تبارك الله . . ماذا تبلغ الهمم!! فهو فى كثرة تآليفه بمثابة دار للنشر، وهو فرد واحد بنفسه، يكتب بقلمه لنفسه ويؤلف على ورقه بنفسه، ويخرج للناس فكره وعلمه عسلاً مصفى وزبدًا شهيًا وما كان يكون له كل ذلك لولا أنه كان يكسب وقته [١].

الخطيب البغدادى (رحمه الله)

وهذا شيخ المحدثين الخطيب البغدادى «كان يمشى وفى يده جزء يطالعه» وما ذلك إلا للحفاظ على الوقت، وكسب الزمن أن يذهب فارغًا أثناء المشى دون استفادة فى جنب العلم.

(١) قيمة الزمن (ص: ٤٣، ٤٤).

ابن الجوزى (رحمه الله)

وانظر إلى الإمام العظيم ابن الجوزى فى دُرره التى ينصح بها ولده - المسماة بـ «لفتة الكبد فى نصيحة الولد»: «اعلم يا بنى أن الأيام تبسط ساعات، والساعات تبسط أنفاسًا، وكل نفس خزانة، فاحذر أن يذهب نَفَسٌ بغير شىء فترى فى القيامة خزانة فارغة فتندم، وانظر كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب، فلا تودعها إلا إلى أشرف ما يمكن، ولا تهمل نفسك، وعودها أشرف ما يكون من العمل وأحسنه، وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه».

لقد كانت همة ابن الجوزى فى حفظ وقته علية، تدل عليها تصانيفه التى هى زبدة عمره:

قال ابن رجب فى ترجمة ابن الجوزى: «لم يترك فنًا من الفنون إلا وله فيه مصنف، . . . وسُئل عن عدد تآليفه، قال: زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفًا، منها ما هو عشرون مجلدًا، ومنها ما هو كراس واحد.

وقال الموفق عبد اللطيف: كان ابن الجوزى لا يضيع من زمانه شيئًا، يكتب فى اليوم أربعة كراريس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلدًا إلى ستين»(١).

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزى: سمعت جدى يقول على المنبر فى آخر عمره: كتبت بإصبعى هاتين ألفى مجلد»(٢).

ذكر ابن رجب الحنبلى فى «ذيل طبقات الحنابلة»(٣) أن الإمام ابن تيمية قال فى أجوبته المصرية: كان الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى كثير التصنيف والتأليف، وله مصنفات فى أمور كثيرة، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٤٠١).

(٢) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٤٤)، وذيل طبقات الحنابلة (١/ ٤٠١).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٤١٥).

مصنف، ورأيت بعد ذلك ما لم أره.

وقال الذهبى: وما علمت أحدًا من العلماء صنَّف ما صنف هذا الرجل.

ونقل القمي فى «الكنى والألقاب» أن براية أقلام ابن الجوزى التى كتب بها الحديث جُمعت فحصل منها شىء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذى يُغسَّل به بعد موته، ففعل ذلك فكفت وفضل منها [١].

فرحمة الله على شيخ الإسلام ابن الجوزى:

لا تقعدن لذكرنا فى ذكرهم
ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله)

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية، كان لا يفوت ساعة من وقته دون تعليم أو تأليف أو عبادة، حتى بلغت مؤلفاته المئات، بل لم يمكن حصرها للمتتبعين، حتى ولا للشيخ نفسه، رحمه الله.

قال ابن شاكر الكتبى: «إن تصانيفه تبلغ ثلاثمائة مجلد».

قال الذهبى: وما يبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد»[٢].

قال ابن القيم: «وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية فى سننه، وكلامه، وإقدامه، وكتابته، أمرًا عجيبًا فكان يكتب فى اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ فى جمعة أو أكثر»[٣].

وقال العلامة ابن رجب الحنبلى: «وأما تصانيفه فقد امتلأت بها الأمصار وجاوزت حد الكثرة فلا يمكن لأحد حصرها»[٤].

---

(١) فوات الوفيات (١/ ٣٨، ٤٢).

(٢) فوات الوفيات (١/ ٣٨، ٤٢).

(٣) الوابل الصيب (ص ١٠٨).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٠٣).

النووى (رحمه الله)

قال ابن العطار تلميذ النووى: «ذكر لى شيخنا رحـمه الله تعالى أنه كان لا يضيع له وقتًا، لا فى ليل ولا فى نهار، إلا فى الاشتغال بالعلم حتى فى الطريق يكرر أو يطالع، وأنه دام على هذا ست سنين، ثم أخذ فى التصنيف والإفادة والنصيحة وقـول الحق، وكان لا يأكل فى اليوم والليلة إلا أكلة بعد عشاء الآخرة، ويـشرب شربة واحدة عند السَّحَر، ويمـتنع عن أكل الفواكه والخيار، ويقول: أخاف أن يرطب جسمى ويجلب لى النوم».

قال النووى رحـمه الله: «ينبغى للـمتعلم أن يغـتنم التحـصيل فى وقت الفراغ والنشاط، وحال الشباب وقـوة البدن، ونباهة الخاطر، وقلة الشواغل قبل عوارض البطالة»(١).

أترجـــو أن تـكون وأنـت شـــيخ
كــمــا قـــد كنت أيام الـشـبــابِ
لقــد كـــذبتك نفـــسك لـيس ثوب
دريس كـــالجـــديد مـن الثـيـــابِ

ابن النفيس (رحمه الله)

أما الإمام الفـقيه مكتشف الدورة الدموية ابن النفيس، فـقال عنه الإمام برهان الدين إبراهيم الرشـيدى: «كان الـعلاء بن النفيس إذا أراد التـصنيف توضع له الأقلام مبرية، ويدير وجهه إلى الحائط، ويأخذ فى التصنيف إملاء من خاطره، ويكتب مـثل السيل إذا انحدر، فإذا كـان القلم وحفى رمى به وتناول غيره، لئلا يضيع عليه الزمان فى برى القلم»(٢).

(١) المجموع للنووى (١/ ٦٩).
(٢) الدرر الكامنة (٦/ ٨٥).

أخى الحبيب: هكذا كانت الهمم العالية فأين همتك؟!

وقفة مع النفس

أخى الحبيب: هل وقفت مع نفسك وقفة للمحاسبة؟

قف مع نفسك وقل لها: يا نفس، ما لى بضاعة إلا العمر، ومهما فنى فقد فنى رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح. وهذا اليوم الجديد قد أمهلنى الله فيه، وأنسأ فى أجلى، وأنعم علىَّ به، ولو توفانى لكنت أتمنى أن يرجعنى إلى الدنيا يومًا واحدًا حتى أعمل فيه صالحًا، فاحسبى أنك قد توفيت ثم رُددت، فإياك أن تضيعى هذا اليوم، فإن كل نفس جوهرة ثمينة.

اجتهدى اليوم فى أن تعمرى خزانتك، ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التى هى أسباب ملكك، ولا تميلى إلى الكسل والدعة، فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك، وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وإن دخلت الجنة، فألم العين وحسرته لا يطاق وإن كان دون ألم النار.

وقد قال بعضهم: هَب أن المسىء قد عُفى عنه، أليس قد فاته ثواب المحسنين؟![1].

* قال شوقى رحمه الله:

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوانٍ
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للإنسان عمرٌ ثان

قال الغزالى رحمه الله: «ويحك يا نفس، ما لك إلا أيام معدودةً، هى

(١) الإحياء (٤/٤١٨، ٤١٩).

بضاعتك إن اتجرت فيها، وقد ضيعت أكثرها، فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة فى حق نفسك، فكيف إذا ضيعت البقية وأصررت على عادتك. ما أنت إلا فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فابنى على وجه الأرض قصرك، فإن بطنها عن قليل يكون قبرك. تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك! وما نفع مال يزيد وعمر ينقص، كم من مستقبل يومًا لا يستكمله، وكم من مؤمل لغد لا يبلغه! اعملى بقية عمرك فى أيامٍ قصار لأيامٍ طوال. ومن كانت مطيته الليل والنهار، فإنه يسار به وإن يسر»(١).

الدقيقة من عمرك كيف تستثمرها

وجدت أن الدقيقة من الزمن يمكن أن يُفعل فيها خير كثير، إما قراءة آيات، كل آية فيها عشرات الحروف، كل حرف بعشر حسنات، فتصبح مئات الحسنات.

أخى المسلم اعلم أن معظم هذه المشاريع لا تكلف شيئًا أو تعبًا أو بذل جهد، بل قد تقوم بها وأنت تسير على قدميك أو راكبًا أو واقفًا أو جالسًا، وهذه المشاريع كالآتى:

١- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقرأ سورة الفاتحة (٥) مرات فتحصل على أكثر من (٧٠٠٠) حسنة.

٢- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقرأ سورة الإخلاص (١٥) مرة فإنها تعدل قراءة القرآن (٥) مرات.

٣- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير (٢٠) مرة وأجرها كعتق (٨) رقاب فى سبيل الله من ولد إسماعيل.

---

(١) الإحياء (٤/ ٤٤٥ - ٤٤٦).

٤- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول سبحان الله وبحمده (١٠٠) مرة، ومن قال ذلك فى يوم غُفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر.

٥- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله أكثر من (٤٠) مرة، وهى كنز من كنوز الجنة.

٦- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، أكثر من (١٠) مرات، وهى كلمات تعادل أضعاف مضاعفة من أجور التسبيح والذكر.

٧- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تستغفر الله أكثر من (١٠٠) مرة، فالاستغفار سبب للمغفرة، ودخول الجنة، وللمتاع الحسن وزيادة القوة، ودفع البلايا، وتيسير الأمور، ونزول المطر، والإمداد بالأموال والبنين.

٨- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تصلى على النبى ﷺ (٢٠) مرة فيصلى الله عليك مقابلها (٢٠٠) مرة.

٩- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم (٥٠) مرة، وهى كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن.

١٠- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر (٢٥) مرة، وهذه الكلمات أحب الكلام إلى الله.

١١- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: لا إله إلا الله (٥٠) مرة تقريبًا.

١٢- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن ترفع يديك وتدعو بما شئت من جوامع الكلم.

١٣- فى دقيقة واحدة: تستطيع أن تنهى عن منكر أو تأمر بمعروف أو تقدم نصيحة لأخ أو تشفع شفاعة حسنة، أو تواسى مهمومًا أو تميط الأذى عن الطريق أو تصافح عددًا من الأشخاص.

دقيقة واحدة فقط يمكن أن تزيد فى عمرك، فى عطائك، فى فكرك، فى فهمك، فى حفظك، فى حسناتك.

دقيقة واحدة تُكتب فى صحيفة أعمالك إذا عرفت كيف تستثمرها، وتحافظ عليها، فانظر كم من دقيقة؛ بل من ساعة، بل من يوم، بل من شهر، بل من سنة ذهب منا هدرًا، وضاع منا لغوًا وعبثًا، وطار هباءً منثورًا؟! وليت من ضيعها ينجو رأسًا لا له ولا عليه، بل تجد خلاف ذلك من ذنوب وخطايا وسيئات، . . . والله المستعان.

ويستطيع من صلى ركعتين خفيفتين يقتصر فيهما على الواجبات فقط كقراءة الفاتحة، وثلاثة تسبيحات فى الركوع والسجود.

أقول: يستطيع أن يصليهما فيما يقارب الدقيقة، فمن صلى كل يوم ركعتين ضحى نافلة صلى فى السنة أكثر من سبعمائة ركعة، وكل ركعة فيها سجدتان، أى: يسجد فى السنة فى صلاة الضحى أكثر من ألف وأربعمائة سجدة.

وفى الحديث الصحيح: «**إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**»(١).

فى الدقيقة الواحدة تستطيع أن تُرضى الرب، وتمحو الذنب، وأن تكتب لك عند الله بها أجرًا، وتمحو بها وزرًا، وتجعلها لك عنده ذخرًا.

وتستطيع فى الدقيقة مع الدقيقة أن تؤلف، وأن تكتب، وأن تحفظ، وأن تنمى موهبتك وأن تُجود ذاكرتك، وأن تزيد من علمك، وأن تحافظ على وِردك وأن تعمق ثقافتك، وتوسع معارفك، وتنوع مواهبك، لكن الأمر يحتاج يا أخى إلى همة، أعوذ بالله من موت الهمم، وبرود العزائم وخسة الطبع(٢).

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢١٦٣٦) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٦٩).

(٢) حدائق ذات بهجة - الشيخ/ عائض القرنى (ص: ٥ - ٧) بتصرف.

أسباب ضياع الوقت

هناك أسباب كثيرة تؤدى إلى ضياع الوقت وهدره فمن ذلك:

١- **الجهل بقيمة الوقت**: فالإنسان عدو ما يجهل، فإذا جهل الإنسان قيمة وقته أضاعه وبدَّده، ولم يعرف كيف يستثمره.

٢- **الكسل**: والكسل آفة خطيرة تقتل كل إبداع، وتجابه كل عمل مثمر وفكرٍ وقَّاد، وتنهى عن كل تغيير يدعو إلى النهوض من رقدة الغافلين.

٣- **عدم التركيز**: وهذا السبب يؤدى إلى إهدار أوقات كثيرة فى عمل لا يستحق كل هذه الأوقات، ولو كان هناك تركيز وانتباه لتوفرت كثير من الأوقات.

٤- **الغفلة**: من أهم صفات أهل الغفلة هى التفريط، كما قال سبحانه: ﴿**وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾[1] ، وأعظم تفريط كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله هو التفريط فى الوقت وإضاعته.

٥- **ضياع الهدف**: وأعنى الهدف الأسمى الذى ينبغى أن يسعى إليه كل مسلم، وهو رضا الله عز وجل والفوز بكرامته، وإلا فهناك أهداف أخرى تتنوع بتنوع الأشخاص واختلاف مشاربهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**﴾[2] واختلاف الأوقات فى هذه الأهداف الدنيوية الزائلة يؤدى إلى ضياع الهدف الأسمى الذى ينبغى أن يستحوذ على جُل وقت الإنسان.

٦- **سوء التنظيم**: ومن سوء التنظيم عدم البدء بالأهم فالمهم وهكذا، مثال ذلك أن يبذل أوقاته فى تعلم السنن قبل الفرائض، وأن يضيع أوقاته فى إحكام الفروع، بينما يظهر الخلل واضحًا عنده فى الأصول، فهذا أيضًا نوع من أنواع تضييع الأوقات.

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٢٨).

(٢) سورة الليل: الآية: (٤).

٧- **صحبة البطالين:** فمن المعلوم أن الطبع يتأثر بخصال المخالطين، فإذا خالط الإنسان مَن عُرفوا بإهمال الوقت وإضاعة العمر تأثر بهم، ومع مرور الأيام يصير مثلهم، ولذلك قال النبى ﷺ : «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»(١).

نعوذ بالله من صحبة البطالين

قال الإمام ابن الجوزى: أعوذ بالله من صحبة البطالين، لقد رأيت خلقًا كثيرًا يحبون كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطيلون الجلوس، ويجرون فيه أحاديث الناس وما لا يغنى، ويتخلله غيبة، وهذا شىء يفعله فى زماننا كثير من الناس، وربما طلبه المزور، وتشوَّق إليه واستوحش من الوحدة، وخصوصًا فى أيام التهانى والأعياد، فتراهم يمشى بعضهم إلى بعض، ولا يقتصرون على الهناء والسلام، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان، فلما رأيت أن الزمان أشرف شىء، والواجب انتهابه بفعل الخير، كرهت ذلك وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكرت عليهم وقعت وحشة لموضع قطع المألوف، وإن تقبلته منهم ضاع الزمان! فصرت أدافع اللقاء جهدى، فإذا غُلبت قصَّرت فى الكلام لأتعجل الفراق، ثم أعددت أعمالاً لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم، لئلا يمضى الزمان فارغًا، فجعلت من الاستعداد للقائهم قطع الأوراق وبرى الأقلام، وحزم الدفاتر؛ فإن هذه الأشياء لا بد منها ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شىء من وقتى»(٢).

٨- **التعلق بالدنيا ونسيان الآخرة:** فحب الدنيا حائل بين العبد وبين الاستعداد للآخرة واغتنام كل لحظات العمر فى طاعة الله (جل وعلا) . .

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وأحمد (٧٩٦٨) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٤٥).

(٢) صيد الخاطر (ص: ٣٧٥) بتصرف.

قال على ﷺ : من جُمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبًا ولا عن النار مهربًا؛ أولها من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها.

وقال الحسن: رحم الله أقوامًا كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها، ثم راحوا خفافًا . .

وقال أيضًا رحمه الله: من نافسك فى دينك فنافسه، ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره.

وقال لقمان - عليه السلام - لابنه: يا بنى إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير، فلتكن سفينتك فيه تقوى الله - عز وجل - وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله - عز وجل - لعلك تنجو وما أراك ناجيًا.

وقال لقمان لابنه: يا بنى إنك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة، فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها.

وقال لقمان لابنه: يا بنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعًا، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعًا . .

وقال مُطرف بن الشِّخِّير: لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم.

وقال ابن عباس ﷺ: إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء: جزء للمؤمن، وجزء للمنافق، وجزء للكافر. فالمؤمن يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع.

٩- طول الأمل: جميل أن نحمل فى قلوبنا أملاً لكى نعمر الكون بكل أنواع الخير، فالإنسان مفطور على حب الحياة. لكن لا بد أن نحذر من أن يحول طول الأمل بيننا وبين طاعة الله عز وجل.

فإن صاحب الأمل الطويل فى الدنيا يركن غالبًا إلى الشهوات والملذات، ولذلك نجد قلبه لا يتحرك لآيات الله وكلام رسول الله ﷺ . ومن أجل ذلك حذر النبى ﷺ من طول الأمل.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما **قال:** أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال: «**كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك (١).

زاد أحمد والترمذى: «وعُدَّ نفسك من أهل القبور»(٢).

ولقد قال تعالى عن هذا الصنف: ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ (٣).

قال الإمام القرطبى: وطول الأمل داء عضال ومرض مزمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه ولم يفارقه داء ولا نجح فيه دواء، بل أعيا الأطباء ويئس من برئه الحكماء والعلماء.

وحقيقة الأمل: الحرص على الدنيا والانكباب عليها، والحب لها والإعراض عن الآخرة .. ولذا قال رسول الله ﷺ : «**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل**»(٤).

وقال الحسن: ما أطال عبدٌ الأمل إلا أساء العمل، ... وصدق رضي الله عنه! فالأمل يكسل عن العمل ويورث التراخى والتوانى ويعقب التشاغل والتقاعس، ويخلد إلى الأرض ويميل إلى الهوى.

وهذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان ولا يُطالَب صاحبه ببرهان، كما أن قِصر الأمل يبعث على العمل، ويحيل على المبادرة، ويحث على المسابقة(٥).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٦) كتاب الرقاق.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٣٣) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٤) كتاب الزهد، وأحمد (٤٩٨٢) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٧٩).

(٣) سورة الحجر: الآية: (٣).

(٤) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٧/ ٣٣٢، رقم ٧٦٥٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٤٥).

(٥) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبى (١٠/ ٧، ٨).

وقال على ﷺ: إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسى الآخرة.

١٠- **التسويف**: ومن أعظم أسباب ضياع الوقت (التسويف) فإن العبد يظن أنه سيعيش ألف سنة فيقول: سوف أصلى .. سوف أتوب .. إلى أن ينقضى العمر كله بلا توبة ولا عمل صالح، ولذا جاءت وصية الحبيب ﷺ حيث قال: «**اغتنم خمسًا قبل خمس حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»(١).

فاحذر أخى الحبيب من التسويف فإن كلمة (سوف) جند من جنود إبليس فلا تؤخر التوبة ولا تؤجل العودة إلى الله (جل وعلا) فكل لحظة تعيشها فى طاعة الله فأنت فى جنة الدنيا التى ستثمر لك بعد ذلك جنة الآخرة.

قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾(٢).

قال الحسن البصرى (رحمه الله): لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت الفكرة من عمله، والذكر من شأنه، والمحاسبة من همته، ولا يزال بشرٍّ ما استعمل التسويف، واتبع الهوى، وأكثر الغفلة، ورجح فى الأمانى(٣).

---

(١) صحيح: رواه الحاكم (٤/ ٣٤١ ، رقم ٧٨٤٦)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٢٦٣ ، رقم ١٠٢٤٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٢) سورة آل عمران: الآيات: (١٣٣ - ١٣٦).

(٣) الزهد للحسن البصرى (ص: ١٣٨).

١١- الإفراط فى الأكل والنوم والسهر والكلام:

فكما قيل: من أكل كثيراً شرب كثيراً فنام كثيراً وخسر أجراً كبيراً. فكثرة الأكل والنوم والسهر والكلام والخلطة تضيع الوقت الذى هو كنزك الحقيقى. فاحرص أخى الحبيب على أن لا تكثر من الطعام والنوم والسهر حتى لا يفوتك الخير الكثير.

وحسبك أن النبى ﷺ: «كان لا يشبع من خبز الشعير»(١).

قال ﷺ: **«ما ملأ آدمى وعاء شرًا من بطنه، وبحسب ابن آدم لقيمات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»**(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير(٣).

وعن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير(٤).

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت تقول: والله يا ابن أختى إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين، وما أوقد فى أبيات رسول الله ﷺ نار.

قلت: يا خالة فما كان يُعيشكم؟

قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا(٥).

١٢- اتباع الهوى: فالهوى ملكٌ غَشوم جَهول يهوى بصاحبه إلى كل شر

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٤١٤) كتاب الأطعمة.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٨٠) كتاب الزهد، وابن ماجه (٣٣٤٩) كتاب الأطعمة، وأحمد (١٦٧٣٥) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٧٤).

(٣) حسن: رواه الترمذى (٢٣٦٠) كتاب الزهد، وابن ماجه (٣٣٤٧) كتاب الأطعمة، وأحمد (٣٣٠٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٨٩٥).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٥٤١٤) كتاب الأطعمة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٥٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٧٢) كتاب الزهد والرقائق.

في الدنيا، والهلاك في الآخرة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما ما ذكر الله الهوى في موضع من كتابه إلا وذمَّه.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [1].

بل خاطب نبيه ﷺ قائلاً له: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [2].

أخي الحبيب: اعلم أن الهوى يحول بينك وبين الاستجابة لأمر الله ولأمر رسول الله ﷺ فقد قال تعالى لرسوله ﷺ: **﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾** [3].

فما عليك إلا أن ترفع شعار «سمعنا وأطعنا» كما رفعه أصحاب النبي ﷺ فرفع الله قدرهم في الدنيا وادخر لهم النعيم المقيم في الجنة.

١٣- الفراغ: قال ﷺ: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»** [4].

قال الحافظ ابن حجر: فمن استعمل صحته وفراغه في طاعة الله فهو المغبوط ومن استعمل صحته وفراغه في معصية الله فهو المغبون.

* **والفراغ ثلاثة أنواع:** الفراغ القلبي والفراغ النفسي والفراغ العقلي.

فأما عن الفراغ القلبي فهو أن يفرغ القلب من الإيمان، واليقين والرضا بالله.

قال ﷺ - كما في الصحيحين -: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» [5].

---

(١) سورة الجاثية: الآية: (٢٣).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٢٨).

(٣) سورة القصص: الآية: (٥٠).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

وقال ﷺ : «**ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر بينما القمر يضيء إذ علته سحابة فأظلم إذ تجلَّت**»(١) .

فكذلك نور الإيمان في القلب إن حُجب بسحائب الظلم والمعاصي؛ لأن أصل النجاة ومدار الفلاح على إيمان العبد بالله (جل وعلا) .

ومن المعلوم أن فراغ القلب يُعرض العبد للفتنة كما قال ﷺ : «**تُعرض الفتن على القلوب عرض الحصير عودًا عودًا، فأى قلب أُشربها نُكتت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا، لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، إلا ما أُشرب من هواه**»(٢) .

فعلاج الفراغ القلبي بزيادة الإيمان . . والإيمان يزداد بكثرة الطاعات وينقص بالمعاصي والسيئات .

قال ابن مسعود رضي الله عنه: تفقَّد قلبك في ثلاثة مواطن: عند سماع القرآن وفي مجالس الذكر والعلم وفي وقت الخلوة بينك وبين ربك (عز وجل) فإن لم تجد قلبك في تلك المواطن فابحث عن قلبك فإنه لا قلب لك .

وجاء رجل إلى الإمام سفيان الثوري (رحمه الله) وكان يشتكي من أنه مريض بمرض البعد عن الله . . فقال له سفيان الثوري: يا هذا عليك بعروق الإخلاص وورق الصبر وعصير التواضع، ضع هذا كله في إناء التقوى وصُبَّ عليه ماء الخشية وأوقد عليه نار الحزن على المعصية وصَفِّه بمصفاة المراقبة له، وتناوله بكف الصدق واشربه من كأس الاستغفار وتمضمض بالورع وابعد عن الحرص والطمع يشفى مرض قلبك بإذن الله .

وأما عن الفراغ النفسي . . فالنفس إن لم تشغلها بالطاعات شغلتك

(١) حسن: رواه الطبراني في الأوسط (٥/ ٢٤٧ ، رقم ٥٢٢٠)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٨٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٤) كتاب الإيمان.

بالمعاصى والسيئات ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى﴾(١) .

ولقد دَلَّ الحق (جل وعلا) النفس على الطريقين: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(٢) .

فشبابنا إذا فرغت نفوسهم قاموا إلى كل معصية وانشغلوا بالفتن والشهوات . . والنفس كالطفل لو فطمها الإنسان مرة بعد مرة لاعتادت الطاعة ولأحست بلذة الطاعة ولم تشعر بالثقل أبداً.

فالناس صنفان: صنف قد انتصر على نفسه وقهرها وألجمها بلجام الطاعة وجعلها مطية إلى رضوان الله وجنته . . وصنف قهرته نفسه وغلبته وقادته إلى معصية ومن ثم إلى الهلاك فى الدنيا والآخرة.

وملء الفراغ النفسى لا يكون إلا بالطاعة والانشغال بعمل يعود على العبد فى دنياه وآخرته.

وأما عن الفراغ العقلى: فحياة صاحبه فى دمار وآخرته بوار. . . ألم تسمع إلى نصائح أهل النار وهم فى النار يتصايحون ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٣) .

فاعلم أيها الأخ الحبيب أنك تحمل قضية دين وقضية أمة . . فعمرك أغلى من أن تفرط فيه وتضيعه فيما لا يعود بالنفع عليك وعلى أمتك المسلمة.

* * *

(١) سورة يوسف: الآية: (٥٣).

(٢) سورة الشمس: الآيات: (٧-١٠).

(٣) سورة الملك: الآيتان: (١٠، ١١).

واجب المسلم نحو الوقت

فإذا علمت أيها الأخ الحبيب قيمة الوقت، وتيقنت بأن الوقت هو الحياة فما بقى إلا أن تتعرف على واجبك نحو الوقت وأن تعرف الأسباب التى تعينك على اغتنام كل لحظة من لحظات العمر.

١- الحرص على الدقائق قبل الساعات:

فيجب على المسلم أن يحافظ على وقته وأن يغتنم الدقائق قبل الساعات فى كل ما يعود بالخير عليه وعلى أمته المسلمة.

وقد كان السلف ﷺ أحرص ما يكونون على أوقاتهم، لأنهم كانوا أعرف الناس بقيمتها.

يقول الحسن البصرى: أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصًا على دراهمكم ودنانيركم.

ومن هنا كان حرصهم البالغ على عمارة أوقاتهم بالعمل الدائب والحذر أن يضيع شىء منه فى غير جدوى.... يقول عمر بن عبد العزيز: إن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما!

وكانوا يقولون: من علامة المقت إضاعة الوقت،... ويقولون: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك.

وفى هذا قال الشاعر:

إذا مرَّ بى يوم ولم أقتبس هدى

ولم أستفد علمًا فما ذاك من عمرى

وقال حكيم: من أمضى يومًا من عمره فى غير حقٍّ قضاه، أو فرضٍ أداه، أو مجد أثله، أو حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق

يومه، وظلم نفسه!

وكانوا يعتبرون من كفران النعمة، ومن العقوق للزمن: أن يمضى يوم لا يستفيدون منه لأنفسهم، ولا للحياة من حولهم نموًّا فى المعرفة، ونموًّا فى الإيمان، ونموًّا فى عمل الصالحات.

يقول ابن مسعود ﷺ: ما ندمت على شىء ندمى على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلى ولم يزد فيه عملى!

قتلة الوقت!!

وإذا كان هذا هو حرص سلفنا على الوقت، وتقدير قيمته وخطره، فإن مما يُدمى القلب، ويمزق الكبد أسى وأسفًا: ما نراه اليوم عند المسلمين من إضاعة للأوقات فاقت حد التبذير وإلى التبديد.

والحق أن السفه فى إنفاق الأوقات أشد خطرًا من السفه فى إنفاق الأموال، وإن هؤلاء المبذرين المبددين لأوقاتهم، لأحق بالحجر عليهم من المبذرين لأموالهم؛ لأن المال إذا ضاع قد يُعوض، والوقت إذا ضاع لا عوض له.

ومن العبارات التى أصبحت مألوفة لكثرة ما تدور على الألسنة، وما تقال فى المجالس والأندية عبارة: «قتل الوقت» فترى هؤلاء المبذرين أو المبددين يجلسون الساعات الطوال من ليل أو نهار حول مائدة النرد، أو رقعة الشطرنج، أو لعبة الورق، أو غير ذلك - مما يحل أو يحرم - لا يبالون، لاهين عن ذكر الله وعن الصلاة، وعن واجبات الدين والدنيا، فإذا سألتهم عن عملهم هذا وما وراءه من ضياع، قالوا لك بصريح العبارة: إنما نريد أن نقتل الوقت! وما يدرى هؤلاء المساكين أن من قتل وقته فقد قتل فى الحقيقة نفسه! فهى جريمة انتحار بطىء تُرتكب على مرأى ومسمع من الناس، ولا

يعاقب أحد عليها! وكيف يعاقب عليها من لا يشعر بها، ولا يدرى مدى خطرها؟![١].

فلا تقعد معهم

إن أكثر الناس لا يعرفون قيمة الوقت ولا شرف الزمان . . ترى بعضهم يقضى الساعات الطويلة على المقهى أو أمام التلفاز أو أمام رقعة الشطرنج فإذا سألته ماذا تصنع؟

يقول لك: أجلس لأقتل الوقت!!

وهو لا يدرى أنه بذلك يقتل نفسه قتلاً بطيئًا . . ولو أنه جلس يقرأ فى كتاب الله لاستطاع أن يقرأ حوالى ثمانية أجزاء ونصف فى ثلاث ساعات فيتحصل على مليون حسنة لأن الثمانية أجزاء والنصف تحتوى على ما يقرب من مائة ألف حرف والحرف بعشرة حسنات فيكون المجموع مليون حسنة فمن سيربح المليون؟!!

أخي الحبيب: عوِّد نفسك التسبيح فى كل وقت وآن، الهج بالذكر حتى يكون لك عادة، اتخذ المصحف رفيقًا فى حضرك وسفرك.

لقد صاحبنا الأصحاب والأحباب، ورافقنا الأصدقاء والإخوان، فإذا القلب لا يصلح إلا مع الرب جل فى علاه، ما أكرمه وأحلمه وأعظمه، إذا استغفرته غفر لك، إن سألته أعطاك، إن أخطأت سترك، إن عدت إليه قَبِلك، إن ذكرته ذكرك ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[٢][٣].

٢- اطرد الفراغ بالعمل:

كان السلف الصالح يكرهون من الرجل أن يكون فارغًا، لا هو فى أمر

---

(١) الوقت فى حياة المسلم د/ يوسف القرضاوى (ص:١٨).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٩١).

(٣) حدائق ذات بهجة (ص: ١٩٠).

دينه، ولا هو فى أمر دنياه، وهنا تنقلب نـعمة الفراغ نقمة على صـاحبها، رجلاً كان أو امـرأة، ولهذا قيل: الفراغ للرجال غـفلة وللنساء غلمة، أى: محـرك للغريزة، والتـفكير فى أمـر الشهـوة. وهل كان تعلق امـرأة العزيز بيوسف وشغفهـا به، وتدبيرها المكايد لإيقاعه فى شباكهـا، إلا نتيجة الفراغ الذى تعيش فيـه. . . ويشتد خطر الفراغ إذا اجتمع مع الفـراغ الشباب الذى يتميز بقوة الغريزة(١).

يقـول الشيـخ عائض القـرنى (حـفظه الله): إن أخطر حالات الذهن يوم يفرغ صاحبـه من العمل فيبقى كالسيارة المسـرعة فى انحدار بلا سائق تجنح ذات اليمين وذات الشمال.

يوم تجد فى حـياتك فراغًـا فتهـيأ حينها لـلهم والغم والفزع، لأن هذا الفراغ يسحب لك كل ملفـات الماضى والحاضر والمستقـبل من أدراج الحياة، فيجعلك فى أمـرٍ مَريج، ونصيحتى لك ولنفسى: أن تقوم بأعـمال مثمرة، بدلاً من هذا الاسترخاء القاتل، لأنه وأد خفى، وانتحار بكبسول مُسكِّن.

إن الفراغ أشبه بالتعذيب البطىء الذى يُمارَس فى سجون الصين، بوضع السجين تحت أنبوب يقطر كل دقيـقة قطرة، وفى فترات انتظار هذه القطرات يصاب السجين بالجنون.

الراحة غـفلة، والفراغ لص مـحتـرف، وعقلك هو فـريسة ممزقـة لهذه الحروب الوهمية.

إذًا قُم الآن صَلِّ أو اقــرأ، أو ســبح، أو طالع، أو اكـــتب، أو رتب مكتبتك، أو أصلح بيتك، أو انفع غـيرك حتى تقضى على الفراغ وإنى لك من الناصحين.

اذبح الفراغ بسكين العمل، يضـمن لك أطباء العالم ٥٠٪ من السعادة

---

(١) الوقت فى حياة المسلم (ص: ١٩).

مقابل هذا الإجراء الطارئ فحسب، انظر إلى الفلاحين، والخبازين والبنائين يغردون بالأناشيد كالعصافير فى سعادة وراحة وأنت على فراشك تمسح دموعك وتضطرب[١].

٣- تحرى الأوقات الفاضلة:

فكما أن الله (عز وجل) فضَّل بعض الأماكن على بعض وبعض الأشخاص على بعض فإنه فضل أيضًا بعض الأزمنة على بعض ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ** ﴾[٢].

فلقد فضل الله (عز وجل) من الشهور شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن فهو موسم المؤمنين ومتجر الصالحين، وميدان المتسابقين فلقد كان أصحاب النبى ﷺ يسألون الله ستة أشهر أن يُبلغهم شهر رمضان فإذا جاء الشهر فصاموه وقاموه سألوا الله ستة أشهر أن يتقبل منهم شهر رمضان.

وهو شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النيران.

قال ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**»[٣].

وقال ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٤].

وقال ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٥].

وفضل الله (جل وعلا) من أيام العام: أيام العشر من ذى الحجة وأفضلها يوم عرفة ..

قال ﷺ: «**ما من أيام أحب إلى الله العمل فيهن من هذه الأيام**» يعنى: العشر. قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله، قال: «**ولا الجهاد فى**

---

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ١٢٢، ١٢٣).

(٢) سورة القصص: الآية: (٦٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٦٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٥٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٠١) كتاب الصوم، ومسلم (٧٦٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

سبيل الله، إلا أن يخرج بنفسه وماله، فلا يرجع من ذلك بشيء»(١).

وقال ﷺ: «صيام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله»(٢).

وقال ﷺ: «من صام يوم عرفة غفر الله له سنتين؛ سنة أمامه، وسنة خلفه»(٣).

وفضل الله (عز وجل) من أيام الأسبوع: يوم الجمعة «وهو عيد المسلمين وفيه فريضة صلاة الجمعة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خُلق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أُخرج منها»(٤)

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة، فاستمع وأنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصى، فقد لغا»(٥).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة، فكأنما قرب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام، حضرت الملائكة يستمعون الذكر»(٦).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٩٦٩) كتاب الجمعة.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٧٤٩) كتاب الصوم، وابن ماجه (١٧٣٠) كتاب الصيام، وأحمد (٢٢٠٢٤) باقي مسند الأنصار، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٨٥٣).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (١٧٣١) كتاب الصيام، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٣٣٥).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٨٥٤) كتاب الجمعة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٨٥٧) كتاب الجمعة.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٨٨١) كتاب الجمعة، ومسلم (٨٥٠) كتاب الجمعة.

وعنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة، فقال: «**فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلى يسأل الله شيئًا، إلا أعطاه إياه**»[(١)].

وفضَّل الله (عز وجل) من الساعات ساعات السَّحَر، وهى الثلث الأخير من الليل حيث ينزل الحق (جل وعلا) إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله.

قال ﷺ: «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له؟ من ذا الذى يسألنى فأعطيه؟ من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر»[(٢)].

وقال ﷺ: «أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الآخر؛ فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن»[(٣)].

ولهذا وصف الله المتقين المحسنين بقوله: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[(٤)].

فينبغى للمسلم أن يتعرض لتلك النفحات، وأن يتحرى تلك الأوقات ليفوز بالمغفرة والرحمة من رب الأرض والسماوات (جل وعلا).

ميزان اليوم .. وميزان العمر

لقد كان بعض السلف يسمون الصلوات الخمس: «ميزان اليوم»، ويسمون الجمعة «ميزان الأسبوع» ويسمون رمضان «ميزان العام» ويسمون الحج: «ميزان العمر» حرصًا منهم على أن يسلم لأحدهم يومه أولاً، فإذا

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٩٣٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٨٥٢) كتاب الجمعة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٥٧٩)، والنسائى (٥٧٢) كتاب المواقيت، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٧٣).

(٤) سورة الذاريات: الآيات: (١٥ - ١٨).

مضى اليوم كان همه فى سلامة الأسبوع، ثم فى سلامة العام ثم فى سلامة العمر، فى النهاية. . وذلك هو مسك الختام[١].

٤- تنظيم الأوقات:

وينبغى للإنسان المؤمن أن ينظم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة، دينية كانت أو دنيوية، حتى لا يطغى بعضها على بعض، ولا يطغى غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا غير الموقوت على الموقوت، فما كان مطلوبًا بصفة عاجلة يجب أن يبادر به ويؤخر ما ليس له صفة العجلة، وما كان له وقت محدد يجب أن يُعمل فى وقته.

وفى صحف إبراهيم - عليه السلام - «ينبغى للعاقل - ما لم يكن مغلوبًا على عقله - أن يكون له أربع ساعات: ساعة يناجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فى صنع الله (عز وجل) وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب».

وأحوج الناس إلى تقسيم الوقت وتنظيمه هم المشغولون من الناس من أصحاب المسؤوليات، لتزاحم الأعباء عليهم، حتى إنهم ليشعرون أن الواجبات أكثر من الأوقات.

ومن تنظيم الوقت أن يكون فيه جزء للراحة والترويح، فإن النفس تسأم بطول الجد، والقلوب تمل كما تمل الأبدان، فلا بد من قدر من اللهو والترفيه المباح، كما قال على ﷺ: روِّحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلب إذا أُكره عمى.

ولا يحسن بالمرء المسلم أن يرهق نفسه بالعمل إرهاقًا يضعف من قوته، ويحول دون استمرار مسيرته، ويحيف على حق نفسه، وحق أهله، وحق مجتمعه، ولو كان هذا الإرهاق فى عبادة الله تعالى صيامًا وقيامًا وتنسكًا وزهدًا.

---

(١) الوقت فى حياة المسلم (ص: ١٢).

ولهذا قال النبى ﷺ لأصحابه لما رآهم تكاثروا للصلاة خلفه فى الليل: «**خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قَلّ**»(١).

وفى موقف آخر قال: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا**» (٢).

ونصح من بالغ فى القراءة والقيام والصيام بالاقتصاد والاعتدال قائلاً: «**إن لبدنك عليك حقًّا وإن لأهلك عليك حقًّا، وإن لزورك عليك حقًّا**» (٣).

وقال لآخرين غلوا فى الطاعة والزهد: «**إنما أنا أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنى أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى**» (٤).

فهذه هى سنته، وهذا هو منهجه - عليه الصلاة والسلام -: منهج التوسط والاعتدال بين الروحية والمادية، والموازنة بين حظ النفس وحق الله (جل جلاله).

ومن ثم لا يرى الإسلام بأسًا أن يكون للإنسان جزء من وقته لترويح نفسه بالحلال الطيب من متاع الحياة وزينتها، ولهوها ولعبها.

ولهذا لما سمع الرسول ﷺ حنظلة (أحد أصحابه) وقد اتهم نفسه بالنفاق، لتغير حاله فى بيته ومع أهله وولده عن حاله عند رسول الله ﷺ قال له: «**يا حنظلة، لو بقيتم على الحال التى تكونون عليها عندى، لصافحتكم الملائكة فى الطرقات، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**»(٥)(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٧٨٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٩) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٩٧٤) كتاب الصوم، بنحوه.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٦٣) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٠١) كتاب النكاح.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٠) كتاب التوبة.

(٦) الوقت فى حياة المسلم (ص: ٢٣، ٢٤).

هذا هو عمرك الثانى

وتستطيع أيها الأخ الحبيب أن تطيل عمرك فتكون بمثابة الأحياء وأنت ميت وتؤدى رسالة الأحياء وأنت مقبور. وذلك إذا تركت وراءك ما ينتفع به الناس من علم نافع أو عملٍ صالح، أو ذرية مباركة لتكون امتداداً لحياتك، ولذا قال ﷺ : **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٌ جاريةٌ، أو علمٌ ينتفع به، أو ولدٌ صالحٌ يدعو له»** (١).

وقال ﷺ : **«مَن سَنَّ فى الإسلام سُنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ..»** (٢).

وقال ﷺ : **«إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا نشره، وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته، تلحقه من بعد موته»**(٣).

وقال ﷺ : **«أربعة تجرى عليهم أجورهم بعد الموت: من مات مرابطًا فى سبيل الله، ومن علم علمًا أجرى له عمله ما عُمل به، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجرى له ما وجدت، ورجل ترك ولدًا صالحًا فهو يدعو له»**(٤).

وقال ﷺ : **«سبع يجرى للعبد أجرهن، وهو فى قبره بعد موته: من علَّم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته»**(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١٧) كتاب العلم.

(٣) **حسن**: رواه ابن ماجه (٢٤٢) فى مقدمة سننه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٣١).

(٤) **حسن**: رواه أحمد (٢١٧٤٤) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٧٧).

(٥) **حسن**: رواه أبو نعيم فى الحلية (٢/ ٣٤٤) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٣/ ٢٤٨ ، رقم ٣٤٤٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٠٢).

أنشد أبو الوليد الباجى:

إذا كنت أعلم علمًا يقينًا
بأن جميع حياتى كساعة
فلِمَ لا أكون ضنينًا بها
وأجعلها فى صلاح وطاعة

الإنسان ابن ساعته

إننا لابد أن نعلم أن الإنسان ابن ساعته وأن العذاب الذى يمر به أو النعيم الذى يعيش فيه ينتهى الإحساس به فى نفس اللحظة التى ينتهى فيها.

فلو سألت إنسانًا عاش سبعين سنة فى المرض ثم أصبح فى عافية وصحة: هل مر بك مرض قط؟ لقال لك: لا. ولو سألت إنسانًا عاش فى العافية والصحة سبعين سنة ثم أصبح فى مرض وعجز. هل مرت بك صحة أو عافية قط؟ لقال لك: لا.

وهذا مثال بسيط لكل من تعجل لذائذ الدنيا الفانية وابتعد عن طاعة الله.. فإنه مع أول غمسة فى النار ينسى نعيم الدنيا كلها ولا يذكر منه شيئًا.

وأما من عاش على الطاعة ورضى بقضاء الله وصبر على ضيق العيش وشدة الحاجة والمرض .. فإنه مع أول غمسة فى الجنة ينسى كل هذا الشقاء ولا يذكر إلا نعيم تلك الغمسة.

فاحذروا أن تضحوا بالنعيم الأبدى من أجل تلك اللذة المؤقتة التى يعقبها عذاب الله وسخطه.

قال ﷺ : «يؤتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ فى جهنم صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مَرَّ بك نعيم قط؟

فيقول: لا والله يا رب، ويؤتَى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مر بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط» (١).

وأخيرًا .. يومك يومك

وفى ختام هذه الرسالة القصيرة أقول لك أيها الأخ الحبيب: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء .. ومن أجل ذلك فعليك أن تعيش يومك فتقدم فيه كل ما تستطيع لتجنى ثماره فى الآخرة .. فقدِّم صلاة خاشعة وتلاوة بتدبر وإطلاعًا بتأمل، وذكرًا بحضور، واتزانًا فى الأمور، وحسنًا فى خلق، ورضًا بالمقسوم، واهتمامًا بالمظهر، واعتناء بالجسم، ونفعًا للآخرين.

لليوم هذا الذى أنت فيه فتُقسِّم ساعاته وتجعل من دقائقه سنوات، ومن ثوانيه شهور، تزرع فيه الخير، تسدى فيه الجميل، تستغفر فيه من الذنب، تذكر فيه الرب، تتهيأ للرحيل، تعيش هذا اليوم فرحًا وسرورًا، وأمنًا وسكينة، ترضى فيه برزقك، بزوجتك، بأطفالك، بوظيفتك، ببيتك، بعلمك، بمستواك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢)، تعيش هذا اليوم بلا حزن، ولا انزعاج، ولا سخط، ولا حقد، ولا حسد.

إن عليك أن تكتب على لوح قلبك عبارة واحدة تجعلها أيضًا على مكتبك تقول العبارة: يومك يومك(٣).

أخى الحبيب .. أختى الحبيبة: أوصيكم مرة ثانية بأن تحددوا هدفًا نبيلاً يجلب لكم السعادة فى الدارين ويعود بالخير على الأمة الإسلامية وبالنفع على بلادكم ليكون ذلك كله فى ميزان حسناتكم .. فليجلس الآن كل

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٤٤).

(٣) حدائق ذات بهجة (ص: ٢١٠، ٢١١).

واحد منكم مع نفسه ويحدد هدفه من الآن ويسعى لتحقيقه عسى الله أن ينفع به الكون كله.

وإن لم تستطع أن تفعل شيئًا فعليك أن تدل الناس على الخير فـ«**الدَّالُّ على الخير كفاعله**»[١] فأسأل الله (جل وعلا) أن يستعملنى وإياكم فى طاعته وفى الدعوة إليه وأن يجعل أيامنا عامرة بالطاعة والعطاء للإسلام: إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٧٠) كتاب العلم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٠٥).

الشباب..
ولذة الشوق
إلى الله



مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣).

أما بعد:

فإن من عباد الله عباداً تكاد قلوبهم تطير شوقًا للقاء الله (جل وعلا) حتى إن الواحد منهم يشتهى الموت؛ لأنه موعد مع الحبيب (جل جلاله).

قال ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»(٤).

* **وقال أحدُ الصالحين:** إنَّ لله عباداً أحبوه واطمأنوا إليه، فذهب عنهم

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).
(٢) سورة النساء: الآية: (١).
(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٠٨) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٦٨٦) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

التأسُّف على الفائت، فلم يتشاغلوا بحظٍّ أنفسهم.

* وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾(١) «النفس المؤمنة اطمأنت إلى الله واطمأنَّ إليها، وأحبت لقاء الله وأحب لقاءها، ورضيت عن الله ورضي عنها، فأمر بقبض روحها، فغفر لها وأدخلها الجنة، وجعلها من عباده الصالحين».

أحنُّ بأطراف النهار صبابة
وفي الليل يدعوني الجوى فأُجيبُ
وأيامنا تفنى وشوقي زائدٌ
كأنَّ زمان الشوق ليس يغيبُ

لله قوم صعَّدوا أنفاسهم إلى محبوبهم، لا يخرج ويصعد نَفَسٌ منها إلا مُتلبسًا بمحبته والشوق إليه، فإذا أرادوا دفعه لم يدفعوه حتى يُتبعوه نفسًا آخر مثله، فكُلّ أنفاسهم بالله وإلى الله، فلا يفوتهم نفس من أنفاسهم مع الله إلا إذا غلبهم النوم.

* فالشوق يا أخي إلى الله (عز وجل) نسيم يهب على القلوب يُطيِّب لها السير إلى بلاد المحبوب، . . . إلى الله وإلى الدار الآخرة.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٢).

قال أبو عثمان الحيري: هذا تعزية للمشتاقين، معناه: إني أعلم أن اشتياقكم إليَّ غالب، وأنا أجَّلتُ للقائكم أجلاً، وعن قريب يكون وصولكم إلى ما تشتاقون إليه.

وقال ﷺ: «اللهم بعلمك الغيب، وقُدرتك على الخلق، أحيني ما علمت

---

(١) سورة الفجر: الآية: (٢٧).

(٢) سورة العنكبوت: الآية: (٥).

الحياة خيراً لى، وتوفنى إذا علمت الوفاة خيراً لى. اللهم وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الإخلاص فى الرضا والغضب، وأسألك القصد فى الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، فى غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة. اللهم زيِّنا بزينة الإيمان واجعلنا هُداة مُهتدين» (١).

وقد كان رسول الله ﷺ يفرح بالمطر ويتلقاه بثوبه، ولما يُسأل فى ذلك يقول: «**إنه حديث عهدٍ بربه**» (٢). وفى هذا من الشوق إلى المولى (عز وجل) ما فيه.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع أصحاب القلوب التقية النقية التى اشتاقت للقاء الله (جل وعلا) . . عسى الله أن يجمعنا بأصحاب تلك القلوب فى الجنة . . إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) صحيح: رواه النسائى (١٣٠٥) كتاب السهو، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن النسائى.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٩٨) كتاب صلاة الاستسقاء.

أنواع الشوق

والشوق نوعان:

الشوق إلى اللقاء (الشوق إلى الجنة): فهذا يزول باللقاء.

وشوق في حال اللقاء: وهو تعلُّق الروح بالمحبوب تعلقًا لا ينقطع أبدًا، فلا تزال الروح مشتاقةً إلى مزيد هذا التعلق، ولذا يشتد.

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته
حتى يعود إليه الطرف مشتاقا

ويقول الشاعر:

ومن عجبٍ أنى أحنُّ إليهمُ
وأسألُ شوقًا عنهم وهم معى
وتبكيهم عينى وهم فى سوادها
ويشكو النوى قلبى وهم بين أضلعى

علامة الشوق

قال يحيى بن معاذ: علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات.

وقال أبو عثمان: علامته حبُّ الموت مع الراحة والعافية، كحال يوسف لما أُلقى فى الجُبِّ لم يقل: «توفنى».

ولما أُدخل السجن لم يقل: «توفنى». ولما تم له الأمر والأمن والنعمة قال: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾[1][2].

* * *

(١) سورة يوسف: الآية: (١٠١).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٥٤).

الشوق إلى لقاء الله .. رأس مال العبد

* قال الإمام ابن القيم (رحمه الله):

الشوق إلى لقاء الله: رأس مال العبد، وملاك أمره، وقوام حياته الطيبة، وأصل سعادته وفلاحه ونعيمه، وقرَّة عينه.

والراغبون ثلاثة أقسام: راغبٌ فى الله، وراغبٌ فيما عند الله، وراغبٌ عن الله؛ فالمحبُّ راغبٌ فى الله، والعامل راغب فيما عنده، والراضى بالدنيا من الآخرة راغب عنه، ومن آثر الله على غيره آثره الله عليه غيره ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾(٢).

قال يحيى بن معاذ: يخرج العارف من الدنيا ولا يقضى وطره من شيئين: بكائه على نفسه، وشوقه إلى ربه.

وقال ذو النون: إذا استحكمت معانى المحبة فى قلب المؤمن، سكن بعدها الشوق، فإذا اشتاق أدَّاه الشوق إلى الأُنس بالله، فإذا أَنِس بالله اطمأنَّ إلى الله، فإذا اطمأنَّ كان ليله فى نعيم، ونهاره فى نعيم، وسرّه فى نعيم، وعلانيته فى نعيم.

ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة

وفى «الصحيحين»: عن أنس: أن رجلاً سأل النبى ﷺ قال: متى الساعة يا رسول الله؟

قال: **«ما أعددت لها؟»**.

---

(١) سورة الشرح: الآيتان: (٧، ٨).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٥٩).

قال: ما أعددت لها من كبيـر صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكنِّى أحبُّ الله ورسوله.

فقال رسول الله ﷺ: «**أنت مع من أحببت**».

وفى رواية للبخارى: فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: «**نعم**».

قال أنس: ففرحنا يومئذٍ فرحًا شديدًا.

وفى رواية لمسلم: قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قوله: «**أنت مع من أحببت**».

قال أنس: فأنا أُحبُّ الله (عـز وجل) ورسوله ﷺ، وأبا بكر وعـمر وأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم(١).

قال بعض العارفين: يكفى للمحبين شرفًا هذه المعيَّة.

وقال سـمنون: «ذهب المحبـون بشرف الدنيا والآخـرة؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «المرءُ مع من أحب». فهم مع الله فى الدنيا والآخرة».

وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

المحبة هى المنزلة التى فـيها تنافس المتنافسون، وإليهـا شخص العاملون، وإلى علمها شـمَّر السابقون، وعليهـا تفانى المحبون، وبروح نسيـمها تروَّح العابدون؛ فهى قُوت القلوب وغذاء الأرواح وقُـرَّة العيون، وهى الحياة التى مَن حُرمـها فهـو من جملة الأموات، والنور الذى من فـقده فهـو فى بحار الظلمات، والشفاء الذى من عُدِمه حلَّت بـقلبه جميع الأسقام، واللذَّة التى من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام.

وهى روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال، التى متى خلت منها فهى كالجسد الذى لا روح فيه، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٨٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة والآداب.

بشقِّ الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدًا واصليها، وتُبوئهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها. وهى مطايا القوم التى مسراهم على ظهورها دائمًا إلى الحبيب، وطريقهم الأقوم الذى يُبلِّغهم إلى منازلهم الأولى من قريب.

تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة! إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب.

وقد قضى الله، يوم قدّر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة؛ أن المرء مع من أحب، فيا لها من نعمة على المحبين سابغة!!

تالله لقد سبق القوم السعاة، وهم على ظهور الفرش نائمون، وقد تقدموا الركب بمراحل، وهم فى سيرهم واقفون.

من لى بمثل سيرك المدلَّلِ

تمشى رويدًا وتجى فى الأولِ

أجابوا منادى الشوق إذ نادى بهم: حىَّ على الفلاح. وبذلوا نفوسهم فى طلب الوصول إلى محبوبهم، وكان بذلُهم بالرضا والسماح، وواصلوا إليه المسير بالإدلاج والغدو والرواح.

تالله لقد حمدوا عند الوصول سُراهم، وشكروا مولاهم على ما أعطاهم. وإنما يحمدُ القومُ السُّرى عند الصباح.

أول نقدة من أثمان المحبة بذلُ الروح، فما للمفلس الجبان البخيل وسومها؟!

بدمِ المحبِّ يُباعُ وصلُهُمُ

فمن الذى يبتاعُ بالثمن

تالله ما هزلت فيستامها المفلسون، ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة

المُعسرون، لقد أُقيمت للعرض فى سُوق من يزيد فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس، فتأخر البطَّالون وقام المحبُّون ينظرون أيهم يصلح أن يكون ثمنًا؟ فدارت السلعة بينهم ووقعت فى يد ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(١)، لما كثر المُدَّعون للمحبة طُولبوا بإقامة بينة على صحة الدعوى، فلو يُعطَى الناس بدعواهم، لادَّعى الخليُّ حُرقة الشجى. فتنوَّع المدَّعون فى الشهود، فقيل: لا تُقبل هذه الدعوى إلا ببيِّنة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(٢)، فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع الحبيب فى أفعاله وأقواله وأخلاقه، فطولبوا بعدالة البيِّنة بتزكية ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾(٣) فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون، فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم، فهلمُّوا إلى بيعة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾(٤)، فلما عرفوا عظمة المشترى وفضل الثمن، وجلالة من جرى على يديه عقد التبايُع، عرفوا قدر السلعة وأن لها شأنًا، فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمنٍ بخس، فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضى من غير ثبوت خيار، وقالوا: «والله لا نقيلك ولا نستقيلك».

فلما تم العقد وسلَّموا المبيع، قيل لهم: مُذْ صارت نفوسكم وأموالكم لنا؛ رددناها عليكم أوفر ما كانت ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(٥).

وإذا غُرست شجرةُ المحبة فى القلب، وسُقيت بماء الإخلاص ومتابعة

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٥٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٣١).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٥٤).

(٤) سورة التوبة: الآية: (١١١).

(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٦٩).

الحبيب؛ أثمرت أنواع الثمار، وآتت أُكُلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت فى قرار القلب، وفرعها متصل بسدرة المنتهى.

لا يزال سعى المحب صاعدًا إلى حبيبه لا يحجبه دونه شىء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[(١)][(٢)].

والذين آمنوا أشد حبًا لله

إن أهل الدنيا إذا انشغلوا بدنياهم فإن المؤمنين لا ينشغلون إلا بربهم ومولاهم (سبحانه وتعالى).

* فالمؤمن يقدم محبة الله على كل المحابِّ، ويؤثر رضاه على رضا الناس جميعًا.. فهو صادق فى محبته لله (جل وعلا).

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[(٥)].

---

(١) سورة فاطر: الآية: (١٠).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٦، ٩) بتصرف.

(٣) سورة التوبة: الآية: (٢٤).

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٦٥).

(٥) سورة المائدة: الآية: (٥٤).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾(١).

قال ابن عباس فى هذه الآية: كانت المرأة إذا أتت النبى ﷺ لتُسلم؛ حلّفها بالله ما خرجت من بغض زوج إلا حبًّا لله ورسوله.

وقفة لطيفة

* فى «الصحيحين»: عن أنس، عن النبى ﷺ قال: «**والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين**»(٢).

* وفى «الصحيحين» أيضًا: أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: يا رسول الله، والله لأنت أحب إلىَّ من كل شىء إلا من نفسى.

فقال: «**لا يا عمر، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك**».

فقال: والله لأنت أحب إلىَّ من نفسى.

فقال: «**الآن يا عمر**»(٣).

قال الحافظ ابن رجب: «ومعلوم أن محبة الرسول ﷺ إنما هى تابعة لمحبة الله (جل وعلا)، فإن الرسول ﷺ إنما يُحَب موافقة لمحبة الله له، ولأمر الله بمحبته وطاعته واتباعه. فإذا كان لا يحصل الإيمانُ إلا بتقديم محبة الرسول على الأنفس والأولاد والآباء والخلق كلهم، فما الظن بمحبة الله (عز وجل)؟!».

* * *

---

(١) سورة الممتحنة: الآية: (١٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٥) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٤) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٦٣٢) كتاب الأيمان والنذور.

درجات المحبة

ذكر الإمام ابن رجب رحمه الله أن محبة الله (عز وجل) على درجتين فقال: «ومحبة الله سبحانه وتعالى على درجتين:

* **إحداهما فرض لازم:** وهى أن يحبَّ الله سبحانه محبة توجب له محبة ما فرضه الله عليه، وبُغض ما حرَّمه عليه، ومحبة لرسوله المبلّغ عن أمره ونهيه، وتقديم محبته على النفوس والأهلين، والرضا بما بلغه عن الله من الدين، وتلقِّى ذلك بالرضا والتسليم، ومحبة الأنبياء والرسل والمتبعين لهم بإحسان جملة وعمومًا لله (عز وجل)، وبغض الكفار والفجار جملة وعمومًا لله (عز وجل).

وهذا القدر لابد منه فى تمام الإيمان الواجب، ومن أخلّ بشىء منه فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك.

قال الله (عز وجل): ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[1]، وكذلك ينقص من محبته الواجبة بحسب ما أخلّ من ذلك، فإن المحبة الواجبة تقتضى فعل الواجبات وترك المحرمات.

* **قال الحسن بن آدم:** أَحِبّ الله يحبك الله، واعلم أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته.

* **وسُئل ذو النون:** متى أحب ربى؟

قال: إذا كان ما يبغض عندك أمرّ من الصبر.

* **وقال بشر بن السُّرى:** ليس من أعلام الحب أن تحبّ ما يبغض حبيبك.

---

(١) سورة النساء: الآية: (٦٥).

* وقال أبو يعقوب النهرجورى: كل من ادعى محبة الله (جل جلاله) ولم يوافق الله فى أمره فدعواه باطلة. وكل محبٍّ ليس يخاف الله فهو مغرور.

الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين: وهى أن ترتقى المحبة إلى ما يحبه الله من نوافل الطاعات، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات، وإلى الرضا بما يقدره ويقضيه، مما يؤلم النفوس من المصائب، وهذا فضل مستحبّ مندوب إليه، وفى «صحيح البخارى» عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل: من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه. ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتُه كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه**»(١).

* وعن عامر بن قيس أنه قال: أحببت الله (عز وجل) حبًّا سهَّل علىَّ كل مصيبة، ورضانى بكل قضية، فما أبالى مع حبى إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت.

قلوب تشتاق إلى الله

وها هم أصحاب القلوب الطاهرة التى اشتاقت للقاء الله (جل وعلا).

* وعلى رأس هؤلاء جميعًا سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ، فهو الذى لما حضرته الوفاة وخُيِّر بين البقاء فى الدنيا وبين لقاء الله فاختار لقاء الله (جل وعلا).

* عن عائشة قالت: «كنت أسمع أنه لا يموت نبىٌّ حتى يُخيَّر بين الدنيا والآخرة. قالت: فسمعت النبى ﷺ فى مرضه الذى مات فيه، وأخذته

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

بُحَّةٌ، يقول: ﴿مع الَّذين أنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداءِ والصَّالِحين وَحَسُن أُولَٰئك رَفيقًا﴾ [(١)]، قالت: فظننت أنه خيِّر» [(٢)].

وفى رواية قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يقول: وهو صحيح «إنه لم يُقبض نبى قط، حتى يرى مقعده فى الجنة ثم يُخيَّر» قالت عائشة: فلما نزل برسول الله ﷺ، ورأسه على فخذى، غُشى عليه ساعة ثم أفاق [(٣)] فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: «**اللهم! الرفيق الأعلى**».

قالت عائشة: قلت: إذًا لا يختارنا [(٤)].

* بل كان النبى ﷺ من شدة حبه لله (جل وعلا) يقوم الليل حتى تتورم قدماه فسألته أمُّنا عائشة رضي الله عنها وقالت: يا رسول الله أنت تفعل ذلك وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول لها ﷺ: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**» [(٥)].

* وفى يوم الطائف لما اشتد إيذاء أهل الطائف للنبى ﷺ ودخل بستانًا ودعا دعاءه المعروف [(٦)] - وكان من بينه-: «**إن لم يكن بك علىَّ غضبٌ فلا أُبالى**» [(٧)].

وكأن النبى ﷺ يريد أن يقول: يا رب أنت تعلم مدى حبى لك فإن كنت عنى راضيًا فسوف أتحمل ما هو أكثر من ذلك . . . فأنا أسعى دائمًا إلى رضاك.

---

(١) سورة النساء: الآية: (٦٩).

(٢) أخرجه البخارى (٤٤٣٥) المغازى، ومسلم (٢٤٤٤) فضائل الصحابة.

(٣) أفاق: استيقظ.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤٦٣) كتاب المغازى، ومسلم (٢٤٤٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٣٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨١٩) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٦) وإن كان قد ضعفه بعض أهل العلم.

(٧) ضعيف: ضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى تحقيقه لكتاب فقه السيرة (ص ١٢٥).

أبو بكر الصديق يسبق الأمة بحبه لله

عن بكر المُزَنى قال: ما فاق أبو بكر أصحاب محمد ﷺ بصوم ولا صلاة؛ ولكن بشيء وقَرَ فى قلبه.

قال إبراهيم: بلغنى عن ابن عُلَيَّة أنه قال فى عقيب هذا الحديث: الذى كان فى قلبه الحبُّ لله (عز وجل) والنصيحة لخلقه(١).

اللهم حببنى إليك وإلى ملائكتك ورسلك

كان ابن عمر يدعو على الصفا والمروة وفى مناسكه: «اللهم اجعلنى ممن يحبك، ويحبك ملائكتك، ويحب رسلك، ويحب عبادك الصالحين، اللهم حَبِّبنى إليك وإلى ملائكتك، وإلى رُسلك وإلى عبادك الصالحين»(٢).

غدًا نلقى الأحبة

* وها هو بلال رضي الله عنه الذى لما حضرته الوفاة، وإذا بزوجته تقول: واحزناه فكان يقول لها: بل وافرحاه غدًا ألقى الأحبة محمدًا وحزبه.

مرحبًا بالموت مرحبًا

* وها هو معاذ بن جبل رضي الله عنه المشتاق للقاء الله (جل وعلا).

لما اشتد به نزع الموت، فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه فقال: اخنق خنقك، فوعزتك إنك لتعلم أنى أحبك.

وفى «الزهد» لأحمد: لما حضره الموت - يعنى معاذًا - قال: «أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحبًا بالموت مرحبًا زائرًا مغيَّب، وحبيبٌ جاء

---

(١) استنشاق نسيم الأنس / ابن رجب الحنبلى (ص: ١٣).

(٢) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٤١).

على فـاقة، اللهم إنى قـد كنت أخافك فـأنا اليوم أرجـوك، اللهم إن كنت تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البـقاء فيها لـكرى الأنهار، ولا لغرس الأشجـار، ولكن لظمأ الهـواجر، ومكابدة السـاعات، ومـزاحمة الـعلماء بالركب عند حِلق الذكر»[1].

اللهم إنى أحب لقاءك فأحب لقائى

وها هى تلكم الكلمات التى خرجـت من فم هذا الصحابى الجليل الذى أحب الله (عز وجل) من أعماق قلبه . . إنه أبو هريرة الذى ملأ الكون كله بعطر حديث النبى ﷺ .

عن سلم بن بشير أن أبا هريرة بكى فى مرضه: فقيل: ما يُبكيك؟ قال: ما أبكى على دنياكم هذه، ولكن على بُعد سـفرى، وقلة زادى، وأنى أمسيتُ فى صعود، ومهبطى على جنة أو نار، فلا أدرى إلى أيهما يُؤخذ بى.

وعن المقـبرى، قال: دخل مـروانُ على أبى هريرة فى شكواه، فـقال: شفاك الله يا أبا هريرة. فقال: اللهم، إنى أُحبُّ لقاءك، فأحبَّ لقائى.

يتمنى أن يتمزق جسده حبًّا لله

وها هو صاحب القلب الذى امتلأ حبًّا لله (جل وعلا).

ها هو الصحابـى الجليل عبد الله بن جحش رضي الله عنه الذى كـان يشتهى أن يتحول جسده إلى أشلاء حبًّا لله (جل وعلا).

* فعن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه أنه قال: لما كانت «أُحدٌ» لقينى عبد الله ابن جحش وقال: ألا تدعو الله؟ فقلت: بلى.

فخلـونا فى ناحيـة فدعوتُ فـقلت: يا رب إذا لقيت العـدو فلقِّنى رجلاً

---

(١) الزهد للإمام أحمد (ص: ١٨٠، ١٨١).

شديدًا بأسُهُ، شديدًا حردهُ[١]، أُقاتله ويُقاتلنى، ثم ارزقنى الظفر عليه حتى أقتله وآخُـذ سلبه، فأمَّن عـبد الله بن جحش على دعـائى، ثم قال: اللهم ارزقنى رجلاً شديدًا حردهُ، شديدًا بأسـه، أُقاتله فيك ويُقاتلنى، ثم يأخذنى فيـجدع - يقطع - أنفى وأُذنى، فـإذا لقيـتك غدًا. قلت: فيـم جُدِعَ أنفك وأُذُنُك؟

فأقول: فيك وفى رسولك، فتقول: صدقت.

قال سعد بن أبى وقاص: لقد كانت دعوة عبـد الله بن جحش خيرًا من دعوتى، فلقد رأيتُـهُ آخر النهار، وقد قُتل ومُثِّل به، وإنَّ أنفـه وأُذنه لمعلقتان على شجرةٍ بخيط[٢].

حكيم بن حزام .. سيدٌ شعاره الحب

كـان رضي الله عنه يطوف بالبيت ويقـول: لا إله إلا الله، نِعمَ الربُّ ونعم الإله، أحبُّه وأخشاه.

* وها هو العباس يوصى ابنه بحب الله:

«عن عبد الله بن إبراهيم القرشى قـال: لما نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت، قال لابنه عبـد الله: إنى موصيك بحبِّ الله وحبِّ طاعـته، وخوف الله وخوف معصيته، وإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك»[٣].

* وهذا أبو الدرداء رضي الله عنه المشتاق إلى ربه (عز وجل).

«كان رضي الله عنه يقول: أحبُّ الموت اشـتياقًا إلى ربى، وأحبُّ الفقـرَ تواضعًا لربى، وأحبُّ المرض تكفيرًا لخطيئتى».

* وهذا هو الفتح بن شخروف الذى طال شوقه إلى الله.

---

(١) حرده: غضبه وثورته.

(٢) صفة الصفوة (١/ ١٥٩) بتصرف.

(٣) استنشاق نسيم الأنس (ص: ١٢٨).

صحبَ رجلٌ الفتح بن شخروف بن داود ثلاثين سنة.

قال: فلم أره رفع رأسه إلى السماء، إلا مرة واحدة، رفع رأسه وفتح عينيه ونظر إلى السماء، ثم قال: قد طال شوقى إليك، فعجِّل قدومى عليك.

* وهذا عبد الله بن زكريا يتمنَّى الموت شوقًا إلى ربه:

قال (رحمه الله): لو خُيِّرتُ بين أنْ أعيش مائةَ سنة فى طاعة الله، أو أُقبض فى يومى هذا أو فى ساعتى هذه؛ لاخترتُ أن أقبض فى يومى هذا أو فى ساعتى هذه؛ شوقًا إلى الله وإلى رسوله ﷺ، وإلى الصالحين من عباده.

* وقال عبيد الله بن محمد التميمى: سمعتُ امرأة من المتعبدات تقول: والله، لقد سئمت من الحياة، حتى لو وجدتُ الموتَ يُباعُ لاشتريته؛ شوقًا إلى لقاء الله وحبًّا للقائه.

قال: فقلت لها: أَفَعلَى ثقة أنت من عملك؟

قالت: لا، ولكن لحبِّى إيَّاه، وحُسن ظنى به، أفتراه يعذِّبنى وأنا أحبه؟!

* وقال سفيان: كان بالكوفة رجلٌ متعبِّد من همذان، فذكروا عنه أنه كان يقول: إذا ذكرتُ القدوم على الله كنتُ أشدَّ اشتياقًا إلى الموت من الظمآن الشديد ظمؤه، فى اليوم الحارِّ الشديد حرُّه، إلى الشراب البارد الشديد بردُه.

إن تعذبنى فإنى أحبك

وها هو الرجل الذى امتلأ قلبه حبًّا لله (جل وعلا) حتى قالها من أعماق قلبه: سيدى إن تعذبنى فإنى أحبُّك.

قال سليم النحيف: رمقتُ عُتبة ذات ليلة، فما زاد ليلته تلك على هذه

الكلمات: إن تعذبنى فإنى لك محبٌّ، وإن ترحمنى فإنى لك محبٌّ. فلم يزل يرددها ويبكى حتى طلع الفجر.

وقال محمد بن فهد المدينى: كان عتبة يصلِّى هذا الليل الطويل، فإذا فرغ رفَع رأسه فقال: سيدى! إن تعذِّبنى فإنى أُحبُّك، وإن تعف عنى فإنى أُحبك.

ما وصلت حتى عملت ستة أشياء

وها هو صاحب الهمة العالية فى محبته لله (جل وعلا) . . إنه سمنون ابن حمزة الخواص الذى قال له بعض الخلفاء:

يا سمنون! كيف وصلت إليه؟ قال: ما وصلتُ حتى عملتُ ستة أشياء: أمتُّ ما كان حيًّا وهو النفس، وأحييتُ ما كان ميتًا وهو القلب، وشاهدتُ ما كان غائبًا وهو الآخرة، وغيَّبتُ ما كان شاهدًا وهى الدنيا، وأبقيتُ ما كان فانيًا وهو المراد، وأفنيتُ ما كان باقيًا وهو الهوى، واستوحشتُ مما تستأنسون، وأنِستُ مما تستوحشون.

رُوحى إليك بكلِّها قد أجمعتْ
لو أنَّ فيك هلاكها ما أقْلعتْ
تبكى عليك بكُلِّها فى كلِّها
حتى يُقال من البكاء تقطعت(١)

* * *

(١) عقلاء المجانين للحسن بن حبيب النيسابورى (ص: ١٠٩).

يحيى بن معاذ .. صاحب الهمة العالية

وها هو يحيى بن معاذ الرازى (المحب) الذى عبَّر عن حبه لله (جل وعلا) بكلمات تُنقش على صفحات القلوب بماء الذهب.

قال (رحمه الله): «اللهمَّ لا تجعلنا ممن يدعو إليك بالأبدان، ويهرب منك بالقلوب، يا أكرم الأشياء علينا، لا تجعلنا أهون الأشياء عليك».

وقال (رحمه الله): «عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه؟! ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبُّه؟! وحبُّه يُدهش العقول فكيف وُدُّه؟! ووُدُّه يُنسى ما دونه فكيف لطفه؟!

وقال: أولياؤه أُسراءُ نعمه، وأصفياؤه رهائنُ كرمه، وأحباؤه عبيد مننه، فهم عبيد محبةٍ لا يُعتقون، ورهائن كرم لا يُفكُّون، وأسراء نِعَمٍ لا يُطلقون.

* وقال (رحمه الله) فى وصف المحبين: قوم على فرش من الذِّكر، فى مجلس من الشوق، وبساتين من المناجاة، بين رياض الأطراب، وقُصور الهيبة وفناء مجلس الأنس، معانقى عرائس الحكمة بصدور الأفهام، مناعى زفرات الوجد وجوه الآخرة بفنون الأفراح، تعاطوا بينهم كأس حبِّه، سقاهم فيها، وغوتهم على شُربها فرقان الشجى، تجرى فى الأكباد تُديم عليهم ذكر الحبيب، ويبلبلهم معها هيمان الوجود.

طرب الحب على الحبِّ
مع الحبِّ يدومْ
عجبًا لمن رأيناه
على الحب يلومْ
حولَ حبِّ الله ما عشت
مع الشوق أحوم

وبه أقعد ما عشت
حياتى وأقوم

وقال أيضًا رحمه الله:

نفسُ المحبِّ إلى الحبيب تَطَّلعُ
وفؤادُه من حبِّه يتقطَّعُ
عزَّ الحبيبُ إذا خلا فى ليله
بحبيبه يشكو إليه ويضرعُ
ويقوم فى المحراب يشكو بثَّه
والقلبُ منه إلى المحبة ينزعُ(١)

(الجنيد) تاج العارفين وسيد المحبين فى عصره

قال الكتانى: جرتْ مسألة فى المحبة بمكة أيام الموسم، فتكلَّم فيها الشيوخ، وكان الجنيد أصغرهم سنًّا، فقالوا: هات ما عندك يا عراقى، فأطرق رأسه ودمعت عيناه، ثم قال: «عبدٌ ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرقت قلبه أنوارُ هيبته، وصفا شربه من كأس وُدِّه، وانكشف له الجبَّار من أستار غيبه، فإن تكلَّم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرَّك فبأمر الله، وإن سكت فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله». فبكى الشيوخ وقالوا: «ما على هذا مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين».

* * *

(١) انظر ترجمته فى الحلية (١٠/ ٥١ - ٧٠).

كلامٌ من ذهب

* وقال هرم بن حيَّان: المؤمن إذا عرف ربَّه عز وجل أحبَّه، وإذا أحبه، أقبل إليه، وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة، ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة، وهى تُحسِّره فى الدنيا وتروِّحه فى الآخرة.

وقال أبو سليمان الداراني: إنَّ من خلقِ الله خلْقًا ما يشغلهم الجنانُ وما فيها من النعيم عنه، فكيف يشتغلون عنه بالدنيا؟!»(١).

وقال أبو سليمان الداراني: مَن كان اليوم مشغولاً بنفسه، فهو غداً مشغول بنفسه، ومن كان اليوم مشغولاً بربه، فهو غداً مشغول بربه.

وقال الشاعر:

أروحُ وقد ختمت على فؤادى
بحبِّك أن يحلَّ به سواكا
فلو أنى استطعت غضضت طرفى
فلم أنظر به حتى أراكا
أُحبُّك لا ببعضى بل بكلِّى
وإن لم يُبق حبُّك لى حِراكا
وفى الأحباب مختصٌّ بوجد
وآخرُ يدَّعى معه اشتراكا
إذا اشتبكت دموعٌ فى خدود
تبيَّن من بكى ممن تباكى
فأمَّا من بكى فيذوبُ وجدًا
وينطق بالهوى من قد تباكى

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٣١٣).

* ودخلوا على عابد فى البصرة وهو يجود بنفسه وهو يقول: أنا عطشان لم أُروَ من حبِّ ربى وجائع لم أشبع من حبِّ ربى.

الذين أحبهم الله (عز وجل)

وإليك أخى الحبيب باقة عطرة من هؤلاء الأطهار الذين أحبهم العزيز الغفار (جل وعلا) فأعلى قدرهم فى الدنيا والآخرة.

محبة الله (جل وعلا) لإبراهيم (عليه السلام)

انظر أخى الحبيب كيف أن الله (عز وجل) لما أحب إبراهيم (عليه السلام) جعل له النار بردًا وسلامًا .. ولمَ لا؟ وهو الذى أحبه وزكَّاه فى كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾(١).

محبته (جل وعلا) لموسى (عليه السلام)

وتأمل معى كيف أنه (جل وعلا) لما أحب موسى (عليه السلام) ألقى عليه محبة منه، فلما رأته امرأة فرعون قالت لفرعون: ﴿**قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا**﴾(٢).

وكل ذلك بستارٍ شفاف لا يراه أحد ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي**﴾(٣).

بل لقد أنقذه الله (جل وعلا) وشق له البحر نصفين وأهلك عدوَّه

(١) سورة النحل: الآيتان: (١٢٠، ١٢١).
(٢) سورة القصص: الآية: (٩).
(٣) سورة طه: الآية: (٣٩).

فرعون وجنوده فى البحر.

بل لقد كلمه الحق (جل وعلا) كما قال فى كتابه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(١).

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢).

بل لقد كتب له الألواح بيديه الكريمتين (جل وعلا).

محبة الخالق للحبيب محمد ﷺ

ولو أردنا أن نتكلم عن محبة الحق (جل وعلا) للحبيب محمد ﷺ فلن نستطيع أن نصف ذلك الحب أبدًا.

فمن محبته للحبيب ﷺ أنه جعله خاتم الأنبياء والمرسلين وجعله قدوة للعالمين فشرح له صدره ورفع له ذكره ووضع عنه وزره، وزكَّاه تزكية تفوق الخيال، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٣).

وأخبر عن منزلته فى الملأ الأعلى عند رب العالمين وعند الملائكة المقربين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾(٤)، ثم أمر أهل الأرض من المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ليجتمع له الثناء من أهل السماء والأرض، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٥).

بل أخذ الله الميثاق على جميع النبيين والمرسلين إن بُعث فيهم الحبيب محمد ﷺ أن يؤمنوا به وينصروه، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٦٤).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٤٤).

(٣) سورة القلم: الآية: (٤).

(٤)، (٥) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾(١) .

بل لقد أقسم الله بحياة النبى ﷺ فقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٢) ، ولم يُقسم الحق (جل وعلا) بحياة أحد من البشر غير النبى ﷺ .

ونهى الحق (جل وعلا) أمة الحبيب ﷺ عن مجرد رفع الصوت فوق صوته إعظامًا له ﷺ فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾(٣) .

وأيَّده بالكثير والكثير من المعجزات الحسية والمعنوية(٤) .

بل لقد جعله الله (عز وجل) سيد ولد آدم يوم القيامة وجعل الشفاعة العظمى للحبيب ﷺ يوم أن يقول كل نبى: «نفسى نفسى» .

وأعطاه الله نهر الكوثر وهو نهر الجنة . . وأعطاه سبعين ألفًا من أمته يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

وجعل له أعلى منزلة فى الجنة وهى الوسيلة التى لا تكون إلا للنبى ﷺ .

محبة الله (جل وعلا) لخديجة رضي الله عنها

بل تأمل معى كيف أن الله (عز وجل) لما أحب خديجة رضي الله عنها أرسل إليها جبريل (عليه السلام) ليبلغها السلام من الله (جل وعلا) ويبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٨١).

(٢) سورة الحجر: الآية: (٧٢).

(٣) سورة الحجرات: الآية: (٢).

(٤) من أراد الوقوف على تلك المعجزات فليرجع إلى كتابنا «من معجزات الرسول ﷺ».

عن أبى هريرة ﷺ قال: أتى جبريل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنِّى، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»(١).

محبة الله (جل وعلا) لفاروق الأمة عمر

انظر لما أحب الله (جل وعلا) فاروق الأمة عمر ﷺ ماذا صنع معه .. فلقد أنزل الله (عز وجل) الكثير من الآيات التى توافق رأى عمر ﷺ.

ويا لها من منزلة عظيمة ومنقبة جليلة أكرم اللهُ بها فاروق الأمة ﷺ حيث وافقه فى كثيرٍ من المواقف، فأنزل القرآن موافقًا لرأى عمر ﷺ.

عن أنس ﷺ قال عمر: وافقت ربىِّ فى ثلاث(٢): فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصلى فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾(٣)، وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يُكلِّمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبى ﷺ فى الغيرة عليه.

فقلت لهن: عسى ربُّه إن طلقكنَّ أن يُبدله أزواجًا خيرًا منكنَّ، فنزلت هذه الآية(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٢١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) قال الحافظ فى الفتح: قوله (وافقت ربى فى ثلاث) أى وقائع، والمعنى وافقنى ربى فأنزل القرآن على وفق ما رأيت لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلى نفسه، أو أشار به إلى حدوث رأيه، وقدم الحكم، وليس فى تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفى الزيادة عليها؛ لأنه حصلت له الموافقة فى أشياء غير هذه من مشهورها منها قصة أسارى بدر، وقصة الصلاة على المنافقين. ثم قال (رحمه الله): وأكثر ما وقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر، لكن ذلك بحسب المنقول. اهـ. (فتح ٦٦٥/ ١).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٢٥).

(٤) أخرجه البخارى (٤٠٢) الصلاة، وأحمد (١٥٧) والنسائى فى الكبرى (٨/ ١٣).

وفى رواية مسلم قال: «وافقت ربى فى ثلاث: فى مقام إبراهيم، وفى الحجاب، وفى أُسارى بدر»(١).

رجلٌ يحبه الله ورسوله ﷺ

وها هو علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه فى يوم خيبر يشهد له النبى ﷺ بأنه يُحب الله ورسوله ﷺ ويحبه الله ورسوله ﷺ وبأن الله سيفتح على يديه.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله».

قال: فبات الناس ليلتهم، أيُّهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلُّهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «**أين على بن أبى طالب؟**» فقيل: هو يا رسول الله يشتكى عينيه. قال: فأرسلوا إليه فأُتى به، فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأنَّه لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الراية . . »(٢).

عرش الرحمن (جل وعلا) يهتز لموته

وتالله إنى لأجد نفسى عاجزًا عن وصف محبة الله (جل وعلا) لهذا الصحابى الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه . . الذى بلغت محبة الله له أن جعل عرشه يهتز فرحًا بقدوم روحه يوم أن مات. بل وأرسل له سبعين ألفًا من الملائكة يشيعون جنازته.

قال ﷺ : «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»(٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤٨٣) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٣٩٩) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٢١٠) كتاب المغازى، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٠٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٦٦) كتاب فضائل الصحابة.

وعن أسماء بنت يزيد بن سكن قالت: لما تُوفى سعد بن معاذ، صاحت أمه فقال النبى ﷺ: «ألا يرقا دمعك ويذهب حزنك بأن ابنك أول من ضحك الله له واهتز له العرش؟»(١).

قال الإمام النووى (رحمه الله): قوله ﷺ: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»(٢) اختلف العلماء فى تأويله.

فقالت طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش: تحركه فرحًا بقدوم روح سعد وجعل الله تعالى فى العرش تميزًا، حصل به هذا ولا مانع منه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾(٣)وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار(٤).

* وعندما حمل الصحابة جنازة سعد قالوا: ما حملنا يا رسول الله ميتًا أخفَّ علينا منه.

قال: «ما يمنعه أن يخفَّ وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قطُّ قبل يومهم، قد حملوه معكم»(٥).

* بل ويخبر النبى ﷺ عن مناديل سعد بن معاذ فى الجنة:

عن أبى إسحاق قال: سمعتُ البراء يقول: أُهديت لرسول الله ﷺ حُلةُ حريرٍ، فجعل أصحابه يلمسونها، ويعجبون من لينها، فقال: «أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة، خيرٌ منها وألين»(٦).

قال الإمام النووى (رحمه الله): قال العلماء: هذه إشارة إلى عظيم منزلة سعد فى الجنة، وأن أدنى ثيابه فيها خير من هذه؛ لأن المنديل أدنى الثياب؛

(١) ضعيف: رواه أحمد (٢٧٠٣٤)، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ظلال الجنة (٥٥٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٠٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٦٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) سورة البقرة: الآية: (٧٥).

(٤) مسلم بشرح النووى (١٦/ ٣٢).

(٥) أخرجه ابن سعد (٣/ ٢/ ٧) وحسنه الأرناؤوط فى السير (١/ ٢٨٧).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٠٢) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٦٨) كتاب فضائل الصحابة.

لأنه مُعد للوسخ والامتهان فغيره أفضل، وفيه إثبات الجنة لسعد[١].

ساقه أثقل من جبل أُحُدٍ

وانظر لما أحب عبد الله بن مسعود ﷺ جعل وزنه يوم القيامة عظيمًا حتى إن سيقانه فى الميزان يوم القيامة ستكون أثقل من جبل أُحُدٍ.

فعن ابن مسعود أنه كان يجتنى سواكًا من الأراك وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤهُ فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «مم تضحكون؟». قالوا: يا نبى الله من دقة ساقيه. فقال: **«والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أُحد»**[٢].

الله يذكر أُبى بن كعب من فوق سبع سماوات

وتأمل معى كيف أن الله (عز وجل) لما أحب أُبى بن كعب ﷺ، أرسل إليه الحبيب المصطفى ليقرأ عليه سورة البينة.

فقال له أُبى: وسمَّانى لك؟ - يعنى الله عز وجل -.

فقال له ﷺ: **«نعم»** فبكى أُبى بن كعب من شدة الفرح[٣].

وفى رواية أن أُبى بن كعب **قال للنبى** ﷺ: وقد ذُكرت هناك؟ قال له ﷺ: **«نعم»** فبكى أُبى.. فلما سأله الصحابة ﷺ وقالوا له: وهل فرحت بذلك؟ قال: وما يمنعنى أن أفرح وقد قال (جل وعلا): ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[٤][٥].

---

(١) مسلم بشرح النووى (١٦/ ٣٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٩٨١) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣١٩٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٠٩) كتاب المناقب، ومسلم (٧٩٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) سورة يونس: الآية: (٥٨).

(٥) رواه أحمد (٢٠٦٣٤) مسند الأنصار ﷺ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد ضعيف من أجل مؤمل بن إسماعيل البصرى.

الجنة تشتاق إليهم

بل وتأمل معنى كيف أنه (جل وعلا) لما أحب عليًّا وعمارًا وبلالاً وسلمان جعل الجنة تشتاق إليهم.

* قال ﷺ: **«اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: علىّ وعمار وبلال»**[(١)].

وقال ﷺ: **«إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علىّ وعمار وسلمان»**[(٢)].

* فنحن نشتاق إلى الجنة فى الوقت الذى تشتاق فيه الجنة إلى هؤلاء الصحب الكرام الذين أحبهم الله فجعل الجنة تشتاق إليهم.

يطير بجناحيه فى الجنة مع الملائكة

وتأمل معنى كيف أنه (جل وعلا) لما أحب جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه جعل له - بعد استشهاده - جناحين يطير بهما فى الجنة بدلاً من يديه المقطوعتين فى أرض الشرف والجهاد (فى غزوة مؤتة).

عن ابن عباس رضي الله عنهما **قال:** قال رسول الله ﷺ: **«دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سريره»**[(٣)].

«وكان ابن عمر إذا حيًّا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذى الجناحين»[(٤)].

قال ابن كثير: «لأن الله تعالى عوَّضه عن يديه بجناحين فى الجنة»[(٥)].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: **«رأيت جعفر بن أبى**

---

(١) رواه الحاكم (٣/١٤٨، رقم ٤٦٦٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٣٧٩٧) كتاب المناقب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى (٢/١٠٧، رقم ١٤٦٦)، والحاكم (٣/٢١٧، رقم ٤٨٩٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٦٣).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٧٠٩) كتاب المناقب.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير (٣/٢٥٦).

طالب مَلَكًا يطير فى الجنة مع الملائكة بجناحين»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت جعفر بن أبى طالب ملكًا فى الجنة، مضرجة قوادمه بالدماء، يطير فى الجنة»[2].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مرَّ بى جعفر الليلة فى ملإٍ من الملائكة، وهو مُخضَّب الجناحين بالدم، أبيض الفؤاد»[3].

وقال عبد الله بن جعفر: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هنيئًا لك!! أبوك يطير مع الملائكة فى السماء»[4].

وعن ابن عباس مرفوعًا: «إن جعفرًا يطير مع جبريل وميكائيل، له جناحان عوّضه الله من يديه»[5].

الملائكة تظله بأجنحتها ... والله يكلمه بغير حجاب

وتأمل معى كيف أن الله (عز وجل) لما أحب عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه جعل الملائكة تُظله بأجنحتها بعد استشهاده . . بل إن الله كلَّمه بغير حجاب!!

* فها هى ملائكة الرحمن (جل وعلا) تتفاعل مع هذا الصحابى الجليل وتتنزل بأمر الملك (جل وعلا) لتظله بأجنحتها بعد موته.

فعن جابر بن عبد الله قال: لما كان يوم أُحد، جىء بأبى مُسجَّى - مُغطَّى - وقد مُثِّل به، قال: فأردت أن أرفع الثوب، فنهانى قومى، ثم أردتُ أن

---

(١) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٢٣١، رقم ٤٩٣٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٤٦٥).

(٢) صحيح لغيره: رواه الطبرانى (٢/ ١٠٧ ، رقم ١٤٦٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٦٢)، وقال: صحيح لغيره.

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٣/ ٢٣٤، رقم ٤٩٤٣)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبى. وقال العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٢٦): وهو كما قالا.

(٤) قال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٢٣٠): رواه الطبرانى وإسناده حسن.

(٥) رواه الطبرانى فى الأوسط (٧/ ٨٦، رقم ٦٩٣٢)، وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٢٢٩): رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه سعدان بن الوليد ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

أرفع الثوب فنهاني قومي، فرفعه رسول الله ﷺ، أو أمر به فرُفع. فسمع صوت باكية أو صائحة.

فقال: «من هذه؟» فقالوا: بنت عمرو، أو أُختُ عمرو.

فقال: «ولِمَ تبكي؟ فمازالت الملائكة تُظله بأجنحتها حتى رُفع»(١).

قال الإمام النووي: قوله ﷺ: **«فمازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رُفع»** قال القاضي: يحتمل أن ذلك لتزاحمهم عليه لبشارته بفضل الله ورضاه عنه وما أُعدَّ له من الكرامة عليه، ازدحموا عليه إكرامًا له وفرحًا به أو أظلوه من حر الشمس لئلا يتغير ريحه أو جسمه.

قوله: فقال رسول الله ﷺ: **«تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله»** معناه: سواء بكت عليه أم لا فمازالت الملائكة تظله... أي فقد حصل له من الكرامة هذا وغيره فلا ينبغي البكاء على مثل هذا .. وفي هذا تسلية لها(٢).

* وها هي أعظم منقبة لهذا الصحابي الجليل الذي جمع الله له مناقب كثيرة .. ها هو بعد موته يكلمه ربه بغير حجاب.

فعن جابر بن عبد الله، قال: لما قُتل عبد الله بن عمرو بن حرام، يوم أُحد، قال رسول الله ﷺ: **«يا جابر! ألا أخبرك ما قال الله (عز وجل) لأبيك؟»**.

قلت: بلى.

قال: **«ما كلَّم الله أحدًا إلا من وراء حجاب، وكلَّم أباك كفاحًا(٣)**، فقال: **يا عبدي تمنَّ عليَّ أُعطك، قال: يا رب تحييني فأُقتلُ فيك ثانيةً. قال: إنه سبق مني «أنهم إليها لا يرجعون»، قال: يا رب فأبلغ مَن ورائي»**، فأنزل الله (عز وجل)

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٤٤) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٤٧١) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) مسلم بشرح النووي (١٦/ ٣٩).

(٣) كفاحًا: أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول... وهذا بعد موته، أما قبله فلا.

هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(١)(٢).

البراء يُقسم على الله .. فيرزقه الشهادة

وتأمل معى كيف بلغت محبة الحق (جل وعلا) للبراء بن مالك ﷺ حتى أن النبى ﷺ شهد للبراء أنه لو أقسم على الله لأبرَّ الله قسمه.

قال ﷺ: **«كم من أشعث أغبر ذى طمرين، لا يُؤبَه له لـو أقسم على الله لأبرَّه منهم البراء بن مالك»**(٣).

* وتمر الأيام وتأتى معركة تُستر، ولما اشتد القتال، وجالد الأعداء، وبلغت القلوب الحناجر، قال بعض المسلمين للبراء: يا براء إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرَّك، فأقسم على الله، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم.

ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجعوا فى المسلمين، فقالوا: أَقسم يا براء على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتنى بنبىِّ ﷺ، فمُنحوا أكتافهم وقُتل البراء شهيدًا (٤).

علامة المحبِّ على صدق المحبة ستُّ خصال

* **قال إبراهيم بن الجنيد:** يُقال: علامة المحبِّ على صِدْق المحبة ستُّ خصال:

أحدها: دوام الذكر بقلبه بالسرور بمولاه.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٦٩).

(٢) حسن صحيح: رواه الترمذى (٣٠١٠) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (١٩٠) فى مقدمة سننه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٣٦١)، وقال: حسن صحيح.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٨٥٤) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٧٣).

(٤) رواه الحاكم (٣/ ٣٣١، رقم ٥٢٧٤)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى.

والثانية: إيثاره محبة سيده على محبة نفسه.

والثالثة: الأنس به والاستثقال لكلِّ قاطع يقطعه عنه، أو شاغل يشغله عنه.

والرابعة: الشوق إلى لقائه والنظر إلى وجهه.

والخامسة: الرضا عنه فى كل شدة وضُرٍّ ينزل به.

والسادسة: اتباع رسوله ﷺ.

قال سهل بن عبد الله التسترى: من علامات حبِّ الله حبُّ القرآن، وعلامة حبِّ الله وحبِّ القرآن حبُّ النبى ﷺ، وعلامة حب النبى ﷺ حبُّ السُّنَّة، وعلامة حبِّ السنة حبُّ الآخرة، ومن علامة حبِّ الآخرة بُغض الدنيا، وعلامة بُغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادًا يبلغه الآخرة.

قال أبو تراب النخشبى:

لا تُخدعَنَّ فللحبيب دلائلُ
ولديه من تُحَف الحبيب رسائلُ
منها تنعُّمُهُ بمرِّ بلائه
وسروره فى كلِّ ما هو فاعلُ
فالمنعُ منه عطيةٌ مقبولةٌ
والفقرُ إكرامٌ و برٌّ عاجلُ
ومن الدلائل أن ترى من عزمه
طوعَ الحبيبِ وإن ألحَّ العاذلُ
ومن الدلائل أن يُرى متبسمًا
والقلبُ فيه من الحبيب بلابلُ

ومن الدلائل أن يُرى متفهمًا
لكلام من يحظى لديه السائلُ
ومن الدلائل أن يُرى متقشفًا
متحفظًا من كلِّ ما هو قائلُ

* وقال يحيى بن معاذ:

ومن الدلائل أن تراه مُشمرًا
في خرقتين على شطوط الساحلِ
ومن الدلائل حزنه ونحيبه
جوف الظلام فما له من عاذلِ
ومن الدلائل أن تراهُ مسافرًا
نحو الجهاد وكلِّ فعلٍ فاضلِ
ومن الدلائل زهدُه فيما يرى
من دار ذل والنعيم الزائلِ
ومن الدلائل أن تراه باكيًا
أن قد رآه على قبيح فعائلِ
ومن الدلائل أن تراه مُسلِّمًا
كل الأمور إلى المليك العادلِ
ومن الدلائل أن تراه راضيًا
بمليكه في كلِّ حكمٍ نازلِ
ومن الدلائل ضحكُهُ بين الورى
والقلبُ محزونٌ كقلب الثاكلِ[1]

* * *

(١) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٦٠ - ٦٢) بتصرف.

وصف الله المحبين بخمسة أوصاف

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

* فوصف الله سبحانه المحبين له بخمسة أوصاف:

أحدها: الذلة على المؤمنين، ولين الجانب، وخفضُ الجناح، والرحمة والرأفة للمؤمنين، فالمحبُّ يذلُّ لمحبوبه ومحبوب محبوبه.

لعينٍ تفدَّى ألفُ عينٍ وتتقى
ويُكرَمُ ألفٌ للحبيب المكرَّمِ

الثاني: العزة على الكافرين والشدة والغلظة عليهم.

سئل المرتعش: بمَ تُنالُ المحبة؟

قال: بموالاة أولياء الله، ومعاداة أعدائه.

الثالث: الجهادُ في سبيل الله ومجاهدة أعدائه باليد واللسان؛ وذلك من تمام معاداة أعداء الله الذي تستلزمه المحبة. ودعاء الخلق إلى الله وردُّهم إليه.

قال إبراهيم بن أدهم: سمعت رجلين من الزُّهَّاد يقول أحدهما للآخر: يا أخي! ما ورث أهلُ المحبة من محبتهم؟

قال: فأجابه الآخر: ورثوا النظر بنور الله، والعطف على أهل معاصي الله.

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٥٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٣١).

قال: فقلت له: كيف يعطف على قوم قد خالفوا أمر محبوبه؟

فقال: مقتَ أعمالهم، وعطف عليهم، ليزيلهم بالمواعظ عن فعالهم، وأشفق على أبدانهم من النار... لا يكون المؤمن مؤمنًا حقًّا حتى يرضى للناس ما يرضاه لنفسه.

الرابع: لا يخافون فى الله لومة لائم، والمراد أنهم يجتهدون فيما يُرضى به الله من الأعمال، ولا يبالون بلوم من لامهم فى شىء منه، إذا كان فيه رضا ربهم .. ولله درُّ القائل:

وقف الهوى بى حيث أنتَ فليس لى
مُتأخرٌ عنه ولا مُتقدَّمُ
أجدُ الملامة فى هواك لذيذةً
حبًّا لذكرك فليلمْنى اللُّوَّمُ

الخامس: متابعة الرسول ﷺ وطاعته واتباعه فى أمره ونهيه، وليس الشأن أن تُحبَّ إنما الشأن أن تُحَبَّ، ولن يحبَّك الله حتى تتبع رسوله ﷺ (١).

المحبُّ لا يفتر من عبادته لله (جل وعلا)

إن العبد إذا استقرت شجرة المحبة فى قلبه فإنه لا يفتر أبدًا من ذكر الله ولا من عبادته.

قال أحد العُبَّاد: إذا سَئم البطَّالون من بطالتهم، فلن يسأمَ محبُّوك من مناجاتك وذِكْرك.

وعن جعفر المحوبى قال: وَلىُّ الله المحبُّ لله لا يخلو قلبُه من ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، فإذا أعرض أعرض عنه، وإذا أقبل إلى الله أقبل عليه

(١) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٥٧ - ٥٩) بتصرف.

الله برأفته ورحمته.

وقال الفضيل بن عياض: الحبُّ أفضل من الخوف؛ ألا ترى إذا كان لك عبدان أحدهما يحبُّك والآخر يخافك، فالذى يحبُّك منهما ينصحك شاهدًا كنت أو غائبًا، بحبه لك.

والذى يخافك عسى أن ينصحك إذا شهدتَ، لما يخاف، ويغشُّك إذا غبت ولم ينصحك.

المحبُّ يشتهى لقاء ربِّه فى الجنة

وكلما ازداد الحب فى قلبك كلما زاد الشوق للقاء الله فى الجنة.

قال ابن رجب: «هِمَمُ العارفين المحبين متعلقة من الآخرة برؤية الله، والنظر إلى وجهه فى دار كرامته والقرب منه».

وقال الحسن: لو علمَ العابدون أنهم لا يرون ربهم يوم القيامة، لماتوا. وفى رواية: لذابت أنفسهم.

وقال الثورى وبشر الحافى: لا يكره الموت إلا مريب؛ لأن الحبيب على كل حالٍ لا يكره لقاء حبيبه.

وقال محمد بن يحيى الموصلى: سمعتُ نافعًا - وكان من عُبَّاد الجزيرة - يقول: ليت ربى جعل ثوابى من عملى نظرةً منى إليه، ثمَّ يقول لى: يا نافع، كُن ترابًا.

المحب يؤثر ما يحبه الله على كل شىء

ومن علامات العبد الصادق فى محبته لله (جل وعلا) أنه يؤثر ما يحبه الله على كل ما تحبه نفسه.

فإذا علمت أن الله يحب أن يراك قائمًا بين يديه تصلى قيام الليل . .

ونفسك تحب النوم فعليك أن تؤثر ما يحبه الله فتقوم وتصلى بين يديه (جل وعلا).

وإذا علمت أن الله يحب أن تترك المعاصى .. ونفسك لا تجد لذتها إلا فى المعاصى فعليك أن تؤثر ما يحبه الله فتترك المعاصى.

وأنا أسألك بالله هل فكرت يومًا أن تترك معصية طلبًا لرضا الله (جل وعلا)؟ .. والله لو فعلت ذلك فإنك ستجد فى قلبك حلاوة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متاعٍ زائل.

قال ابن المبارك (رحمه الله):

تعصى الإله وأنت تُظهر حُبَّهُ
هذا لعمرى فى الفعال بديعُ
لو كان حبك صادقًا لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيعُ

هل يستويان؟!

أخى الحبيب .. أختى الفاضلة:

هل يستوى من يعيش من أجل فتاة تعلَّق قلبه بها، ومن يعيش فى طاعة الله وقد امتلأ قلبه حبًا لله؟

وهل يستوى من تعيش من أجل شابٍّ قد تعلق قلبها به، ومن تعيش طائعة لله، وقد امتلأ قلبها حبًا لله؟

* إن الذى يعيش من أجل شهوة رخيصة فإنه يعيش صغيراً ويموت صغيراً .. أما من يعيش فى طاعة الله وليس له هدف إلا أن يحقق العبودية لله، وأن يبذل الغالى والنفيس لنُصرة دين الله فقد يتعب بعض الشىء، لكنه يعيش عزيزاً ويموت عزيزاً ويُبعث فى زمرة عباد الله الصالحين الذين أعد الله

لهم فى جنته ما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

والله لا يُلقى الله حبيبه فى النار

قال ﷺ: «والله لا يُلقى الله حبيبه فى النار»(١).

* فاحرص أخى الحبيب على أن تظفر بمحبة الله (جل وعلا) فهى أعظم وأجلّ نعمة فى هذا الكون كله.

«قال أحمد بن أبى الحوارى: دخلتُ على أبى سليمان فرأيتُه يبكى، فقلتُ: ما يُبكيك؟ قال: ويحك يا أحمد! إذا جنَّ الليل، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبه، افترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم، وأشرف الجليل جلَّ جلاله عليهم، وقال: بعينى من تلذذ بكلامى، واستروح إلى مناجاتى، وإنى مطلع عليهم فى خلواتهم أسمع أنينهم، وأرى بكاءهم وحنينهم، يا جبريل! فنادِ فيهم: ما هذا البكاء الذى أراه منكم، هل أخبركم مخبرٌ أنَّ حبيبًا يعذِّب أحبابه بالنار، بل كيف يجمل أن أعذِّب قومًا إذا جنَّهم الليلُ تملَّقونى فبى حلفتُ إذا وردوا القيامة علىَّ أن أُسفر لهم عن وجهى، وأمنحهم رياض قدسى»(٢).

المحبُّ لا ينشغل عن الله (جل وعلا)

قال ذو النون: إنَّ من علامات المحبين لله: تركُ كلِّ ما يشغله عن الله، حتى يكون الشغلُ بالله وحده. ثم قال: إنَّ من علامات المحبين لله أن لا يأنسوا بسواه، ولا يستوحشوا معه. ثم قال: إذا سكن حبُّ الله القلبَ أَنِسَ بالله؛ لأن الله أجلُّ فى صدور العارفين من أن يحبوا سواه.

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد (١٣٠٥٥)، الحاكم (٤/ ١٩٥ ، رقم ٧٣٤٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٠٩٥).

(٢) استنشاق نسيم الأنس (ص: ٨٧، ٨٨).

وكانت رابعة العدوية تنشد هذين البيتين:

ولقد جعلتك فى الفؤاد مُحدِّثى
وأبحتُ جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانسٌ
وحبيبُ قلبى فى الفؤاد أنيسى

أين نحن من اتباع النبى ﷺ

* فأين نحن - أخى الحبيب - من اتباع سُنة النبى ﷺ؟

* أين نحن من اتباع سنة النبى ﷺ فى عباداته ومعاملاته وأخلاقه؟

* أين نحن من اتباع سنته ﷺ فى الصلاة والزكاة والصيام والحج؟

* أين نحن من اتباع سنته ﷺ فى ذكره ودعائه وتلاوته، واستعانته بالخالق سبحانه، وتوكله عليه ولجوئه إلى جنابه؟

* أين نحن من اتباع سنته ﷺ فى مصاحبة الإخوان، والإحسان إلى الجيران، وبر الوالدين، وإكرام الضيف، وصلة الأرحام، وعيادة المرضى، واتباع الجنائز، والإحسان إلى الضعفاء، وقضاء حوائج الفقراء واليتامى والمساكين؟

* أين نحن من اتباع سنته ﷺ فى تواضعه وأدبه ورحمته ولينه وشفقته وكرمه وطلاقة وجهه وعفوه وحسن خلقه؟

* أين نحن من اتباع سنته ﷺ فى قوته وشجاعته وسياسته وحكمته فى السلم والحرب والهدنة وتجهيز الجيوش وعقد الألوية ومجابهة أعداء الله تعالى فى كل مكان.

* أين نحن من اتباع النبى ﷺ فى طلب العلم وتبليغ سنته وشريعته للكون كله بالرحمة والرأفة كما كان النبى ﷺ يفعل ذلك فلقد كان فى غاية

الرحمة كما وصفه الحق (جل وعلا): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(١).

هؤلاء يبغضهم الله (جل وعلا)

وإياك أخى الحبيب أن تكون من هؤلاء الذين ذكر الله (عز وجل) فى كتابه أنه لا يحبهم وهم:

١- الكافرون: قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾(٤).

٢- المعتدون: قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(٦).

٣- المفسدون: قال تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(٧).

وقال تعالى: ﴿وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(٨).

٤- الظالمون: قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(٩).

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).
(٢) سورة آل عمران: الآية: (٣٢).
(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٧٦).
(٤) سورة الحج: الآية: (٣٨).
(٥) سورة البقرة: الآية: (١٩٠).
(٦) سورة الأعراف: الآية: (٥٥).
(٧) سورة المائدة: الآية: (٦٤).
(٨) سورة القصص: الآية: (٧٧).
(٩) سورة الشورى: الآية: (٤٠).

٥- المختالون والمتكبرون: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٣).

٦- الخائنون: قال تعالى: ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (٥).

٧- المجاهرون بالسوء: قال تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ (٦).

٨- المسرفون: قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(٧).

٩- الفرحون بالمعاصي: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾(٨).

* * *

(١) سورة النساء: الآية: (٣٦).
(٢) سورة لقمان: الآية: (١٨).
(٣) سورة النحل: الآية: (٢٣).
(٤) سورة الأنفال: الآية: (٥٨).
(٥) سورة النساء: الآية: (١٠٧).
(٦) سورة النساء: الآية: (١٤٨).
(٧) سورة الأعراف: الآية: (٣١).
(٨) سورة القصص: الآية: (٧٦).

كيف تفوز بمحبة الله؟

«الأسباب الجالبة للمحبة والمقوية لها كثيرة؛ منها:

الأول: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

قال رسول الله ﷺ: «**من سرَّه أن يحبَّ الله ورسوله، فليقرأ في المصحف**»(١).

الثاني: التقرُّب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة؛ كما جاء في الحديث القدسي: «... **ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه**»(٢).

الثالث: دوام ذكره على كل حال؛ باللسان والقلب والعمل والحال. فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من الذكر.

قال ذو النون: من شغل قلبه ولسانه بالذكر، قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه.

وقال إبراهيم بن الجُنيد: كان يُقال: من علامة المحبة لله: دوام الذكر بالقلب واللسان، وقلما ولع المرء بذكر الله (عز وجل) إلا أفاد منه حب الله (عز وجل).

وقال إبراهيم بن أدهم: أعلى الدرجات أن يكون ذكر الله عندك أحلى من العسل، وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف.

وقال مالك بن دينار: ما تلذَّذ المتلذذون بمثل ذكر الله (عز وجل).

يا من يُذكِّرني بعهد أحبَّتي

طاب الحديثُ بذكرهمْ ويطيبُ

---

(١) حسن: رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٠٨، رقم ٢٢١٩)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٢٨٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

أَعِـد الحـديث علـىَّ من جنبـاته
إنَّ الحديثَ عـن الحبيب حـبيبُ
مـلأ الضلوع وفـاض عن أجنابهـا
قلبٌ إذا ذُكـر الحـبيبُ يذوبُ
مـا زال يخـفق ضـاربًا بـجناحـه
يا ليت شعرى هـل تطيرُ قلوبُ؟!

وقال الشاعر:

خطرات ذكرى تستثير مودَّتى
وأحسُّ منهـا فى القلوب دبيـبـا
لا عـضـو لـى إلا وفيـه مـحبةٌ
فكأنَّ أعـضـائى خُلقن قلوبا

الرابع: إيثارُ محابّه على محابك عند غلبات الهوى، والتسنُّم إلى محابِّه وإن صَعُب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلُّبه فى رياض هذه المعرفة ومباديها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.

عن عائشة: أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية[1]، فكان يقرأ لأصحابه فى صلاته فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**سلوه: لأى شىء يصنع ذلك؟**».

فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحبُّ أن أقرأ بها.

فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»[2].

(١) السرية: هى القطعة من الجيش، سُميت سرية؛ لأنها تسرى فى خفية.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٧٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٧١٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

السادس: مشاهدة برِّه وإحسانه وآلائه، ونعمه الظاهرة والباطنة.

السابع: وهو من أعجبها: انكسار القلب بين يدى الله تعالى، وليس فى التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

قال الفضل الرقاشى: والله لو جُمع للعابدين جميعُ لذَّات الدنيا بحذافيرها؛ لكان امتهانُ أنفسهم لله بطاعته ألذَّ وأحلى عندهم من ذلك.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهى، لمناجاته وتلاوة كلامه. والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم خَتمُ ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين والصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما يُنتقى أطايبُ الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجَّحت مصلحة الكلام، وعلمتَ أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كلِّ سبب يحول بين القلب وبين الله (عز وجل). فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبُّون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب.. وملاك ذلك كلِّه أمران:

١- استعداد الروح لهذا الشأن:

بدم المحبِّ يُباعُ وصلُهُم

فمن الذى يبتاع بالثمن

أو كما قالوا:

أنت القتيل بكلِّ من أحببته

فاختر لنفسك فى الهوى من تصطفى

٢- وانفتاح عين البصيرة. وبالله التوفيق»[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٧، ١٨) بتصرف.

أحباب الرحمن (جل وعلا)

* وهذه باقة عطرة من الآيات القرآنية التى تخبرنا عن بعض الأسباب التى تجلب للعبد محبة الرب (جل وعلا).

أخى الحبيب إذا أردت أن تكون من أهل المحبة لله (عز وجل)، فكن من هؤلاء الذين ذكر الله (عز وجل) فى كتابه أنه يحبهم وهم:

١ - المحسنون: قال تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٢].

٢ - التوابون: قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾[٣].

٣ - المتطهرون: قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[٥].

٤ - المتقون: قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[٦].

٥ - الصابرون: قال تعالى: ﴿ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[٧].

٦ - المتوكلون: قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٨].

٧ - المقسطون: قال تعالى: ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[٩].

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٩٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٣٤).

(٣)، (٤) سورة البقرة: الآية: (٢٢٢).

(٥) سورة التوبة: الآية: (١٠٨).

(٦) سورة آل عمران: الآية: (٧٦).

(٧) سورة آل عمران: الآية: (١٤٦).

(٨) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

(٩) سورة المائدة: الآية: (٤٢).

٨- المخلصون في الجهاد: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[١].

* وهذه باقة عطرة من أحاديث النبى ﷺ التى تخبرنا أيضًا عن بعض الأسباب التى تجلب للعبد محبة الله (جل وعلا) وإن كان بعضها تابعًا للعناصر السابقة.

١- الحب فى الله:

* عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن النبى ﷺ أن رجلاً زار أخًا له فى قرية أخرى. فأرصد[٢] الله له، على مدرجته[٣] ملكًا.

فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لى فى هذه القرية.

قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها[٤]؟

قال: لا. غير أنى أحببتُه فى الله (عز وجل).

قال: فإنّى رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[٥].

ولذا قال ﷺ: «قال الله تعالى: حُقَّت محبتى للمتحابين فىَّ، وحُقت محبتى للمتواصلين فىَّ، وحُقت محبتى للمتناصحين فىَّ، وحُقت محبتى للمتزاورين فىَّ، وحُقت محبتى للمتباذلين فىَّ. المتحابون فىَّ على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصدِّيقون والشهداء»[٦].

٢- قوة الإيمان والطاعة:

قال ﷺ: «المؤمن القوى خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى

(١) سورة الصف: الآية: (٤).

(٢) فأرصد: أى أقعده يرقبه.

(٣) على مدرجته: المدرجة هى الطريق، سُميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها. أى يمضون ويمشون.

(٤) تربها: أى تقوم بإصلاحها، وتنهض إليه بسبب ذلك.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٦) صحيح: رواه أحمد (٢٢٢٧٦) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٢١).

كلِّ خـير ..»(١)، وإن كان المـقصـود بقوة المؤمن هو قـوته فى كل مناحى الدين والدنيا.

٣- حب الأنصار رضي الله عنهم:

ففى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يُبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**»(٢).

فاللهم إنا نُشـهدك أنا نحب الأنصار والمهـاجرين، وكل أصحاب سـيد المرسلين ﷺ.

٤- حُب القرآن:

ففى الـصحيـحين، عن عـائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ بعثَ رجـلاً على سرية، وكـان يقرأ لأصحـابه فى صلاته فيـختم بـ ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال: «**سلوه لأى شيء يصنع ذلك؟**».

فسألوه، فقـال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحبُّ أن أقرأ بهـا فقال النبى ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»(٣).

ولذا قال ﷺ: «**من سرَّه أن يحب الله ورسوله فليقرأ فى المصحف**»(٤).

٥- تحقيق الإخلاص والتقوى:

قال ﷺ: «**إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى**»(٥).

٦- الزهد فى الدنيا:

* عن سهل بن سعد السـاعدى رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٤) كتاب القدر.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٨٣) كتاب المناقب، ومسلم (٧٥) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح، وقد تقدم.

(٤) حسن، وقد تقدم.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٥) كتاب الزهد والرقائق.

فقـال: يا رسول الله دُلَّنى على عمل إذا عـملته أحبنـى الله، وأحبنى الناس، فقال: «**ازهد فى الدنيا يُحبك الله، وازهدْ فيما عند الناس يُحبك الناس**»(١).

* كانت هذه بعض الأسباب التى تجلب للعبد محبة الله (جل وعلا).

فيا ليتنا نحـرص عليها فإننا إذا ظفرنا بمحبة الله فسـوف نسعد فى الدنيا والآخرة.

ثمرات الفوز بمحبة الله (جل وعلا)

وها هى باقة عطرة من ثمرات الفوز بمحبة الله (جل وعلا).

١- أنها سر السعادة فى الدنيا والآخرة.

فلو لم يكن هناك ثمـرة لمحبـة الله سوى أنك تفـوز بمحبـة الله لكفى، فالفوز بمحبة الله هو منتهى آمال الموحدين الذين امتلأت قلوبهم حبًّا لأرحم الراحمين (جل وعلا).

٢- أنك تفوز بمحبة جبريل (عليه السلام) وأهل السماوات والأرض.

فـفى الصحـيحـين (واللفظ لمسلم) أن النبى ﷺ قـال: «إنَّ الله إذا أحب عبدًا دعا جـبريل فقال: إنى أُحب فلانًا فأَحِـبَّه، قال: فيحبـه جبريل. ثم ينادى فى السماء فيقول: إن الله يُحبُّ فلانًا فأحبـوهُ. فيحبه أهل السماء. قال: ثم يُوضع له القبول فى الأرض. وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقولُ: إنى أُبغضُ فلانًا فأبغضه، قال: فيُـبغضهُ جبريلُ. ثـم يُنادى فى أهل السماء: إن الله يُبغضُ فلانًا فـأبغضوهُ. قال: فيبغضونه. ثم تُوضع له البغضاء فى الأرض»(٢).

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٢٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٨٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٣٧) كتاب البر والصلة والآداب، واللفظ له.

٣- ثمرات جليلة.

ففى الحديث القدسى الذى رواه البخارى أن الله (عز وجل) يقول عن العبد الذى يتقرب إليه بالنوافل: «... **فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يُبصر به، ويدهُ التى يبطشُ بها، ورجلهُ التى يمشى بها، ولئن سألنى لأُعطينَّهُ، ولئن استعاذ بى لأُعيذنَّه، وما ترددتُ عن شيءٍ أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن، يكرهُ الموت وأنا أكرهُ مساءتَهُ**»(١).

٤- أن المحبة تُغذى الأرواح والقلوب وبها تقرُّ العيون، بل إنها هى الحياة التى يُعدُّ من حُرم منها من جملة الأموات(٢).

٥- أن الفائز بمحبة الله يجد حلاوة الإيمان دائمًا فى قلبه.

٦- أنك تعيش فى سعادة دائمة متواصلة حتى تسعد السعادة التى لا تنتهى أبدًا فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

٧- أن الله (عز وجل) يستعملك قبل موتك ويرزقك حُسن الخاتمة.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا أحب الله عبدًا عسله**»، فقيل: وما عَسلُهُ؟ قال: «**يُوفقُ له عملاً صالحًا بين يدى أجله، حتى يرضى عنه جيرانه**» - أو قال - «**مَن حولَهُ**» (٣).

٨- أن الله إذا أحبك سيُدخلك جنته لتنعم النعيم الكامل فى جنات النعيم.

* * *

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٥١).

(٣) صحيح: رواه الحاكم (١/ ٤٩٠، رقم ١٢٥٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٨).

وأخيرًا

أيها الأخ الحبيب ... أيتها الأخت الفاضلة:

يا ليتنا نحرص على أن نفعل كل ما يحبه الله حتى نفوز بمحبة الله فنسعد فى الدنيا والآخرة، فنعيش أسعد حياة فى الدنيا وفى القبر ويوم القيامة . . وتكتمل السعادة بصحبة النبى ﷺ فى الجنة ولننظر إلى وجه الرب الكريم العلى (سبحانه وتعالى).

فاللهم إنا نسألك حبك وحبَّ من يحبك وحبَّ كلِّ عمل يقربنا إلى حبك

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)



يا شباب
ماذا قدمتم
لرسول الله ﷺ ؟



بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾(٣).

أما بعد:

* فإنه مما لا شك فيه أنه ما من مسلم أو مسلمة على وجه الأرض الآن إلا وقلبه يعتصر ألمًا وحزنًا على تلك الإساءة التى وُجهت إلى سيد الأولين والآخرين .. إلى رسولنا وحبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله ﷺ.

* فكان لزامًا علينا جميعًا أن ننصر رسول الله ﷺ وأن ندافع عنه بكل ما أُوتينا من قوة .. ولذا كان شعار هذه الرسالة هو شعار يجب أن نرفعه جميعًا ألا وهو «روحى فداك يا رسول الله - ﷺ».

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

* فنحن والله على استعداد أن نفديه بأرواحنا وأولادنا وأزواجنا وأموالنا.. فنحن نتقرب إلى الله بحبه ﷺ وبحب مَن أحبه، وبُغض مَن أبغضه.

* إنه نهر الرحمة وينبوع الحنان الذى ما أرسله الله إلا رحمة للعالمين.. إنه الذى وصفه الله فى كتابه فقال: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾(١)، وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾(٢).

* فتعالوا بنا لنُوجِّه تلك الرسالة إلى هؤلاء الذين سَبُّوا رسول الله ﷺ ولم يعرفوا قدره.. تعالوا بنا لنُعلِّم الكون من هو رسول الله ﷺ... فوالله لو عرف الغرب رسول الله لأحبوه.

* هيا جميعًا لنرفع هذا الشعار: «روحى فداك يا رسول الله ﷺ».

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

من هنا كانت البداية

* كيف أُصوِّر المأساة التى وقعت، والفاجعة التى حدثت، وجرت فصولها أيامًا عديدة، دون أن يكون لها صدى فى إعلامنا.. ودون أن يغلى الدم فى عروقنا..

قتلوا الشيوخ فسكتنا..

وذبحوا الأطفال فصمتنا..

وهتكوا الأعراض فأُلجمنا..

ولم يبق إلا سب نبينا!!

* لقد اطلعت على ما تناقلته بعض وكالات الأنباء من اقتراف الصحيفة الدنماركية (جيلاندز بوستن/ Jyllands - Posten) لخطأ شنيع وانحراف فظيع بنشرها (١٢) رسمًا (كاريكاتيريًا) ساخرًا يوم الثلاثاء ٢٦ شعبان ١٤٢٦هـ/ ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥م تصور الرسول ﷺ فى أشكال مختلفة، وفى أحد الرسوم يظهر مرتديًا عمامة تشبه قنبلة ملفوفة حول رأسه!!

وإمعانًا فى غَيِّها طلبت الجريدة من الرسامين التقدم بمثل تلك الرسوم لنشرها على صفحاتها.

ولما بلغنى الخبر كدَّرنى كثيرًا وأصابنى بهمٍّ كبير، وأحزننى حزنًا عظيمًا، وقد عمدت بنفسى للنظر فى موقع الصحيفة المذكورة على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، حتى وقفت على موقع الجريدة (Jyllands - Posten) فى صفحاتها الصادرة بتاريخ ٢٩/ ٩ / ٢٠٠٥م فكان الخبر ليس كالمعاينة، حيث هالنى ما رأيت، واقشعر جسمى، وبلغ بى ذلك كل مبلغ فى النكير والاستهجان والامتعاض.

وهكذا كان الشأن عند عامة أهل الإسلام ممن بلغهم الخبر، حيث كان هذا العمل محل انتقاد واستهجان لديهم، ولدى غيرهم من العقلاء فى أرجاء الأرض.

وقد عمد إخواننا المسلمون فى الدانمارك، ومعهم غيرهم من المواطنين الدانماركيين، وكذلك غيرهم من المقيمين فى الدانمارك إلى إنكار هذه السخرية التى نالت أشرف إنسان فى التاريخ، فكُتبت المقالات ووُجهت الرسائل إلى الحكومة الدانماركية وإلى الصحيفة المعنية، مطالبين بالاعتذار عن هذا العمل والكف عن مثله مستقبلاً، وقد تظاهر فى شهر أكتوبر الماضى أكثر من ٥٠٠٠ مسلم وغيرهم من المتعاطفين معهم فى العاصمة كوبنهاجن ضد الصحيفة وطالبوها بالاعتذار.

غير أن السلطات الدانماركية ومسئولى الصحيفة رفضوا ذلك بمبررات حرية الإعلام والتعبير، وأنه لا شىء يُستثنى من شموليته وحريته.

ولا زال مسئولوا صحيفة (جيلاندز بوستن / Jyllands - Posten) والحزب الحاكم الذى تنتمى إليه يرفضون الاعتذار، وينوون الاستمرار فى منهجهم المتهجم على الرسول الكريم الذى قال الله له: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[1]، متجاهلين بذلك المواثيق والأعراف الدولية، غير مبالين بالاعتراضات المقدَّمة إليهم، فرأيت أن من الواجب علىَّ، وعلى غيرى ممن حمَّلهم الله أمانة البيان والبلاغ أن نقوم جميعًا على قلب رجل واحد لندافع عن نبينا وحبيبنا وقائدنا محمد بن عبد الله ﷺ .. عسى الله أن يجمعنا به على الحوض لنشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا.. ثم يجمع بيننا وبينه فى جنته التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

أبناء أمتنا الكرام إلى متى
يقضى على عزم الأبى سُباتُ؟
أبناء أمتنا الكرام إلى متى
تمتد فيكم هذه السكراتُ؟!
الأمرُ أمرُ الكفر أعلن حربه
فمتى تَهُزُّ الغافلين عظاتُ؟!
كفرٌ وإسلامٌ وليلُ حضارة
غربية، تشقى بها الظلماتُ
أين الجيوش اليعرُبيَّة هل قضت
نحبًا فلا جند ولا أدواتُ؟!
الأمر أكبرُ يا رجالُ وإنما
ذهبت بوعى الأمة الصدماتُ

الصراع بين الحق والباطل قديم

إن الصراع بين الحق والباطل قديم بقِدم الزمان والمكان.

* فليست هذه هى المرة الأولى التى يُسب فيها النبى ﷺ .. بل ولن تكون المرة الأخيرة لأن الكفر ملة واحدة .. وعداء الكافرين للنبى ﷺ وأتباعه لن ينتهى أبدًا فقد قال جل وعلا: ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾(١).

* وإذا رجعنا إلى عهد النبى ﷺ فسنرى أن عداء المشركين لسيد المرسلين ﷺ بدأ منذ أول لحظة صدع فيها النبى ﷺ بكلمة التوحيد.

(١) سورة البقرة: الآية: (١٢٠).

* ولم يكتفوا بمجرد العداء الظاهر والباطن فحسب بل وصل الأمر إلى التطاول على سيد ولد آدم ﷺ .. فلقد وضعوا فوق ظهره سلا الجزور وألقوا التراب على رأسه وخنقه عقبة بن أبى معيط، وبصق فى وجهه بل إنه وضع قدمه على مؤخرة رأس النبى ﷺ وهو ساجد وضغط عليها.. بل إنهم دبروا المؤامرات لقتل النبى ﷺ .

* وطُرد النبى ﷺ من مكة فخرج وهو يبكى ويقول: «**والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وإنك لأحب بلاد الله إلى رسول الله ولولا أن قومى أخرجونى منك ما خرجت**»(١).

* بل إنهم اتهموا النبى ﷺ بالسحر والشعر والكهانة والجنون وشكَّكوا فى نبوته .. واتهموه فى عرضه .. وضربوه فى الطائف.. وفى يوم أُحد ضربوه بالسيف وسالت الدماء الشريفة على وجهه ﷺ وحاولوا قتله.

* فالشاهد أنه لم تتوقف الحرب على النبى ﷺ وأصحابه لحظة واحدة.

* وظل العداء للنبى ﷺ مستمرًّا فى حياته وبعد موته ﷺ وسيظل العداء هكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكذلك جعلنا لكل نبى عدوًّا من المجرمين

* وهكذا فإن أى إنسان يحمل راية الحق فلا بد أن يكون له أعداء يحاربونه ويسخرون منه بسبب الحق الذى يحمله.

فقد قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٩٢٦) كتاب المناقب، وابن حبان (٣٧٠٩)، والطبرانى (١٠/ ٢٦٧)، والحاكم (١/ ٦٦١) وقال: صحيح الإسناد، والبيهقى فى شعب الإيمان (٣/ ٤٤٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٢٧٢٤).

وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[1].

فإن كان هذا هو الحال مع عامة المؤمنين فكيف بالحال مع الأنبياء والمرسلين؟ فقد قال ﷺ: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يُبتلى الرجل على حسب دينه ..**»[2].

* **ولذا قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾**[3].

ومن أجل هذا لا يصلح أن نقول إن فلانًا رجل صالح وليس له أعداء؛ لأن أى إنسان يحمل قضية بعينها ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فلا بد أن يجد عداءً ولو كان يسيراً من شياطين الإنس الذين تمتلئ بهم الأرض - ولا حول ولا قوة إلا بالله - .

* وأنت لو قرأت فى ترجمة أى عالم من علماء السلف لوجدت أن الذى يترجم له يذكر اسمه ومولده ونشأته ومشايخه وعلمه وثناء العلماء عليه وزهده . . وهناك كلمة مشتركة بينهم جميعًا وهى «محنته» . . لأنه لا بد من وجود الأخيار الذين يحبون الصلاح وأهله، ولا بد من وجود الأشرار الذين يبغضون الصلاح وأهله.

* * *

(١) سورة المطففين: الآيات: (٢٩ - ٣٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٨) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٢٣) كتاب الفتن، والدارمى (٢٧٨٣) كتاب الرقاق، وأحمد (١٤٨١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٩٢).

(٣) سورة الفرقان: الآية: (٣١).

قدر النبى ﷺ عند ربه (جل وعلا)

إن شأن رسول الله ﷺ عند الله لعظيم .. وإن قدره لكريم فلقد اختاره الله تعالى واصطفاه على جميع البشر وفضَّله على جميع الأنبياء والمرسلين، وشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وأعلى له قدره، وزكَّاه فى كل شىء.

زكَّاه فى عقله فقال سبحانه: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾[1].

وزكاه فى صدقه فقال سبحانه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾[2].

وزكاه فى بصره فقال سبحانه: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[3].

وزكاه فى فؤاده فقال سبحانه: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾[4].

وزكاه فى صدره فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[5].

وزكاه فى ذكره فقال سبحانه: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[6].

وزكاه فى طهره فقال سبحانه: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾[7].

وزكاه فى حلمه فقال سبحانه: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[8].

وزكاه فى علمه فقال سبحانه: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾[9].

وزكاه فى خُلقه فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[10].

---

(١) سورة النجم: الآية: (٢).

(٢) سورة النجم: الآية: (٣).

(٣) سورة النجم: الآية: (١٧).

(٤) سورة النجم: الآية: (١١).

(٥) سورة الشرح: الآية: (١).

(٦) سورة الشرح: الآية: (٤).

(٧) سورة الشرح: الآية: (٢).

(٨) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٩) سورة النجم: الآية: (٥).

(١٠) سورة القلم: الآية: (٤).

ثم أخبر عن منزلته فى الملأ الأعلى عند رب العالمين وعند الملائكة المقربين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (١).

* ثم أمر أهل الأرض من المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ليجتمع له الثناء من أهل السماء وأهل الأرض فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢).

وتالله إننى أقول: إنه لا يعرف قدر النبى ﷺ إلا الرب الكريم العظيم العلى سبحانه وتعالى.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «مَثَلى ومَثَلُ الأنبياء قبلى كمثل رجلٍ بنى بنيانًا فأحسنهُ وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاَّ وُضعت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين» (٣).

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أيضًا رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ: أُعطيت جوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، وأُحلت لى الغنائم، وجُعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بى النبيون» (٤).

* بل أقسم الله -عز وجل- بالضحى والليل إذا سجى أنه ما أهمل محمداً ﷺ وما قلاه بعدما اختاره واصطفاه واجتباه، وأن ما أعدَّه له فى الآخرة خير له من كل ما أعطاه فى دنياه، فقال جل فى عُلاه: **﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ**

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥٦).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٥٣٥)، كتاب المناقب، ومسلم (٢٢٨٦) كتاب الفضائل.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٩٧٧) كتاب الجهاد، ومسلم (٥٢٣) كتاب المساجد.

فَهَدَىٰ ⑦ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ⑧ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ⑨ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ⑩ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾(١).

* بل لقد أخذ الله الميثاق على جميع النبيين والمرسلين إن بُعث فيهم الحبيب محمد ﷺ أن يؤمنوا به وينصروه.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾(٢).

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله تعالى وقَّره فى ندائه، فناداه بأحب أسمائه وأسنى أوصافه فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾، فنادى الله عز وجل الأنبياء بأسمائهم الأعلام فقال: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾(٣).

وقال: ﴿ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ ﴾(٤)، وقال: ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ ١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾(٥)، وقال: ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾(٦).

وما خاطب الله عز وجل نبينا ﷺ إلا بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾، أو بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾، أو بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾، أو بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾.

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله تعالى أقسم بحياته ﷺ فقال: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(٧). وإن حياته ﷺ لجديرة أن يقسم

(١) سورة الضحى.
(٢) سورة آل عمران: الآية: (٨١).
(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٩).
(٤) سورة هود: الآية: (٤٨).
(٥) سورة الصافات: الآيتان: (١٠٤، ١٠٥).
(٦) سورة مريم: الآية: (١٢).
(٧) سورة الحجر: الآية: (٧٢).

الله عز وجل بها، لما فيها من البركة العامة والخاصة.

أخرج ابن جرير عن ابن عباس، قال: ما خلق الله وما برأ وما ذرأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره.

قال الله تعالى: ﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[١].

* ونهى الله عز وجل أمة النبى ﷺ أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته إعظامًا له ﷺ، فقال عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾[٢].

* ومن شرفه وفضله ﷺ إيثاره ﷺ أمته على نفسه بدعوته؛ إذ جعل الله عز وجل لكل نبى دعوة مستجابة، فكلٌّ منهم تعجَّل دعوته فى الدنيا، واختبأ هو ﷺ دعوته شفاعةً لأمته.

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجَّل كل نبى دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة، فهى نائلةٌ إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا**»[٣].

وقد دلت الأحاديث الكثيرة على رحمة النبى ﷺ بأمته، وإيثاره إياهم على نفسه، ودعائه لهم فى كل مناسبة تعرض له، بل بلغ من شفقته عليهم أنه أخذه البكاء عند الدعاء لهم، كما ثبت فى صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم (عليه السلام): ﴿**فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[٤].

---

(١) سورة الحجر: الآية: (٧٢).

(٢) سورة الحجرات: الآية: (٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٠٤) كتاب الدعوات، ومسلم (١٩٨) كتاب الإيمان.

(٤) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

وقول عيسى (عليه السلام): ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١).

فرفع يده وقال: «أمتى أمتى» ثم بكى فقال الله تعالى: **«يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنُرضيك فى أمتك ولا نسوؤك»**(٢).

* ومن الأدلة على شرفه ﷺ أنه أول شافع وأول مُشفَّع، كما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مُشفَّع»**(٣).

فهو ﷺ أول من يشفع فى الخلائق يوم القيامة، كما فى حديث الشفاعة حين يذهب للشفاعة يستأذن على الله فيأذن له، فإذا رأى الله تعالى خرَّ ساجدًا، فيدعه الله ما شاء ثم يقال: **«ارفع رأسكَ يا محمد قُل تُسمع وسَل تُعط واشفع تُشفَّع»**(٤).

وهذه هى الشفاعة العظمى فى الخلائق كلهم يوم القيامة، وهى المقام المحمود الذى اختص به نبينا ﷺ فى قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(٥).

* ومن الأدلة على شرفه ﷺ أن الله تعالى أخبره بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولم يُنقل أنه أخبر أحدًا من الأنبياء بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يخبرهم؛ لأنه كل واحد منهم إذا طُلبت منه الشفاعة فى الموقف ذكر خطيئته التى أصابها وقال: **«نفسى نفسى»**.... كما ورد فى حديث الشفاعة الطويل وفيه أن الناس يذهبون إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى يطلبون

(١) سورة المائدة: الآية: (١١٨).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨) كتاب الفضائل.
(٤) صحيح: رواه البخاري (٧٤٤٠) كتاب التوحيد، ومسلم (١٩٣) كتاب الإيمان.
(٥) سورة الإسراء: الآية: (٧٩).

الشفاعـة، فكل منهم يذكر أن الله غضب اليـوم غضبًا لم يغضب قـبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ثم يقول: «**نفسى نفسى**» ويحيلهم على غيره حتى يأتوا عيسى فيقول لهم: «**لست هناكم، ولكن ائتوا محمدًا عبدًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» فإذا أتوا النبى ﷺ قال: «**أنا لها أنا لها**»(١).

* ومن فضـله وشرفه ﷺ أن مـعجـزة كل نبى تصرَّمت وانـقضت، ومعجزته ﷺ وهى القرآن المبين باقية إلى يوم الدين.

ففى الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال النبى ﷺ: «**ما من الأنبياء نبى إلا أُعطى من الآيات ما مثله آمن عليـه البشر، وإنما كان الذى أُوتيتـه وحيًا أوحاه الله إلىّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»(٢).

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله عز وجل يكتب لكل نبى من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها،... وأمته ﷺ شطر أهل الجنة.

فقد روى مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ: «**من دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»(٣).

وأمته خـير الأمم ﷺ وإنما كانوا خير الأمم لما اتصـفوا به من المعارف والأحوال والأقـوال والأعمـال؛ ولأجل هذا بكى مـوسى عليه السـلام ليلة الإسراء بكـاء غِبطة غَبِط بـها النبى ﷺ إذ يدخل من أمـته الجنة أكـثر مما يدخل من أمة موسى عليه السـلام، وصَحَّ هذا فى قصة المعراج من حديث أنس بن مالك ؓ مرفوعًا وفيه «... **ثم صعد بى إلى السماء السادسة فلما خلصت، فإذا موسى، قـال جبريل: هذا موسى فسلِّم عليه فـسلمت عليه فردَّ، ثم قـال: مـرحبًـا بالأخ الصـالح والنبى الصـالح، فلـما تجاوزت بكى. قـيل له: مـا**

---

(١) متفق عليه: وقد تقدم.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩٨١) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (١٥٢) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم.

يبكيك؟ قال: أبكى لأن غلامًا بُعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتى».

* ومن فضله ﷺ أنه أُحلت له الغنائم، . . . ففى الصحيحين عن جابر أن النبى ﷺ قال: «أُعطيت خمسًا لم يُعطهُنَّ أحد قبلى: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهورًا، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليُصلِّ، وأُحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبى يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الناس عامة»(١).

* ومن فضله ﷺ حفظ كتابه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٢).

وقال عن الكتب السابقة: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾(٣).

فجعل حفظه إليهم فضاع.

* ومن شرفه وفضله ﷺ ما رواه الشيخان عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «نحنُ الآخرون السابقون يوم القيامة..»(٤).

والمعنى أن هذه الأمة ببركة نبيها ﷺ آخر الأمم خلقًا، وأولهم دخولاً الجنة يوم القيامة . .

* ومن فضله ﷺ عصمة أمته فلا تجتمع على ضلالة، وحفظ طائفة من أمته لا تزال ظاهرة على الحق. كما فى الحديث أن النبى ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتى أمر الله وهم كذلك»(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٥) كتاب التيمم، ومسلم (٥٢١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) سورة الحجر: الآية: (٩).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٤٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٨) كتاب الوضوء، ومسلم (٨٥٥) كتاب الجمعة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٩٢٠) كتاب الإمارة.

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله تعالى أرسل كل نبى إلى قومه خاصة وأرسل نبينا ﷺ إلى الجن والإنس، ولذلك تمنن بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾[١].

ووجه التمنن أنه لو بعث فى كل قرية نذيراً، لما حصل لرسول الله ﷺ إلا أجر إنذاره لأهل قريته.

* ومن شرفه ﷺ الكوثر الذى أعطاه الله عز وجل، وهو نهر فى الجنة وحوض فى الموقف.

* روى أحمد ومسلم وغيرهما عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا فى المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسمًا قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «**لقد أُنزلت علىَّ آنفًا سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[٢]**».

ثم قال: «**أتدرون ما الكوثر؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنه نهر وعدنيه ربى عز وجل، عليه خير كثير، وهو حوض تَرِد عليه أمتى يوم القيامة، آنيته عدد النجوم فى السماء، فيختلج العبد منهم، فأقول يا رب إنه من أمتى، فيقول: إنك لا تدرى ما أحدث بعدك**»[٣].

* ومن شرفه وفضله ﷺ أنه ﷺ صاحب الوسيلة، وهى أعلى درجة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وهى له ﷺ.

ففى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبى ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىَّ فإنه مَن صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله**

(١) سورة الفرقان: الآية: (٥١).

(٢) سورة الكوثر: الآيات: (١-٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٠٠) كتاب الصلاة.

لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة»(١).

* ومن فضله وشرفه ﷺ أن الله عز وجل وهبه سبعين ألفًا من أمته، يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وجوههم مثل القمر ليلة البدر، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وليس هذا لأحد غيره ﷺ(٢).

إلا تنصروه فقد نصره الله

* أيها المسلمون! إن تخاذلنا عن نصرة نبينا ﷺ، فإن الله ناصرٌ نبيه، مُعلٍ ذكره، رافعٌ شأنه، معذب الذين يؤذونه فى الدنيا والآخرة..

فى الصحيح عن النبى ﷺ قال: **«قال الله تعالى: من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب»**(٣) فكيف بمن عادى الأنبياء؟؟ يقول الله عز وجل: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**(٤).

وقال الله سبحانه: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾**(٥).

ويقول الله جل جلاله: **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾**(٦).

* ونحن نعتقد أن الله سبحانه سيحمى سمعة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، ويصرف عنه أذى الناس، وشتمهم بكل طريق، حتى فى اللفظ... ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا ترون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ولعنهم، يشتمون مُذممًا،**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة.

(٢) صور من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين / للمصنف (١/ ١٧ - ٢٧) بتصرف.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

(٤) سورة التوبة: الآية: (٦١).

(٥) سورة الأحزاب: الآية: (٥٧).

(٦) سورة الحجر: الآيتان: (٩٤، ٩٥).

ويلعنون مُذمَّمًا، وأنا محمدٌ!»(١).

فنزَّه الله اسمه ونعته عن الأذى، وصرف ذلك إلى من هو مُذمم، وإن كان المؤذِي إنما قصد عينه.

قال الإمام العالم الحافظ ابن حجر - رحمه الله - قوله: «يشتمون مُذمَّمًا»: كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم فى النبى ﷺ لا يسمونه باسمه الدال على المدح، فيعدلون إلى ضده، فيقولون: مُذَمَّم، وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل الله بمذمَّم.

ومُذمَّم ليس هو اسمه عليه الصلاة والسلام، ولا يُعرف به، فكان الذى يقع منهم فى ذلك مصروفًا إلى غيره.

صور من دفاع الله عز وجل عن نبيه ﷺ

* وها هى صور مشرقة من دفاع الله عز وجل عن نبيه وحبيبه محمد ﷺ.

فهو سبحانه الذى قال فى كتابه: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾(٢).

*بل وفى صلح الحديبية لما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنبى ﷺ: يا رسول الله ألست نبى الله حقًّا؟ قال: «بلى» قال عمر: ألسنا على الحق وعدوُّنا على الباطل؟

قال: «بلى».

قال عمر: فلِمَ نعطى الدّنية فى ديننا إذًا؟

فقال له رسول الله ﷺ: «إنى رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصرى»(٣).

- فالشاهد أن النبى ﷺ يعلم يقينًا أن الله ناصره.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٥٣٣) كتاب المناقب.

(٢) سورة التوبة: الآية: (٤٠).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣٤) كتاب الشروط.

الله عز وجل ينتقم لنبيه ﷺ من أبى جهل

* ففى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعفِّرُ محمد وجهه بين أظهركم؟ (أى: يسجد).

قال: فقيل: نعم.

فقال: واللات والعُزَّى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه فى التراب.

قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى، زعم ليطأ على رقبته.

قال: فما فجئهم منه إلا هو ينكُص على عقبيه، ويتقى بيديه.

قال: فقيل له: ما لك؟

فقال: إن بينى وبينه خندقًا من نار وهولاً وأجنحة.

فقال رسول الله ﷺ: «**لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**»(١).

ويقيض الله عز وجل لقتل أبى جهل غلامين صغيرين دفعهما الحب الشديد لرسول الله ﷺ إلى أن يقتلا أبا جهل؛ لأنه يسب رسول الله ﷺ.

* روى البخارى عن عبد الرحمن بن عوف قال: إنى لفى الصف يوم بدر؛ إذ التفتُّ فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن، فكأنى لم آمن لمكانهما إذ قال لى أحدهما سرًّا من صاحبه: يا عم! أرنى أبا جهل.

فقلت: يا ابن أخى! ما تصنع به؟

قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله، أو أموت دونه وقال لى الآخر سرًّا من صاحبه مثله.

قال: فما سرنى أننى بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدَّا عليه

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٩٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

مثل الصقرين، حتى ضرباه وهما ابنا عفراء[١].

* **وفي الصحيحين أيضًا**: من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ينظر ما صنع أبو جهل؟**» قال ابن مسعود: أنا يا رسول الله. فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء، حتى برد.

قال: فأخذ بلحيته، قال: فقلت: أنت أبو جهل؟[٢]

فقال: وهل فوق رجل قتلتموه، أو قال: قتله قومه[٣].

* **وعند البخاري**: عن ابن مسعود: أنه أتى أبا جهل فقال: هل أخزاك الله؟ فقال: هل أعمد[٤] من رجل قتلتموه[٥].

* **وقال الأعمش عن ابن إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال**: انتهيت إلى أبي جهل وهو صريع وعليه بيضة، ومعه سيف جيد، ومعي سيف رديء فجعلت أنقف[٦] رأسه بسيفي، وأذكر نقفًا كان ينقف رأسي بمكة، حتى ضعفت يده، فأخذت سيفه، فرفع رأسه فقال: على من كانت الدائرة لنا أو علينا؟ ألست رويعينا بمكة؟

قال: فقتلته، ثم أتيت النبي ﷺ فقلت: قتلت أبا جهل.

فقال: «**آلله الذي لا إله إلا هو؟**» فاستحلفني ثلاث مرات، ثم قام معي إليهم فدعا عليهم[٧].

فكان جزاؤه من جنس قوله، بل ومن جنس عمله، فنقف ابن مسعود

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٩٨٨) كتاب المغازي، ومسلم (١٧٥٢) كتاب الجهاد والسير.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٣٤٢): والتقدير: أنت المقتول يا أبا جهل؟ وخاطبه بذلك مقرِّعًا له ومستشفيًا منه؛ لأنه كان يؤذيه بمكة أشد الأذى.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٩٦٣) كتاب المغازي، ومسلم (١٨٠٠) كتاب الجهاد والسير.

(٤) كناية عن الهلاك، وعمد أي: هلك، وقيل: معنى أعمد: أعجب أو أغضب، وقيل: معناه هل زاد على سيد قتله قومه. (الفتح ٧/ ٣٤٣).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٣٩٦١) كتاب المغازي.

(٦) أضرب.

(٧) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٨٨، ٢٨٩).

بالسيف فى رأسه مثلما فعل به فى مكة.

أبو لهب وامرأته حمالة الحطب

* ولقد كان أبو لهب كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغض له، والازدراء به، والتنقُّص له ولدينه.

وانظر إلى نموذج من نماذج كيد أبى لهب لدعوة الرسول ﷺ، التى عاداها من اليوم الأول للدعوة.

روى الإمام أحمد، عن ربيعة بن عباد من بنى الدِّيَل - وكان جاهليًّا فأسلم - قال: رأيت النبى ﷺ فى الجاهلية، فى سوق ذى المجاز، وهو يقول: «**يا أيها الناس! قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»[1].

والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب. يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل، فنادى: «**يا صباحاه**».

فاجتمعت إليه قريش، فقال: «**أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مُصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقونى؟**».

قالوا: نعم.

قال: «**فإنى نذيرٌ لكم بين يدى عذاب شديد**».

فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبًّا لك.

فأنزل الله: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾[2][3].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٥٥٩٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح السيرة النبوية (ص ١٤٣).

(٢) سورة المسد: الآية: (١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧٧٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٠٨) كتاب الإيمان.

وفى رواية: فقام ينفض يديه، وهو يقول: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟

فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

ولما قال للرسول ﷺ: تبًّا لك وقام ينفض يديه، تنزلت السورة ترد على هذه الحرب المعلنة من أبى لهب وامرأته، وتولى الله سبحانه عن رسول الله ﷺ أمر المعركة.

قال: تبًّا لك، فكان الجزاء: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.. دعاءٌ بدعاء، ولفظٌ بلفظ.

ولم يقض الله له ولا لامرأته أن يؤمنا، ولا لواحد منهما ولا ظاهرًا ولا باطنًا، ولا سرًّا ولا معلنًا؛ فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة (١).

* ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾(٢).

قال ابن عباس: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ يعنى: ولده .. ورُوى عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله... لما دعا الرسول ﷺ قومه إلى الإيمان، قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخى حقًّا، فإنى أفتدى نفسى يوم القيامة من العذاب بمالى وولدى.

إن شانئك هو الأبتر

قال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾(٣).

عن عطاء: نزلت فى أبى لهب، وذلك حين مات ابن الرسول ﷺ، فذهب أبو لهب إلى المشركين، وقال: بُتر محمد الليلة.

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٣٧).

(٢) سورة المسد: الآية: (٢).

(٣) سورة الكوثر: الآية: (٣).

فأنزل الله فى ذلك: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾.

الآية تعمُّ كل من آذى النبى ﷺ

لقد كانت صحيفة (Jyllands - Posten) ومحرروها فى عافية من دنياهم وانهماك فى شهواتهم قبل أن يتعمدوا الاستهزاء بالرسول ﷺ، ولكنهم بما نشروه وكتبته أيديهم قد أدخلوا أنفسهم ومن تواطأ معهم الوعيد الإلهى المُسطَّر فى القرآن الكريم: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾، أى: إنَّ مبغضك يا محمد، ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين ﴿هُوَ الأَبْتَرُ﴾: الأقل الأذل المنقطع كل ذكر له.

فهذه الآية تعم جميع من اتصف بهذه الصفة من معاداة النبى ﷺ أو سعى لإلصاق التُّهم الباطلة به، ممن كان فى زمانه، ومن جاء بعده إلى يوم القيامة.

وفى هذا يقول أحد علمائنا وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسبَّه، ومُظهرٌ لدينه ولكذب الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد، ونظير هذا ما حدثناه أعدادٌ من المسلمين العدول، أهل الفقه والخبرة، عما جربوه مرات متعددة فى حصر الحصون والمدائن التى بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بنى الأصفر فى زماننا، قالوا: كنا نحن نحصُرُ الحصن أو المدينة الشهر، أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهله لسبِّ رسول الله والوقيعة فى عرضه تعجَّلنا فتحه وتيسر، ولم يكد يتأخر إلا يومًا أو يومين أو نحو ذلك، ثم يُفتح المكان عُنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظًا عليهم بما قالوا فيه». اهـ.

هلاك أبى لهب

فانظر ماذا صنع الله بأبى لهب الذى عادى النبى ﷺ عداءً شديدًا.

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: رماه الله بالعدسة فقتلته، فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثًا، ما دفناه حتى أنتن، وكانت قريش تتقى هذه العدسة، كما تتقى الطاعون، حتى قال لهما رجل من قريش: ويحكما! ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته لا تدفنانه؟

فقالا: إنا نخشى عدوى هذه القرحة.

فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه، فوالله ما غسلوه إلا قذفًا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدارٍ، ثم رجموا عليه بالحجارة.

هلاك أم جميل (زوجة أبى لهب)

قال ابن كثير عن أم جميل:

كانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عونًا عليه فى عذابه فى نار جهنم، ولهذا قال: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[1]، يعنى: تحمل الحطب فتلقى على زوجها؛ ليزداد على ما هو فيه، وهى مهيأة لذلك، مستعدة له[2].

* ﴿فِي جِيدِهَا[3] حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

قال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنَّها فى عداوة محمد، فأعقبها الله بها حبلاً فى جيدها من مسد النار.

---

(١) سورة المسد: الآيتان: (٤، ٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٣٥).

(٣) الجيد: العنق.

وعن الثورى: هى قلادة من نار طولها سبعون ذراعًا. والجزاء من جنس العمل(١).

* يقول سيد قطب رحمه الله فى الظلال:

أبو لهب ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾(٢) ستصلاها وفى عنقها حبل من مسد، تناسق فى اللفظ وتناسق فى الصورة، فجهنم هى نار ذات لهب، يصلاها أبو لهب، وامرأته تحمل الحطب وتلقيه فى طريق محمد لإيذائه، والحطب مما يوقد به اللهب، وهى تحزم الحطب بحبل، فعذابها فى النار ذات اللهب، أن تُغل بحبل من مسد؛ ليتم الجزاء من جنس العمل(٣).

عن أسماء بنت أبى بكر قالت: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، ولها ولولة وفى يدها فهر(٤)، وهى تقول:

مُذممًا أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلت، وأنا أخاف عليك أن تراك.

فقال رسول الله ﷺ: «إنها لن ترانى» وقرأ قرآنًا اعتصم به.

كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾(٥)، فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر، ولم تر رسول الله ﷺ.

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٣٦).
(٢) سورة المسد: الآيتان: (٣، ٤).
(٣) الظلال: (٦/ ٤٠٠٠).
(٤) أى: بمقدار ملء الكف من الحجارة.
(٥) سورة الإسراء: الآية: (٤٥).

فقالت: يا أبا بكر! إنى أُخبرت أن صاحبك هجانى؟

قال: لا، ورب هذا البيت ما هجاك، فولَّت، وهى تقول: قد علمت قريش أنى ابنة سيدها.

* وروى الحافظ عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ جاءت امرأة أبى لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تنحَّيت لا تؤذيك بشىء.

فقال رسول الله ﷺ: «**إنه سيُحال بينى وبينها**»، فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر، فقالت: يا أبا بكر هجانا صاحبك.

فقال أبو بكر: لا ورب هذه البنية (الكعبة)، ما نطق بالشعر ولا يتفوه به.

فقالت: إنك لُمصدَّق.

فلما ولَّت قال أبو بكر رضي الله عنه: ما رأتك؟ قال: «**لا، ما زال ملك يسترنى حتى ولَّت**»[1].

* فتأمل معى كيف كان هلاكها. كانت تحمل الشوك، فتطرحه فى طريق رسول الله ﷺ؛ لأن ذلك أظهر.

قال الربيع: فكان النبى ﷺ يطؤه كما يطأ الحرير.

ومثلما حملت الشوك والعضاة تطرحه فى طريق رسول الله ﷺ، فكذا تحمل الحطب تطرحه على زوجها فى النار جزاء وفاقًا.

قال قتادة وغيره: كانت تُعيِّر رسول الله ﷺ بالفقر، ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب لشدة بخلها، فعُيِّرت بالبخل[2].

بل كان موتها بجنس عملها.

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٣٧).

(٢) تفسير القرطبى (١٠/ ٧٣٣٠).

قال مُرة الهمداني: كانت أم جميل تأتي كل يوم بإبالة[١] من الحسك[٢] فتطرحه في طريق المسلمين، فبينما هي حاملة ذات يوم حزمة أعيت، فقعدت على حجر لتستريح، فجذبها الملك من خلفها فأهلكها[٣]، خنقها الله بحبلها.

هلاك ابن أبي لهب

* قال ابن كثير: روى ابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب من طريق محمد بن إسحاق عن هبار بن الأسود قال: كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام، فتجهزت معهما، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقن إلى محمد ولأوذينه في ربه - سبحانه - فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد! هو يكفر بالذي دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى.

فقال النبي ﷺ: «**اللهم، ابعث إليه كلبًا من كلابك**».

ثم انصرف عنه فرجع إلى أبيه، فقال: يا بني ما قلت له؟

فذكر ما قال له.

قال: فما قال لك؟

قال: قال: «**اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك**».

قال: يا بني والله ما آمن عليك دعاءه[٤].

وفي رواية عروة بن الزبير: أن عتبة بن أبي لهب وكان تحته بنت رسول الله ﷺ أراد الخروج إلى الشام، فقال: لآتين محمداً فلأوذينه.

فأتاه فقال: يا محمد! هو كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى، ثم

---

(١) الإبالة: الحزمة الكبيرة.

(٢) الحسك: نبات له ثمرة ذات شوك تعلق بأصواف الغنم، وهو السعدان.

(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٧٣٣٠).

(٤) ابن كثير (٨/ ٤٢١).

تفل فى وجه رسول الله ﷺ وردَّ عليه ابنته وطلقها، فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك**».

وكان أبو طالب حاضراً، فوجم لها وقال: ما كان أغناك يا ابن أخى عن هذه الدعوة، . . . فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره[١].

فسرنا حتى نزلنا الشراة[٢]، وهى مأسدة [٣]، فنزلنا إلى صومعة راهب، فقال: يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد، فإنها تسرح الأُسد فيها كما تسرح الغنم، فقال لنا أبو لهب: إنكم قد عرفتم كِبر سنى وحقى، وإن هذا الرجل قد دعا على ابنى دعوة والله ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة، وافرشوا لابنى عليها ثم افرشوا حولها، ففعلنا فجاء الأسد فشمَّ وجوهنا، فلما لم يجد ما يريد؛ تقبَّض، فوثب فإذا هو فوق المتاع فشم وجهه ثم هزمه هزمة[٤]، ففضح[٥] رأسه، فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد.

فانظر أخى يرحمك الله . . لما تفل فى وجه رسول الله ﷺ أتى الأسد، فشم وجهه، وفضح رأسه، لم يأكله من يديه أو رجليه، وإنما وجه بوجه.



(١) القرطبى (٩/ ٦٢٥٣).

(٢) الشراة: صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ . وفى اللسان: موضع تُنسب إليه الأُسد. يقال للشجعان: ما هم إلا أسود الشرى، والشرى طريق فى سلمى كثير الأسد.

(٣) الأرض كثيرة الأسود.

(٤) أى ضربه ضربة.

(٥) أى: شدخه.

عقبة بن أبى معيط

هذا الشقى الذى آذى رسول الله ﷺ، وانفرد بما لم يفعله أحد، ووضع رجله على عنق أطهر الخلق رسول الله ﷺ، فقُطعت عنقه جزاء وفاقًا.

وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبى قال: لما أمر النبى ﷺ بقتل عقبة قال: أتقتلنى يا محمد، من بين قريش؟

قال: «**نعم، أتدرون ما صنع هذا بى؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقى وغمزها، فما رفعها حتى ظننت أن عينىّ ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة، فألقاه على رأسى وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسى**».

وذهب عقبة إلى مزبلة التاريخ، وأُطيح بعنقه جزاء كفره وعناده وحسده للإسلام ورسوله ﷺ.

أُبَىّ بن خلف

* **قال ابن إسحاق:** كان أُبى بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة، فيقول: يا محمد! إن عندى العَوذَ، فرسًا أعلفه فى كل يوم فرقًا[1] من ذرة، أقتلك عليه، فيقول رسول الله ﷺ: «**بل أنا أقتلك إن شاء الله**»[2].

* **قال ابن كثير:** عن عروة بن الزبير قال: كان أُبى بن خلف أخو بنى جمح، قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ، فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال: «**بل أنا أقتله إن شاء الله**». فلما كان يوم أُحد أقبل أُبى فى الحديد مقنعًا، وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد، فحمل على رسول الله

(١) بفتح الراء وإسكانها: مكيال يسع تسعة عشر منًّا، وقيل: اثنا عشر منًّا.
(٢) سلسلة معارك الإسلام الفاصلة: أحد ١٦٢.

ﷺ يريد قتله، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار يقى رسول الله ﷺ بنفسه، فقتل مصعب بن عمير، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أُبى بن خلف من فُرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها بالحربة فوقع إلى الأرض عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه فاحتملوه، وهو يخور خوار الثور.

فقالوا له: ما أجزعك، إنما هو خدش؟

فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: «أنا أقتل أُبيًّا».

ثم قال: والذى نفسى بيده، لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعون.

* **وفى رواية:** أنه لما رجع إلى قومه، وقد خدشه الرسول ﷺ بالحربة خدشًا غير كبير، قال: قتلنى والله محمد.

قالوا له: ذهب والله فؤادك، والله ما بك من بأس.

قال: إنه قد كان قال بمكة: **«أنا أقتلك»**، فوالله لو بصق علىَّ لقتلنى، فكان هذا الشقى هو الوحيد الذى قتله رسول الله ﷺ بيده الكريمة(١).

عبد الله بن قمئة

* **قال ابن حجر:** ومجموع ما ذُكر فى الأخبار أنه ﷺ شُجَّ وجهه، وكُسرت رباعيته، وجُرحت وجنته، وشفته السفلى من باطنها، ووهَى منكبه من ضربة ابن قمئة وجحشت ركبته(٢).

وعند ابن هشام من حديث أبى سعيد الخدرى: أن عبد الله بن قمئة جرحه - أى: الرسول ﷺ - فى وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته ﷺ.

(١) سلسلة معارك الإسلام الفاصلة: أحد ١٦٣.

(٢) فتح البارى (٧/ ٤٣١).

فماذا كان جزاء هذا الشقى؟!

قال عبد الرحمن بن زيد بن جابر: إن الذى رمى رسول الله ﷺ بأُحد، فجرحه فى وجهه، قال: خذها منى وأنا ابن قمئة، فقال: «**أقمأك الله**».

قال: فانصرف إلى أهله فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل، فدخل فيها فشدَّ عليه تَيسُها فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل فتقطَّع.

وفى الطبرانى من حديث أبى أمامة قال: رمى عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ يوم أُحد، فشجَّ وجهه وكسر رباعيته، فقال: خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله ﷺ، وهو يمسح الدم عن وجهه: «**ما لك، أقمأك الله**». فسلط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحه حتى قطَّعه قطعةً قطعةً [1].

وكان جزاؤه من جنس عمله.

فانظر رحمك الله .. لم يرسل الله عز وجل إلى ابن قمئة مَلَكًا؛ لينتقم لنبيه ﷺ، وإنما سلط عليه تيسًا قطَّعه، وألقاه من فوق الجبل، لهوانه على الله.

الأرض تلفظ من أراد أن يخدع رسول الله ﷺ

ففى الصحيحين من حديث أنس بن **مالك** رضي الله عنه قال: كان رجلٌ نصرانيًّا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبى ﷺ فعاد نصرانيًّا فكان يقول: ما يدرى محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فِعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه.

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (٨/ ١٣٠)، وقال الهيثمى فى المجمع (٦/ ١١٧): رواه الطبرانى وفيه حفص ابن عمر العبدرى وهو ضعيف.

فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا له فى الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه.

الله يرسل صاعقة على رجل رفض الاستجابة لرسول الله ﷺ

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله تبارك وتعالى؛ فقال: أيش ربك الذى تدعونى إليه؟! من حديد هو؟! من نحاس هو؟! من فضة هو؟! من ذهب هو؟!

فأتى النبى ﷺ فأخبره فأعاد النبى ﷺ الثانية، فقال مثل ذلك فأتى النبى ﷺ فأخبره فأرسله الثالثة، فقال مثل ذلك فأتى النبى ﷺ فأخبره فأرسل الله تبارك وتعالى عليه صاعقة فأحرقته فقال رسول الله ﷺ: **«إن الله تبارك وتعالى قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته»**، فنزلت هذه الآية:

﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾(١)(٢).

* * *

(١) سورة الرعد: الآية: (١٣).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٣/ ١٢٥)، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٤٢): رواه أبو يعلى والبزار بنحوه إلا أنه قال إلى رجل من فراعنة العرب وقال الصحابى فيه: يا رسول الله إنه أعتى من ذلك وقال: فرجع إليه الثالثة قال: فأعاد عليه ذلك الكلام فبينا هو يكلمه؛ إذ بعث الله سحابة حيال رأسه فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه، وبنحو هذا رواه الطبرانى فى الأوسط وقال: فرعدت وأبرقت، ورجال البزار رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة وفى رجال أبى يعلى والطبرانى على بن أبى سارة وهو ضعيف.

حب الصحابة للنبى ﷺ ودفاعهم عنه

* لقد كان الواحد من أصحاب النبى ﷺ يتمنى أن يفديه بحياته وأن يبذل نفسه وماله وولده فداء لرسول الله ﷺ .

* حتى إن الواحد منهم كان يُصدِّر كلامه مع رسول الله ﷺ بتلك الكلمات: بأبى أنت وأمى يا رسول الله.

أبو بكر الصديق ومحبته للنبى ﷺ ودفاعه عنه

لقد أحب أبو بكر رضي الله عنه النبى ﷺ حُبًّا مَلَك عليه لُبَّه وفؤاده وجوارحه؛ حتى إنه كان يتمنى أن يفدى النبى ﷺ بنفسه وولده وماله والناس أجمعين.

تقول عائشة رضي الله عنها: لما اجتمع أصحاب النبى ﷺ ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ فى الظهور، فقال: «**يا أبا بكر إنَّا قليل**».

فلم يزل أبو بكر يُلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد، كل رجل فى عشيرته، وقام أبو بكر فى الناس خطيبًا، ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله، وإلى رسول الله ﷺ ، وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين، فضربوا فى نواحى المسجد ضربًا شديدًا، ووُطئ أبو بكر، وضُرب ضربًا شديدًا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين، ويحرفها لوجهه، ونزَّ (أى: وثب) على بطن أبى بكر، حتى ما يُعرف وجهه من أنفه، وجاء بنو تيم (قوم أبى بكر) يتعادون، فأجلت قريشًا عن أبى بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكُّون فى موته،

ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبى بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار، فقال: ما فعل رسول الله؟ فمسُّوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا، وقالوا لأمه أم الخير: انظرى أن تطعميه شيئًا أو تسقيه إياه.

فلما خلت به ألحَّت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟

فقالت: والله ما لى علم بصاحبك، فقال: اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله.

فقالت: ما أعرف أبا بكر، ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ذهبت .. قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دنفًا، فدنت أم جميل وأعلنت الصياح، وقالت: والله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم.

قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شىء عليك منها، قالت: سالمٌ صالحٌ.

قال: أين هو؟

قالت: فى دار ابن الأرقم.

قال: فإن لله علىّ ألا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا، حتى آتى رسول الله ﷺ.

فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرِّجل، وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ، فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ فقبَّله، وأكبَّ عليه المسلمون، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقة شديدة، فقال أبو بكر: بأبى وأمى يا رسول الله، ليس بى بأس! إلا ما نال الفاسق من

وجهى، وهذه أمى بَرة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع لها عسى أن يستنقذها بك من النار، قالت: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت[١].

موقف يعجز القلم عن وصفه

وها هى صفحة مشرقة من حياة الصدِّيق رضي الله عنه الذى بذل نفسه وماله فداءً لله وفداءً لرسول الله ﷺ.

فعن على بن أبى طالب، قال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش، فذا يجبأه[٢]، وهذا يُتلتله[٣]، وهم يقولون: أنت الذى جعلت الآلهة إلهًا واحدًا؟

قال: فوالله ما دنا منَّا أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويجبأ هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم! ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّىَ اللَّهُ﴾[٤]، ثم رفع (علىٌّ) بُردةً كانت عليه، فبكى حتى اخضَّلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خيرٌ أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال: ألا تجيبونى؟ فوالله لساعة من أبى بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه»[٥].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ بفناء الكعبة؛ إذ أقبل عقبة بن أبى معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلفَّ ثوبه فى عنقه

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٢٩، ٣٠) بسند رجاله ثقات، وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٤٦، ٤٧): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن أبى الحارث، وهو ثقة، انظر حلية الأولياء (١/ ٣٢).

(٢) يجبأه: أى: يفجأه ويبغته.

(٣) يتلتله: يحركه ويزعزعه من مكانه.

(٤) سورة غافر: الآية: (٢٨).

(٥) تاريخ الخلفاء (ص ٣٧).

فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبى ﷺ ، ثم قال: ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ** ﴾ (١)(٢).

على بن أبى طالب رضي الله عنه يفدى النبى ﷺ ليلة الهجرة

ذكر ابن كثير فى «البداية والنهاية» اجتماع شياطين قريش فى دار الندوة، واستقر رأيهم على ما قاله أبو جهل بن هشام.

أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتًى شابًّا جلدًا نسيبًا وسيطًا فينا، ثم نعطى كل فتًى منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فرضوا منا بالعقل - الدية - فعقلناه لهم.

فتفرق القوم على ذلك وهم مُجمعون عليه، فأتى جبرائيل رسول الله ﷺ فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه.

قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلى بن أبى طالب: «**نَمْ على فراشى، وتسجَّ ببُردى هذا الحضرمى الأخضر، فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم**»(٣).

وكان رسول الله ﷺ ينام فى بُرده ذلك إذ ينام.

حمى المغوار (على) الدعوة فى شخص نبيها ﷺ ونام فى فراشه فى أصعب ليلة مرّت بها الدعوة ... رجل ينام فى الفراش وهو يعلم أن على

(١) سورة غافر: الآية: (٢٨).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٨٥٦) كتاب المناقب.

(٣) رواه ابن كثير فى السيرة النبوية (٢/ ٢٢٩).

الباب رجالاً، لا يريدون إلا رأس النائم على الفـراش، فلما قلق به الفراش ليلة من أجل نبيه، أسعد الله فراشه بفاطمة بنت نبيه ﷺ التى تجلببت فى جلباب كمالها.

الزبير بن العوام رضي الله عنه ودفاعه عن النبى ﷺ

وفى يوم من الأيام سرت إِشـاعة بين الناس أن الرسول ﷺ قُتل فـما كان من الزبير إلا أن أخذ سيفه وخرج على الناس كالإعصار المدمر يريد أن يتثبت من الخبر فلقيه الحبيب ﷺ فقال: **«ما لك يا زبير؟»**.

قال: أُخبرت أنك أُخذت - قُتلت - فصلَّى عليه ودعا له ولسيفه.

وفى رواية: فقال النبى ﷺ : **«ما لك؟»**.

قال: أُخبرت أنك أُخذت.

قال: **«فكنت صانعًا ماذا؟»**.

قال: كنتُ أضربُ به مَن أخذك. فدعا له ولسيفه(١).

محمد بن مسلمة رضي الله عنه ودفاعه عن النبى ﷺ

ولقد بلغ (محمد بن مسلمة) رضي الله عنه درجة عالية في الولاء والبراء، وذلك حـينما ذهب إلى كـعب بن الأشـرف؛ ليقـتله إرضـاءً لله تعالى ولرسـوله ﷺ . . على الرغم من أنه من قرابته.

عن جـابر بن عبـد الله أنه قـال: قال رسـول الله ﷺ : **«مَن لكعب بن الأشرف؟ فإنه قـد آذى الله ورسوله»** فقام محمد بن مـسلمة فقال: يا رسول الله! أتحب أن أقتله؟

---

(١) رواه عـبد الرزاق فى مـصنفه (١١/ ٢٤١)، وابن أبى شـيـبة فى مـصنفه (٤/ ٥٩٤)، والحـاكم فى المستدرك (٣/ ٣٦٠، ٣٦١)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات.

قال: «نعم» . . فذهب إليه ومعه مجموعة من الصحابة فقتلوا كعب بن الأشرف(١).

فيا له من موقف يظهر فيه الولاء والبراء جليًّا واضحًا كالشمس فى رابعة النهار . . فهو يقتل قريبه من أجل أنه آذى الله ورسوله ﷺ .

حسان بن ثابت رضي الله عنه ودفاعه عن النبى ﷺ

* روى مسلم عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: **«اهجوا قريشًا فإنه أشدُّ عليها من رشقٍ بالنبل»** فأرسل إلى ابن رواحة فقال: **«اهجهم»** فهجاهم فلم يُرضِ، فأرسلَ إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت.

فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أن تُرسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذَنَبه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال: والذى بعثك بالحق لأفرينهم بلسانى فرى الأديم.

فقال رسول الله ﷺ : **«لا تعجل فإن أبا بكر أعلمُ قريش بأنسابها، وإن لى فيهم نسبًا حتى يُلخِّص لك نسبى»** فأتاه حسان ثم رجع فقال: يا رسول الله! قد لَخَّص لى نسبك، والذى بعثك بالحق لأسُلَّنَّك منهم كما تُسلُّ الشعرةُ من العجين.

قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: **«إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله»**.

وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«هجاهم حسان فشفى واشتفى»**.

قال حسان:

هجوتَ محمدًا فأجبتُ عنه

وعند الله فى ذاك الجزاءُ

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥١٠) كتاب الرهن، ومسلم (١٨٠١) كتاب الجهاد والسير.

هجوت محمدًا برًّا تقيًّا
رسول الله شيمته الوفاءُ
فإنَّ أبى ووالدهُ وعرضى
لعرض محمدٍ منكم وقاءُ[1]

* فيا ليتنا نرفع هذا الشعار:
فإن أبى ووالده وعرضى
لعرض محمد منكم وقاء

* فنحن نفدى رسول الله ﷺ بأرواحنا وأولادنا وأموالنا وآبائنا وأمهاتنا.

الصحابة يبذلون حياتهم دفاعًا عن النبى ﷺ فى يوم أحد

* وفى غزوة أُحد لما عصى الرماة أمر رسول الله ﷺ ونزلوا من على الجبل فانكشف المسلمون واستطاع المشركون أن يقتلوا سبعين رجلاً من أصحاب النبى ﷺ، ثم أرادوا بعد ذلك قتل النبى ﷺ فنادى النبى على أصحابه، وثبت مع النبى ﷺ نفرٌ قليل منهم: سعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبودجانة، وأبو طلحة الأنصارى رضي الله عنهم.

ولما سمع المشركون صوت النبى ﷺ وهو ينادى على أصحابه **«هَلُمّ إلىَّ أنا رسول الله»** هاجموه وأرادوا أن يقتلوه فقام تسعة من أصحابه يدافعون عنه بكل حبٍّ وتفانٍ وبطولة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً[2].

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٩٠) كتاب فضائل الصحابة.
(٢) رواه أحمد (٣/ ٣٧٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير ابن إسحاق فهو صدوق حسن الحديث.

سبعة من الأنصار يبذلون حياتهم دفاعًا عن النبى ﷺ

* عن أنس رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ أُفرد يوم أُحد فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه[١]، قال: «**من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقى فى الجنة**»، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل، ثم رهقوه أيضًا، فقال: «**من يردهم عنًّا وله الجنة، أو هو رفيقى فى الجنة**» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك، حتى قُتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: «**ما أنصفنا أصحابنا**»[٢].

* وكان آخر هؤلاء السبعة هو: عمارة بن يزيد بن السكن قاتل حتى أثبتته الجراحة فسقط[٣] ... وبعد ما قُتل عمارة بن يزيد، لم يبق مع النبى ﷺ سوى طلحة وسعد رضي الله عنهما.

أوجب طلحة رضي الله عنه يوم أحد

* وعن جابر قال: لما كان يوم أُحُد وولى الناس كان رسول الله ﷺ فى ناحية فى اثنى عشر رجلاً منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبى ﷺ: «**مَن للقوم؟**».

قال طلحة: أنا.

قال: «**كما أنت**».

فقال رجل: أنا.

---

(١) رهقوه: غشوه وقربوا منه وأدركوه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٩) كتاب الجهاد والسير.

(٣) وبعد لحظة فاءت إلى الرسول ﷺ فئة من المسلمين، فأجهضوا الكفار عن عمارة، وأدنوه من رسول الله ﷺ، فوسده قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ. ابن هشام [٢/ ٨١].

قال: «أنت». فقاتل حتى قُتل، ثم التفت، فإذا المشركون فقال: «من لهم؟» قال طلحة: أنا.

قال: «كما أنت».

فقال رجل من الأنصار: أنا.

قال: «أنت». فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى بقى مع نبى الله (طلحة)، فقال: «مَن للقوم؟» قال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قُطعت أصابعه فقال: «حسّ».

فقال رسول الله ﷺ: **«لو قلت: بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون»** .. ثم ردَّ الله المشركين[١].

وعند الطبرانى: **«لو قلت: بسم الله لطارت بك الملائكة والناس ينظرون إليك»**.

وعند النسائى والبيهقى فى الدلائل: **«حتى تلج بك فى جو السماء»**.

وعند أحمد: فقال له النبى ﷺ: **«لو قلت بسم الله لرأيت يُبنى لك بها بيت فى الجنة وأنت حىٌّ فى الدنيا»**[٢].

وعن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاَّء وقى بها النبى يوم أُحد.

وجُرح فى تلك الغزوة تسعًا وثلاثين، أو خمسًا وثلاثين، وشُلت أصبعه أى السبابة والتى تليها[٣].

وقال النبى ﷺ فيه يومئذ: **«من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»**[٤].

---

(١) رواه الحاكم مختصرًا (٣/ ٣٦٩) معرفة الصحابة، وله طرق، قال الألبانى فى الصحيحة رقم (٢١٧١): فالحديث حسن بمجموع هذه الطرق.

(٢) رواه أحمد فى فضائل الصحابة (١٢٩٤) وإسناده صحيح.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٠٦٣) كتاب المغازى.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٣٩) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٦).

وروى أبو داود الطيالسى عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر إذا ذُكر يوم أُحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة (١).

أبو طلحة رضي الله عنه ودفاعه عن النبى ﷺ

لقد كان أبو طلحة رضي الله عنه ممن شهدوا بدرًا وأبلى فى تلك الغزوة بلاءً حسنًا.

وفى يوم (أُحد) كان من الأبطال الذين ثبتوا مع النبى ﷺ ودافع عنه بكل ما يملك.

* عن أنس قال: لما كان يوم أُحد، انهزم ناسٌ عن رسول الله، وأبو طلحة بين يديه مُجوبًا عليه بحجفة، وكان راميًا شديد النزع، كسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل، فيقول ﷺ: «**انثُرها لأبى طلحة**»، ثم يُشرف إلى القوم.

فيقول أبو طلحة: يا نبى الله! بأبى أنت، لا تُشرف، لا يُصيبك سهم، نحرى دون نحرك(٢).

كعب بن مالك رضي الله عنه يفدى النبى ﷺ بحياته

* عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: «لما كان يوم أُحد وصرنا إلى الشِّعب كنت أول من عرفته فقلت: هذا رسول الله ﷺ.

فأشار إلىَّ بيده أن اسكت، ثم ألبسنى لأمته(٣)، ولبس لأمتى، فلقد ضُربت حتى جُرحت عشرين جراحة، أو قال: بضعة وعشرين جرحًا كل

(١) فتح البارى (٧/ ٣٦١).
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٠٦٤) كتاب المغازى، ومسلم (١٨١١) كتاب الجهاد والسير.
(٣) لأمته: درعه.

من يضربنى يحسبنى رسول الله ﷺ»(١).

* فتأمل معى إلى فطنة وذكاء النبى ﷺ فى هذا الموقف الجليل.. وتأمل أيضًا تلك الصورة المشرقة من محبة هذا الصحابى الجليل للنبى ﷺ فهو يستعذب كل هذا الضرب من أجل أن يفدى النبى ﷺ .

سعد بن الربيع رضي الله عنه ووصيته الغالية للأنصار

قال زيد بن ثابت: بعثنى رسول الله ﷺ يوم أُحد أطلب (سعد بن الربيع) فقال لى: «**إن رأيته فأقرئه منى السلام، وقل له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك؟**»

قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بآخر رمق، وفيه سبعون ضربة: ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت: يا سعد! إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «**أخبرنى كيف تجدك؟**»، فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خَلُص إلى رسول الله ﷺ مكروه وفيكم عينٌ تطرف. وفاضت نفسه من وقته(٢).

الملائكة يدافعون عن النبى ﷺ

لا تعجب فقد قال الله - جل وعلا-: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**﴾(٣).

---

(١) قال الهيثمى فى المجمع (٦/ ١١٢): رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير باختصار ورجال الأوسط ثقات، ورواه أبو نعيم فى الدلائل (٢/ ٤٨٢) من طريق ابن إسحاق، وقد صرح عنده بالسماع وسنده متصل، فالحديث صحيح.

(٢) رواه ابن هشام (٢/ ٩٤ ، ٩٥)، والحاكم (٣/ ٢٠١) وصححه ووافقه الذهبى.

(٣) سورة التحريم: الآية: (٤).

* ففى الصحيحين عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت رجلين عن يمين رسول الله ﷺ ، ويساره يوم أُحد عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد»(١).

أم عمارة رضي الله عنها تدافع عن النبى ﷺ

حتى المرأة المسلمة دافعت عن النبى ﷺ وأرادت أن تفديه بحياتها.

* خرجت الأسرة المؤمنة: أم عمارة وولداها عبد الله وحبيب وزوجها واندفع زوجها وأولادها يجاهدون فى سبيل الله، بينما ذهبت أم عمارة تسقى العطشى وتضمد الجرحى، ولكن ظروف المعركة جعلتها تُقبل على محاربة المشركين، وتقف وقفة الأبطال تدافع عن رسول الله ﷺ غير هيَّابة ولا وَجِلة، وذلك عندما تفرق الناس من هول ما أصابهم فى ذلك اليوم . . عندها أخذت سيفًا وترسًا ووقفت بجانب رسول الله ﷺ تقيه بنفسها (٢).

* وقاتلت أم عمارة، فاعترضت لابن قمئة فى أُناس من المسلمين، فضربها ابن قمئة على عاتقها ضربة تركت جرحًا أجوف، وضربت هى ابن قمئة عدة ضربات بسيفها، لكن كانت عليه درعان فنجا، وبقيت أم عمارة تقاتل حتى أصابها اثنا عشر جرحًا (٣).

عذرًا يا رسول الله

أمة الإسلام . . إن تخاذل رجالنا عن نصرة محمد ﷺ ، فلقد سطر التاريخ صورًا رائعة، ومواقف باهرة، لنساء نافحن عن رسول الله ﷺ .

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٠٥٤) كتاب المغازى، ومسلم (٢٣٠٦) كتاب الفضائل.
(٢) نساء مبشرات بالجنة (ص ٦٥).
(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٣٨).

فأين رجال الأمة الذين هم أولى بالدفاع عن رسول الله ﷺ والقتال دونه، والذَّبِّ عن مكانته؟!!

فيا لله .. نساء تقاتل عن رسول الله، ورجال يتخاذلون عن نصرته، ولو بخطاب يعبر عن غضبة عُمَرية .. نساء تُجرَح فى سبيل نصرة رسول الله، ورجال يُستجدون من أجل التوقف عن الاستيراد لبضائعهم .. ولكن دون جدوى!!

فعذرًا يا رسول الله .. إن تخاذلنا عن الدفاع عنك؛ فإن بعضنا مشغول بالأسهم المالية!!

عذرًا يا رسول الله .. فإن المال أحب إلى قلوب بعضنا منك!!

عذرًا يا رسول الله .. فإن الأجبان الدانماركية أحب إلى بعضنا من الدفاع عنك!!

عذرًا يا رسول الله .. فإن مصالحنا الدنيوية مقدمة عند بعضنا عليك!!

عذرًا يا رسول الله .. فإننا نغضب أشد الغضب إذا اغتُصبت أموالنا، ولا يغضب بعضنا لك، وأنت يُساء إليك علنًا بلا حياء ولا خوف ولا وجل!!

من نوادر الحب والتضحية

ولما فرغ رسول الله ﷺ من دفن الشهداء والثناء على الله والتضرع إليه، انصرف راجعًا إلى المدينة، وقد ظهرت له نوادر الحب والتفانى من المؤمنات الصادقات، كما ظهرت من المؤمنين فى أثناء المعركة.

* **عن سعد بن أبى وقاص** رضي الله عنه **قال:** «مَرَّ رسول الله ﷺ بامرأة من بنى دينار وقد أُصيب زوجها وأخوها وابنها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحد، فلما نُعوا لها، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ ؟

قالوا: خيرًا يا أم فلان، هو بحمد الله، كما تحبين... قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟

قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رأته، قالت: كل مصيبة بعدك جلل!! تريد صغيرة»(١).

من المحن تأتى المنح

* إن الله وحده هو الذى يعلم علم الحال والمآل(٢) وهو الذى يملك مقادير الأمور، فقد قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(٣).

* ولا يكون الله غالبًا على أمره إلا إذا كان عالمًا بما يؤول إليه الحال.

ولا يكون الله غالبًا على أمره إلا إذا كان قادرًا على إمضاء ما يريد.

وهذا هو السِّرُّ فى القضاء والقدر: «العلم والقدرة».

* فالعبد لا يعلم إلا الحال الذى يظهر أمامه.. أما المآل فلا يعلمه إلا الله. ولذا قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(٤).

* ونحن نعلم أن أكبر أزمة مرت على بيت النبوة هى حادثة الإفك التى اتُهمت فيها أمنا عائشة رضي الله عنها.. واتُهم النبى ﷺ فى عرضه ومع ذلك قال تعالى: ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(٥).

---

(١) ابن هشام فى السيرة (٢/ ٩٩)، والبيهقى فى الدلائل (٣/ ٣٠٢)، والطبرى فى تاريخه (٢/ ٥٣٣) بسند ابن إسحاق إلى سعد بن أبى وقاص وسنده حسن وقد صرح بالتحديث فزالت شبهة تدليسه.

(٢) أى ما يؤول إليه الحال.. فمثلاً قد يكون الرجل فقيرًا، ثم يؤول به الحال إلى أن يصبح غنيًّا أو يكون مريضًا فيؤول به الحال إلى أن يشفى بإذن الله.

(٣) سورة يوسف: الآية: (٢١).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٢١٦).

(٥) سورة النور: الآية: (١١).

* فالشاهد أن هذه المحنة التى تمر بها الأمة الآن قد أسفرت عن باقة عطرة من المنح أذكرها باختصار؛ لأن المقام لا يسمح بالتفصيل:

(١) هذه المحنة تسببت فى تذويب الحدود بين الأمة .. فالأمة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها اجتمعت على قلب رجلٍ واحد لنصرة رسول الله ﷺ .

(٢) اجتماع العلماء ونسيان الخلافات والاختلافات التى كانت بينهم.

(٣) تنقية الصف المسلم من المنافقين .. ففى هذه الأزمة ظهر الذين يحبون رسول الله ﷺ ، وظهر الذين لا يخطر النبى ﷺ على بالهم لحظة واحدة.

(٤) إنه ما من جريدة، ولا مجلة، ولا قناة فضائية على وجه الأرض إلا وهى تتكلم الآن عن رسول الله ﷺ .. فلنا أن نتخيل لو أننا أردنا أن نفعل ذلك بأموالنا فكم كان يكلفنا ذلك؟

فالكون كله الآن يتكلم عن رسول الله ﷺ فما علينا إلا أن نغتنم هذه الفرصة لنُعرِّف الكون من هو رسول الله ﷺ .

(٥) وستسمعون فى الفترة المقبلة إن شاء الله عن إسلام الآلاف والآلاف من شعب الدانمارك بل وشعوب أوروبا والعالم كله.. وليس هذا من باب العلم بالغيب وإنما من باب حُسن الظن بالله -جل وعلا-.

لو عرف الغربُ رسول الله ﷺ لأحبوه

* وأنا أقول لكم جميعًا: والله لو عرف الغرب رسول الله ﷺ لأحبوه، فالنبى ﷺ هو الذى أرسله الله رحمة للعالمين .. وبركة بعثته فاضت على المؤمنين والكافرين، فلقد رفع الله عذاب الاستئصال عن كل الأمم الكافرة ببركة بعثة النبى محمد ﷺ ..

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[١].

* بل كان يتحمل أذى المشركين ويقول: «**اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون**»، ولما اشتد الأذى بأصحاب النبى ﷺ جاؤوا إليه وطلبوا منه أن يدعو على المشركين فقال: «**إنى لم أُبعث لعانًا وإنما بُعثت رحمة**»[٢].

* وفوق ذلك كله فالناس جميعًا سيذهبون إليه يوم القيامة؛ ليشفع لكل أهل المحشر لبدء الحساب . . . وهذا هو المقام المحمود الذى أعطاه الله إياه.

* **ولذا فإننى أُهدى للعالم الغربى تلك الكلمات اليسيرة فى وصف بعض أخلاق النبى ﷺ:**

كان النبى ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان وبلاغة القول.

* وكان الحلم والاحتمال، والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره، صفات أدَّبه الله بها . . وكل حليم قد عُرفت منه زلة، وحُفظت عنه هفوة، ولكنه ﷺ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبرًا، وعلى إسراف الجاهل إلا حلمًا.

قالت عائشة: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله بها، وكان أبعد الناس غضبًا وأسرعهم رضًا[٣].

وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يقادر قدره، كان يعطى عطاء من لا يخاف فقرًا.

وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذى لا يُجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفرَّ عنه الكمأة والأبطال غير مرة، وهو

(١) سورة الأنفال: الآية: (٣٣).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٩٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦٧٨٦) كتاب الحدود، ومسلم (٢٣٢٧) كتاب الفضائل.

ثابت لا يبرح، ومُقبل لا يُدبر، ولا يتزحزح.

وكان أشد الناس حياء وإغضاء ... وقال أبو سعيد الخدرى: كان أشد حياء من العذراء فى خِدرها، وإذا كره شيئًا، عُرف فى وجهه، وكان لا يثبت نظره فى وجه أحد، خافض الطرف لا يشافه أحدًا بما يكره حياءً وكرم نفس، وكان لا يسمى رجلاً بلغ عنه شىء يكرهه، بل يقول: «**ما بال أقوام يصنعون كذا**».

وكان أحق الناس بقول الفرزدق:

يغضى حياءً ويغضى من مهابته

فلا يكلم إلا حين يبتسم

وكان أعدل الناس، وأعفّهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، اعترف له بذلك محاوروه وأعداؤه، وكان يُسمَّى قبل نبوته: الصادق الأمين، ويُتحاكم إليه فى الجاهلية قبل الإسلام.

وكان أشد الناس تواضعًا، وأبعدهم عن الكبر، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس فى أصحابه كأحدهم .. قالت عائشة: كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم فى بيته، وكان بَشَرًا من البشر يفلى ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه.

كان أوفَى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، وأحسن الناس عِشْرة وأدبًا، وأبسط الناس خُلقًا، أبعد الناس من سوء الأخلاق، لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا لعَّانًا، ولا صخَّابًا فى الأسواق، ولا يجزى السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، وكان لا يدع أحدًا يمشى خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه فى مأكل ولا ملبس، ويخدم مَن خدمه، ولم يقل لخادمه أُفٍّ قط، ولم يعاتبه على فعل

شيء أو تَرْكِه، وكان يحب المساكين ويجالسهم ويشهد جنائزهم، ولا يحقر فقيرًا لفقره.

وعلى الجملة فقد كان النبي ﷺ مُحلَّى بصفات الكمال المنقطعة النظير، وأدَّبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مثنيًا عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس، وحببه إلى القلوب وصيَّره قائدًا تهوى إليه الأفئدة، وألان من شكيمة قومه بعد الإباء، حتى دخلوا في دين الله أفواجًا.

وحسبُه أن الله - عز وجل- جمع له ذلك كله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

تذكروا مواقف أسلافكم مع النبي ﷺ

* إنني أريد أن أُذكر الشعب الدانماركي، وغيره من الشعوب النصرانية، وغيرهم من أمم الأرض، بالمواقف السابقة لأسلافهم من النصارى، وكيف كان تعاملهم مع رسول الله محمد ﷺ، فقد كان موقفهم حضاريًّا حكيمًا متعقلاً، بعيدًا عن التشنجات النفسية، أو الانحرافات الأخلاقية، فكانت عاقبة أمرهم إلى خير في الدنيا.

فقد بعث رسول الله محمد ﷺ رسائل إلى كسرى ملك الفرس، وإلى قيصر ملك الروم - وكلاهما لم يُسْلِم - لكن قيصر أكرم كتاب رسول الله ﷺ، وأكرم رسوله، فثبت مُلكه، واستمر في الأجيال اللاحقة، وأما كسرى فمزَّق كتاب رسول الله ﷺ، واستهزأ برسول الله ﷺ، فقتله الله بعد قليل، ومزَّق مُلكه كل مُمَزَّق، ولم يبق للأكاسرة مُلكٌ.

(١) سورة القلم: الآية: (٤).

* وقد ذكر المؤرخون كيف كـانت ملوك النصارى يعظِّمون ذلك الكتاب الذى بعث به النبى ﷺ .

* وفى هذا يقول الإمام العالم الحافظ ابن حجر: ذكر السهيلىُّ أنه بلغه أن هرقل وضع الكتـاب فى قـصـبـة من ذهب، تعظيـمًـا له، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه حتى كان عند مـلك الفرنج الذى تغلب على طليطلة، ثم كان عند سِبطه، فحـدثنى بعضُ أصحابنا أن عـبد الملك بن سعد أحد قـواد المسلمين اجتمع بذلك الملك فأخرج له الكتاب، فلما رآه استعبر، وسأل أن يمكِّنه من تقبيله فامتنع.

* ثم ذكر ابن حـجر عن سـيف الدين فليح المنصورى أن مـلك الفرنج أطلعه على صندوق مُـصفَّح بذهب، فأخـرج منه مقلمة ذهب فأخـرج منها كتابًا قـد زالت أكثر حروفـه، وقد التصقت علـيه خرقة حرير، فـقال: هذا كتـاب نبيكم إلى جدى قيـصر، مازلنا نتـوارثه إلى الآن، وأوصانا آباؤنا أنه مـادام هذا الكتاب عـندنا لا يزال الملك فيـنا، فنحن نحفـظه غاية الحـفظ، ونُعظمه ونكتمه عن النصارى؛ ليدوم الملك فينا.

ثم أمَا للشـعب الدانماركى النصرانى وغيرهم من النصـارى أسوةٌ بالملك النصرانى النجاشى ملك الحـبشة، فإنه لما قرأ عليه الصحـابى جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه صدرًا من سورة مريم بكى النجاشى حتى أخضل لحيته، وبكت أساقـفته حتى أخـضلوا مصاحـفهم، حين سمـعوا ما تلا عليـهم، ثم قال النجـاشى: إن هذا - والله - والذى جـاء به مـوسى ليـخـرج من مـشكاة واحدة. . ولذلك فلقد أسلم بعـد ذلك. . ولما مات صلَّى عليه النبى ﷺ صلاة الغائب.

* * *

أقوال المنصفين

إن المنصفين من المشاهير المعاصرين عندما اطلعوا على سيرة رسول الله محمد ﷺ لم يملكوا إلا الاعتراف له بالفضل والنبل والسيادة، وهذا طرفٌ من أقوال بعضهم:

* **يقول (مهاتما غاندى) فى حديث لجريدة «ينج إنديا»**: أردت أن أعرف صفات الرجل الذى يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر . . لقد أصبحت مقتنعًا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التى من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول، مع دقته وصدقه فى الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة فى ربه، وفى رسالته. . . هذه الصفات هى التى مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائى من قراءة الجزء الثانى من حياة الرسول وجدت نفسى أسِفًا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة.

* ويقول الإنجليزى (برنارد شو) فى كتابه «محمد» (والذى أحرقته السلطة البريطانية): إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل فى تفكير محمد، هذا النبى الذى وضع دينه دائمًا موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالدًا خلود الأبد، وإنى أرى كثيرًا من بنى قومى قد دخلوا هذا الدين على بيِّنة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح فى هذه القارة - يعنى: أوروبا.

إن رجال الدين فى القرون الوسطى، ونتيجة للجهل أو التعصب، قد رسموا لدين محمد صورةً قاتمة، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكننى اطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أن يُسمَّى مُنقذ البشرية، وفى رأيى أنه لو

تولى أمر العالم اليوم، لوُفِّق فى حل مشكلاتنا بما يؤمِّن السلام والسعادة التى يرنو البشر إليها.

كيف ننصر رسول الله ﷺ ؟

إننى أريد أولاً أن نرجع إلى عهد النبى محمد ﷺ لنرى كيف بايعه الأنصار بيعة العقبة الثانية . . . فإنهم لما ذهبوا إليه، قالوا له: علام نبايعك يا رسول الله؟

فقال لهم ﷺ : «تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل وعلى النفقة فى العُسر واليُسر وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى أن تقولوا الحق ولا تخافوا فى الله لومة لائم، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة»(١).

* فهذه البيعة فى عنق كل مسلم ومسلمة.

وأنت إذا نصرت الله ونصرت رسول الله ﷺ فاعلم أن الله سينصرك فقد قال تعالى: ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾(٣).

*ولكن لا بد أن تعلم أن النصر ليس هو النصر على العدو فحسب . . وإنما النصر الحقيقى أن تموت وأنت على الحق . . قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾(٤).

*وأنا أذكر لك هذا المثال؛ لتعلم أن النصر الحقيقى ليس هو النصر على الأعداء فحسب بل هو أن تموت على الحق . . . . قال تعالى: ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ**

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٤٠٤٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٣).

(٢) سورة محمد: الآية: (٧).

(٣) سورة الحج: الآية: (٤٠).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾(٢).

ومع ذلك فلقد قُتل كثير من الأنبياء والمرسلين فهل خذل الله أنبياءه بأن تركهم ليُقتلوا؟ كلا.. بل إن الله أراد أن يجمع لهم مرتبة الشهادة مع مرتبة الرسالة.

* إذًا فعلينا أن نجدد بيعة العقبة فى قلوبنا وأن ننصر رسول الله ﷺ، وأن ننصر سُنته وشريعته وأن نتمسك بها حتى نموت على ذلك.

ولذا فإنى أذكر لحضراتكم بعض الأشياء التى ننصر بها رسول الله ﷺ:

(١) مقاطعة أفكار الغرب ومعتقداته:

فقبل أن نتكلم عن المقاطعة الاقتصادية فلا بد أن نقاطع أفكارهم، فإنه ليس من المعقول أن نقاطع منتجاتهم ونحن نقلدهم فى عاداتهم وتقاليدهم وملابسهم وتسريحة شعرهم وطريقة كلامهم.

(٢) المقاطعة الاقتصادية:

لأن هؤلاء الناس يخافون على دنياهم كل الخوف.. ولذلك فأنا أُوجِّه هذا النداء لرجال الأعمال المسلمين ولعامة المسلمين ليقاطعوا منتجات هؤلاء القوم.

فيا رجال الأعمال.. ويا تُجَّارنا الكرام..

أبو بكر نصر الإسلام فى وقت الرِّدة، والإمام أحمد نصر الإسلام فى وقت المحنة، وأنتم جاء دوركم، وحان وقتكم فى نصرة نبيكم ﷺ، لابد أن تكون لكم مواقف حازمة، ومآثر رائعة غيرةً لنبيكم ﷺ.

---

(١) سورة المجادلة: الآية: (٢١).

(٢) سورة غافر: الآية: (٥١).

يا رجال الأعمال .. أوقفوا كل التعاملات التجارية مع الدانمارك، حتى يتم الاعتذار علنيًّا ورسميًّا من تلك الصحيفة، وتذكروا أن المال زائل، لكن المآثر باقية مشكورة فى الدنيا والآخرة، وأعظمها حب رسول الله ﷺ والانتصار له.

ولكم أسوة فى الصحابى الجليل عبد الله بن عبد الله بن أُبى ابن سلول، فى موقفه الحازم من أبيه، عندما آذى رسول الله ﷺ، وكيف أنه أجبر أباه على الاعتذار لرسول الله ﷺ، وإلا منعه من دخول المدينة، فى الحادثة التى سجلها القرآن الكريم: ﴿ **يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾(١).

وثبت أن المنافق عبد الله بن أُبى ابن سلول تكلم على رسول الله ﷺ بكلام قبيح، حيث قال: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل، فعلم ولده عبد الله بذلك فقال لوالده: والله لا تفلت حتى تُقر أنك أنت الذليل ورسول الله ﷺ العزيز!!

الله أكبر .. هكذا يغضب الرجال لرسول الله، وهكذا ينتصر الأبطال لنبى الله!!

لم يأذن لوالده بدخول المدينة؛ حتى يقر بأنه هو الذليل ورسول الله ﷺ هو العزيز... وقد فعل ..

لم يجامل والده!! لم يداهن من أجل قرابته!!

لم يتنازل عن الدفاع عن رسول الله من أجل مصالحه، فهو والده ومن ينفق عليه؟!!

إنه الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، يصنع الأعاجيب!

فهل يستجيب رجال الأعمال لهذا الواجب فى الغيرة لنبيهم ﷺ؟

---

(١) سورة المنافقون: الآية: (٨).

وهل يكفُّون عن التعامل التجارى مع الدانمارك؛ حتى يتم تقديم الاعتذار الرسمى، واشتراط عدم تكرار هذه الجريمة؟!

وأنتم أيها المسلمون .. أتعجزون عن مقاطعة منتجاتهم، غيرة لنبيكم ﷺ؟!

حتى يعلم أولئك الأوغاد أن لرسول الله ﷺ أنصارًا، لا يرضون أن يُدنَّس جنابه، أو أن يُمسَّ عِرضه بسوء ودون ذلك حزُّ الرؤوس:

فإن أبى ووالده وعرضى
لعرض محمد منكم وقاء

فيا أمة الإسلام .. من ينتصر لرسول الله؟! من ينتصر لرسول الله؟!

من ينتصر لمحمد ﷺ الذى ضحى بكل ما يملك من أجل أن يصل إلينا هذا الدين؟!

فكم أُوذى من أجلنا؟! كم طُرد من أرضه من أجلنا؟! أنعجز بعد هذا الجهد، وذاك النَّصَب، أن نقاطع منتجات الدانمارك؟! أو نكتب إلى سفارتهم خطابًا نعبر فيه عن غضبنا عما حصل من تلك الصحيفة!!

نعم أيها المسلمون .. آن لنا والله أن نقف وقفةً جادة، ونفجر غضبنا بالأفعال التى لا يمكن تجاهلها ..

تعالوا لنطعنهم فى شريانهم الرئيسى، وفى سر قوتهم، تعالوا نطعنهم فى اقتصادهم، دون أن نخسر شيئًا .. ونكون بذلك قد حطمنا جزءًا من كبريائهم، ولا يقل قائل كم سيكون حجم مقاطعتى، فإن المطلوب منك أن تبرئ ذمتك أمام الله تعالى .. يقول النبى ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم**»[1].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٥٠٤) كتاب الجهاد، والنسائى (٣٠٩٦) كتاب الجهاد، وأحمد (١١٨٣٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٣٨٢١).

(٣) أن نتعلم سيرة الرسول ﷺ :

من خلال اقتناء كتاب فى السيرة؛ لنقرأه على أولادنا وأزواجنا وآبائنا وأمهاتنا؛ لنعرف كيف تعب النبى ﷺ وضحَّى من أجل أن نكون مسلمين فنزداد له حبًّا ﷺ .

- وأقترح على إخوانى وأخواتى هذا الكتاب الذى كتبته عن سيرة الرسول ﷺ .. واسم الكتاب: «سيرة الرسول ﷺ» وهو كتاب محقق وفى نفس الوقت سهل وبسيط ويجمع لكم السيرة كاملة بعيدًا عن الروايات الضعيفة .. وهو كتاب أثنى عليه - بفضل الله وحده - كل من قرأه من علماء مصر والمملكة العربية السعودية .

- وليس هذا من باب الترويج لسلعة تجارية؛ فالكتاب يتم توزيعه فى أكثر دول العالم - ولله الحمد - ولكن هذا من باب الدلالة على الخير .

(٤) العودة إلى هدى رسول الله ﷺ وسنته:

إن سنة النبى ﷺ هى بمثابة طوق النجاة من هذه الفتنة التى تملأ الكون ولذا قال ﷺ : «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسُنتى ولن يتفرقا حتى يَرِدا علىَّ الحوض**»(١) .

* فلا بد أن نتعلم سنة النبى ﷺ ونُعلمها لكل من حولنا لنسعد جميعًا فى الدنيا والآخرة .. وليسعد بنا النبى ﷺ عندما نلقاه على الحوض، فنشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا .

(٥) أن ندعو الكون كله إلى دين الله بخلق رسول الله ﷺ :

الكون كله الآن يسمع عن رسول الله ﷺ .. فهيا لنطرق على الحديد وهو ساخن فندعو الكون كله إلى دين الله .. ولكن بخُلق رسول الله ﷺ .

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم (١/ ١٧٢)، والدارقطنى (٤/ ٢٤٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٩٣٧).

- ندعو الناس برحمة وحنان حتى لا نكون فتنة لمن حولنا فلقد قال الله تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾(١).

* ولنحذر جميعًا أن نقع فيما وقع فيه الغرب... فإذا سبُّوا فلا نَسُبّ وإذا اعتدوا فلا نعتدى؛ لأننا نريد أن نُريهم أخلاق النبى ﷺ؛ ليعلموا أن الإسلام هو الدين الحق الذى لا يقبل الله سواه.. وأن النبى ﷺ هو سيد ولد آدم الذى أرسله الله رحمة للعالمين.

* فلنتحرك من الآن لنصرة رسول الله ﷺ .. ولنجتهد قدر استطاعتنا فى أن نستخدم كل الوسائل التى تحت أيدينا فى دعوة الكون كله إلى دين الله. وذلك من خلال استخدام كل المواقع الإسلامية على الإنترنت، ومن خلال توزيع الكتب والأشرطة التى تتكلم عن رسول الله ﷺ، وعن أخلاقه فعسى الله أن يجعلنا سببًا فى هداية هؤلاء الناس..

وقد قال ﷺ -كما فى الصحيحين-: «**ولأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمر النَّعم**»(٢).

* إننا نريد أن نرفع شعار سعد بن معاذ رضي الله عنه الذى رفعه فى يوم بدر، فقال للنبى ﷺ: كأنك تريدنا نحن يا رسول الله.

- نعم... النبى ﷺ يريدك أنت أيها الأخ الحبيب ويريدك أنت أيتها الأخت الفاضلة.. يريدنا أن ننصره وأن ندعو الكون كله إلى هديه وسُنته وأن نُعرِّف الكون كله مَن هو رسول الله ﷺ.

* ولا ننسى أبدًا أن النبى ﷺ أخبر أن الإسلام سيصل إلى مشارق الأرض ومغاربها ولن يترك الله بيت مدر ولا بيت وبر إلا أدخله الله هذا الدين.

---

(١) سورة النحل: الآية: (١٢٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٠١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

* فنسأل الله جل وعـلا أن يشرح صدور الناس للإسلام، واتِّبـاع سيد الأنام محمد بن عبد الله ﷺ .

وصلى الله على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)

استجيبوا لربكم يا شباب



مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[٣].

أما بعد:

فإن الحق (جل وعلا) وهو الرحمن الرحيم الذى سبقت رحمته غضبه والذى لا تنفعه طاعتنا ولا تضره معصيتنا .. ومع ذلك فهو يدعونا لنستجيب له حتى نفوز بالجنة والرضوان... فهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾[٤].

وهو القائل: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) سورة النساء: الآية: (١٤٨).

تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾(١).

ومع ذلك يأتينا نداؤه ليلاً ونهاراً ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾(٢).

ولكى تكون الاستجابة سهلة ميسورة أرسل الله تعالى رسوله ﷺ ليُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾(٣).

وظل الحبيب ﷺ يدعو الناس إلى نعمة التوحيد والإيمان فأعرض أكثر الناس عن دعوة الحق حتى كاد النبى ﷺ أن يموت حُزنًا على هؤلاء الذين جعل الله بينهم وبين الهداية حجابًا كثيفًا.

قال تعالى: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾(٥).

فلما مات الحبيب ﷺ جعل الله سُنته باقية بينهم لتكون نورًا تُضىء لهم طريقهم إلى الله.

وجاء هذا الإنذار والتحذير من العليم الخبير لكل من أعرض عنه ورفض أن يستجيب لأمره ونهيه فقال تعالى: ﴿ **اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ**

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٧).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٢٤).

(٣) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٤) سورة الكهف: الآية: (٦).

(٥) سورة القصص: الآية: (٥٦).

مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾(١).

فما أجمل أن تنقاد القلوب إلى علاَّم الغيوب فتأتمر بأمره وتنتهى عن نهيه لندخل جنة الدنيا التى تُثمر لنا جنة الآخرة.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

فيا من أسرفت على نفسك بالذنوب والمعاصى ويا من ملأت قلبك بحب الدنيا وشهواتها الفانية هيا نُلبى دعوة الرحمن فهو يدعونا جميعًا إلى دار السلام (الجنة).

فهو القائل سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٣).

فاللهم ارزقنا قلوبًا حيةً تستجيب لأمرك ونهيك لنكون مع هذا الصنف الكريم الذى قلت فى وصفهم: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾ (٤).

كتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) سورة الشورى: الآية: (٤٧).

(٢) سورة النحل: الآية: (٩٧).

(٣) سورة يونس: الآية: (٢٥).

(٤) سورة الرعد: الآية: (١٨).

والله يدعو إلى دار السلام

وها هى دعوة مباركة تأتى إليكم من فوق سبع سماوات . .

مكتوب فيها: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١).

الله يدعوكم جميعًا إلى جنته التى غرس كرامتها بيديه.

قال تعالى: «أعددت لعبادى الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر»(٢).

وقد يسأل سائلٌ ويقول: كيف أستجيب لتلك الدعوة الكريمة وأنا صاحب ذنوب كثيرة بل وكبيرة؟!

أقول: يا أخى الحبيب ألم تسمع قول الله عز وجل ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾(٤).

فاعلم أيها الأخ الحبيب أن استجابتك لأمر الله سببٌ من أسباب مغفرة تلك الذنوب. . قال تعالى: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٥).

وقال ﷺ: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مُسيءُ النهار ويبسط

---

(١) سورة يونس: الآية: (٢٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٤)، كتاب بدء الخلق؛ ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) سورة الزمر: الآية: (٥٢).

(٤) سورة الفرقان: الآيتان: (٧٠-٧١).

(٥) سورة الأحقاف: الآية: (٣١).

يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»(١).

فيا أيها الإخوة الكرام ويا أيتها الأخوات الفُضليات: استجيبوا لتلك الدعوة المباركة وأدركوا أنفسكم بالتوبة قبل أن يدرككم الموت .. أدركوا رحمة الله قبل أن يدرككم غضبه وعذابه .. أدركوا جنة الرحمن قبل أن يدرككم العذاب فى النيران .. واعلموا أن رحمة الله سبقت غضبه.

التوحيد أولاً

ونحن عندما نتكلم عن الاستجابة لأمر الله فينبغى أن نعلم أن المقصود من تلك الاستجابة هو تحقيق التوحيد لله تعالى .. فإن نعمة التوحيد هى أعظم نعمة يُنعم بها الله (جل وعلا) علينا.

عن أبى ذر رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عَشر أمثالها وأزيدُ، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها، أو أغفرُ، ومن تقرب منى شبراً تقربتُ منه ذراعًا، ومن تقرَّب منى ذراعًا تقربتُ منه باعًا ومن أتانى يمشى أتيتُه هرولةً، ومن لقينى بقراب الأرض خطيئة لا يُشرك بى شيئًا لقيتهُ بمثلها مغفرة»** (٢).

وتعالوا بنا لنتأمل هذا المشهد المهيب الذى تتجلى فيه نعمة التوحيد.

قال صلى الله عليه وسلم : **«إنَّ الله سيخلصُ رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مدَّ البصر، ثم يقول: أتنكرُ من هذا شيئًا؟ أظَلَمَك كتبتى الحافظون؟ فيقولُ: لا يا رب؛ فيقول: أَفَلَكَ عذرٌ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقةٌ فيها أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسولهُ،**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩) كتاب التوبة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٨٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب! ما هذه البطاقةُ معَ هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تُظلمُ، فتوضع السجلات فى كفَّة، والبطاقة فى كفَّة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شىء»[١] .

شجرة فى القلب

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: السنةُ شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها والأنفاس ثمرها. فمن كانت أنفاسه فى طاعة فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت فى معصية فثمرته حنظل، وإنما يكون الجداد (جنى الثمر) يوم المعاد، فعند الجداد يتبين حلو الثمار من مُرِّها.

والإخلاصُ والتوحيد شجرة فى القلب، فروعها الأعمال، وثمرها طيب الحياة فى الدنيا، والنعيم المقيم فى الآخرة... وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فثمرة التوحيد والإخلاص فى الدنيا كذلك.

والشرك والكذب والرياء شجرة فى القلب، ثمرها فى الدنيا الخوف والهم والغم وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها فى الآخرة الزقُّوم والعذاب المقيم وقد ذكر الله هاتين الشجرتين فى سورة إبراهيم[٢] .

قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾**[٣] .

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٣٩) كتاب الإيمان، وابن ماجه (٤٣٠٠) كتاب الزهد، وأحمد (٦٩٥٥) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٧٦).

(٢) الفوائد (ص ٢٣٨).

(٣) سورة إبراهيم: الآيات: (٢٤-٢٧).

المؤمن يعبد إلهًا واحدًا

إن المؤمن الصادق لا يقارن أبدًا بين شهوات الدنيا ونعيم الآخرة، أو بين طاعة العباد، وبين طاعة رب العباد.

فهو يعبد إلهًا واحدًا ويبتغى رضا رب واحد ويراعى أوامر ملك واحد.. وهكذا يستريح قلب المؤمن لأنه جعل همَّه كله فى طاعة الله والعملَ لنُصرة دين الله.

أما المنافق فهو الذى يستطيع أن يُرضى كل الناس فيلقَى هذا بوجه .. وهذا بوجه (وشر الناس عند الله ذو الوجهين)، ولكن هذا المنافق لا يستطيع أبدًا أن يظفر برضوان الله ولا بمحبته .. قال ﷺ: «**من أرضَى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس**»(١).

قال تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾(٢).

فهذا الرجل الذى هو عبدٌ لأكثر من رجل (هو أشقى الناس) لأنه لو أراد أن يُرضى واحدًا منهم لم يستطع أن يرضى الآخر لأن كل واحد يأمره بأمر مخالف لأمر الآخر .. أما المؤمن فهو لا يعبد إلا الله وبذلك تتوحد همته ويطمئن قلبه لأنه لا يفعل إلا ما يُرضى ربه، وهو يعلم أن ربه رحيمٌ رحمن - إن تقرب إليه العبد بالطاعة تقرب إليه بالرحمة والغفران ويختم له ذلك بالنعيم والرضوان.

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤١٤) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠١٠).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٢٩).

ينزل ربُّنا كل ليلة إلى السماء الدنيا

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له**»(١).

فأين من يقوم الليل ليتعرض لنفحة من نفحات رحمة الله (جل وعلا) عسى الله أن يفرج الهموم والغموم وعساه أن يغفر الذنوب ويستر العيوب وعساه أن ينجينا من كربات يوم القيامة عندما تكثر الحسرة والندامة.

وعساه يسترنا فى دار الستر (جنة الرحمن) التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

كلكم ضالٌّ إلا من هديته

الله أكبر . . . إن الهداية منحة ربانية يقذفها الله تعالى فى قلب من يشاء من عباده ولذلك فإن العبد المؤمن يلجأ إلى ربه ويستغيث به ليلاً ونهاراً أن يرزقه نعمة الهداية، وأن يثبت قلبه عليها ولسان حاله ومقاله: ﴿**رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**﴾(٢).

قال تعالى عن جزاء هذا الصنف الكريم: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٨).

(٣) سورة الأعراف: الآيتان: (٤٢-٤٣).

وعن أبى ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته محرَّمًا بينكم فلا تظالموا، يا عبادى كلكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدونى أهدكم، يا عبادى! كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعمونى أطعمكم، يا عبادى! كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم يا عبادى! إنكم تخطئون بالليل والنهار وأناً أغفرُ الذنوب جميعًا، فاستغفرونى أغفر لكم، يا عبادى! إنكم لن تبلغوا ضُرِّى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، يا عبادى! لو أن أوَّلكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى مُلكى شيئًا، يا عبادى! لو أن أوَّلكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئًا يا عبادى! لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم، قاموا فى صعيد واحد، فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندى، إلا كما ينقصُ المخيطُ إذا أُدخل البحر، يا عبادى! إنما هى أعمالكم أحصيها لكم؛ ثمَّ أوفيكم إيَّاها، فمن وجدَ خيرًا فليحمد الله، ومن وجدَ غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»(١).

فاللهم ارزقنا الهداية وثبت قلوبنا عليها حتى نلقاك وأنت راضٍ عنَّا.

الله يفرح بتوبتك

قال ﷺ : «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلهاً قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال - من شدة الفرح -: اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح» (٢).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٠٩) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٤٧) كتاب التوبة، واللفظ له.

حكمة جليلة

ولكى يتضح معنى هذا الحديث الجليل فتعالوا بنا لنطوف بين تلك الباقة العطرة من الكلمات التى تتنزل على القلب كـتنزل حبات المطر على الأرض الهامدة فإذا هى تهتز وتُنبت من كل زوج بهيج.

* يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - موضـحًا الحكمة من فرح الرب (جل وعلا) بتوبة عبده وعودته إليه مرة أخرى:

إن الله سبـحانه إنما خلق الخَلْق لعـبادته، الجامـعة لمحـبته والخـضوع له وطاعته. وهذا هو الحقُّ الذى خُلقت به السموات والأرض، وهو غاية الخلق والأمر. ونفـيه - كـما يقول أعـداؤه - هو الباطلُ، والعـبث الذى نزَّه الله نفسه عنه، وهو السُّدى الذى نزه نفسه عنه: أن يترك الإنسان عليه.

وهو سبحانه يحب أن يُعبَد ويطاع ولا يعبأ بخلقه شيئًا لولا محبتهم له، وطاعتهم له، ودعاؤهم له.

فإذا خرج العبد عما خُلق له من الطاعة والعبودية. فقد خرج عن أحب الأشياء إليه، وعن الغاية التى لأجلها خُلقت الخليـقة. وصار كأنه خُلق عبثًا لغيـر شىء؛ إذ لم تخرج أرضـه البذر الذى وضع فـيها. بل قلبـته شـوكًا ودغلا. فإذا راجع ما خُلق له وأُوجـد لأجله. فقد رجع إلى الغاية التى هى أحب الأشيـاء إلى خالقـه وفاطره. ورجع إلى مـقتضى الحكمـة التى خُلق لأجلها. وخرج عن معنى العبث والسُّدى والباطل. فاشتدت محبة الرب له فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فأوجبت هذه المحبة فرحًا كأعظم ما يقدر من الفـرح. ولو كان فى الفرح المشهـود فى هذا العالم نوع أعظم من هذا الذى ذكره الـنبى ﷺ لذكره، ولكن لا فـرحة أعظم من فـرحة هذا الواجد الفـاقد لمادة حياته وبلاغـه فى سفره، بعـد إياسه من أسباب الحـياة بفقده. وهـذا كشدة محبـته لتوبة التائب المحـب إذا اشتدت محبـته للشىء

وغاب عنه، ثم وجده وصار طوع يديه.

فلا فرحة أعظم من فرحته به.

فما الظن بمحبوب لك تحبه حبًّا شديدًا، أسره عدوُّك، وحال بينك وبينه. وأنت تعلم أن العدو سيسومه سوء العذاب، ويعرضه لأنواع الهلاك. وأنت أولى به منه. وهو غرسك وتربيتك، ثم إنه انفلت من عدوه، ووافاك على غير ميعاد. فلم يفجأك إلا وهو على بابك، يتملقك ويترضاك ويستعينك، ويُمرغ خديه على تراب أعتابك فكيف يكون فرحك به، وقد اختصصته لنفسك، ورضيته لقربك، وآثرته على سواه؟

هذا ولست الذى أوجدته وخلقته. وأسبغت عليه نعمك.

والله عز وجل هو الذى أوجد عبده، وخلقه وكوَّنه، وأسبغ عليه نعمه، وهو يحب أن يتمَّها عليه، فيصير مُظهرًا لنعمه، قابلاً لها، شاكرًا لها، محبًّا لوليَّها، مطيعًا له عابدًا له، معاديًا لعدوه، مبغضًا له عاصيًا له. والله تعالى يحب من عبده معاداة عدِّوه، ومعصيته ومخالفته، كما يحب أن يوالى الله مولاه سبحانه ويطيعه ويعبده. فتنضاف محبته لعبادته وطاعته والإنابة إليه، إلى محبته لعداوة عدوه. ومعصيته ومخالفته، فتشتد المحبة منه سبحانه. مع حصول محبوبه. وهذا هو حقيقة الفرح.

وفى صفة النبى ﷺ فى بعض الكتب المتقدمة «عبدى الذى سُرَّت به نفسى» وهذا لكمال محبته له. جعله مما تسر نفسه به سبحانه.

ومن هذا «ضحكه» سبحانه من عبده، حين يأتى من عبوديته بأعظم ما يحبه. فيضحك سبحانه فرحًا ورضًا. كما يضحك من عبده إذا ثار عن وطائه وفراشه ومضاجعة حبيبه إلى خدمته، يتلو آياته ويتملقه.

ويضحك من رجل هرب أصحابه من العدو. فأقبل إليهم، وباع نفسه لله ولقاهم نَحْره، حتى قُتل فى محبته ورضاه.

ويضحك إلى من أخفى الصدقة عن أصحابه لسائل اعترضهم فلم

يعطوه، فتخلف بأعقابهم وأعطاه سرًّا؛ حيث لا يراه إلا الله الذى أعطاه. فهذا الضحك منه حبًّا له، وفرحًا به. وكذلك الشهيد حين يلقاه يوم القيامة فيضحك إليه فرحًا به وبقدومه عليه (١).

لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾(٢). وقال ﷺ: **«إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحوش على ولدها، وأخَّر تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»** (٣).

وهنا تتجلى رحمة الله وعنايته الفائقة بالإنسان على وجه العموم وبالمؤمن على وجه الخصوص.

فللإنسان شأن ليس لسائر المخلوقات، وقد خلق أباه بيده، ونفخ فيه من روحه. وأسجد له ملائكته. وعلَّمه أسماء كل شيء. وأظهر فضله على الملائكة فمن دونهم من جميع المخلوقات. وطرد إبليس عن قربه.

وأبعده عن بابه؛ إذ لم يسجد له مع الساجدين. واتخذه عدوًّا له، فالمؤمن من نوع الإنسان: خير البرية على الإطلاق. وخيرة الله من العالمين فإنه خلقه ليتم نعمته عليه. وليتواتر إحسانه إليه. وليخصه من كرامته وفضله بما لم تنله أمنيته. ولم يخطر على باله ولم يشعر به؛ ليسأله من المواهب والعطايا الباطنة والظاهرة العاجلة والآجلة، التى لا تُنال إلا بمحبته. ولا تُنال محبته إلا بطاعته، وإيثاره على ما سواه. فاتخذه محبوبًا له. وأعدَّ له أفضل ما يعده مُحب غنى قادر جواد لمحبوبه إذا قدم عليه. وعهد إليه

---

(١)مدارج السالكين ص (٢٣٧، ٢٣٨).

(٢)سورة الأعراف: الآية: (١٥٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٧٥٢) كتاب التوبة.

عهدًا تقدم إليه فيه بأوامره ونواهيـه. وأعلمه فى عهده ما يقربه إليه، ويزيده محبة له وكرامة عليه، وما يبعده منه ويسخطه عليه، ويسقطه من عينه.

فإذا تعرض عـبده ومحبوبه الذى خلـقه لنفسه، وأعد له أنواع كـرامته، وفضَّله على غـيره، وجعله مـحل معرفتـه، وأنزل إليه كتـابه. وأرسل إليه رسولـه واعتنى بأمـره ولم يهمله. ولم يتـركه سُدًى. فتـعرض لـغضـبه، وارتكب مسـاخطه وما يكرهه وأبق منه. ووالى عدوَّه وظاهره عليـه، وتحيز إليه. وقطع طريق نعمه وإحسانه إليه التى هى أحب شىء إليه. وفتح طريق العقوبـة والغضب والانتقام: فقـد استدعى من الجواد الكريـم خلاف ما هو موصوف به من الجود والإحسان والبر وتعرض لإغضابه وإسخاطه وانتقامه. وأن يصير غـضبه وسخطه فى موضع رضـاه. وانتقامه وعقـوبته فى موضع كرمه وبره وعطائه. فـاستدعى بمعصيـته من أفعاله مـا سواه أحب إليه منه، وخلاف ما هو من لوازم ذاته من الجود والإحسان.

فبينما هو حبيبـه المقرَّب المخصوص بالكرامة؛ إذ انقلب آبقًا شاردًا، رادًّا لكرامته، مـائلاً عنه إلى عدوِّه، مع شدة حـاجته إليه، وعدم اسـتغنائه عنه طرفة عين.

فبينما ذلك الحبيب مع العدو فى طاعتـه وخدمته، ناسيًا لسيده، منهمكًا فى موافقة عدوه. قد استـدعى من سيده خلاف ما هو أهله؛ إذ عرضت له فكرة فتـذكر بِرَّ سيـده وعطفه وجوده وكرمـه. وعلم أنه لا بد له منه، وأن مصيره إليـه، وعرضه عليه، وأنه إن لم يقدم عليه بنفـسه قُدم به عليه على أسوإ الأحوال. ففرَّ إلى سيده من بلد عدوه وجَدَّ فى الهرب إليه حتى وصل إلى بابه فوضع خده على عتـبة بابه. وتوسد ثرى أعتابه. متذللاً مـتضرعًا، خاشعًا باكيًا آسفًا، يتملق سيده ويسـترحمه. ويستعطفه ويعتذر إليه قد ألقى بيديه إليه، واستسلم له وأعطاه قياده. وألقى إليـه زمامه، فعلم سيده ما فى

قلبه، فعاد مكان الغضب عليه رضا عنه، ومكان الشدة عليه رحمة به. وأبدله بالعقوبة عفواً، وبالمنع عطاء، وبالمؤاخذة حِلْمًا، فاستدعى بالتوبة والرجوع من سيده ما هو أهله، وما هو موجب أسمائه الحسنى، وصفاته العليا. فكيف يكون فرح سيده به؟ وقد عاد إليه حبيبه ووليه طوعًا واختياراً. وراجع ما يحبه سيده منه برضاه. وفتح طريق البر والإحسان والجود، التى هى أحب إلى سيده من طريق الغضب والانتقام والعقوبة.

وهذا موضع الحكاية المشهورة عن بعض العارفين: أنه حصل له شرود وإباق من سيده. فرأى فى بعض السكك بابًا قد فُتح. وخرج منه صبىٌّ يستغيث ويبكى. وأمه خلفه تطرده، حتى خرج. فأغلقت الباب فى وجهه ودخلت. فذهب الصبى غير بعيد، ثم وقف مفكراً، فلم يجد له مأوى غير البيت الذى أُخرج منه، ولا من يؤيه غير والدته. فرجع مكسور القلب حزينًا. فوجد الباب مُرْتجًا، فتوسده ووضع خده على عتبة الباب ونام، فخرجت أمه. فلما رأته على تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه، والتزمته تُقبله وتبكى.

وتقول: يا ولدى! أين تذهب عنى؟ ومن يؤيك سواى؟ ألم أقل لك: لا تخالفنى، ولا تحملنى بمعصيتك لى على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة بك، والشفقة عليك، وإرادتى الخير لك؟ ثم أخذته ودخلت.

فتأمل قول الأم: «لا تحملنى بمعصيتك لى على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة والشفقة».

وتأمل قوله ﷺ: «لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها» [1] وأين تقع رحمة الوالدة من رحمة الله التى وسعت كل شىء؟

فإذا أغضبه العبد بمعصيته فقد استدعى منه صرف تلك الرحمة عنه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٩٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٧٥٤) كتاب التوبة.

فإذا تاب إليه فقد استدعى منه ما هو أهله وأولى به.

فهذه نبذة يسيرة تطلعك على سر فرح الله بتوبة عبده أعظم من فرح هذا الواجد لراحلته فى الأرض المهلكة، بعد اليأس منها.

ووراء هذا ما تجفو عنه العبارة، وتدق عن إدراكه الأذهان(١).

من استطاع منكم أن يؤثر الله فى كل مقام فليفعل

إن الدنيا لا ينبغى أن تشغل المؤمن عن هدفه ووجهته فهو مسافر إلى ربه ولا يغفل لحظة عن التزود فى سفره ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾(٢).

ولذلك فهو لا ينشغل بأى شىء عن ربه بل يؤثر ربه فى كل مقامٍ وفى أى زمان ومكان لا يتردد فى ذلك لأنه يعلم يقينًا أن الدنيا بكل ما فيها لا تساوى عند الله جناح بعوضة فكيف ينشغل بأقل من جناح البعوضة عن رب السموات والأرض؟!

لما سألوا أحد التابعين: ما السرُّ فى عظمة الحسن البصرى؟

قال: احتجنا لدينه واستغنى عن دُنيانا.

وها هو موقف مهيب للحسن - رحمه الله - تتجلى فيه محبته لربه جل وعلا وإيثاره لمرضاته.

ففى تهذيب الكمال: كان ابن هُبيرة واليًا على العراقيين (البصرة والكوفة) فى عهد يزيد بن عبد الملك وكان يزيد يرسل إليه بالكتاب تلو الكتاب ويأمره أن ينفذ ما فى تلك الكتب، ولو كان مجافيًا للحق أحيانًا . . فدعا ابن هبيرة عالمين هما الحسن البصرى والشعبى ليستفتيهما فى ذلك هل له من مَخرج فى دين الله أن ينفذ تلك الكتب، فأجابه الشعبى جوابًا فيه

(١) مدارج السالكين (ص٢٣٢ - ٢٣٦) بتصرف.

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٩٧).

ملاطفة ومسايرة والحسن يستمع وهو ساكت، فالتفت ابن هبيرة إلى الحسن وقال: ماذا تقول يا أبا سعيد؟

فقال الحسن - وتأملوا معى يا إخوانى فى قول الحسن - رحمه الله-.

قال: يا ابن هبيرة خَف الله فى يزيد ولا تخف يزيد فى الله، واعلم أن الله عز وجل يمنعك من يزيد وأنَّ يزيد لا يمنعك من الله.

يا ابن هبيرة: إنه يوشك أن ينزل بك ملك غليظ شديدٌ، لا يعصى الله ما أمره فيزيلك عن سريرك وينقلك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك؛ حيث لا تجد هناك يزيدًا وإنما تجد عملك الذى خالفت فيه رب يزيد.

يا ابن هبيرة: إنك إن تَكُ مع الله وفى طاعته يكفيك بائقة يزيد وإن تَكُ مع يزيد فى معصية الله فإن الله يكلك إلى يزيد.

فبكى ابن هبيرة حتى سقطت دموعه من لحيته ومال عن الشعبى إلى الحسن وبالغ فى العطاء والإعظام والإكرام للحسن البصرى، فلما خرجا من عنده توجها إلى المسجد فاجتمع عليهما الناس وجعلوا يسألونهما عن خبرهما مع ابن هبيرة. فالتفت الشعبى إليهم وقال: أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله على خلقه فى كل مقام فليفعل فوالذى نفسى بيده ما قال الحسن لابن هبيرة شيئًا أجهله ولكنى أردت فيما قلته وجه ابن هبيرة وأراد الحسن وجه الله فأقصانى الله منه وأدنى الحسن وحبَّبه إليه.

وصدق من قال:

يا من يرى ما فى الضمير ويسمعُ
أنت المُعِدُّ لكل ما يتوقعُ
يا من يُرجَّى للشدائد كلها
يا من إليه المشتكى والمفزعُ

يا من خـزائن رزقـه فى قـول كنْ
أُمنن فـإن الخـيـر عندك أجـمعُ
مـا لى سـوى فـقـرى إليك وسـيلة
فـبـالافـتـقـار إليك فـقـرى أدفعُ
مـا لى سـوى قـرعى لبـابك حـيلة
فلئن رُددت فـأى بـاب أقـرعُ
ومن الذى أدعـو وأهتف بـاسـمـه
إن كـان فـضلك عن فـقـيرك يُمنعُ
حـاشـا لجودك أن تُقـنط عـاصيًا
الفـضل أجـزل والمواهـب أوسعُ
ثـم الصـلاة عـلى الـنبى وآلـه
من جـاء بالـقـرآن نورًا يسطعُ

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًّا

عن ثوبان ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: «إن العبد ليلتمس مرضاة الله عز وجل فـلا يزال كذلك فيقول: يا جبريـل إنَّ عبدى فلانًا يلتمس أن يرضينى برضائى عليه»، قال: «فيقول جبريل عليه السلام: رحمة الله على فلان وتقول حملةُ العرش، ويقول الذين يلونهم؛ حتى يقول أهل السموات السبع، ثم يهبط إلى الأرض»، ثم قال رسول الله ﷺ: «وهى الآية التى أنزل الله عليكم فى كتابه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [(١)].

«وإن العبد ليلتمس سخط الله فيقول الله عز وجل: يا جبريل إن فلانًا يستسخطنى

(١) سورة مريم: الآية: (٩٦).

ألا وإن غضبى عليه، فيقول جبريل: غضب الله على فلان، وتقول حملةُ العرش، ويقول من دونهم، حتى يقوله أهل السموات السبع ثم يهبط إلى الأرض»(١).

فيا من آمنت بالله تعالى وعشت فى رحاب سُنة رسول الله ﷺ أبشر والله بكل خير فإن الله سيجعل لك وُدًّا فى الأرض كلها بل فى السموات السبع بين ملائكته وحملة عرشه.

وتذكَّر معى قول الله تعالى لنبيه موسى - عليه السلام -: ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي**﴾(٢).

هيا نتخطى عتبة الأرقم

أخى الحبيب .. أختى الفاضلة:

إن أصعب خطوة فى حياة المؤمن هى أول خطوة يخطوها ليدخل جنة الدنيا (الإيمان) وذلك لأن أعداءه الثلاثة (النفس - الهوى - الشيطان) لن يتركوه ليخطو تلك الخطوة الكريمة المباركة حتى يضعوا فى طريقه العقبات والحواجز والعراقيل ليمنعوه من دخول تلك الجنة.

فإن تغلَّب المؤمن على نفسه الأمَّارة بالسوء وخالف هواه وانتصر على الشيطان فسوف يضع قدميه على أول طريق الجنة .. وهو طريق محفوفٌ بالمكاره ولكن عاقبته محمودة لأن من سار فى هذا الطريق فسوف يجنى الثمار الطيبة فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وهذا يُذكرنى بأصحاب النبى ﷺ الذين كان الواحد منهم يخلع ثوب الجاهلية ويذهب ليعلن إسلامه بين يدى الحبيب ﷺ فى بيت الأرقم بن

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط (٢/ ٥٧، رقم ١٢٤٠)، وقال الهيثمى فى المجمع (١١/ ١٧٥): رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات.

(٢) سورة طه: الآية: (٣٩).

أبى الأرقم ﷺ . وما إن يتخطى الواحد منهم عتبة بيت الأرقم حتى يتحول إلى إنسان جديد قد أسلم قلبه وأسلمت جوارحه لله (جل وعلا) وإذا به يقوم وينفض غبار الغفلة، ويضحى بنفسه وماله وأهله وولده ووطنه من أجل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله) مستعذبًا العذاب فى سبيل ذلك. فما أحوجنا جميعًا أن نتخطى عتبة بيت الأرقم، كما تخطاها أصحاب الحبيب ﷺ وحملوا راية الإسلام خفاقة عالية تعانق كواكب الجوزاء وتقول للدنيا كلها: هذا هو الإسلام وهؤلاء هم المسلمون .. فشهدوا بذلك للإسلام شهادة عملية كما شهدوا له من قبل شهادة قولية.

من يستجيب لنداء الإيمان؟!

قال تعالى عن أهل الاستجابة الذين أسلموا لله قلبًا وقالبًا فخضعت جوارحهم وجوانحهم لأمر الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾(١) .

ثم يأتى النداء الربانى لأهل الإيمان الذين يرون أهل الكفر والإلحاد

---

(١) سورة آل عمران: الآيات: (١٩٠-١٩٥).

يتمتعون بزهرة الدنيا الفانية . . يأتى النداء ليعلموا أن ما عند الله خيرٌ لأهل البر والتقوى وليعلموا أن متاع الحياة الدنيا قليل وزائل.

قال تعالى: **﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾** (١).

فمن يستجيب لنداء الإيمان؟

فيا أهل الإيمان **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** (٢).

نحتاج أن نجدد بيعة العقبة

إن موقف الصحابة رضي الله عنهم واستجابتهم لدعوة الهدى والنور فى يوم بيعة العقبة موقف يعجز القلم عن وصفه لأنه لا يتكرر عبر العصور والأزمان أبداً. فتعالوا بنا لنتعايش مع تلك السطور التى تحكى لنا كيف تمت تلك البيعة المباركة.

ولنترك أحد قادة الأنصار يصف لنا هذا الاجتماع التاريخى، الذى حوَّل مجرى الأيام فى صراع الوثنية والإسلام، . . . . يقول كعب بن مالك الأنصارى رضي الله عنه: فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا فى الشِّعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من نسائنا، نسيبة بنت كعب - أم عمارة - من بنى مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو - أم منيع - من بنى سلمة.

---

(١) سورة آل عمران: الآيات: (١٩٦-١٩٨).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٢٠٠).

فاجتمعنا فى الشِّعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا، ومعه (عمه) العباس بن عبد المطلب - وهو يومئذٍ على دين قومه - إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له وكان أول متكلم.

وبعد أن تكامل المجلس بدأت المحادثات لإبرام التحالف الدينى والعسكرى، وكان أول المتكلمين هو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ تكلم ليشرح لهم - بكل صراحة - خطورة المسئولية التى ستُلقى على كواهلهم نتيجة هذا التحالف، قال: يا معشر الخزرج إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو فى عِزٍّ من قومه، ومنعة فى بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مُسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه فى عِزٍّ ومنعة من قومه وبلده.

قال كعب: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

وهذا الجواب يدل على ما كانوا عليه من عزم وتصميم وشجاعة وإيمان وإخلاص فى تحمل هذه المسئولية العظيمة، وتحمل عواقبها الخطيرة.

وألقى رسول الله ﷺ بعد ذلك بيانه، ثم تمت البيعة.

قال جابر: قلنا: يا رسول الله على ما نبايعك؟ قال:

١- على السمع والطاعة فى النشاط والكسل.

٢- وعلى النفقة فى العسر واليسر.

٣- وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٤- وعلى أن تقوموا فى الله لا تأخذكم فى الله لومة لائم.

٥- وعلى أن تنصرونى إذا قدمت إليكم، وتمنعونى مما تمنعون منه

أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة [١].

والآن أسأل نفسى وإخوانى: هل نستطيع أن نجدد بيعة العقبة التى سطَّرها أجدادنا من الصحابة ﷺ بدمائهم ولم يكن لهم أى مطمع فى حُطام الدنيا الفانية ولكنهم رضوا بقول النبى ﷺ: «ولكم الجنة».

وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٢].

وقال ﷺ: «يُؤتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ فى جهنم صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويُؤتَى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مرَّ بى بؤسٌ قط، ولا رأيت شدةً قط» [٣].

فأبشروا يا إخوانى.... بغمسة واحدة فى الجنة سوف ننسى كل شقاء وعناء وتعب ومشقة وبلاء وعذاب.

كل ذلك بغمسة واحدة! فكيف إذا أنعم الله علينا بالخلود فى جنته التى فيها ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٤٢٤٣) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٣).

(٢) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

السبيل إلى لذة الدنيا والآخرة

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: لذة كل أحد على حسب قدره وهمته وشرف نفسه، فأشرف الناس نفسًا وأعلاهم همة وأرفعهم قدرًا مَن كانت لذته فى معرفة الله ومحبته والشوق إلى لقائه والتودُّد إليه بما يحبه ويرضاه. فلذته فى إقباله عليه، وعكوف همته عليه، ودون ذلك مراتب لا يحصيها إلا الله، حتى تنتهى إلى من لذته فى أخس الأشياء من القاذورات والفواحش فى كل شىء من الكلام والفعال والأشغال. فلو عُرض عليه ما يلتذ به الأول لم تسمح نفسه بقبوله ولا التفتت إليه، وربما تألمت من ذلك، كما أن الأول إذا عُرض عليه ما يلتذ به هذا لم تسمح نفسه به، ولم تلتفت إليه، ونفرت نفسه منه.

وأكمل الناس لذة من جُمع له بين لذة القلب والروح ولذة البدن، فهو يتناول لذاته المباحة على وجه لا يُنقص حظه من الدار الآخرة، ولا يقطع عليه لذة المعرفة والمحبة والأنس بربه. فهذا ممن قال تعالى فيه: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[1].

وأبخسهم حظًّا من اللذة مَن تناولها على وجه يحول بينه وبين لذات الآخرة، فيكون ممن يقال لهم يوم استيفاء اللذات: ﴿**أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا**﴾[2].

فهؤلاء تمتعوا بالطيبات، وأولئك تمتعوا بالطيبات، وافترقوا فى وجه التمتع، فأولئك تمتعوا بها على الوجه الذى أُذن لهم فيه، فجمع لهم بين لذة الدنيا والآخرة، وهؤلاء تمتعوا بها على الوجه الذى دعاهم إليه الهوى والشهوة، وسواء أُذن لهم فيه أم لا، فانقطعت عنهم لذة الدنيا وفاتتهم لذة

(١) سورة الأعراف: الآية: (٣٢).

(٢) سورة الأحقاف: الآية: (٢٠).

الآخرة؛ فلا لذة الدنيا دامت لهم، ولا لذة الآخرة حصلت لهم.

فمن أحبَّ اللذة ودوامها والعيش الطيب، فليجعل لذة الدنيا موصلاً له إلى لذة الآخرة، بأن يستعين بها على فراغ قلبه لله فى إرادته وعبادته، فيتناولها بحكم الاستعانة والقوة على طلبه، لا بحكم مجرد الشهوة والهوى. وإن كان ممن زُويت عنه لذات الدنيا وطيباتها، فليجعل ما نقص منها زيادة فى لذة الآخرة، ويجمّ نفسه - أى يريحها - ههنا بالترك ليستوفيها كاملة هناك.

فطيبات الدنيا ولذاتها نعم العون لمن صحَّ طلبه لله والدار الآخرة وكانت همُّته لما هناك، وبئس القاطع لمن كانت هى مقصوده وهمته، وحولها يدندن، وفواتها فى الدنيا نعم العون لطالب الله والدار الآخرة، وبئس القاطع النازع من الله والدار الآخرة، فمن أخذ منافع الدنيا على وجه لا ينقص حظه من الآخرة ظفر بهما جميعًا وإلا خسرهما جميعًا (١).

ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن أول ما يُسأل عنه العبدُ يوم القيامة من النعيم أن يُقال له: ألم نُصحَّ لك جسمك ونرويك من الماء البارد؟**»(٢).

فيا من أنعم الله عليك بنعمه التى لا تُعد ولا تحصى ويا من أسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾(٣).

كيف لا تستجيب لربك وهو الذى خلقك ورزقك وأسبغ عليك نعمه وكفى بالإسلام نعمة.

---

(١) الفوائد (ص ٢١٩ - ٢٢١) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٥٨) كتاب تفسير القرآن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠٢٢).

(٣) سورة الرحمن: الآية: (٦٠).

ألا تسأل نفسك هذا السؤال: إن كان الله سيسألنى عن الماء البارد فكيف بسائر النعم وماذا أجيب ربى إذا سألنى عن نعمة الإسلام وعن نعمة الوقت والصحة والزوجة والأولاد والمال.

قال ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»(١) .

وتوكل على الحى الذى لا يموت

إن الإنسان قد ينشغل بقضية الرزق كثيراً حتى إنه قد ينشغل عن ذكر ربه بل وعن عبادته والعمل لنُصرة دينه، ومن أجل ذلك جاء النداء من الله (جل وعلا): ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ**﴾(٢) ليكون هذا النداء بلسمًا للقلوب.. فإن الإنسان إذا توكل على إنسان مثله فقد يمرض هذا الإنسان أو يموت، ولكن الذى يتوكل على الحى الذى لا يموت فإنه يكفيه مؤنة حياته وييسر له الأسباب كلها لينشغل بطاعته والاستجابة لأمره والعمل لدينه.

قال تعالى: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنًى وأسُدَّ فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شُغلاً ولم أسُدَّ فقرك»(٣) .

وتزودوا فإن خير الزاد التقوى

يا من استجبت لله (جل وعلا) أنت فى حاجة شديدة إلى زاد تتزود به لآخرتك .. فإذا سألت وقلت: أين هذا الزاد؟ سيأتيك الجواب من الله (جل وعلا): ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾(٤) .

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٤١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٢٩٩).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٥٨).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٦) صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤١٠٧) كتاب الزهد، وأحمد (٨٤٨١) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩١٤).

(٤) سورة البقرة: الآية: (١٩٧).

فيا من تزودت بالتقوى واستجبت لأمر الله أبشر برحمة الله وبمغفرته، ومن ثَم أبشر بجنته ورضوانه.

وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

وها هو ميدان المنافسة الحقيقى الذى قال عنه الحق (جل وعلا): ﴿**وَفِى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ (١).

فما الذى يمنعك أن تقف فى (مضمار السباق) لتسبق الكون كله إلى طريق الجنة وتعلنها قوية من قلبك قبل لسانك وتقول: لن أدع مسلمًا يسبقنى إلى الله.

قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ**» (٢).

وقال ﷺ: «**بادروا بالأعمال الصالحة، فتنٌ كقطع الليل المظلم، يصبح الرجلُ مؤمنًا ويمسى كافرًا، ويمسى مؤمنًا ويُصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل**» (٣).

وعن الحسين بن علىّ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يُحبُّ معالى الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها**» (٤).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب معالى الأخلاق، ويكره سفسافها**» (٥).

وفى الحديث القدسى: «**يا عبادى! إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها**» (٦).

---

(١) سورة المطففين: الآية: (٢٦).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١١٨) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه الطبرانى (٣/ ١٣١، رقم ٢٨٩٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨٩٠).

(٥) صحيح: رواه ابن حبان فى روضة العقلاء (ص ١٦)، والطبرانى (٦/ ١٨١، رقم ٥٩٢٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨٠١).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

وعن عتبة بن عبد قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو أنَّ رجلاً يُجرُّ على وجهه من يوم وُلد إلى يوم يموت هرمًا فى مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة»** (١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من جعل الهموم همًّا واحدًا - همَّ المعاد -؛ كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا؛ لم يُبال الله فى أى أوديتها هلك»** (٢).

أخي: من صفا صُفّى له، ومن كدر كُدِّر عليه، ومن أحسن فى ليله كوفئ فى نهاره، ومن أحسن فى نهاره كوفئ فى ليله، وإنما يكال للعبد كما كال .. فمن أراد المنزلة العليا من الجنة فعليه أن يكون فى المنزلة العليا فى العبادة.

قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أراد أن يعلم ما له عند الله، فلينظر ما لله عنده»** (٣).

وقال ﷺ: **«من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنَّ سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»** (٤).

تلك هى الهجرة الباقية

قال ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونية ..» (٥).

فإن كان أصحاب النبى ﷺ قد ضحَّوا بالنفس والمال والأولاد والأوطان من أجل أن يهاجروا إلى الله ورسوله ﷺ ليظفروا بنعمة الإسلام .. فإن الهجرة الباقية إلى يوم القيامة هى هجرة أرض المعاصى والذنوب إلى أرض الطاعة والخضوع لعلام الغيوب (جل وعلا). ولذلك قال ﷺ: **«لا هجرة**

---

(١) حسن: رواه أحمد (١٧١٩٧) مسند الشاميين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٤٩).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٢٥٧) فى مقدمة سننه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٨٩).

(٣) حسن: رواه أبو نعيم فى الحلية (٦/ ١٧٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣١٠).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٨٣) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٣٥٣) كتاب الإمارة.

بعد الفتح ولكن جهاد ونية» فهذا هو جهاد النفس واستحضار النية فى العمل ليكون ابتغاء وجه الله تعالى. وهذا كله يحتاج إلى مجاهدة كما قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[١].

وهذا الذى حدث فى قصة الرجل الذى قتل تسعة وتسعين نفسًا وأراد أن يتوب فدلَّه العالم على أرض يهاجر إليها ليطيع الله فيها لأن الأرض التى كان يعيش فيها (أرض سوء).

فتلك هى الهجرة التى لا تنتهى أبدًا إلى يوم القيامة.

ولذلك فلقد أجزل الله تعالى الأجر والمثوبة للغرباء الذى يعيشون فى زمن الفتن ويقبضون على دينهم ويهاجرون بأرواحهم وأبدانهم لطاعة ربهم وخالقهم.

قال ﷺ: «إن من ورائكم زمان صبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدًا منكم»[٢].

وقال ﷺ: «طوبى لمن رآنى وآمن بى ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى»[٣].

وفى رواية قال ﷺ: «طوبى لمن رآنى وآمن بى مرة وطوبى لمن لم يرنى وآمن بى سبع مرات»[٤].

السبيل إلى دعوة الناس للاستجابة لأمر الله

إن الداعية الصادق هو الذى يعلم من أين يدخل إلى قلوب الناس من حوله فهو دائمًا يرفع شعار البسمة والرحمة ممتثلاً قول الله جل وعلا: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**

(١) سورة العنكبوت: الآية: (٦٩).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى (١٠/ ١٨٢ ، رقم ١٠٣٩٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٣٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١١٢٧٦) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٩٢٣).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢١٦٣٤) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٩٢٤).

وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[(١)].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا؛ فإنهم لا يقدرون على تركها، ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم، فترك الدنيا فضيلة، وترك الذنوب فريضة. فكيف يُؤمر بالفضيلة من لم يقم الفريضة!

فإن صعب عليهم ترك الذنوب، فاجتهد أن تُحبّب الله إليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وصفات كماله ونعوت جلاله، فإن القلوب مفطورة على محبته فإذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب والإصرار عليها والاستقلال منها.

وقد قال يحيى بن معاذ: «وطلب العاقل للدنيا خير من ترك الجاهل لها».

العارف يدعو الناس إلى الله من دنياهم فتسهل عليهم الإجابة، والزاهد يدعوهم إلى الله بترك الدنيا فتشق عليهم الإجابة، فإن الفطام عن الثدى الذى ما عقل الإنسان نفسه إلا وهو يرتضع منه، شديد. ولكن تخير من المرضعات أزكاهن وأفضلهن؛ فإن للبن تأثيراً فى طبيعة المرتضع، ورضاع المرأة الحمقى يعود بحمق الولد. وأنفع الرضاعة ما كان من المجاعة، فإن قويت على مرارة الفطام وإلا فارتضع بقدر؛ فإن من البَشَم (التخمة من الطعام) ما يقتل[(٢)].

لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر

فلله على العبد فى كل عضو من أعضائه أمرٌ، وله عليه فيه نهى، وله فيه نعمة، وله به منفعة ولذة. فإن قام لله فى ذلك العضو بأمره، واجتنب فيه نهيه، فقد أدَّى شكر نعمته عليه فيه، وسعى فى تكميل انتفاعه ولذته به. وإن عطل أمر الله ونهيه فيه عطله الله من انتفاعه بذلك العضو، وجعله من أكبر أسباب ألمه ومضرته.

وله عليه فى كل وقت من أوقاته عبودية، تقدمه إليه وتقربه منه، فإن شغل وقته بعبودية الوقت تقدم إلى ربه، وإن شغله بهوًى، أو راحة وبطالة

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

(٢) الفوائد: (ص ٢٤٣، ٢٤٤).

تأخر. فالعبد لا يزال في تقدم، أو تأخر، ولا وقوف في الطريق ألبتة.

قال تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (١)(٢).

استجب قبل فوات الأوان

يا من لامس الإيمان شغاف قلبه: استجب لنداء الرحمن قبل فوات الأوان: أما سمعت قول الله تعالى وهو يصف حال أهل الغفلة وهم يصرخون بعد موتهم يريدون الرجوع مرة أخرى إلى الدنيا ليعملوا صالحًا؟!

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا

(١) سورة المدثر: الآية: (٣٧).

(٢) الفوائد: (ص ٢٧٤).

(٣) سورة المؤمنون: الآيات: (٩٩ - ١١٦).

صفًّا (٢٢) وَجِيءَ يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى (٢٣) يقول يا ليتني قدمت لحياتي (٢٤) فيومئذ لا يعذب عذابه أحد (٢٥) ولا يوثق وثاقه أحد﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون (١٢) ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (١٣) فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾[2].

سل نفسك أيها الأخ الحبيب: هل أيامك التى مضت من عمرك جعلتك تقترب من الجنة خطوة أم أنها أبعدتك عن الجنة خطوات؟!

حاسب نفسك واجعل لنفسك مع نفسك وقفةً صادقة لتعرف وجهتك ومقصدك من الآن فتبذل الغالى والنفس والنفيس من أجل مرضاة الله والفوز بجنته واعلم أن هذا هو الفوز العظيم الذى لا فوز بعده.

أما إن غفلت عن تلك الغاية فليس أمامك إلا الندم حيث لا ينفع الندم ولا تُجدى الحسرة والألم.

خمس دعوات لأهل النار

قال محمد بن كعب: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل فى أربع فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدًا ..

يقولون: ﴿ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل﴾[3] فيقول الله تعالى مجيبًا لهم: ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير﴾[4].

---

(١) سورة الفجر: الآيات: (٢١-٢٦).

(٢) سورة السجدة: الآيات: (١٢-١٤).

(٣) سورة غافر: الآية: (١١).

(٤) سورة غافر: الآية: (١٢).

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾[1].

فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيجيب الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[2].

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[3].

فلا يتكلمون بعدها أبدًا وذلك غاية شدة العذاب . .

قال مالك بن أنس رضي الله عنه .

قال زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾[4].

قال: صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ . . . وقال صلى الله عليه وسلم : «يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيُذبح بين الجنة والنار ويقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت»[5].

فتأمل أخي الكريم: كيف أن أهل النار يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾[6]. فيتمنى الواحد منهم أن يرجع إلى الدنيا ليستجيب لأمر الله ولشرع الله (جل وعلا) ولكن هيهات هيهات فقد جاءت الأمنية بعد فوات الأوان.

---

(1) سورة إبراهيم: الآية: (44).

(2) سورة فاطر: الآية: (37).

(3) سورة المؤمنون: الآيات: (106-108).

(4) سورة إبراهيم: الآية: (21).

(5) متفق عليه: رواه البخاري (4730) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (2849) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(6) سورة إبراهيم: الآية: (44).

خطبة إبليس فى النار

وبعد أن أمر الله عباده بتحقيق العبودية له، وبأن يحذروا خطوات الشيطان . . كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١) .

أمر الله عباده بعد ذلك بأن يتدبروا ويتأملوا فى مشاهد الحسرة التى تحدث يوم القيامة ليحذروا من الوقوع فيها. ومن بين تلك المشاهد ما يكون من هذا العتاب والتوبيخ الذى يكون من الملك (جل جلاله) لهؤلاء الذين عبدوا الشيطان والهوى من دون الرحمن.

قال تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٢) بل أخبر الله تعالى بهذا المشهد العجيب الذى يكون بعدما يدخل أهل النار إلى النار (ألا وهو خطبة إبليس فى النار) ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾(٣) .

---

(١) سورة النور: الآية: (٢١).

(٢) سورة يس: الآيات: (٥٩-٦٥).

(٣) سورة إبراهيم: الآيتان: (٢٢-٢٣).

فكيف بعد ذلك نجد مسلمًا يحمل قلبًا وعقلاً سويًّا يطيع الشيطان ويتبع خطواته وينسى الرحمن ولا يسعى لمرضاته؟!

موانع الاستجابة

إن موانع الاستجابة لأمر الله ولأمر رسول الله ﷺ كثيرة كثيرة ولكنى سأكتفى بذكر بعضها على سبيل الاختصار الذى لا يطمس المعنى بل ييسر فهمه ويرسخه فى العقل.

١- الاغترار بكثرة أهل الباطل:

إن رؤية أكثر أهل الأرض وهم يعيشون بعيدًا عن شرع الله وعن هدى رسول الله ﷺ جعل الفتنة تتسرب شيئًا فشيئًا إلى أصحاب القلوب المريضة حتى ظنوا أن الحق مع الكثرة مع أن الله (جل وعلا) قال فى كتابه وهو أصدق القائلين: ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ** ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴾ (٣).

وهذا هو الشىء الذى حدث مع مشركى قريش حين قالوا: ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** ﴾ (٤).

ولقد حذرنا الحق (جل وعلا) من هذا فقال: ﴿ **قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (٥).

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١١٦).

(٢) سورة يوسف: الآية: (١٠٣).

(٣) سورة يوسف: الآية: (١٠٦).

(٤) سورة الزخرف: الآية: (٢٣).

(٥) سورة المائدة: الآية: (١٠٠).

ولذا فـإن من الواجب علينا ألا نغتـر برؤية أهل البـاطل وهم يملؤون الأرض فسـادًا وإفسادًا وعلينا أن نمتثل قـول الحق جل وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾(١).

وأن نتذكر قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾(٢)

فمن هنا تعلم أيها الأخ الحبيب أنك ستُبعث وحدك وتُحاسَب وحدك.. كمـا قال الصادق الذى لا يـنطق عن الهوى ﷺ: «**ما منكـم من أحد إلا سيكلمـه الله يوم القيـامة ليس بينه وبينه تُرجمـان فينظر أيمن منه فـلا يرى إلا ما قدَّم وينـظر أشأم منه فـلا يرى إلا ما قـدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلـقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة**» (٣).

وقال تعالى: ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾(٤).

فكن يا أخى مع حـزب الرحمن وإن كـانوا أقلَّ عددًا وعُـدة من حزب الشـيطان واعلم أن القيـامة مـوعدنا وبين يدى الله مـوقفنا وعلى الـصراط مرورنا وفى الجنة أو النار مصيرنا.

٢- اتباع الهوى:

ومن أعظم الأسباب فى عـدم الاستجابة (اتباع الهـوى) فالهوى سلطانٌ

(١) سورة التحريم: الآية: (٦).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٩٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٣٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٤) سورة الإسراء: الآيات: (١٣-١٥).

غَشومٌ ظلوم يُعمى القلب ويُصمه.

قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(١) .

وقال تعالى موضحًا خطر اتباع الهوى (الذى يُعبد الآن من دون الله تعالى): ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾(٣) .

فهذا الذى يتبع هواه يناديه الله عز وجل من فوق سبع سموات قائلاً: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾(٤) ، ومع هذا تجد من يتبع هواه يفر من الله (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

٣- النشأة فى بيئة غير صالحة:

إن النشأة فى تلك البيئة يُضعف الإيمان ومن ثَم يجعل الاستجابة صعبة ولذلك فإن المؤمن لابد أن يحرص على أن يعيش فى بيئة صالحة تعينه على أمر دينه ودنياه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا

(١) سورة القصص: الآية: (٥٠).
(٢) سورة الفرقان: الآيتان: (٤٣-٤٤).
(٣) سورة الجاثية: الآية: (٢٣).
(٤) سورة الذاريات: الآية: (٥٠).

إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (١).

٤- الحاجة إلى القدوة الصالحة:

إن وجود القدوة الصالحة من أهم أسباب الاستجابة والهداية ولذلك عندما ضاعت تلك القدوة ذهب شبابنا يلتمسون القدوة عند الساقطين والساقطات يوم أن نسوا القدوة والمُعلم الأول محمد بن عبد الله ﷺ الذى قال عنه تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾(٢).

فالهداية لن تكون إلا باتباع المصطفى ﷺ كما قال تعالى: ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾(٣).

٥- عدم السماع:

قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾(٥).

ولهذا أمرنا الله بأن نستمع لأمره بقلوبنا قبل أى شىء فقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ**

---

(١) سورة النساء: الآيات: (٩٧-١٠٠).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٥٨).

(٤) سورة فصلت: الآية: (٢٦).

(٥) سورة الأنعام: الآية: (٣٦).

بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[١].

فإن لم يستمع الإنسان لأمر الله ويستجيب له فإن الله أخبر عن حال هذا الإنسان في النار حين يقول هو ومن على شاكلته: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[٢].

فالذين يستجيبون للشيطان ولا يستجيبون للرحمن هؤلاء لهم أعين ولكن لا يبصرون بها، ولهم أذان ولكن لا يسمعون بها... كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[٤].

فالبصر الحقيقي بصر القلب، والسمع الحقيقي سمع القلب.

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[٥].

٦- الانشغال بشهوات الدنيا وملذاتها:

قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٤ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٦].

فالدنيا تجعل القلب أبعد ما يكون عن الله (جل وعلا) وما يزال الرجل يجمع الدنيا وحطامها حتى يصبح عبدًا لها. مع أن الحق (جل وعلا) قال

---

(١) سورة الأنفال: الآيات: (٢٠-٢٤).

(٢) سورة الملك: الآيتان: (١٠-١١).

(٣) سورة ق: الآية: (٣٧).

(٤) سورة الأعراف: الآية: (١٧٩).

(٥) سوره الحج: الآية: (٤٦).

(٦) سورة هود: الآيات: (١٤ - ١٦).

فى الحديث القدسى موضحًا السبب الرئيس لوجود المال فقال: «**إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد لأحب أن يكون له ثان ولو كان له واديان لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا الترابُ ثم يتوب الله على من تاب**»(١).

ومن **الأسباب أيضًا**: الانشغال بالمال والزوجة والأولاد.... يقول الله عز وجل: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ** ﴾(٢).

وقال ﷺ: «**الولد ثمرة القلب وإنه مجبنة مبخلة محزنة**» (٣).

وفى رواية الطبرانى قال ﷺ: «**الولد محزنة مجبنة مجهلة مبخلة**»(٤).

فقوله: «**مبخلة**» لأنه إذا أراد الإنسان أن ينفق فى سبيل الله ذكَّره الشيطان بأولاده فيقول: (أولادى أحق بالمال)، وقوله: «**مجبنة**» (أى إذا أراد الرجل أن يجاهد فى سبيل الله يأتيه الشيطان فيقول تُقتل وتموت فيصبح الأولاد ضياعًا يتامى فيقعد عن الخروج للجهاد)، وقوله: «**مجهلة**» (أى يشغل الأب عن طلب العلم)، وقوله: «**محزنة**» (أى إذا مرض حزن عليه وإذا طلب الولد شيئًا لا يقدر عليه الأب حزن الأب وإذا كبر وعقَّ أباه فذلك الحزن الدائم والهم اللازم). والمقصود التحذير من الانشغال معهم بالدنيا وترك أمانة الدين بحجة السعى على الأرزاق.

٧- طول الأمل:

قال تعالى: ﴿ **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾(٥).

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢١٣٩٩) مسند الأنصار ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٨١).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٢٨).

(٣) رواه أبو يعلى (٢/ ٣٠٥، رقم ١٠٣٢)، والحديث صححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١٦٠) دون قوله: «ثمرة القلب وإنه»، انظر ضعيف الجامع (٦١٦٥).

(٤) صحيح: رواه الطبرانى (٢٤/ ٢٤١، رقم ٦١٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩٩٠).

(٥) سورة الحجر: الآية: (٣).

وقال على رضي الله عنه: (إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فيُنسى الآخرة).

وجاء فى الأثر: (أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا).

كيف نستجيب لأمر الله تعالى؟

لكى نستجيب لأمر الله ولأمر رسول الله ﷺ فعلينا أولاً أن نبتعد عن أسباب (عدم الاستجابة) الذى ذكرناها ثم علينا بأن نأخذ بالأسباب التى تثمر فى قلوبنا ثمرة الهداية والإيمان.

١- فعلينا أن نقرأ القرآن بتدبر لنعمل بما فيه فالقرآن فيه الوعد والوعيد وفيه ذكر الجنة والنار والأحكام والأخبار والقصص والآداب والأخلاق ولقد كان أصحاب النبى ﷺ يقرؤون القرآن ويتدبرون معانيه ويتأثرون به.

ويلخص الإمام ابن القيم رحمه الله ما على المسلم أن يفعله لعلاج قسوة قلبه بالقرآن فيقول: (ملاك ذلك أمران: أحدهما أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتُسكنه فى وطن الآخرة ثم تُقبل به كله على معانى القرآن واستجلائها وتدبرها وفهم ما يراد منه وما نزل لأجله وأخذ نصيبك من كل آياته وتُنزلها على كل داء قلبك فإذا نزلت هذه الآية على داء القلب برئ القلب بإذن الله.

٢- استشعار عظمة الله عز وجل ومعرفة أسمائه وصفاته والتدبر فيها وعقل معانيها واستقرار هذا الشعور فى القلب وسريانه إلى الجوارح لتنطق عن طريق العمل بما وعاه القلب فهو ملكها وسيدها وهى بمثابة جنوده وأتباعه فإذا صلح صلحت وإذا فسد فسدت. ولذا يقول جل وعلا: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [(١)].

٣- طلب العلم الشرعى وهو العلم الذى يؤدى تحصيله إلى خشية الله

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٦٧).

وزيادة الإيمان به عز وجل ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(١).

٤- لزوم حِلق الذكر لما يحصل فيها من ذكر الله وغشيان الرحمة ونزول السكينة وحف الملائكة للذاكرين وذكر الله لهم فى الملأ الأعلى ومباهاته بهم الملائكة ومغفرته لذنوبهم كما جاء فى الحديث قوله ﷺ: «**لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفَّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده**»(٢).

٥- الاستكثار من الأعمال الصالحة وملء الوقت بها وقد ضرب الصدِّيق فى ذلك مثلاً عظيمًا كما روى الإمام مسلم أنه لما سأل النبى ﷺ أصحابه «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**من عاد اليوم منكم مريضًا؟**» قال أبو بكر: أنا قال: «**من اتبع اليوم منكم جنازة؟**» قال أبو بكر: أنا. قال: «**من أطعم اليوم منكم مسكينًا؟**» قال أبو بكر: أنا. فقال ﷺ: «**ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة**»(٣).

٦- الخوف من سوء الخاتمة: لأنه يدفع المسلم إلى الطاعة ويجدد الإيمان فى قلبه، أما سوء الخاتمة فأسبابها كثيرة منها ضعف الإيمان والانهماك فى المعاصى وعدم تذكر الموت فإن من جعل الموت نُصب عينيه بادر بالأعمال الصالحة حتى إذا وافته المنية مات على طاعة الله جل وعلا.

٧- الإكثار من ذكر الموت: قال ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت**»(٤) فتذكُّر الموت يردع عن المعاصى ويُليِّن القلب القاسى. وزيارة القبور من أعظم وسائل ترقيق القلوب .. ومن أكثر ذكر الموت أُكرم بثلاثة

---

(١) سورة فاطر: الآية: (٢٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠٢٨) كتاب الزكاة.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٠٧) كتاب الزهد، والنسائى (١٨٢٤) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٥٨) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٦٥) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢١٠).

أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل فى العبادة.

ومما يؤثر فى النفس من مشاهد الموت رؤية المحتضرين فإن فى النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويمنع الأجفان من النوم والأبدان من الراحة ويبعث على العمل ويزيد فى الاجتهاد.

دخل الحسن البصرى على مريض يعوده فوجده فى سكرات الموت فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير اللون الذى خرج به من عندهم فقالوا له: الطعام يرحمك الله فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم فوالله لقد رأيت مصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

٨- تذكر منازل الآخرة يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله-: (فإذا صحَّت فكرته أوجبت له البصيرة فهى نور فى القلب يبصر به الوعد والوعيد والجنة والنار وما أعدَّ الله فى هذه لأوليائه وفى هذه لأعدائه فأبصر الناس وقد خرجوا من قبورهم مهطعين لدعوة الحق وقد نزلت ملائكة السموات فأحاط بهم وقد جاء الله وقد نُصب كرسيه لفصل القضاء وقد أشرقت الأرض بنوره ووُضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقد نُصب الميزان وتطايرت الصحف واجتمعت الخصوم وتعلق كل غريم بغريمه ولاح الحوض وأكوابه عن كُثْبٍ وكَثُرَ العطاش وقَلَّ الوارد ونُصب الجسر للعبور ولُزَّ الناس إليه وقُسمت الأنوار دون الظلمة للعبور عليه والنار يحطم بعضها بعضًا تحته والمتساقطون فيها أضعاف الناجين فينفتح فى قلبه عين يرى بها ذلك ويقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة يُريه الآخرة ودوامها والدنيا وسرعة انقضائها.

٩- التفاعل مع الآيات الكونية - فإنه مما لا شك فيه أن تفاعل القلب مع هذه الظواهر والفزع منها يجدد الإيمان فى القلب ويُذكر بعذاب الله وبطشه وعظمته وقدرته وقوته ونقمته. ومن هذه الظواهر كسوف الشمس

وخسوف القمر والريح الشديدة وغيرها.

١٠- ذكر الله تعالى: وهو جلاء القلوب وشفاؤها ودواؤها عند اعتلالها وهو روح الأعمال الصالحة، وقد أمر الله به فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[١].

ووعد بالفلاح لمن أكثر منه فقال: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢] وهو وصية النبي ﷺ لمن كَثُرَت عليه شرائع الإسلام فقال له: **«لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله»**[٣].

١١- قِصَرُ الأمل: وهذا مهم جدًّا في تجديد الإيمان،.... يقول ابن القيم رحمه الله: ومن أعظم ما فيها هذه الآية ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾[٤].

﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾[٥].

فهذه كل الدنيا - فلا يطول الإنسان الأمل يقول: سأعيش وسأعيش،..

قال بعض السلف لرجل: صلِّ بنا الظهر، فقال الرجل: إن صليت بكم الظهر لم أُصلِّ بكم العصر.

فقال: وكأنك تؤمل أن تعيش لصلاة العصر، نعوذ بالله من طول الأمل.

١٢- التفكر في حقارة الدنيا حتى يزول التعلق بها من قلب العبد.. قال الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٦].

وقال النبي ﷺ: «إن مطعم ابن آدم قد ضُرب للدنيا مثلاً، فانظر ما يخرج

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٤١).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٤٥).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٣٧٥) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٧٩٣) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٧٠٠).

(٤) سورة الشعراء: الآيات: (٢٠٥-٢٠٧).

(٥) سورة يونس: الآية: (٤٥).

(٦) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

من ابن آدم وإن قزّحه وملّحه، قد علم إلى ما يصير» (١).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا أو متعلمًا»** (٢).

ثمرات الاستجابة فى الدنيا والآخرة

إن ثمرات الاستجابة لأمر الله فى الدنيا والآخرة لا تُعدّ ولا تُحصى ولكن حسبُنا أن نذكر منها بعض الثمرات التى تُثلج القلوب المؤمنة. ولكنى سأبدأ بأعظم ثمرة ألا وهى (جنة الرحمن) التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾ (٣)فالذين استجابوا لربهم بالإيمان والطاعة يكافئهم ربهم بأن يُدخلهم الجنة .. ويا لها من مكافئة.

على قدر استجابتك تكون استجابة الله لدعائك

وها هى ثمرة من أعظم ثمرات الاستجابة (ألا وهى استجابة الدعاء) ولنعلم جميعًا أننا على قدر استجابتنا لأمر الله تكون استجابة الله تعالى لدعائنا.

ومما لا شك فيه أن أعظم الناس استجابة لأمر الله هم الأنبياء والرسل - صلوات ربى وسلامه عليهم - ولذلك يذكر الله تعالى فى سورة الأنبياء كيف استجاب دعاءهم بمجرد أن رفعوا أيديهم بالدعاء لخالق الأرض والسماء (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧)

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى (١/ ١٩٨، رقم ٥٣٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٨٢).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٠٩).

(٣)سورة الرعد: الآية: (١٨).

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [(١)].

وها هو نبي الله يوسف - عليه السلام - لما استغاث بربه أن ينقذه من هذه الفتنة استجاب الله دعاءه، وكتب له النجاة منها قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [(٢)].

وها هو نبي الله موسى يستجيب الله دعاءه على فرعون وأتباعه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ

(١) سورة الأنبياء: الآيات: (٧٦-٩٢).

(٢) سورة يوسف: الآيتان: (٣٣-٣٤).

الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾(١).

وها هم أهل الإيمان الذين استجابوا للرحمن يستجيب الله دعاءهم ويعدهم بالمغفرة والجنة فإنهم لما قالوا: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾(٢).

كانت النتيجة ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾(٣).

بل ها هو مشهد عظيم لأصحاب النبي ﷺ في غزوة أحد.

قال تعالى عنهم: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾(٤) أي الذين أطاعوا الله وأطاعوا الرسول من بعد ما نالهم الجراح يوم أُحد . . قال ابن كثير: وهذا كان يوم «حمراء الأسد» وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كَرُّوا راجعين إلى بلادهم ثم ندموا لأنهم لم يقتلوا أهل المدينة لتكون الفيصلة، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليُرعبهم ويريهم أن بهم قوة وجَلَدًا، ولم يأذن لأحد سوى من حضر أُحدًا فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(٥) أي لمن أطاع منهم أمر الرسول وأجابه إلى الغزو - على ما به من جراح وشدائد - الأجر العظيم والثوابُ الجزيل ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

---

(١) سورة يونس: الآيتان: (٨٨-٨٩).

(٢) سورة آل عمران: الآيتان: (١٩٣-١٩٤).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٩٥).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٧٢).

(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٧٢).

﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾(١)، أى الذين أرجف لهم المرجفون من أنصار المشركين فقالوا لهم: إن قريشًا قد جمعت لكم جموعًا لا تُحصى فخافوا على أنفسكم فما زادهم هذا التخويف إلا إيمانًا ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(٢) أى قال المؤمنون: الله كافينا وحافظنا ومتولى أمرنا ونعم الملجأ والنصير لمن توكل عليه جل وعلا ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾(٣) أى فرجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر والثواب ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾(٤) أى لم ينلهم مكروه أو أذى ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾(٥) أى نالوا رضوان الله الذى هو سبيل السعادة فى الدارين ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾(٦) أى ذو إحسان عظيم على العباد.

وهذا مشهد مهيب للحبيب ﷺ وأصحابه أيضًا فى غزوة بدر.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾(٧) أى اذكروا حين تطلبون من ربكم الغوث بالنصر على المشركين.

روى أن رسول الله ﷺ نظر إلى المشركين وهم ألف، وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر، فاستقبل القبلة ومدَّ يديه يدعو: اللهم أنجز لى ما وعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلن تُعبد فى الأرض، فما زال كذلك حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأخذه أبو بكر فألقاه عن منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فنزلت هذه الآية ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ﴾(٨) أى استجاب الله الدعاء بأنى معينكم بألف من الملائكة ﴿مُرْدِفِينَ﴾(٩) أى متتابعين يتبع بعضهم بعضًا .. قال المفسرون: ورد أن جبريل نزل بخمسمائة وقاتل بها فى يمين الجيش، ونزل ميكائيل بخمسمائة

---

(١)، (٢) سورة آل عمران: الآية: (١٧٣).

(٣)، (٤)، (٥)، (٦) سورة آل عمران: الآية: (١٧٤).

(٧) سورة الأنفال: الآية: (٩).

(٨)، (٩) سورة الأنفال: الآية: (٩).

وقاتل بهـا فى يسار الجيش، ولم يثـبت أن الملائكة قاتلت فى وقـعة إلا فى بدر، وأما فى غيرها فكانت تنزل الملائكة لتكثير عدد المسلمين ولا تقاتل.

﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى**﴾(١) أى وما جعل إمـدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بالنصر ﴿**وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ**﴾(٢) أى ولتسـكن بهذا الإمداد نفـوسكم ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ**﴾(٣) أى وما النصـر فى الحقيـقة إلا من عند الله العلى الكبيـر فثقـوا بنصره ولا تتكلوا على قـوتكم وعدتكم ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(٤) أى غالب لا يُغلب، يفعل ما تقضى به الحكمة (٥).

بل قال تعالى للمسلمين كافة: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ (٧).

فهو سبحانه الذى أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة.

* **وهنا وقفـة أرجو أن نتدبر ما فـيها:** إن كان الله (جل وعلا) يسـتجيب دعاءنا ويفرّج أحزاننا ألا يستحق الرحـيم الرحمن أن نستجيب له وأن نؤمن به وأن نبذل النفس والمال من أجل إعلاء كلمته وإظهار سُنة حبيبه ﷺ.

ولذلك قال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾(٨). أى إذا كنت أنا ربكم الغنى عنكم أجـيب دعاءكم فاسـتجيبـوا أنتم لدعوتى بالإيمـان بى وطاعتى ودوموا على الإيمان لتكونوا من السعداء الراشدين.

واعلموا جميعًا أن الدنيا متاعٌ زائل وأن ما عند الله خيرٌ لكم وأبقى.

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤) سورة الأنفال: الآية: (١٠).

(٥) صفوة التفاسير: (١/ ٤٩٦).

(٦) سورة غافر: الآية: (٦٠).

(٧) سورة النمل: الآية: (٦٢).

(٨) سورة البقرة: الآية: (١٨٦).

قال تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١).

هذا بلاغ

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٢).

والله لقد آن الأوان لنرجع ونتوب ونستجيب لأمر الله ولأمر رسوله ﷺ قبل أن يأتينا اليوم الذى نتمنى فيه العودة إلى الدنيا مرة أخرى فلا يؤذَن لنا فى العودة.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣).

فهذا بلاغ لكل غافل عن طاعة الله .. بلاغ لكل من يحارب دين الله .. بلاغ لكل من يوالى أعداء الله ويحارب أولياء الله .. وبلاغ لكل من يملك قلبًا ليعود ويستسلم لله قلبًا وقالبًا ليستدرك ما فات من عمره فى معصية الله فيفتح صفحة جديدة كلها طاعة لله (جل وعلا) فإن الله وعد

---

(١) سورة الشورى: الآيات: (٣٦-٣٨).

(٢) سورة الحديد: الآية: (١٦).

(٣) سورة إبراهيم: الآيات: (٤٧-٥٢).

أهل الاستجابة بالحُسنى (الجنة) وأما أهل الغفلة فقد قال الله عنهم: ﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[(١)].

فيا من انشغلت بالدنيا عن الله اعلم أنك لو كنت تملك الدنيا كلها ومثلها معها لتمنيت أن تفتدى بها من عذاب الله يوم القيامة فهيا نطوى صفحات العمر الماضية المليئة بالذنوب والأوزار لنفتح صفحة جديدة مليئة بالعبادة والطاعة للملك الغفَّار الذى وسعت رحمته كل شىء.

وليكن لسان حالنا ومقالنا: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾[(٢)]. ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[(٣)].

واختموا أيامكم بتوبة صادقة عسى الله أن يتوب علينا جميعًا فهو القائل سبحانه: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[(٤)].

وأخيرًا: فإنى أسأل الله تعالى أن يوقظ قلوبنا من الغفلة وأن يختم لنا جميعًا بخاتمة السعادة وأن يرزقنا صحبة الحبيب ﷺ فى جنته ومستقر رحمته إنه ولى ذلك والقادر عليه.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) سورة الرعد: الآية: (١٨).

(٢) سورة طه: الآية: (٨٤).

(٣) سورة الأنعام: الآيتان: (١٦٢-١٦٣).

(٤) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

الشباب..
ونعمة الاستقامة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾(٣).

أما بعد:

ففى هذا الزمان الذى كثرت فيه الفتن وانشغل فيه كثير من الناس بجمع حطام الدنيا الزائل . . انصرف كثير من الناس عن طريق الاستقامة ولم يثبت على طريق الهداية وذلك بسبب ضعف الإيمان واليقين فى قلوب أكثر الناس - إلا من رحم الله - فكان لزامًا علينا أن نُذكِّر أنفسنا وإياكم بثمرات الاستقامة فى الدنيا والآخرة . . سائلين الله (عز وجل) أن يرزقنا وإياكم

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).
(٢) سورة النساء: الآية: (١).
(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

الثبات على هذا الدين العظيم وأن يحشرنا يوم القيامة فى زمرة الموحدين الذين عرفوا قدر هذا الدين وتمسكوا به وماتوا على الإيمان والتوحيد. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

أبو عمار

الاستقامة طريق النجاة

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «الاستقامة هى لزوم المنهج القويم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾[٢]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ إلى قوله: ﴿بَصِيرٌ﴾[٣]، فبيَّن أن الاستقامة بعدم الطغيان، وهو مجاوزة الحدود.

وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾[٤].

والمقصود من العبد الاستقامة وهى السداد. فإن لم يقدر عليها فالمقاربة.

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: **«سدِّدوا وقاربوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل»**[٥] فجمع فى هذا الحديث مقامات الدين كلها، فأمر بالاستقامة وهى السدادُ، والإصابة فى النيات والأقوال. وأخبر فى حديث ثوبان أنهم لا يطيقونها فنقلهم إلى المقاربة، وهى أن يقربوا من الاستقامة بحسب طاقتهم، كالذى يرمى إلى الغرض، وإن لم يصبه يقاربه. ومع هذا فقد أخبرهم أن الاستقامة والمقاربة لا تنجى يوم القيامة، فلا يركن أحد إلى عمله، ولا يرى أن نجاته به؛ بل إنما نجاته برحمة الله وغفرانه وفضله. فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين، وهى القيام بين يدى الله تعالى

(١) سورة فصلت: الآية: (٣٠).
(٢) سورة الأحقاف: الآيتان: (١٣، ١٤).
(٣) سورة هود: الآية: (١١٢).
(٤) سورة فصلت: الآية: (٦).
(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨١٨) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد.

والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات. فالاستقامة فيها، وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله.

قال بعضهم: كن صاحب الاستقامة. لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة فى طلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة. فالاستقامة للحال بمنزلة الروح من البدن، فكما أن البدن إن خلا عن الروح فهو ميت فكذلك الحال إذا خلا عن الاستقامة فهو فاسد. وكما أن حياة الأحوال بها، فزيادة أعمال الزاهدين أيضًا ونورها وزكاؤها بها، فلا زكاء للعمل ولا صحة بدونها(١).

استقامة القلب على التوحيد

قال ابن رَجَب - رحمه الله تعالى -: «أصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد، . . . وقد فسَّر أبو بكر ﷺ الاستقامة فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾(٢): بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقام القلب على معرفة الله، وعلى خشيته، وإجلاله ومهابته ومحبته وإرادته ورجائه ودعائه والتوكل عليه والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلها على طاعته، فإن القلب هو ملك الأعضاء، وهى جنوده، فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه. وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح: اللسان، فإنه تُرجمان القلب والمُعبِّر عنه»(٣).

* * *

(١) مدارج السالكين (٢/١٠٣، ١٠٤) بتصرف.
(٢) سورة فصلت: الآية: (٣٠).
(٣) جامع العلوم والحكم (١٩٣، ١٩٤) بتصرف.

فبهداهم اقتده

ولنا الأسوة والقدوة في رسول الله وأنبيائه - صلوات ربي وسلامه عليهم - فلقد قال تعالى عنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1].

- يخبر الله (عز وجل) عن خليله إبراهيم (عليه السلام) ويقول: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[2] فكان خليل الرحمن دومًا وأبدًا على الصراط المستقيم إلى أن لقى الله (عز وجل) فلم يقصر فى أى طاعة ولذا قال تعالى عنه: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾[3] فلقد وفّى العبودية كاملة لله (عز وجل).

وهذا موسى وهارون (عليهما الصلاة والسلام) قال تعالى عنهم: ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[4]. بل تدبر معى عندما قال موسى (عليه السلام): ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[5].

وإذا بالحق (جل وعلا) يقول: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[6].

* وهذا سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ يقول له الحق (جل وعلا): ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

(١) سورة الأنعام: الآية: (٩٠).

(٢) سورة النحل: الآيات: (١٢٠ - ١٢٢).

(٣) سورة النجم: الآية: (٣٧).

(٤) سورة الصافات: الآية: (١١٨).

(٥) سورة يونس: الآية: (٨٨).

(٦) سورة يونس: الآية: (٨٩).

بَصيرٌ﴾(١). وأمره (جل وعلا) أن يتحدث بنعمة الله عليه فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢).

وأمر الله أمة الحبيب ﷺ بالسير على صراطه المستقيم فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٣).

خطاب للنبى ﷺ وأمته

* قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾(٤). فهذا الخطاب موجَّه للنبى ﷺ وهو خطاب له وللأمة. فكل خطاب للرسول ﷺ فهو له ولأمته إلا إذا جاء الدليل على أنه خاص بالنبى ﷺ مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾(٦).

والدليل على أن تلك الآية خطاب للنبى ﷺ ولأمته أن الله (عز وجل) قال فى نفس الآية: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٧).

---

(١) سورة هود: الآية: (١١٢).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١٦١).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٥٣).

(٤) سورة هود: الآية: (١١٢).

(٥) سورة الضحى: الآيات: (٦، ١١).

(٦) سورة الشرح: الآيات: (١، ٣).

(٧) سورة هود: الآية: (١١٢).

فالمؤمن هو الذى يستقيم على أمـر الله (عز وجل) فلا يبدل ولا يحرف ولا يزيد ولا ينـقص فى دين الله ولذلك قـال تعـالى فـى الآية الأخـرى ﴿ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾(١).

معنى الاستقامة عند سلفنا الصالح

ولقد سُئل صدِّيق الأمة وأعظمهـا استقامـة - أبو بكر الصديق ﷺ - عن الاستقـامة، فقال: أن لا تشـرك بالله شيئًا، فـأراد بها الاستقـامة على محض التوحيد.

قال مجاهد: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله، حتى لحقوا بالله.

قال على بن أبى طالب، وابن عباس ﷺ: استقاموا: أدوا الفرائض.

قال الحسن: استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته.

قال عثمان بن عفان ﷺ: استقاموا: أخلصوا العمل لله.

وفسرها ابن تيمية بالاستقامة على المحبة.

قال ابن القيم فى «مدارج السالكين»: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: استـقاموا على محبته وعبوديتـه، فلم يلتفتوا عنه يَمنةً ولا يَسرة».

والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعـال، والأحوال، والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله.

قال بعض العـارفين: كن صاحب الاسـتقامة، لا طالب الكرامـة، فإن نفسك متحركة فى طلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة.

وسـمعـت شيخ الإسـلام ابن تيـمـيـة - قدس الله روحـه - يقـول: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة»(٢).

---

(١) سورة الشورى: الآية: (١٥).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٠٥).

قل آمنت بالله ثم استقم

* وعن أبى عمرو، وقيل أبى عمرة سفيان بن عبد الله ﷺ قال: قلت يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك قال: «**قل: آمنت بالله، ثم استقم**»(١).

* **وقول سفيان بن عبد الله للنبى** ﷺ: قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك»، طلب منه أن يُعلمه كلامًا جامعًا لأمر الإسلام كافيًا حتى لا يحتاج بعده إلى غيره، فقال له النبى ﷺ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**».

* والاستقامة فى سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها»(٢).

* **فقوله:** «قل آمنت» فمن المعلوم أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان فلا يكفى أن يقول العبد «آمنت» بلسانه ولم يؤمن قلبه بتلك الكلمة ولم تنشغل جوارحه بطاعة الله (عز وجل) ولذلك فنحن نجد أن معظم آيات القرآن تجعل الإيمان ملازمًا للعمل الصالح، وذلك كقوله تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾(٣).

* **وقوله:** «**آمنت بالله**» يشمل الإيمان بوجود الله عز وجل، وبالإلاهيته

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨) كتاب الإيمان.

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ١٤٧، ١٤٨) بتصرف.

(٣) سورة العصر.

وبربوبيته، وبأسمائه وصفاته وبأحكامه وبأخباره وكل ما يأتى من قِبله عز وجل، تؤمن به، فإذا آمنت بذلك فاستقم على دين الله، ولا تحِد عنه، لا يمينًا ولا شمالاً، لا تقصر ولا تزد.

فاستقم على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وذلك بالإخلاص لله عز وجل والمتابعة لرسوله ﷺ.

استقم على الصلاة وعلى الزكاة والصيام والحج، وعلى جميع الشرائع.

وقوله: «**قل آمنت بالله ثم استقم**» دليل على أن الاستقامة لا تكون إلا بعد الإيمان، وأن من شرط الأعمال الصالحة أى: من شرط صحتها وقبولها أن تكون مبنية على الإيمان

فلو أن الإنسان عمل بظاهره على ما ينبغى، ولكن باطنه خراب، وفى شك واضطراب، أو فى إنكار وتكذيب، فإن ذلك لا ينفعه، ولهذا اتفق العلماء رحمهم الله على أن من شروط صحة العبادة وقبولها أن يكون الإنسان مؤمنًا بالله، أى: معترفًا به وبجميع ما جاء من قِبله تبارك وتعالى[1].

صراط الدنيا ... وصراط الآخرة

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

«مَنْ هُدِى فى هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذى أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، هُدِى هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته دار ثوابه، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذى نصبه الله لعباده فى هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط ولينظر العبد الشبهات والشهوات التى تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم، فإنها الكلاليب

---

(١) شرح رياض الصالحين / للشيخ ابن عثيمين (١/ ١٤٨، ١٤٩) بتصرف.

التى بجنبتى ذاك الصراط تخطفه وتعوقه عن المرور عليه فإن كثرت هنا، وقويت فكذلك هى هناك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[(١)(٢)].

لن ينجو أحد منكم بعمله

* **وعن أبى هريرة** رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل**»[(٣)].

قال العلماء: معنى الاستقامة: لزوم طاعة الله تعالى، وهى من جوامع الكلم.

* **قال الإمام النووى - رحمه الله -:** اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم، ولا غيرها من أنواع التكليف، ولا تثبت هذه كلها ولا غيرها إلا بالشرع، ومذهب أهل السنة أيضًا أن الله تعالى لا يجب عليه شىء - تعالى الله، - ..... بل العالم ملكه، والدنيا والآخرة فى سلطانه، يفعل فيهما ما يشاء، فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار، كان عدلاً منه وإذا أكرمهم ونعَّمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه، ولو نَعَّم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك، ولكنه أخبر وخبره صدق أنه لا يفعل هذا، بل يغفر للمؤمنين ويُدخلهم الجنة برحمته ويعذب المنافقين ويُخلدهم فى النار عدلاً منه.

وفى ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته، وأما قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(٤)]،

---

(١) سورة فصلت: الآية: (٤٦).

(٢) بتصرف من التفسير القيم (ص: ١٠٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٧٣) كتاب المرضى، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.
و«المقاربة»: القصد الذى لا غلو فيه ولا تقصير.
و«السداد»: الاستقامة والإصابة، و«يتغمدنى»: يلبسنى ويسترنى.

(٤) سورة النحل: الآية: (٣٢).

﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة، فلا يعارض هذه الأحاديث، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل، وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بالأعمال أى بسببها، وهى من الرحمة والله أعلم(٢).

* **وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -:**

والجواب عن ذلك أن يقال: يجمع بينهما بأن المنفى دخول الإنسان الجنة بالعمل فى المقابلة، أما المثبت فهو أن العمل سبب وليس عوضًا.

فالعمل لا شك أنه سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، لكن ليس هو العوض وليس وحده الذى يدخل به الإنسان الجنة، ولكن فضل الله ورحمته هما السبب فى دخول الجنة والنجاة من النار(٣).

كيف نستقيم على طاعة الله عز وجل؟

وقد يسأل سائل ويقول: كيف أستقيم على طاعة الله (عز وجل) . .

والجواب: نقول اعلم أيها الأخ الحبيب أن الإيمان يزيد وينقص ولكن الله تعالى جعل أسبابًا لاستقامة العبد . . ومنها على سبيل المثال.

١- الاعتصام بالله (عز وجل):

فإن من أعظم أسباب الاستقامة أن يعتصم العبد بربه (عز وجل) ليوفقه إلى

(١) سورة الزخرف: الآية: (٧٢).

(٢) مسلم بشرح النووى (١٧/ ٢٣٢، ٢٣٣) بتصرف.

(٣) شرح رياض الصالحين (١/ ٣١٠).

الاستقامة . . قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١) .

وكلما ازداد قلبك تعلقًا بالله وتوكلاً عليه كلما زادك تسديدًا وتوفيقًا واستقامة على طاعته، لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

٢- المسارعة إلى طاعة الله (عز وجل):

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾(٢) .

فيجب على العبد أن يُسرع إلى طاعة الله (عز وجل) فقد قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٤) .

وقال ﷺ: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويُمسى كافرًا ويُمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا»(٥).

٣- التعايش مع القرآن:

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٦) .

فقد جعل الله تعالى هذا الكتاب منهج حياة متكاملة . . وجعله من أعظم أسباب الهداية والاستقامة فقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠١).
(٢) سورة النساء: الآيات: (٦٦ - ٦٨).
(٣) سورة البقرة: الآية: (١٤٨).
(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٣٣).
(٥) صحيح: رواه مسلم (١١٨) كتاب الإيمان.
(٦) سورة المائدة: الآيتان: (١٥، ١٦).

فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(١) .

وقال ﷺ : **«القرآن شافع مُشفَّع وماحلٌ مُصدَّق مَن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»**(٢) .

فالقرآن يزرع الإيمان ويزكى النفس بالصلة بالله ويجعل الإيمان يزداد فى قلب العبد يومًا بعد يوم . . وإن آيات القرآن تنزل على قلب المؤمن بردًا وسلامًا فيثبت على صراط الله المستقيم .

٤ - الإخلاص ومجاهدة النفس:

فقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٣) .

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾(٤) .

فكلما اجتهد العبد فى طاعة الله كلما وفقه الله لطاعته وثبت قدمه على صراطه المستقيم .

قال أحد السلف: كابدت الصلاة عشرين سنة وتلذذت بها عشرين سنة حتى أنى لأدخل فى الصلاة فأحمل همَّ خروجى منها .

فنفسك تأمرك بترك الصلاة وأنت تجاهدها فتصلى الصلوات الخمس فى المساجد . . ونفسك تأمرك بالنظر إلى النساء وأنت تجاهدها فتغض بصرك . . وهكذا تظل تجاهد نفسك وترتفع منزلتك ومكانتك عند الله حتى تكون فى صحبة النبى ﷺ وأصحابه فى جنات النعيم التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

---

(١) سورة البقرة: الآيتان: (١ ، ٢).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى (٩/ ١٣٢ ، رقم ٨٦٥٥) وأبو نعيم فى الحلية (٤/ ١٠٨)، وابن حبان (١/ ٣٣١ ، رقم ١٢٤) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢/ ٣٥١ ، رقم ٢٠١٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٤٣).

(٣) سورة العنكبوت: الآية: (٦٩).

(٤) سورة محمد: الآية: (١٧).

٥- طلب العلم والدعوة إلى الله:

فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾(١).

فكلما ازداد العبد علمًا كلما ازداد خشـية وكلما ازداد خشية ازداد طاعة لله واستقام على أمر الله.

ونحن نعلم أن العبـد الذى ليس عنده علم قد يعبـد الله على جهل .. أما العـالم فهو الذى يعلم من سُنة رسـول الله ﷺ ما يعينه على تحـقيق العبودية لله كما أرادها الله (عز وجل).

- ومن تعلم العلم فـعمل به ودعا الناس إلى الله (عـز وجل) فإن ذلك من أعظم أسباب الاستقامة على الطاعة .. لأنه سيفوز بدعاء الكون كله له فقد قال ﷺ: «**إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة فى جُحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير**»(٢).

٦- الصحبة الصالحة:

فالرجل على دين خليله .. وإن الصاحب ساحب فـإما أن يأخذ بيديك إلى مرضاة الله وإما أن يأخذ بيديك إلى غضب الله وعقابه ..

فـابحث عن العلمـاء العـاملين والدعـاة المؤمنين والزم غـرزهم فـإنهم سيأخذون بيديك إلى مرضاة الله (جل وعلا).

٧- الدعاء:

يقول الحـق جل وعلا فى الحديث القدسى: «**يا عبـادى كلكم ضالٌّ إلا من هديته فـاستـهدونى أهدكم**»(٣) فعندمـا تتأمل هذا الحديـث القدسى تعلم أن الهداية ابتداءً وانتهاءً بيـد الحق تبارك وتعالى وأنه لا ملجأ ولا منجا من الله

---

(١) سورة فاطر: الآية: (٢٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٨٥) كتاب العلم، والدارمى (٢٨٩) فى مقـدمة سننه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٢١٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

إلا إليه . . . فتلجأ إلى الله فى كل وقت وترفع أَكُفَّ الضراعة إلى الملك قائلاً: اللهم إنى أبرأ من الثقة إلا بك ومن الأمل إلا فيك ومن التسليم إلا لك ومن التفويض إلا إليك ومن التوكل إلا عليك ومن الرضا إلا عنك ومن الطلب إلا منك ومن الصبر إلا على بابك ومن الذل إلا فى طاعتك ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم ومن الرجاء إلا لما فى يديك الكريمتين . . فتتوجه إلى الله عز وجل بالدعاء أن يهديك وأن يثبتك على تلك الهداية - ولا تنسَ أن سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ لم يفتر لسانه أبدًا عن هذا الدعاء: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك**»(١).

* **وعن عائشة** رضي الله عنها **أنها قالت**: كان نبى الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم**»(٢).

ثمرات الاستقامة

وأما عن ثمرات الاستقامة فهى كثيرة جدًّا ومنها:

١- الحياة الطيبة:

فالمؤمن الذى يعيش دومًا وأبدًا على طاعة الله (عز وجل) يعيش فى جنة فى الدنيا . . فى جنة فى البرزخ . . فى جنة فى الآخرة.

* **قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله -**: إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها فلن يدخل جنة الآخرة.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢١٤٠) كتاب القدر، وابن ماجه (٣٨٣٤) كتاب الدعاء، وأحمد (١١٦٩٧) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٨٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٧٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

قيل: وما هى؟

قال: إنها جنة الإيمان بالله (عز وجل).

* وقال إبراهيم بن أدهم - رحمه الله -: والله لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا عليها بالسيوف.

فأصحاب النبى ﷺ على الرغم من البلاء الذى تعرضوا له وعلى الرغم من تلك التضحيات التى قدموها لنصرة دين الله (عز وجل) فقد كانوا أطيب الناس حياة لأنهم تعايشوا مع القرآن والسنة بقلوبهم وجوارحهم.

٢- حفظ الله للعبد:

فالله يحفظ على العبد دينه وماله وعافيته وأولاده بحفظه لأوامر الله (عز وجل) والسير على طاعته.

٣- البشرى الطيبة:

فقد قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ** ﴾[١].

أى آمنوا بالله إيمانًا صادقًا وأخلصوا العمل له، ثم استقاموا على توحيد اللَّه وطاعته، وثبتوا على ذلك حتى الممات،... عن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر بعد أن تلا الآية الكريمة: «استقاموا والله على الطريقة لطاعته، ثم لم يروغوا روغان الثعالب»[٢]. والغرض: أنهم استقاموا على شريعة الله، فى سلوكهم، وأخلاقهم وأقوالهم، وأفعالهم، فكانوا مؤمنين حقًّا، مسلمين صدقًا، وقد سُئل بعض العارفين عن تعريف الكرامة فقال: الاستقامة عين الكرامة.

وعن الحسن أنه كان يقول: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة ﴿ **تَتَنَزَّلُ**

(١) سورة فصلت: الآيات: (٣٠ - ٣٢).

(٢) تفسير القرطبى (١٥/ ٣٥٨).

عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾ أى تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند الموت بأن لا تخافوا مما تقدمون عليه من أحوال القيامة ولا تحزنوا على ما خلفتموه فى الدنيا من أهل ومال وولد فنحن نخلفكم فيه ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أى وأبشروا بجنة الخلد التى وعدكم الله بها على لسان الرسل. . . قال شيخ زاده: إن الملائكة تتنزل حين الاحتضار على المؤمنين بهذه البشارة أن لا تخافوا من هول الموت، ولا من هول القبر، وشدائد يوم القيامة، وإن المؤمن ينظر إلى حافظيه قائمين على رأسه يقولان له: لا تخف اليوم ولا تحزن، وأبشر بالجنة التى كنت توعد، وإنك سترى اليوم أموراً لم تر مثلها فلا تهولنك فإنما يُراد بها غيرك(١)(٢).

* **وهذا كما جاء فى حديث أبى هريرة ﷺ قال ﷺ: «إن الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجى أيتها الروح الطيبة . فى الجسد الطيب، كنت تعمرينه اخرجى إلى روح وريحان وربٍّ غير غضبان»**(٣).

وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته وفى قبره وحين يُبعث، وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً وهو الواقع.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾.

أى تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار نحن كنا أولياءكم أى قرناءكم فى الحياة الدنيا نُسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله.

وكذلك نكون معكم فى الآخرة نؤنس منكم الوحشة فى القبور، وعند النفخة فى الصور، نُؤمِّنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾ أى

---

(١) صفوة التفاسير (٣/ ١٢٢، ١٢٣).

(٢) حاشية شيخ زاده على البيضاوى (٣/ ٢٦١).

(٣) صحيح: رواه النسائى (١٨٣٣) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٩٠).

فى الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس وتقرُّ به العيون ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ أى مهما طلبتم وجدتم. وحضر بين أيديكم كما اخترتم ﴿نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ أى ضيافة وعطاءً، وإنعامًا من غفور لذنوبكم رحيم رءوف حيث غفر وستر ورحم ولطف[1].

٤ - المرور السريع على صراط الآخرة:

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

«من هُدِى فى هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذى أرسل به رسله وأنزل به كتبه، هُدى هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته دار ثوابه، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذى نصبه الله لعباده فى هذا الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط ولينظر العبد الشبهات والشهوات التى تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم، فإنها الكلاليب التى بجنبتى ذاك الصراط تخطفه وتعوقه عن المرور عليه فإن كثرت هنا، وقويت فكذلك هى هناك ﴿وَمَا رَبُّكُ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2].

٥- الفوز بالجنة والنجاة من النار:

فلقد قال العزيز الغفار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ⟨١٣⟩ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

فاللهم ارزقنا نعمة الاستقامة وحلاوة الطاعة واحشرنا فى زمرة أهل الاستقامة والصلاح مع سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ.

❊ ❊ ❊

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير / محمد نسيب الرفاعى (٤/ ١٠٠، ١٠١).

(٢) سورة فصلت: الآية: (٤٦).

(٣) سورة الأحقاف: الآيتان: (١٣، ١٤).

ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها

ويا لها من حسرة لمن عاش على الاستقامة وذاق حلاوة الطاعة ثم ترك كل ذلك وعاد ليرتع فى أوحال الذنوب والمعاصى.

قال تعالى: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ﴾(١).

* والحسرات التى يجنيها كل من ترك الاستقامة كثيرًا جدًّا:

١- فأول حسرة يجنيها: الشقاء المستمر:

فقد قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾(٢).

٢- الموت الحقيقى:

فقد قال ﷺ: **«مثل البيت الذى يُذكر الله فيه والبيت الذى لا يُذكر الله فيه مثل الحى والميت»**(٣).

٣- تكون منزلته عند الله أحط من الدواب:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة النحل: الآية: (٩٢).

(٢) سورة طه: الآيات: (١٢٤ - ١٢٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٧) كتاب الدعوات، ومسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) سورة الأعراف: الآية: (١٧٩).

٤- ضياع أهله وماله:

فإن الذى لا يعيش حياة الاستقامة لا يبارك الله له فى أهله ولا ماله ولا نفسه . . فأما المال فسوف يضيع فى المعاصى . . وأما الأهل فإنهم سيرون أمامهم قدوة سيئة فيقلدونه فى كل شىء وبذلك يخسر نفسه وأهله وماله فى الدنيا والآخرة. . . فقد قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾(١).

وقال ﷺ -كما فى الصحيحين-: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**»(٢).

٥- البشارة بالنار عند الموت:

قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾(٣).

وينادى عليه ملك الموت: «**أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب**»(٤).

٦- يُحشر مع العصاة والمجرمين . . فى ذلك اليوم الذى يبلغ طوله خمسين ألف سنة بلا طعام ولا شراب ولا ظلٍّ . . الكل ينتظر بدء الحساب ولقد قال ﷺ - كما فى الصحيحين -: «**من نوقش الحساب عُذِّب**»(٥) فكيف بمن عُذِّب.

---

(١) سورة التحريم: الآية: (٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٥١) كتاب الوصايا، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة.

(٣) سورة الأنفال: الآيتان: (٥٠، ٥١).

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٨٠٦٣) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٣٦) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٧٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

- فهذا الإنسان الذى عاش بعيدًا عن طاعة الرحمن . . وعن اتباع سيد الأنام ﷺ إذا جاء يوم القيامة يقف فى أرض المحشر ينتظر بدء الحساب خمسين ألف سنة ويفيض العرق حتى يصل إلى كعبيه أو ركبتيه أو حقويه أو يُلجمه العرق إلجامًا . . فإذا أراد أن يذهب إلى حوض النبى ﷺ ليشرب وإذا بالملائكة تدفعه بعيدًا عن الحوض ويدعو عليه النبى ﷺ ويقول: «**سُحقًا سحقًا لمن بدَّل بعدى**»(١).

- وإذا أراد أن يمر على الصراط فإنه لا يستطيع لأن الصراط مُظلم . . وهذا الرجل الذى ترك الاستقامة ولم يتزود بتقوى الله قد انطفأ نوره فلا يرى شيئًا . . وقد أخبر الله (عز وجل) عن هذا المشهد الرهيب.

فقال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾(٢).

ولذلك قال تعالى بعد هذا المشهد: ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾(٣).

نعم والله لقد آن الأوان لأن نتوب إلى الله (عز وجل) وأن نستقيم على

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٨٥) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٩١) كتاب الفضائل.

(٢) سورة الحديد: الآيات: (١٢ - ١٥).

(٣) سورة الحديد: الآية: (١٦).

طاعته عسى الله أن يرزقنا خاتمة أهل السعادة.

فأسأل الله أن يرزقنى وإياكم حُسن الخاتمة . .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصرى
أبو عمار

كيف
تغض بصرك؟



مقدمة الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[2].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[3].

أما بعد:

فإن المتأمل لحال كثير من شباب وفتيات المسلمين مع نعمة غض البصر ليبكى الدماء بدل الدموع،... فكثير من الشباب لا يغض بصره عن النساء، وكثير من النساء لا يغضضن أبصارهن عن الرجال.

ولعل السبب فى ذلك هو ضعف الوازع الدينى وعدم استحضار مراقبة الله للعبد.. فالله (جل وعلا) هو الذى يعلم خائنة الأعين وما تُخفى الصدور.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

ولا يخفى علينا أيضًا أن الانفتاح الذى يعيشه كثير من الناس فى هذا الزمان على شبكات الإنترنت والقنوات الفضائية، وما تبثه من الفواحش والرذائل التى تُذهب الحياء، وتؤجج نار الشهوة، وتُبعد العبد عن طاعة ربه (جل وعلا). . كان سببًا رئيسيًّا فى انتشار ظاهرة عدم غض البصر.

ومما يجدر ذكره أن من أرخى لشهوته العَنان، فإن سُعار هذه الشهوة لا حدَّ له ولا انقضاء، وإذا كان الشخص المولع بالدنيا لا يشبع من المال - فلو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب - فكذا الشخص المولع بشهوة النظر إلى النساء لا يقف عند حدٍّ معين ولا يرعوى.

يقول الشيخ على الطنطاوى: «لو أُوتيت مال قارون، وجسد هرقل، وواصلتك عشرة آلاف من أجمل النساء من كل لون وكل شكل وكل نوع من أنواع الجمال، هل تظن أنك تكتفى؟ لا. . . أقولها بالصوت العالى: لا. أكتبها بالقلم العريض، ولكن واحدة بالحلال تكفيك.

لا تطلبوا منى الدليل، فحيثما تلفَّتم حولكم وجدتم فى الحياة الدليل قائمًا ظاهرًا مرئيًا»(١).

* إن أشدَّ الفتن وأعظمها: الفتنة بالنساء، كما قال النبى ﷺ: **«ما تركت بعدى فى الناس فتنة أضر على الرجال من النساء»**(٢).

* قال الإمام طاوس عند قوله تعالى: ﴿**وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾(٣): «إذا نظر إلى النساء لم يصبر»(٤).

* ومن أجل ذلك أوجه تلك الرسالة الصغيرة لإخوانى وأخواتى

---

(١) فتاوى على الطنطاوى (ص: ١٤٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٩٦) كتاب النكاح، ومسلم (٢٧٤٠) كتب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) سورة النساء: الآية: (٢٨).

(٤) ذم الهوى لابن الجوزى (ص: ١٧٩)، وروضة المحبين (ص: ٢٠٣).

لنتواصى من خلالها على غض البصـر.. وإن كان الأمر عسيراً، لكنه يسير على من يسَّره الله عليه... فلنستعن بالله وسنجد العون - بإذن الله.

* فاللهم ارزق شـباب وبنات المسلمين نعمـة غض البصر ليسـعدوا فى الجنة بلذة النظر إلى وجهك الكريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصرى
(أبو عمار)

غض البصر اصطلاحًا

أن يُغمض المسلم بصره عما حُرِّمَ عليه، ولا ينظر إلا لما أُبيح له النظر إليه، ويدخل فيه أيضًا إغماض الأبصار عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على مُحرَّمٍ من غير قصدٍ فليصرف بصرهُ سريعًا [١].

* ومن المعلوم أن إطلاق البصر من أعظم الأسباب للوقوع فى فاحشة الزنا التى هى من أكبر الكبائر التى تقضى على الأخضر واليابس فى المجتمع المسلم، فبسبب تلك الفاحشة تنتشر العداوات، وتقوم الحروب وتختلط الأنساب.

النظر أصل عامة الحوادث

قال الإمام المحقق ابن القيم فى «الداء والدواء»: «والنظر أصل عامة الحوادث التى تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرةُ فكرةً، ثم تولد الفكرة شهوةً، ثم تولد الشهوةُ إرادةً، ثم تقوى فتصيرَ عزيمةً جازمةً، فيقعُ الفعل ولابد ما لم يمنع منه مانع. وفى هذا قيل: الصبر على غض الطرف أيسر من الصبر على ألمٍ بعده» [٢].

أكثر المعاصى من فضول الكلام وإرسال النظر

وأكثر المعاصى إنما تتولد من فضول الكلام، وإرسال النظر، وهما أوسع مداخل الشيطان، فإن جارحتهما لا تُملآن بخلاف البطن فإنه متى امتلأ لم يبق له فى الطعام إرادة. وأما العين واللسان فلو تُركا لم يفترا من النظر والكلام أبدًا، . . . كما قيل: أربع لا تشبع من أربع: عين من نظر، وأذن

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٨) بتصرف.

(٢) الداء والدواء (ص: ١٨٦).

من خبر، وأرض من مطر، وأنثى من ذكر.

* فكم من نظرة إلى صورة جميلة فى السوق أو فى الشاشة، أو فى مجلة أعقبت فواحش وآلامًا وحسرات.

النظر سهم سُمٍّ إلى القلب

* فالنظر سهم سُمٍّ إلى القلب، وسهم مسموم من سهام إبليس، ومن أطلق لحظاته دامت والله حسراته، ولقد صدق القائل:

كل الحوادث مبدؤها من النظر
ومعظم النار من مُستصغر الشررِ
كم نظرةٍ فتكت بقلب صاحبها
فتك السهام بلا قوسٍ ولا وترِ
والمرء ما دام ذا عينٍ يُقَلِّبُهَا
فى أعين الغَيْدِ موقوف على الخطرِ
يسر مُقلته ما ضرَّ مهجته
لا مرحبًا بسرور عاد بالضررِ

* ولذلك فإن الشيطان يزين للرجل المرأة الأجنبية، ولو كانت قبيحة ويُقبِّح فى عينيه زوجته، ولو كانت من أجمل النساء... فإذا رأيت امرأة فما عليك إلا أن تغض بصرك، وأن تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

البصر هو الباب الأكبر إلى القلب

قال القرطبى: «البصر: هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمرُ طُرقِ الحواسُ إليه، وبحسب ذلك كثُرَ السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضُّهُ واجبٌ عن جميع المحرمات. وكل ما يُخشى الفتنة من أجله»[1].

---

(١) تفسير القرطبى (٢/ ١٤٨).

وكنت متى أرسلت طرفك رائدًا
لقلبك يومًا أتعبتك المناظرُ
رأيت الذى لا كلُّه أنت قادر عليه
ولا عن بعضه أنت صابرُ

إطلاق البصر منقصة للرجل الشريف

* إن إطلاق البصر يُعدُّ مَنقصة للرجل الحر الشريف... حتى إن أهل الجاهلية، على الرغم من الجاهلية التى كانوا يعيشون فيها كانوا يرون أن من العار أن يُطلق الرجل العفيف بصره للنظر إلى النساء.

كما قال القحطانى (رحمه الله):

إن الرجال الناظرين إلى النسا
مثل الكلاب تطوف باللحمان(١)

* ومع ذلك نرى كثيراً من شباب ورجال المسلمين لا يستطيع الواحد منهم أن يغض بصره عن النساء... بل لقد وصل الأمر إلى وقوف كثير من شباب المسلمين على النواصى لمشاهدة النساء... فعجزوا حتى عن الوصول إلى ما وصل إليه بعض الناس فى عصر الجاهلية من الترفُّع عن الوقوع فى رذيلة إطلاق البصر حتى قال قائلهم:

وأغضُّ طرفى ما بدت لى جارتى
حتى يوارى جارتى مأواها
إنى امرؤٌ سمح الخليقة ماجدٌ
لا أُتبع النفس اللَّجوج هواها (٢)

---

(١) متن نونية القحطانى (ص: ٧٣).

(٢) هو عنترة العبسى.

الأدلة على وجوب غض البصر

أما عن الأدلة التى وردت فى كتاب الله (جل وعلا) وسُنَّة رسول الله ﷺ على وجوب غض البصر فكثيرة.. ووالله لو لم يرد أى دليل من القرآن أو السنة على وجوب غض البصر لكانت عفة المسلم تمنعه من الوقوع فى تلك الرذيلة التى تُسقط المروءة.

الأدلة من القرآن الكريم

ولنبدأ أولاً بسرد بعض الأدلة التى وردت فى كتاب الله (جل وعلا)، والتى تدل على وجوب غض البصر.

* **الدليل الأول:**

قال الله تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ (١).

ونحن نلاحظ هنا أن الله يخاطب بتلك الآية المؤمنين؛ لأنه لا يستجيب لأمر الله إلا أهل الإيمان والتقوى الذين امتلأت قلوبهم حبًّا لله ولرسوله ﷺ.

* قال ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير قوله تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾.

«هذا أمرٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حُرِّمَ عليهم فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على مُحرَّمٍ من غير قصد فليصرف بصرهُ عنه سريعًا» (٢).

---

(١) سورة النور: الآية: (٣٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٢).

* وقال السعدى (رحمه الله): أى: أرشد المؤمنين، وقل لهم - الذين معهم إيمان، يمنعهم من وقوع ما يخل بالإيمان -: ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبيات، وإلى المردان، الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التى تفتن، وتوقع فى المحذور.

﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عن الوطء الحرام، فى قُبُلٍ أو دُبُر، أو ما دون ذلك، وعن التمكين من مَسِّها، والنظر إليه. ﴿ذَلِكَ﴾ الحفظ للأبصار والفروج ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أطهر، وأطيب، وأنمى لأعمالهم، فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذى يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذى تطمع إليه النفس وتدعو إليه. فمن ترك شيئًا لله، عوضه الله خيرًا منه ومَن غض بصره، أنار الله بصيرته، ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته، مع دواعى الشهوة، كان حفظه لغيره أبلغ، ولهذا سماه الله حفظًا، فالشىء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه فى مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه، لم ينحفظ. كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد فى حفظهما، أوقعاه فى بلايا ومحن[١].

* وقد قال بعض أهل العلم: إن إعراب كلمة «يغضوا» التى وردت فى الآية أنها واقعة فى جواب الأمر... وحُذف الأمر واقتصر على إيراد الجواب جزمًا بأن هذا هو شأن المؤمنين أنهم إذا قيل لهم غضوا يغضوا.

وكأن التقدير هنا: قل للمؤمنين غضوا يغضوا... فهذا هو شأن المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾[٢].

* * *

(١) تفسير السعدى (ص: ٧٨٦).
(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣٦).

الأمر بغض البصر للرجال وللنساء

وحتى لا يتوهم أحدٌ أن غض البصر خاصٌّ بالرجال فقط، فإن الله (عز وجل) قال فى الآية التى تليها: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (١)(٢).

«فهذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات وغيرة منه لأزواجهن عباده المؤمنين وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات»(٣).

* فكما أن الرجل عنده ميلٌ فطرى إلى المرأة؛ فكذلك المرأة لديها ميلٌ فطرى إلى الرجل... فكما أن الرجل يشتهى المرأة؛ فكذلك المرأة تشتهى الرجل، ومن أجل ذلك جعل الله غض البصر سياجًا واقيًا لمنع انتشار الفواحش فى المجتمع المسلم.

ما السر فى تقديم غض البصر على حفظ الفرج؟

وسرُّ تقديم غض الأبصار على حفظ الفروج هو أن النظر بريد الزنى ورائد الفجور.. ولأن البلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه فبودر إلى منعه، ولأنه يتقدم الفجور فى الواقع، وغض البصر من أجلِّ الأدوية لعلاج أمراض القلوب.

* * *

(١) سورة النور: الآية (٣١).

(٢) تفسير السعدى (ص: ٧٨٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٣).

وقفة لطيفة

وأريد هنا أن أقف وقفتين في غاية الحسن والجمال:

الوقفة الأولى: أن الله (عز وجل) ربط بين غض البصر وحفظ الفرج؛ لأن الفاحشة لها مقدمات وخطوات.. وأولى تلك الخطوات هي عدم غض البصر.. فإن الرجل إذا أطلق بصره للنظر إلى النساء فإن تلك الصور تُنقش في قلبه.. وتظل تلك الصور تتراكم إلى أن تأتي اللحظة التي لا يتمالك فيها نفسه فيقع في الفاحشة - عياذًا بالله - ولذلك حذرنا الحق (جل وعلا) فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾ (1) ، فإن من يستشرف للفتنة يقع فيها.

الوقفة الثانية: لماذا قال تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾(2) ، فأتى بلفظ (من) التبعيضية.. ولما تكلم عن حفظ الفرج قال: ﴿**وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾(3) ، ولم يأت بلفظ (من)؟.

الجواب: لأن المسلم مأمور بحفظ الفرج في جميع الأحوال.

أما غض البصر؛ فهناك حالات استثنائية يجوز فيها النظر للنساء مثل نظر الخاطب للفتاة التي يريد أن يتزوجها.. ومثل نظر القاضي للمرأة الشاهدة ليتثبت من شخصيتها.. ومثل نظر الطبيب المسلم للمريضة إذا لم تكن هناك طبيبة أنثى؛ فيجوز له النظر لموضع المرض فقط ويستر ما عداه، ولكن بشرط عدم الخلوة، وبشرط وجود مَحرم صالح عاقل.

* **الدليل الثاني:** قوله تعالى: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ (4) .

(يخبر (عز وجل) عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء جليلها وحقيرها

---

(1) سورة النور: الآية: (٢١).

(2)، (3) سورة النور: الآية: (٣٠).

(4) سورة غافر: الآية: (١٩).

صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها ليحذر الناس علمه فيهم فيستحوا من الله تعالى حق الحياء ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، وأنه (عز وجل) يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ويعلم ما تنطوى عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر).

فكل خائنة أعين يعلم الله بها، وخائنة الأعين كما عرَّفها ابن عباس رضي الله عنهما هى: (أن يدخل الرجل على أهل البيت بيتهم فتمر به وبهم المرأة الحسناء، فإذا غفلوا لَحَظَ إليها، فإذا فطنوا غضَّ بصره عنها، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غضّ).

* أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

هل استحضرت هذا المعنى الجليل قبل ذلك... هل شعرت وأنت تنظر إلى أى امرأة أن الله مُطلع عليك ويعلم ما تُخفيه عن الناس.

سُئل الجنيد (رحمه الله) فقيل له: (بِمَ يُستعان على غض البصر؟ فقال: بعلمك أن نظر الله إليك أسرع من نظرك إلى من تنظر إليه).

* فيا من تُطلق بصرك إلى المحرمات.. هل تخيلت أنك قبل أن يصل بصرك إلى تلك المرأة التى تنظر إليها؛ فإن نظر الله يسبقك.

والله لو استحضرت هذا المعنى لسقط لحم وجهك حياءً من الله.

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل

خلوت، ولكن قُل علىَّ رقيبُ

ولا تحسبن الله يغفلُ ساعةً

ولا أن ما تُخفيه عنه يغيبُ

* **الدليل الثالث:** قال تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[1].

(١) سورة الإسراء: الآية: (٣٦).

(أى سيُسأل كل واحد منهم عما اكتسب، فالفؤاد يُسألُ عما افتكر فيه واعتقده، والسمع والبصر كل واحد منهم عما اكتسب مما رأى وسمع)[١].

* ويا له من موقف عصيب عندما يقف العبد بين يدى الله (جل وعلا) فيُعرفه نعمه كلها فيعترف بها العبد، فيقول له الحق (جل وعلا): ماذا فعلت بتلك النعم.. هل فعلت ما يُرضينى أم أنك بارزتنى بالذنوب والمعاصى؟

- بالله عليك.. كيف سيكون جوابك فى تلك اللحظة.. فلو اعترفت بذنوبك وآثامك فيا لها من لحظة عصيبة يعجز القلم عن وصفها.. ولو أنكرت فاعلم أن الله سيُنطق جوارحك لتعترف بكل ذنب اقترفته.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾[٢].

* فمن الآن أيها الأخ الحبيب احرص على أن تعمل عملاً يُبيض وجهك أمام الله، ولا تعمل عملاً يخزيك أمامه فى يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

* * *

---

(١) تفسير القرطبى (١٠/ ٢٦٤).

(٢) سورة فصلت: الآيات: (١٩-٢٤).

الأدلة من السنة المطهرة

وها هى الأدلة من السنة المطهرة على وجوب غض البصر.

* **الدليل الأول:**

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والجلوس فى الطرقات**». فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بُدٌّ، نتحدث فيها. فقال: «**فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه**». قالوا: وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟. قال: «**غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمرُ المعروف والنهىُ عن المنكر**»(١).

فجعل النبى ﷺ أول حق من حقوق الطريق أن يغض الإنسان بصره عن النساء... فيا ليت شبابنا الذين يضيعون أوقاتهم فى الوقوف على النواصى للنظر إلى النساء.. يا ليتهم يتدبرون هذا الحديث ويمتثلون أمر الحبيب محمدٍ ﷺ.

* **الدليل الثانى:**

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى، مُدركٌ ذلك لا محالة؛ العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**»(٢).

فسمَّى النبى ﷺ نظر العين إلى الحرام زنى... بل جعله النبى ﷺ على قائمة زنى الجوارح؛ لأن العين مرآة للقلب، ولذلك نجد أن القلب لا يشتهى إلا ما تراه العين.

* **الدليل الثالث:**

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينظرُ**

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٦٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢١٢١) كتاب اللباس والزينة.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦١٢) كتاب القدر، ومسلم (٢٦٥٧) كتاب القدر.

الرجلُ إلى عورة الرجل، ولا المرأةُ إلى عورة المرأة، ولا يُفضى الرجلُ إلى الرجل فى ثوب واحد، ولا تُفضى المرأةُ إلى المرأة فى الثوب الواحد»[١].

* فإذا كان النبى ﷺ قد نهاك عن النظر إلى عورة رجلٍ مثلك.. فمن باب أَولَى أن يُحرم عليك النظر إلى النساء الأجنبيات.

* **الدليل الرابع:**

عن جرير بن عبد الله البجلى رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة، فقال: «**اصرف بصرك**»[٢].

* فيا تُرى ما هى نظرة الفجأة؟..

هى أن تنظر أمامك لتُبصر الطريق فتقع عينك من غير قصدٍ ولا تعمدٍ على امرأة فعليك أن تغض بصرك فى التو واللحظة..

* **الدليل الخامس:**

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكمُ الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرجِ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاءٌ**»[٣].

* فنجد هنا أن النبى ﷺ قد حَضَّ الشباب على الزواج ليكون عونًا لهم على غض البصر وتحصين الفرج.. وهما من أعظم الأسباب التى تفرغ القلب للطاعة وطلب العلم والدعوة إلى الله.

* **الدليل السادس:**

عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا علىُّ، لا تُتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة**»[٤].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٣٨) كتاب الحيض.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٥٩) كتاب الآداب.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٦٥) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٠٠) كتاب النكاح.

(٤) حسن: رواه أبو داود (٢١٤٩) كتاب النكاح، والترمذى (٢٧٧٧) كتاب الأدب، وأحمد (٢٢٤٨٢) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٣).

والنظرة الأولى هى التى ورد ذكرها فى حديث جرير الذى جاء فى الدليل الرابع.

* **الدليل السابع:**

عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اضمنُوا لى ستًّا من أنفسكم أضمن لكمُ الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتُمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضُّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكم»**(١).

* فجعل النبى ﷺ غض البصر من أسباب دخول الجنة.

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: ألا تريدون الجنة؟

غضوا أبصاركم لتظفروا بالجنة.

سلفنا الصالح.. ونعمة غض البصر

* **قال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: «حفظُ البصر أشدّ من حفظ اللسان»(٢).

* **وقال وكيعُ بن الجراح (رحمه الله تعالى)**: خرجنا مع سفيان الثورى فى يوم عيدٍ فقال: «إن أول ما نبدأ به فى يومنا غضُّ أبصارنا»(٣).

* **وقال شُجاعُ بن شاه (رحمه الله تعالى)**: «من عمَّر ظاهرهُ باتباع السُّنَّة، وباطنهُ بدوام المُراقبة، وغض بصرهُ عن المحارم، وكفَّ نفسهُ عن الشهوات لم تُخطئ له فراسة»(٤).

* ذكر أبو الفرج ابن الجوزى أن امرأة جميلة كانت بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها فى المرآة فقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى هذا الوجه ولا يُفتن به؟ قال: نعم. قالت: من؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فائذن لى

---

(١) حسن: رواه أحمد (٢٢٢٥١) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠١٨).

(٢) الورع؛ لابن أبى الدنيا (ص: ٦٢).

(٣) الورع: لابن أبى الدنيا (ص: ٦٦).

(٤) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٢٥).

فيه فلأفتننه، قال: قد أذنت لك. فأتته كـالمستفتية، فخلا معها فى ناحية فى المسجد الحرام، فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أمة الله استترى، فقالت: إنى قد فُتنت بكً. قال: إنى سائلك عن شىء، فإن أنت صدقتينى نظرت فى أمرك. قالت: لا تسألنى عن شىء إلا صدقتك. قال: أخبرينى لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضى لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت. قال: فلو دخلت قبرك، وأُجلست للمسألة أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت.

قال: فلو أن الناس أُعطوا كتبهم ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك؟ أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت.

قال: فلو أردت المرور على الصراط، ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين، أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت.

قال: فلو جىء بالميزان، وجىء بك، فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم، لا قال: صدقت.

قال: اتقى الله، فقد أنعم عليك وأحسن إليك.

قال: فرجعت إلى زوجها. فقال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطَّال ونحن بطالون. فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: ما لى ولعبيد بن عمير أفسد علىَّ امرأتى، كانت فى كل ليلة عروسًا فصيَّرها راهبة.

* **قال بعض السلف**: «من حفظ بصرهُ أورثهُ اللهُ نُورًا فى بصيرته»[١].

* قال الحافظُ ابن حجر نظمًا فى آداب الطريق:

جمعتُ آداب من رام الجُلوس على الـ
ـطريق من قـول خـيـر الخلق إنسـانًا

افشِ السلام وأحسِن فى الكلام وشـ
ـمِّت عـاطسًـا وسـلامًا رُدَّ إحسـانًا

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٣).

فى الحمل عاون ومظلومًا أَعِنْ وأغث
لهفان اهدِ سبيلاً واهدِ حيرانًا
بالعُرف مُرْ وانهَ عَن نُكرٍ وكُفَّ أذى
وغُضَّ طرفًا وأكثر ذكر مولانا[١]

* **قال ابن تيمية (رحمه الله تعالى):** قد أمر الله فى كتابه بغض البصر، وهو نوعان: غضُّ البصر عن العورة، وغضُّهُ عن محلِّ الشهوة.

* **فالأول منهما:** كغضِّ الرجل بصره عن عورة غيره، كما قال النبى: «**لا ينظرُ الرجلُ إلى عورة الرجل ولا المرأةُ إلى عورة المرأة**» [٢]، ويجب على الإنسان أن يستر عورتهُ.

* **وأما النوع الثانى:** فهو غضُّ البصر عن الزينة الباطنة من المرأة الأجنبية، وهذا أشد من الأول[٣].

مغبة إطلاق البصر إلى الحرام

قد أجرى الله الحكيم سُنته بعدله أن الخواتيم مواريث السوابق، فمن فسدت بدايته فسدت حتمًا نهايته، فمن أطلق بصره وخالف أمر ربه وقع فى هذه النتائج المرة المحزنة التى اكتظ بها المجتمع من زنى واغتصاب، . . . وما قصة رجل الأعمال منا ببعيدة، يوم شُغل عن بيته بصفقاته وتجاراته وترك الأمر لبناته يفعلن ما يُردن دون رقيب ولا حسيب يدخلن بمن يردن وبما يردن، فجئن يومًا بشريط فيديو جنسىٍّ عارٍ تمامًا وتفرجن عليه فى غرفتهن سرًّا من أمهن، ثم نمن ونسين الشريط فى الجهاز وذهبن إلى المدرسة فى الصباح، وجاء أخو الزوج المشغول لزيارة زوجة أخيه، فوجدها فى البيت

(١) فتح البارى (١١/ ١٣).
(٢) صحيح، وقد تقدم.
(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤١٤).

وحدها، فطلب منها إعداد فنجان من الشاى، ثم دخل غرفة بنات أخيه فوجد - الريموت - وبحب استطلاع منه شغَّل الجهاز فدار الشريط الجنسى، وتحركت المناظر الجنسية المثيرة، والتى جذبت انتباهه، ثم جاءت زوجة أخيه بالشاى فشدَّها ما رأت، وانتهى الأمر بجريمة الزنى بين الرجل وزوجة أخيه، والتى تكررت مرات ومرات، وتطاير شررها عندما حملت المرأة سفاحًا، وجرت على لجنة الفتوى بالأزهر... أريد حلاً.

النظر المحرم قد ينتهى بصاحبه إلى الشرك

يقول ابن الجوزى محذراً من إطلاق البصر: «اعلم وفقك الله أن البصر صاحبُ خبر القلب ينقل إليه أخبار المبصرات، وينقش فيه صورها، فيجول فيها الفكر، فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة. ولما كان إطلاق البصر سببًا لوقوع الهوى فى القلب، أمرك الشارع بغض البصر عما يُخاف عواقبه... قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾، ثم أشار إلى مُسبِّب هذا السبب، ونبّه على ما يؤول إليه هذا الشر بقوله: ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾(١)» (٢).

وقد تحدّث شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) عن النظر المحرَّم وما يؤول إليه من الوقوع فى الفواحش، بل وقد ينتهى بصاحبه إلى الشرك بالله تعالى.. فكان مما قاله: «وأما النظر والمباشرة، فاللَّمم منها مغفور باجتناب الكبائر؛ فإن أصر على النظر أو على المباشرة، صار كبيرة، وقد يكون الإصرار على ذلك أعظم من قليل الفواحش، فإن دوام النظر بالشهوة وما يتصل به من العشق والمعاشرة والمباشرة قد يكون أعظم بكثير من فساد زنا لا إصرار عليه، ولهذا قال الفقهاء فى الشاهد العدل: ألا يأتى كبيرة ولا يصر على صغيرة.

---

(١) سورة النور: الآيتان: (٣٠، ٣١).

(٢) ذم الهوى (ص: ١٠٦).

بل قد ينتهى النظر والمباشرة بالرجل إلى الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[١]، ولهذا لا يكون عشق الصور إلا من ضعف محبة الله وضعف الإيمان، والله تعالى إنما ذكره فى القرآن عن امرأة العزيز المشركة، وعن قوم لوط المشركين»[٢].

وقال ابن القيم (رحمه الله): «وقد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب؛ فإذا غضَّ العبد بصره، غضّ القلب شهوته وإرادته؛ وإذا أطلق بصره، أطلق القلب شهوته. . .

إلى أن قال: والنظرة إذا أثّرت فى القلب؛ فإن عَجِلَ الحازمُ وحَسَم المادة من أولها، سَهُل علاجه؛ وإن كرر النظر ونقَّب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلبٍ فارغ فنقشها فيه تمكنت المحبة، وكلما تواصلت النظرات، كانت كالماء يسقى الشجرة؛ فلا تزال شجرة الحب تنمو حتى يفسد القلب ويُعرض عن الفكر فيما أُمر به، فيخرج بصاحبه إلى المحن، ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن»[٣].

وبالمثال يتضح المقال

وها أنا ذا أسوق لحضراتكم قصتين لنعلم جميعًا أن مغبة إطلاق البصر إلى المحرمات وخيمة جدًّا.

فأما الحكاية الأولى؛ فقد ساقها أبو الفرج ابن الجوزى بقوله: «وبلغنى عن رجل كان ببغداد يُقال له: صالح المؤذن، أذَّن أربعين سنة، وكان يُعرف بالصلاح، أنه صعد يومًا إلى المنارة ليؤذن، فرأى بنت رجل نصرانى كان بيته إلى جانب المسجد، فافتتُن بها، فجاء فطرق الباب، فقالت: من؟ فقال: أنا صالح المؤذن، ففتحت له، فلما دخل ضمّها إليه، فقالت: أنتم أصحاب

(١) سورة البقرة: الآية: (١٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٩٢، ٢٩٣).

(٣) روضة المحبين (ص: ٩٢-٩٥) باختصار.

الأمانات فـما هذه الخيـانة؟ فقال: إن وافـقتينى على مـا أريد وإلا قتلتك. فقـالت: لا إلا أن تترك دينك، فقـال: أنا برىء من الإسلام، ومما جاء به محمد، ثم دنا إليها، فقـالت: إنما قلت هذا لتقضى غَـرَضك ثم تعود إلى دينك، فكُلْ من لحم الخنزير، فأكل، قالت: فاشـرب الخمر، فشرب، فلما دبّ الشراب فيه دنا إليها، فدخلت بيتًا وأغلقت الباب، وقالت: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبى زوّجنى منك، فصعد فسقط فمات، فخرجت فلفَّته فى ثوب، فجاء أبوها، فقصّت عليـه القصة، فأخرجـه فى الليل فرماه فى السكة، فظهر حديثه، فرُمى فى مزبلة»[١].

* وأما الحكاية الأخرى، فقـد ذكر الحـافظ ابن كثـير (رحمـه الله) فى حوادث سنة ثمـان وسبعـين ومائتين مـا يلى: «وفيهـا توفى عبدة بن عـبد الرحيم قبَّـحه الله، . . . ذكر ابن الجوزى أن هذا الشـقى كان من المجاهدين كثيرًا فى بلاد الروم، فلما كان فى بعض الغزوات، والمسلمون محاصروا بلدة من بلاد الروم، إذ نظر إلى امـرأة من نساء الروم فى ذلك الحـصن فهـويها فراسلها: مـا السبيل إلى الوصول إليك؟ فقـالت: أن تتنصَّـر وتصعد إلىَّ، فأجابها إلى ذلك، فما راع المسلمين إلا وهو عندها، فاغتمَّ المسلمون بسبب ذلك غمًّا شديدًا، وشق عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة فى ذلك الحصن، فقالوا: يا فلان، ما فعل قـرآنك؟ ما فعل علمك؟ ما فعل صـيامك؟ ما فعل جهادك؟ ما فـعلت صلاتك؟ فقال: اعلمـوا أنى أُنسيـت القرآن كله إلا قـوله: ﴿ **رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾[٢]، وقد صار لى فيهم مال وولد»[٣].

(١) ذم الهوى (ص: ٤٠٩).
(٢) سورة الحجر: الآيتان: (٢، ٣).
(٣) البداية (١١/ ٦٤).

خلاصة كلام مؤتمر الإعجاز الطبى فى القرآن

* وها أنا ذا أسوق لك بعض الآيات والأحاديث التى تدل على وجوب غض البصر.. ها أنا ذا أسوق لك كلام أهل العلم المتخصصين فى مهنة الطب عن مغبة إطلاق البصر إلى النساء.

يقول الدكتور صادق محمد: لقد ثبت بالدراسة والبحث العلمى أن تكرار النظر بِشَرَهٍ للجنس الآخر يصل بالشخص إلى إصابة جهازه التناسلى بأمراض:

١- احتقان غدة البروستاتا.

٢- الضعف الجنسى.

وبالتحليل النفسى لهذا الإنسان وجد أنه يتعرض لأزمات نفسية واكتئاب وتغيير فى سلوكه وشخصيته، ويشير الباحث إلى أن حاسة النظر تعتبر أقوى وأخطر الحواس من ناحية الإثارة الجنسية، ولقد حذرنا الإسلام ونهانا عن إطلاق البصر، والتى ثبت فى عصر العلم الحديث بالبحث والدراسة ضرر مخالفتها.

فوائد غض البصر

يقول الإمام ابن القيم (رحمه الله): «وفى غض البصر عدة منافع:

١- غض البصر امتثال لأمر الله الذى هو غاية سعادة العبد فى معاشه ومعاده، وليس للعبد فى دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه تبارك وتعالى، وما سَعِد مَن سَعد فى الدنيا والآخرة، إلا بامتثال أوامر ربه وما شقى من شقى فى الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

٢- أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم الذى لعل فيه هلاكه إلى قلبه.

٣- غض البصر يورث القلب أنسًا بالله واجتماعًا عليه، وإطلاقه يفرق القلب ويشتته ويبعده عن الله، وليس على العبد شيء أضر من إطلاق البصر فإنه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه.

٤- أنه يقوى القلب ويُفرحه، كما أن إطلاقه يضعف القلب ويحزنه.

٥- أنه يُلبس القلب نورًا، كما أن إطلاقه يلبسه ظلمة؛ ولهذا ذكر الله سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر؛ فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[1] ثم قال إثر ذلك: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[2] .

أي: مثل نوره فى قلب عبده المؤمن الذى امتثل أوامره واجتنب نواهيه، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل ناحية، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان، . . . فما شئت من بدع وضلالة، واتباع هوى، واجتناب هدى، وإعراض عن أسباب السعادة واشتغال بأسباب الشقاوة، فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذى فى القلب، فإذا نفد ذلك النور بقى صاحبه كالأعمى الذى يجوس فى حنادس الظلام.

٦- أنه يورث فراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل، والصادق والكاذب. . . وكان شجاع الكرمانى يقول: من عمَّر ظاهره باتباع السنة، واغتذى بالحلال، لَم تخطئ له فراسة، وكان شجاع هذا لا تخطئ له فراسة.

والله سبحانه يجزى العبد على عمله بما هو من جنس عمله، ومن ترك لله شيئًا عوضه الله خيرًا منه؛ فإذا غض بصره عن محارم الله، عوضه الله بأن يطلق نور بصيرته عوضًا عن حبس بصره لله. ويفتح عليه باب العلم والإيمان والمعرفة والفِراسة الصادقة المصيبة التى إنما تُنال ببصيرة القلب.

---

(١) سورة النور: الآية: (٣٠).

(٢) سورة النور: الآية: (٣٥).

٧- أنه يورث القلب ثباتًا وشجاعة وقوة، فيجمع الله له بين سلطان النصرة والحجة وسلطان القدرة والقوة، كما فى الأثر: «**الذى يخالف هواه، يَفْرَقُ[(١)] الشيطان من ظله**».

وضد هذا تجد فى المتبع هواه - من ذل النفس ووضاعتها ومهانتها وخستها وحقارتها - ما جعله الله سبحانه فيمن عصاه.

كما قال الحسن: «إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين، فإن ذل المعصية فى رقابهم، أبَى الله إلا أن يُذل من عصاه».

وقد جعل الله سبحانه العزَّ قرين طاعته، والذل قرين معصيته.

٨- أنه يسد على الشيطان مدخله من القلب، فإنه يدخل مع النظرة وينفذ معها إلى القلب، أسرع من نفوذ الهواء فى المكان الخالى، فيمثل له صورة المنظور إليه، ويزينها ويجعلها صنمًا يعكف عليه القلب، ثم يعدُهُ ويُمَنِّيه، ويوقد على القلب نار الشهوة، ويلقى عليه حطب المعاصى التى لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة، فيصير القلب فى اللهب، فمن ذلك اللهب تلك الأنفاس التى يجد فيها وهج النار، وتلك الزفرات والحرقات، فإن القلب قد أحاطت به نيران بكل جانب فهو وسطها كالشاة فى وسط التنور، ولهذا كانت عقوبة أصحاب الشهوات بالصور المحرمة، أن جُعِلَ لهم فى البرزخ تنّورٌ من نار وأودعت فيه أرواحهم إلى حشر أجسادهم، كما رآها النبى ﷺ فى المنام[(٢)].

٩- أنه يفرغ القلب للتفكر فى مصالحه والاشتغال بها، وإطلاق البصر ينسيه ذلك ويحول بينه وبينه، فينفرط عليه أمره، ويقع فى اتباع هواه وفى الغفلة عن ذكر ربه.

---

(١) يفرق: يخاف.

(٢) كما فى حديث سمرة عند البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير.

١٠- أن بين العين والقلب منفذًا أو طريقًا يوجب انتقال أحدهما عن الآخر، وأن يصلح بصلاحه، ويفسد بفساده، فإذا فسد القلب فسد النظر، وإذا فسد النظر فسد القلب، وكذلك فى جانب الصلاح[١].

١١- يجعل العبد يذوق حلاوة الإيمان؛ لأن من ترك شيئًا لله عوّضه الله خيرًا منه.

١٢- غض البصر يعين الإنسان على طلب العلم؛ لأن العلم لا يُنال إلا بطاعة الله، . . . كما قال تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** ﴾[٢].

١٣- غض البصر ينجى العبد من الوقوع فى حفرة من حفر النار.

١٤- فيه راحةٌ للنفس والبدن.

١٥- يصونُ المحارمَ ويُجنبُ الوقوع فى الزلل.

١٦- يجعل المجتمع المتحلى بهذه الصفة مجتمعًا آمنًا متحابًّا.

١٧- يصونُ المجتمعَ من انتشار الزنى.

١٨- يضرُّ بالشيطانِ وأعوانه ويستجلبُ العفة[٣].

١٩- غض البصر يحفظ عليك تلك النعمة، كما قال النبى ﷺ: «**احفظ الله يحفظك**»[٤].

٢٠- غض البصر مهرٌ للحور العين.

٢١- أرجو من الله أن يُنعم على كل من غض بصره فى الدنيا بنعمة النظر إلى وجهه الكريم (سبحانه وتعالى).

* * *

(١) الداء والدواء (ص: ٢١٣: ٢١٦) بتصرف.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٨٢).

(٣) نضرة النعيم (٧/ ٣٠٧٦).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

فمن باب قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [(١)].

أريدك أيها الأخ الحبيب أن تقايس بين نعم الله عليك وبين جنايتك ومعصيتك.. مع أن مقتضى القياس أن نقايس بين نعم الله علينا وبين طاعتنا لله.

لكنى أريدك أن تقايس بين نعم الله عليك التى لا تُعد ولا تُحصى، وبين ذنوبك وآثامك، فخيرُه إلينا نازل، وشرنا إليه صاعد، ومع ذلك يعطينا ويرزقنا ويعافينا ويغفر لنا، وهو الذى لا تنفعه طاعتنا ولا تضره معصيتنا.

* ففى الحديث القدسى أن الله (جل وعلا) قال: **«..يا عبادى، إنكم لن تبلغوا ضُرِّى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنَّكم، كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحد منكم، ما زادَ ذلك فى مُلكى شيئًا، يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من مُلكى شيئًا...»**[(٢)].

* وإن من أعجب الأشياء أن العبد لا يعصى الله إلا بنعم الله. فلو لم يرزقك الله بنعمة البصر هل كان من الممكن أن تنظر إلى النساء؟

بالطبع لا... ومع ذلك استعملت نعمة البصر فعصيت بها ربك ونظرت بها إلى الحرام.

* ماذا تصنع لو حرمك الله من نعمة البصر؟ هل ترضى أن تكون عالة على الناس يأخذونك يمينًا ويسارًا... ؟!!

إذن؛ فلماذا لا تحفظ النعمة وتحافظ عليها بطاعة الله، فهو القائل: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ [(٣)].

---

(١) سورة الرحمن: الآية: (٦٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) سورة إبراهيم: الآية: (٧).

* أما تستحيى عندما تنظر إلى رجـلٍ أعمى قد امتلأ قلبه شكراً لله، مع أن الله حرمه نعمة البصر. . . وأنت تعصى الله بنعمة البصر؟

* أما عـلمت أن الله الذى رآك وأنت تنظر إلى امرأة فى الحـرام. . هو هو الذى سيحاسبك يوم القيامة على تلك النظرة، ولن تستطيع أن تنكر، أو أن تكذب عليه، وهو الذى رآك.

* إذن؛ فلماذا لا تحـافظ على تلك النعـمة بأن تشكر الله عليـها، وبأن تستعملها فى طاعة الله (جل وعلا).

أقسام النظر إلى النساء وأحكامها

* ونظر الرجل إلى النساء ينقسم إلى ثمانية أقسام:

الأول: نظر الرجل البـالغ حتى ولو كـان مجـبوبًا [1] إلى الحرة البـالغة الأجنبية بغير داعٍ لذلك.

حكمه: هذا القـسم حرام، ولا يجوز له أن ينظـر إلى شىء منها، ولا حتى ظُفرها، ولا أطراف شعرها، وهذا القسم هو المقصود بالأدلة السابقة، فكل أدلة التحريم لإطلاق البصر ووجوب غضِّه مُنصبَّة على هذا النوع.

الثانى: أن ينظر لامرأة لا تُشتهى لكونهـا عجوزًا فانية، أو دميمة الخلقة جدًّا . . . سبحان من سواها.

حكمه: يجوز النظر لوجهها فقط ولا يتعداه؛ لدخولها تحت قوله تعالى: ﴿ **وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [2].

الثالث: أن ينظر إليها لعرض الشهادة عليها أو لمعاملتها.

---

(١) المجبوبُ: مقطوعُ الذَّكر.

(٢) سورة النور: الآية: (٦٠).

حكمه: يجوز أن ينظر في هاتين الحالتين فقط للوجه والكفين؛ لأن هذه حاجة، وهو محتاج إلى معرفتها بعينها للمطالبة بحقوقه وحقوق العقد أو لتحمل الشهادة وأدائها، ولكن هذا الجواز مشروط بثلاثة شروط:

١- فقدُ جنس: أي لابدَّ أن تكون التي تنظر إليها امرأة مثلها لتتعرف عليها؛ فإن فُقِدَتِ المرأة التي تنظر، وتعذر الوصول إلى امرأة؛ جاز أن ينظر إليها رجل، وللوجه والكفين فقط.

٢- فَقْدُ محرم صالح: فيحرم أن ينظر إليها أجنبي إلا في وجود المحرم، أما إذا فقد المحرم أو تعذر؛ فيجوز النظر للوجه والكفين، لكن بدون خلوة.

٣- أن يتعذر النظر إليها من وراء حجاب: لأن الأصل أن ينظر إليها عند الحاجة من وراء حجاب... للآية؛ فإن تعذر الحجاب جاز النظر بقدر الحاجة.

الرابع: أن ينظر إلى امرأة بالغة بقصد أن يخطبها لنفسه فيجوز النظر منها إلى الوجه والكفين ولا يتعداها.

الخامس: النظر إلى ذوات المحارم وهن كل امرأة يحرم عليك نكاحها أبدًا بنسب كالأم والأخت، أو بسبب كالرضاع والمصاهرة والنظر إلى بنت صغيرة أو أَمة.

حكمه: يجوز النظر لما يظهر منهن غالبًا كالشعر والوجه والرقبة ونصف الذراع ونصف الساق.

السادس: أن ينظر إليها لغرض المداواة إن كان طبيبًا، ولم توجد طبيبة أنثى.

حكمه: يجوز لموضع الحاجة فقط ويستر ما عداها، ولكن بشرط:

١- عدم الخلوة.

٢- وجود محرم صالح عاقل.

السابع: أن ينظر الرجل إلى أَمة محرمة، أو إلى حرة مميزةٍ دون تسع أو تنظر المرأة إلى المرأة أو إلى رجل أجنبى أو ينظر ولدٌ صغير لا شهوة له للمرأة، أو ينظر الرجل إلى رجل مثله، فيجوز إلى ما عدا ما بين السرة إلى الركبة.

الثامن: أن ينظر الرجل إلى زوجته المدخول بها أو أَمته، فيجوز له أن ينظر إلى جميع بدنها بلا حرج(١).

الوسائل المعينة على غض البصر

١- الاستعانة بالله (جل وعلا):

فإن العبد لا حول له ولا قوة إلا بالله... فينبغى على العبد أن ينخلع من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، فيلجأ إلى الله أن يُعينه على غض البصر.. وإنه ليسيرٌ على من يسَّره الله عليه.

قال ﷺ: **«إذا سألت فاسأل الله؛ وإذا استعنت فاستعن بالله..»**(٢).

وانظر إلى نبى الله يوسف (عليه السلام) عندما قال: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣).

٢- استحضار مراقبة الله للعبد:

فإن العبد إذا علم أن الله مُطلع عليه، وأنه سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تُخفى الصدور.. وأنه يعلم السر وأخفى.. وأنه يراقب العبد

---

(١) احذر إنها سهم سُمٍ إلى القلب/ إبراهيم فتحى (ص: ٣٩: ٤٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٣) سورة يوسف: الآيتان: (٣٣، ٣٤).

فى سكناته وحركاته؛ فإن ذلك يجعل العبد يستحى أن يعصى الله بنعم الله (جل وعلا).

٣- **الزواج أو الصيام**؛ لقول النبى ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج؛ ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء**»[١].

٤- معرفة فضائل غض البصر.

٥- التعرف على الشرور التى يجنيها العبد من مغبة إطلاق البصر فى النظر إلى النساء، فإن ذلك يردعه عن النظر إلى النساء.

٦- **استحضار مشاهد يوم القيامة** بدءًا من دخول ملك الموت.. وانتهاءً بدخول الجنة أو النار.

٧- مصاحبة الأخيار، وترك صحبة الأشرار.

فالرجل على دين خليله.. فالصاحب المؤمن يعينك على غض البصر، أما صديق السوء، فإنه يُهوِّن عليك الذنوب، ويأخذ بيديك إلى كل أسباب الهلاك.

٨- ملازمة المصحف فى كل مكان:

فلا تخرج من بيتك إلا والمصحف فى جيبك.. فأينما كنت فأخرج المصحف واقرأ فيه، فإن ذلك يعينك على غض البصر.

٩- ملازمة ذكر الله:

اشغل لسانك دائمًا بذكر الله؛ فإن ذلك يعينك على غض البصر؛ لأن الانشغال بالذكر يجعل قلبك موصولاً بالله، ومن ثم فإنك لن ترى النساء من حولك، فضلاً عن أن تُفتن بواحدة منهن.

١٠- عدم الوقوف فى الأماكن التى تمر منها النساء:

لأن ذلك فيه استشراف للفتنة... والأصل أن الإنسان لا يورد نفسه

---

(١) متفق عليه: وقد تقدم.

موارد الهلاك؛ لأن الميل الفطرى الغريزى بين الرجل والمرأة لا ينتهى أبدًا ومن ثم فإن الشيطان يزين لك الوقوف فى تلك الأماكن، ثم يأخذ بيديك إلى أن تقترب من أسباب الفتنة خطوة خطوة، ولذلك حذرنا الله (جل وعلا)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[1].

١١- الانشغال بهمِّ الدعوة:

فإن المسلم إذا كان صاحب همٍّ وقضية تشغله، فإنه لا يفكر فى أى شىء آخر.. وليس هناك قضية أعظم من أن ندعو الكون كله لعبادة الله (جل وعلا).

١٢- أن تربط عينك بقطعة قماش لمدة طويلة، وتتخيل أن الله قد حرمك نعمة البصر... ثم تنزع تلك القطعة لتشعر بقدر تلك النعمة؛ فلا تستعملها إلا فى طاعة الله.

١٣- التوبة: وذلك بأن تتوب من إطلاق البصر للنساء... وتبدأ صفحة جديدة مع الله (جل وعلا) تعاهده فيها على غض البصر، وتصدق معه... وليكن لسان حالك ومقالك.

يا رب أنت أمرتنى ونهيتنى
وأريتنى طرق الضلالة والهدى
وعلمت أنى لا أفرُّ من الذى
قدرت لى إن كان خيرًا أو ردى
وسلكت بى ما شئت للشىء الذى
فى الخلق ما أخفيته عنهم سدى
فاقبل بفضلك توبتى لك خالصًا
واغفر فإنى قد بسطت لك اليدا

---

(١) سورة النور: الآية: (٢١).

واصفح عن العبد الذى يا سيدى

قد جاء معترفًا وعاش موحدًا

١٤- استحضار ما أعده الله للمؤمنين فى الجنة: فمن بين النعيم الذى يكرمك الله به فى الجنة الحور العين.

* قال ﷺ: «... **ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض، لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا ولنصيفها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها**» (١).

فماذا تساوى المرأة التى تنظر إليها بالنسبة لجمال الحور العين... فهل هناك عاقلٌ يضيع على نفسه لذة الاستمتاع بالحور العين فى الجنة من أجل نظرة إلى امرأة من أهل الدنيا؟!!

ثم إن النفس لا تقف عند حدٍّ معين.. فإذا رأى الإنسان امرأة جميلة فسوف يجد من هى أجمل منها... ومن ثم فالواجب عليك أن تصرف بصرك عن كل النساء؛ لأن النساء ليست غاية، وإنما غاية المؤمن أن يفوز برضوان الله وجنته.

معوقات غض البصر

١- عدم مراقبة الله (جل وعلا):

فإن العبد إذا لم يشعر بأن الله يراقبه ويراه ويعلم سره ونجواه، فإنه يكون جريئًا على معصية الله... قال تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ**﴾ (٢).

٢- نسيان الآخرة:

فإن ذكر الآخرة والجنة والنار يجعل العبد يسعى إلى مرضاة الله، ويُكثر

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٦) كتاب الجهاد والسير.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٣٥).

من أعمـاله الصالحة ليـفوز بالجنة، ويهرب من الذنوب والمعـاصى خوفًا من النار. . . فإذا نسى العبد آخرته، فلا شىء يردعه عن الوقوع فى أى معصية صغيرة كانت أو كبيرة.

٣- أصدقاء السوء:

فإن الصاحب ساحب، يجر صاحبه إلى كل معصية، إن لم يجتمعا على طاعة الله (جل وعلا). . فكم من صاحب أوقع صاحـبه فى حفرة من حفر النار بسبب تزيين المعاصى والبُعد الشديد عن الله (جل وعلا).

٤- تبرج النساء:

فإن ذلك يثير الشهوات الكامنة فى نفوس الشباب، مما يجعله ينظر إليهن بشهوة إن لم يكن عنده أى وازعٍ دينى يردعه عن فعل ذلك:

* **وهنا أهمس فى أذن كل أخـت مسلـمة وأقـول لهـا:** هل رضيـتى بأن تكونى سلاحًا فى يد أعداء الله ليدمروا به شباب المسلمين؟!.

يا حفيدة أسـماء وخديجة وعائشة عودى إلى حجـابك وحيائك وقولى لهم: ستعـلمون غدًا أنى أنا الحرة الأبيـة التى ستُخرج للكون رجـالاً أمثال عمر وخالد بن الوليد والزبير بن العوام.

* وأُريد أن أهمس الهمسة الثانية فى أُذن كل ولى أمر.

أقول له: اعلم أن النبى ﷺ دعا لك أو دعا عليك. . . فلقد دعا لك إن امتثلت أمره. . ودعـا عليك إن خالفته، فقال ﷺ: **«اللهم مَن ولى من أمر أمتى شـيئًا فشقَّ عليـهم فاشقق عليه، ومن ولـى من أمر أمتى شيئًـا فرفق بهم فارفق به»**(١).

فأنت قد ولاك الله أمـر بنات من بنات المسلمين، فإذا تركت بناتك بلا حجاب ليفتنَّ شباب المسلمين، فقد شققت على هؤلاء الشباب، وسوف تبوء بدعاء النبى عليك.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٨) كتاب الإمارة.

وإذا ألزمت بناتك بلبس الحجاب وحجبت فتنتهن عن شباب المسلمين فقد رفقت بهؤلاء الشباب وستفوز بدعاء النبى ﷺ لك.

بل إنى أخاف عليك أن تُحرم من دخول الجنة، فقد قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة ديوث**». قالوا: ومن الديوث يا رسول الله؟ قال: «**الذى يُقر الخَبَث فى أهله**»(١).

* وهل هناك أعظم من أن تترك ابنتك أو زوجتك أو أختك ترتع فى الشوارع كاشفة عن مفاتنها، وهى تعرض جسدها كسلعة رخيصة لتفتن شباب المسلمين.

* والله أنا لا أرضى لك بذلك أبدًا.. بل إننى أرجو الله (جل وعلا) أن يعينك على تربية بناتك على الحياء والحجاب والأخلاق الحميدة؛ لتفوز ببشرى النبى ﷺ لك، حيث قال: «**من عال جاريتين حتى يُدركا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين**»(٢).

* ألا تريد أن تكون مع النبى فى الجنة؟

إذن فلا تضيع الأمانة... وألزم بناتك وأخواتك وزوجتك بالحجاب، وعلمهن سيرة الصحابيات وأمهات المؤمنين ليقتدين بهن، فهن الأسوة والقدوة لنساء المسلمين.

٥- الدش والتلفاز والإنترنت:

فإن تلك الأجهزة على الرغم من أنها تحتوى على بعض المنافع إلا أن الفساد الذى فيها أكبر بكثير... فلقد استطاع كثير من الشباب والفتيات أن يطلعوا على العورات، وأن يفقدوا كثيرًا من الحياء.

---

(١) حسن لغيره: رواه النسائى (٢٥٦٢) كتاب الزكاة، وأحمد (٦٠٧٨) مسند المكثرين من الصحابة، واللفظ له، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٥١٢)، وقال: حسن لغيره.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣١) كتاب البر والصلة والآداب.

وكان من جرَّاء ذلك أن أُثيرت الشهوات الكامنة، مما جعل الشباب يبحثون عن الوسيلة التى يفرغون من خلالها تلك الشهوة فلم يجد أكثرهم إلا الزواج العرفى المحرم، والذى كان من جرائه اثنا عشر ألف طفل بلا أب شرعى يعيشون الآن فى الملاجئ ودور الإيواء.

والذى كان نتيجة لثلاثمائة ألف حالة من الزواج العرفى، وذلك حسب الإحصائيات الرسمية... فنسأل الله العفو والعافية.

٦- الاختلاط بين الشباب والبنات فى المدارس والكليات وأماكن العمل:

ومن أشد الوسائل ضررًا وشرًّا: اختلاط النساء بالرجال، فإن هذا الاختلاط أنكى وسيلة فى الانغماس فى الفواحش والقاذورات، وقد كَثُر فى هذا الزمان من يطالب بهذا الاختلاط ويدعو إليه، حيث ينادون بمزاحمة النساء للرجال فى جميع المجالات والأعمال، زاعمين أنهم يريدون الخير والإصلاح لمجتمعاتهم ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[1][2].

قال ابن القيم متحدثًا عن مفاسد الاختلاط: «ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بليَّةٍ وشرٍّ، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة... وهو من أسباب الموت العام والطواعين المهلكة. ولما اختلط البغايا بعسكر موسى (عليه السلام) وفشت فيهم الفاحشة أرسل الله عليهم الطاعون، فمات فى يوم واحد سبعون ألفًا، والقصة مشهورة فى كتب التفسير، فمن أعظم أسباب الموت العام كثرةُ الزنا بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال والمشى بينهم متبرجات متجملات»[3].

(١) سورة البقرة: الآية: (١٢).

(٢) عبودية الشهوات/ د. عبد العزيز بن محمد (ص: ٢٢).

(٣) الطرق الحكمية (ص: ٢٥٩).

٧- هجر الذكر والقرآن:

فإن النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.. فإن لم تشغل نفسك بالقرآن والذكر ودروس العلم شغلتك بالدش والتلفاز والنظر إلى النساء.

٨- الفراغ القلبي والعاطفي:

فإن المسلم إذا عاش بلا هَمٍّ ولا قضية تشغله، فإن قلبه يهيم فى أودية الدنيا، ويرتع فى أوحال المعاصى.

فاشغل قلبك بمحبة الله، ومحبة رسول الله ﷺ.. واجعل الجنة والنار نُصب عينيك، واجتهد قدر استطاعتك لتفوز برضوان الله وجنته.

وأخيرًا

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

تعالوا بنا لنتواعد من الآن على أن نفتح صفحة جديدة، ونتعاهد على غض البصر، عسى الله أن يرضى عنا، وأن يجمعنا فى الجنة إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين.

وعساه أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه فى غير ضراء مُضرة ولا فتنة مضلة.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)



يا شباب.. احذروا العادة السيئة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[١].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[٣].

أما بعد:

أيها الأخ الحبيب الغالى: لقد رجعت بالذاكرة إلى عهد النبى ﷺ وأصحابه ﷺ وجلست أتذكر تلك التساؤولات التى كان النبى ﷺ يسمعها من أصحابه ويرد عليهم... فهذا رجل يسأله عن أحب الأعمال إلى الله.. وآخر يقول له: ما الذى يُضحك الرب من العبد؟. وثالث يقول: دُلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس... ورابع وخامس.... إلخ.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

* وإذا بنا نسمع فى هذه الأيام سؤالاً يتردد ويتكرر فى كل دروس العلم تقريبًا. . . شباب يسألون: ما حكم العادة السرية؟!!!!

فجلست أقارن بين أسئلة السلف وأسئلة الخلف فامتلأ قلبى حزنًا وكمدًا على إخوانى وأحبابى من شباب أمتنا.

* أيها الأخ الحبيب: هل تعلم أنك ربما تكون حفيدًا لأبى بكر أو لعمر أو لعثمان أو لعلى أو لطلحة أو للزبير رضي الله عنهم.

لقد كان أجدادك يعيشون الإسلام، فهل يجدر بك أن تعيش أنت لشهوتك وتنسى هموم أمة تكالب عليها الشرق والغرب؟!!!

أخى الحبيب: والله لو كنت تحمل فى قلبك همَّ هذا الدين وتعيش من أجل قضية واحدة. . ألا وهى نُصرة هذا الدين وتبليغ دعوة الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى الكون كله لما فكرت لحظة واحدة فى شهوة أو متعة رخيصة تجلب لك الحسرة والندم حين لا ينفع الندم.

* يقول الإمام ابن القيم (رحمه الله): «الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة؛ فإنها إما أن توجب ألمًا وعقوبة، وإما أن تقطع لذة أكمل منها، وإما أن تُضيع وقتًا إضاعته حسرة وندامة، وإما أن تثلم عرضًا توفيره أنفع للعبد من ثلمه، وإما تُذهب مالاً بقاؤه خير له من ذهابه، وإما أن تضع قدرًا وجاهًا قيامه خير من وضعه، وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألذ وأطيب من قضاء الشهوة، وإمَّا أن تجلب همًّا وغمًّا وخوفًا لا يقارب لذة الشهوة، وإمَّا أن تُنسى علمًا ذِكره ألذ من نيل الشهوة، وإما أن تُشمت عدوًّا وتُحزن وليًّا، وإما أن تقطع الطَريق على نعمة مقبلة، وإما أن تُحدث عيبًا يبقى صفة لا تزول؛ فإن الأعمال تورث الصفات والأخلاق»(١).

* أخى الحبيب: إننى سأحاول جاهدًا من خلال تلك الرسالة أن أضع

(١) الفوائد (ص: ٢٠٤).

يدى على الداء، ثم أصف لك الدواء من القرآن والسنة عسى الله أن ينفعك بتلك الكلمات فتتوب إلى الله وتترك تلك العادة السيئة لنراك بعدها عابدًا لله داعية إلى شرع الله وإلى سنة رسول الله ﷺ . . . ولسان حالك ومقالك كما قال ربعى بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد جيوش الفرس حينما سأله: من أنتم؟ وما الذى جاء بكم إلى هنا؟ فقال له ربعى بلسان الواثق فى موعود ربه: نحن قومٌ ابتعثنا الله لنُخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

- فهيا أخى الحبيب لنتعايش بقلوبنا مع تلك الرسالة التى هى واحدة من بين مجموعة رسائل أوجهها لشباب الأمة المسلمة عسى الله أن ينفع بها وأن يجعلها فى ميزان حسناتى وأن يجمعنى وإياك بالحبيب محمد ﷺ فى جنات النعيم. . . إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

من هنا نبدأ

أيها الأخ الحبيب الغالى: اعلم أن الإسلام هو الدين الذى يوازن بين جانب الروح وجانب الجسد. . . فهو الدين الذى حرَّم الرهبانية. . وفى نفس الوقت حرم الزنا، وشرع لنا الزواج الشرعى؛ لأن ديننا هو دين الوسطية، فهو لا يكبت أى شهوة وإنما يضعها فى موضعها الذى أحله الله لنا.

* وأنا أعلم جيدًا أن سلطان الشهوة قوى وبخاصة أنه فطرة مُركَّبة فى كل إنسان، . . . كما قال تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[١].

لكن سلطان الإيمان والتقوى أعظم وأقوى من سلطان الشهوة، فالمسلم لا يمكن أن تقوده شهوة، وإنما يقوده قانون الإيمان الذى عاش فى رحابه سلفنا الصالح فسَعِدوا فى الدنيا والآخرة.

* وها أنا أقدم تلك الرسالة لكل شاب صالح يسعى لإعفاف نفسه ويدرك خطورة الشهوة المحرمة. . وهى رسالة إلى كل شاب أطلق العنان لشهواته ولكنه يبحث عن مخرج.

* **أقول لهم جميعًا**: إن الشهوة سرعان ما تمضى وتنقضى ولكن تبقى التبعات والذنوب والآثام، وأنا والله أريد لكم جميعًا أن تسعدوا فى الدنيا فى ظل تعاليم هذا الدين العظيم وأن تسعدوا فى الآخرة فى جنة الرحمن (جل وعلا) التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٤).

الأدلة على تحريم العادة السيئة

اعلم أيها الأخ الحبيب الغالى أنك مُستَهدف من الأعداء الذين يخططون ليل نهار لتدمير الشباب المسلم؛ لأنهم يعلمون أن الشباب هم سواعد الأمة المسلمة وأملها فى مستقبلها، فلا تُشمت بك الأعداء، واثبُت يا حفيد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى، وسائر أصحاب النبى ﷺ .

* اعلم أيها الأخ الحبيب أن الاستمناء (العادة السرية) حرام.. والأدلة على ذلك كثيرة ولكن سأكتفى بذكر بعضها:

١- الدليل الأول:

قال تعالى فى سورة «المؤمنون»: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴾[1].

* أقوال المفسرين وغيرهم فى هذه الآيات:

قال الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه الآيات: وقد استدل الإمام الشافعى ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد... بهذه الآيات الكريمة.

قال: فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين الأزواج وملك اليمين، وقد قال تعالى: ﴿ **فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴾[2].

وقال بعض العلماء: إنه كالفاعل بنفسه، وهى معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس حتى صارت قبلة ويا ليتها لم تُقل، ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها.

(١) سورة المؤمنون: الآيات: (٥-٧).

(٢) سورة المؤمنون: الآية: (٧).

قال أبو حيان فى «تفسيره»: قوله تعالى: «﴿ **فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴾(١)، ويشمل قوله: ﴿ **وَرَاءَ ذَٰلِكَ** ﴾ الزنا واللواط ومواقعة البهائم والاستمناء. . . وقال أيضًا: والجمهور على تحريم الاستمناء».

٢- الدليل الثانى:

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**»(٢).

قال الإمام ابن حجر فى «فتح البارى» أثناء الكلام على هذا الحديث: «واستدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء؛ لأنه أرشد عند العجز عن التزويج إلى الصوم الذى يقطع الشهوة فلو كان الاستمناء مباحًا لكان الإرشاد إليه أسهل».

وقال الإمام ابن القيم: «والصحيح عندى أنه لا يباح - أى: الاستمناء- لأن النبى صلى الله عليه وسلم إنما أرشد صاحب الشهوة إذا عجز عن الزواج إلى الصوم ولو كان هناك معنى غيره لذكره». اهـ.

* وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خُيِّر بين أمرين اختار أيسرهما. . فطالما أنه هنا عدل عن الأيسر إلى غيره فهذا دليل على أن الاستمناء حرام؛ لأن الصيام فيه مشقة والاستمناء أيسر وأحب إلى قلب كثير من الشباب ومع ذلك اختار النبى صلى الله عليه وسلم الصيام ليوضح لنا حُرمة الاستمناء.

٣- الدليل الثالث:

قال تعالى: ﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾(٣).

---

(١) سورة المؤمنون: الآية: (٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٦٥) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٠٠) كتاب النكاح.

(٣) سورة النور: الآية: (٣٣).

تدل هذه الآية على حُرمة الاستمناء من وجهين:

الأول: أن الله تعالى أمر فيها بالاستعفاف، والأمر يدل على الوجوب فيكون الاستعفاف واجبًا، وحيث وجب اجتناب ما ينافيه كالزنا واللواط والاستمناء فتكون هذه الأشياء واجبة الاجتناب محرمة الفعل؛ لأن الاستعفاف الواجب لا يتحقق إلا باجتنابها جميعًا.

الثانى: أن الله تعالى أوجب فى الآية الاستعفاف على من لم يستطع القيام بتكاليف النكاح ولم يجعل بين النكاح والاستعفاف واسطة فاقتضى ذلك تحريم الاستمناء ولو كان مباحًا لبيَّنه فى هذا المقام؛ لأن هذا مقام بيان، إذ أحوج ما يكون الرجل إلى جواز الاستمناء إذا لم يجد سبيلاً إلى النكاح لا سيما عند توقان نفسه إلى الوطء، فلما سكت عنه فى هذا المقام الذى يقتضى بيانه دَلَّ على أنه حرام.

٤- الدليل الرابع:

* عن أبى هريرة ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، إنى رجل شاب، وأنا أخاف على نفسى العنت، ولا أجد ما أتزوج به النساء، فسكت عنى، ثم قلت ذلك، فسكت عنى ثم قلت مثل ذلك فسكت عنى، ثم قلت مثل ذلك، فقال النبى ﷺ: «**يا أبا هريرة، جف القلم بما أنت لاقٍ، فاختصِ على ذلك أو ذر**»[1].

يقول الحافظ ابن حجر فى شرح الحديث: «قوله ﷺ لأبى هريرة «**فاختص على ذلك أو ذر**» فليس الأمر فيه لطلب الفعل - أى: فعل الاختصاء- بل هو للتهديد، وهو كقوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾[2] وليس إذنًا فى الخصاء، بل فيه إشارة إلى النهى عن ذلك، كأنه قال: إذا علمت أن كل شىء بقضاء الله فلا فائدة فى

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٠٧٦) كتاب النكاح.

(٢) سورة الكهف: الآية: (٢٩).

الاختصاء، وقد تقدم أنه ﷺ نهى عثمان بن مظعون لما استأذنه فى ذلك. وكانت وفاته قبل هجرة أبى هريرة بمدة..

وهذا الحديث يدل على حرمة الاستمناء؛ لأن أبا هريرة اشتكى إلى النبى ﷺ شبابه وخوفه من العنت وكرر شكايته ثلاث مرات ومع هذا لم يرشده النبى ﷺ إلى الاستمناء كما لم يرخص له فى الاختصاء وهذا أبلغ ما يكون فى الدلالة على التحريم.

أسباب تحريم العادة السيئة

أيها الأخ الحبيب الغالى: اعلم قبل أى شىء أننا نمتثل أمر الله وأمر رسول الله ﷺ وننتهى عما نهانا الله عنه، وما نهانا عنه رسول الله ﷺ، ولو لم نعلم العلة من ذلك فنحن عبيدٌ لله نفعل ما يريد وننتهى عما يكره.

لكن على الرغم من ذلك فإننى سأذكر لك بعض الأسباب التى من أجلها حرم الله (جل وعلا) تلك العادة القبيحة:

١- الاستمناء حرام؛ لأنه معصية لله (جل وعلا):

فطاعة الله (جل وعلا) واجبة على كل مسلم، ومعصيته حرام بإجماع العلماء والعقلاء، فلقد خلقنا الله لطاعته وعبادته فقال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾(١).

* وأنا أعلم جيداً أن الشهوة محببة إلى النفس، ولكن لذة الطاعة أعظم. فإن العبد الذى عاش على معصية الله سينسى كل نعيم عاشه فى الدنيا مع

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

أول غمسة فى نار جهنم، . . . والعبد الذى عاش على طاعة الله وحرم نفسه من المتع المحرمة سينسى كل شقاء وبلاء مع أول غمسة فى جنة الرحمن.

- فاصبر أيها الأخ الحبيب على هذا البلاء، واغتنم كل لحظة فى طاعة الله لتعيش فى جنة الدنيا التى تُثمر لك جنة الآخرة.

- **قال الإمام ابن تيمية (رحمه الله)**: «إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها فلن يدخل جنة الآخرة، قيل: ما هى؟ قال: إنها جنة الإيمان».

٢- الاستمناء حرام:

لأنه تضييع لماء الحياة، ووضعه فى غير المكان الذى خلقه الله له:

- فالله (عز وجل) جعل هذا الماء سببًا لإيجاد الذرية الصالحة الذين يملؤون الكون عبادة وطاعة لله (جل وعلا). . فإذا فعل الشاب تلك العادة السيئة فإنه بذلك يضع ماء الحياة فى غير الموضع الذى خلقه الله له، وهذا تضييع وإسراف فى نعم الله (جل وعلا).

٣- لأن فيه تضييع للفرائض والواجبات:

فكم من شاب ضيع الصلاة أو الصيام بسبب تلك العادة القبيحة، كأن يمارس تلك العادة القبيحة قبل صلاة الفجر (الصبح) فيجد الماء فى الصنبور باردًا، فلا يستطيع أن يغتسل فيضيع تلك الفريضة الغالية، أو يمارس تلك العادة القبيحة فى نهار رمضان فيضيع صيامه، . . . وغير ذلك كثير وكثير.

٤- الاستمناء حرام لأنه يُذهب الحياء:

أيها الأخ الحبيب: أنا أريد أن أسألك سؤالاً واحدًا: هل تستطيع أن تمارس تلك العادة القبيحة أمام أحدٍ من الناس؟!!

طبعًا سيكون الجواب: كلا. . لأنك تستحيى من الناس!!!.

- أقول لك: إن كنت تستحيى من الناس فلماذا لا تستحيى من الخالق (جل وعلا)؟!. . . ألا تعلم أنه يراك ويطلع عليك فهو الذى يعلم السر

وأخفى وهو الذى يعلم خائنة الأعين وما تُخفى الصدور.

* ألا تعلم أيها الأخ الحبيب أن عنوان ديننا هو الحياء... فقد قال ﷺ: «وإن لكل دين خُلقًا وإن خُلق الإسلام الحياء»[١].

* ولقد جاء فى الأثر[٢] أن العبد إذا غاب عن أعين الناس، وفعل أى معصية فإن الله (عز وجل) ينادى عليه من فوق سبع سماوات ويقول: «عبدى أجعلتنى أهون الناظرين إليك؟!!!».

* أيها الأخ الحبيب: ألا تستحيى من الملائكة الذين يكتبون عليك الحسنات والسيئات.. ألا تستحيى من أن تُفضح يوم القيامة فى أرض المحشر أمام الخلائق يوم تشهد عليك الملائكة بل وتشهد عليك جوارحك؟!!

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾[٥].

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه (٤١٨١) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٤٩).

(٢) وهو أثر ضعيف، ونحن نذكره هنا من باب الاستئناس وليس من باب الاستدلال.

(٣) سورة النور: الآية: (٢٤).

(٤) سورة يس: الآية: (٦٥).

(٥) سورة فصلت: الآيات: (١٩-٢٤).

٥- الاستمناء حرام لأنه تدمير لنسل المسلمين:

وذلك لأنه يحول ماء الرجل من ماء غليظ كما هو المعتاد فى مَنِى الرجل إلى ماء رقيق ولهذا يأتى ولده ضعيفًا وهذا تدمير لذرية المسلمين.

* فماء الرجل كبذور الحياة، ورحم المرأة هو الأرض الخصبة التى تُغرس فيها تلك البذور، فإذا كان الرجل يمارس تلك العادة القبيحة قبل الزواج فإنه إذا تزوج تأتى ثمرته ضعيفة مريضة، وهذه خيانة لأمة الحبيب محمد ﷺ لأن الأمة فى أشد الحاجة إلى شباب أقوياء يحملون هَم هذا الدين ويدعون إلى الله ويجاهدون فى سبيل الله (جل وعلا).

٦- الاستمناء حرام لأنه إهدار لحق الزوجة:

فالشاب الذى يمارس تلك العادة السيئة فإنه يصاب بضعف شديد فى العضو، كما أنه يصاب بسرعة القذف مما يتسبب فى الإضرار بالزوجة.. بل قد يصل الأمر أحيانًا إلى الطلاق (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

* والسبب فى ذلك تلك المعصية التى وقع فيها الشاب قبل الزواج.

- **أجل والله أيها الأخ الحبيب فلقد قال** ﷺ: **«احفظ الله يحفظك»**(١) فلو حفظت الله فى شبابك لحفظك فى كبرك.

- ولقد كان الرجل من أجدادنا يتزوج إذا ماتت زوجته وهو فى سن السبعين؛ لأنه حفظ الله فى شبابه فلم يفعل تلك العادة السيئة فحفظه الله فى كبره وبارك فى صحته وعافيته.

٧- الاستمناء حرام لأنه يدمر الجسد:

أيها الأخ الحبيب: إنك إذا نظرت بعين البصر والبصيرة إلى كثير من الشباب الذين يمارسون تلك العادة السيئة لرأيت أنهم قد تحولوا من شباب أقوياء إلى شيوخ ضعاف مهازيل.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

* ولقد أخبرنا النبى ﷺ أننا جميعًا سنُسأل عن مرحلة العمر عامة وعن مرحلة الشباب خاصة. . . فقال ﷺ : «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟**»(١).

* ومع أن الشباب هو جزء من العمر فالعبد يُسأل عن العمر ثم يُسأل عن الشباب وذلك لخطورة مرحلة الشباب ففيها الفتوة والقوة والشهوة.

* **قال عبد الله بن محمد الغمارى:** فى كتابه الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء (ص ٤٥): ثبت فى علم الطب أن الاستمناء يورث عدة أمراض منها:

١ - أنه يُضعف البصر، ويقلل من حدّته المعتادة إلى حدٍّ بعيد.

٢- أنه يُضعف عضو التناسل، ويُحدث فيه ارتخاءً جزئيًا أو كليًّا، بحيث يصير فاعله أشبه بالمرأة لفقد أهم مميزات الرجولة التى فضل الله بها الرجل على المرأة فهو لا يستطيع الزواج، وإن فرض أنه تزوج فلا يستطيع القيام بالوظيفة الزوجية على الوجه المطلوب فلا بد أن تتطلع امرأته إلى غيره؛ لأنه لم يستطع إعفافها وفى ذلك مفاسد لا تخفى.

٣- ومنها: أنه يحدث ضعفًا فى الأعصاب عامة، نتيجة الإجهاد الذى يحصل من تلك العملية.

٤- ومنها: أنه يحدث اضطرابًا فى آلة الهضم، فيضعف عملها ويختل نظامها.

٥- ومنها: أنه يوقف نمو الأعضاء خصوصًا الإحليل والخصيتين، فلا تصل إلى حد نموها الطبيعى.

٦- ومنها: أنه يحدث التهابًا منويًّا فى الخصيتين، فيصير صاحبه سريع الإنزال إلى حدٍّ بعيد بحيث يُنزل بمجرد احتكاك شىء بذكره أقل احتكاك.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤١٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، والدارمى (٥٣٧) فى مقدمة سننه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٤٦).

٧- ومنها: أنه يورث ألمًا فى فقار الظهر، وهو الصلب الذى يخرج منه المنى وينشأ عن هذا الألم تقويس فى الظهر وانحناء.

٨- ومنها: أنه يحل ماء فاعله، فبعد أن يكون مَنِيُّه غليظًا ثخينًا كما هو المعتاد فى منى الرجل يصير بهذه العملية رقيقًا فيتكون منه جنين ضعيف، ولهذا تجد ولد المستمنى -إن وُلد له - ضعيفًا بادى الأمراض، ليس كغيره من الأولاد الذين تولدوا من منى طبيعى.

٩- ومنها: أنه يُحدث ضعفًا فى الغدة المخية فتضعف القوة المدركة ويقفل فهم فاعله، وبعد أن يكون ذكيًا، وربما يبلغ ضعف الغدد المخية إلى حد يحصل معه خبل فى العقل.

١٠- ومنها: أنه يُحدث على الوجه صفرة تنذر بحلول السل، والعياذ بالله تعالى.

١١- ومنها: ما ذكره الشيخ داود الأنطاكى فى تذكرته: أنه يورث غمًّا فى الصدر.

٨- الاستمناء حرام لأنه من الزنا.

فقد قال ﷺ: «العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزنى»[١]. . وفى رواية قال ﷺ: **«كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»**[٢].

٩- الاستمناء حرام لأنه طريق إلى الزنا واللواط:

فإذا كانت السيجارة هى أول طريق المخدرات فكذلك الاستمناء هو

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٣٩٠٢) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤١٥٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٤٣) كتاب الاستئذان، ومسلم (٢٦٥٧) كتاب القدر.

البوابة التى يدخل منها الشاب إلى الزنا واللواط.. وقد حذرنا الحق (جل وعلا) من خطوات الشيطان فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (١).

* أيها الأخ الحبيب الغالى: من أجل ذلك كله كان الاستمناء حرامًا.

الأسباب التى تدفع الشباب إلى ممارسة العادة السيئة

ولو بحثنا عن الأسباب التى تدفع أكثر الشباب إلى ممارسة تلك العادة السيئة لوجدناها كثيرة ولكن حسبُنا أن نقف على أهم الأسباب:

١- ضعف الإيمان:

فلا شك أن العبد كلما ازداد رصيد الإيمان فى قلبه فإنه ينأى بنفسه عن الوقوع فى مثل تلك البلايا والمعاصى.. وكلما نقص الإيمان فى قلبه فإنه لا يجد ما يردعه عن أى معصية فتجده يرتع فى أوحال المعاصى.

* قال ﷺ: «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن...**»(٢).

- فأهل المعاصى يزينون لأنفسهم فعل أى معصية بل ويبتكرون الأعذار التى تدفعهم لفعلها، أما أهل الإيمان فإن الواحد منهم إذا فعل أى معصية ولو كانت صغيرة فإن الدنيا تضيق عليه ويشعر وكأنه قاعدٌ تحت أصل جبل يوشك أن يقع عليه.

٢- الجهل بأسماء الله وصفاته:

فالله هو السميع البصير الرقيب.

فإذا علم العبد أن الله (عز وجل) يرى كل أفعاله ويسمع كلامه كله وأنه

---

(١) سورة النور: الآية: (٢١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٧٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٥٧) كتاب الإيمان.

هو الذى يعلم السر وأخفى، وأنه يعْلم خائنة الأعين، وما تُخفى الصدور، ولو استشعر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[(١)] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[(٢)] وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[(٣)] لم يتجرأ على فعل أى معصية أبدًا.

ولذلك فنحن فى أشد الحاجة إلى العلم بأسماء الله وصفاته لنستحضر عظمة الله فلا نتجرأ أبدًا على معصيته.

٣- أصدقاء السوء:

فالصاحب ساحب.. فإذا صحبت أهل الصلاح فإنهم دائمًا يذكرونك بالله ويأخذون بيديك إلى كل طاعة.. وإذا صحبت أهل الفساد فإنهم يأخذون بيديك إلى كل ما يُغضب الله (جل وعلا) ولذا قال ﷺ: «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[(٤)].

* فيجد الشاب صاحبه الذى يسكن بجواره أو زميله فى الدراسة.. إذا كان غير ملتزم فإنه قد يأتيه بصورة عارية أو فيلم جنسى يستحيى منه أصحاب الفِطَر النقية فيفتح عليه باب فتنة كبير فيتأثر هذا الشاب بتلك الصور وتتأجج نار الشهوة بداخله فيزين له الشيطان فعل العادة السيئة ليقضى شهوته.. والسبب فى ذلك مصاحبة أهل الفساد.

- واعلم أيها الأخ الحبيب أن صاحبك هذا الذى زيَّن لك تلك المعصية سيكون عدوًّا لك يوم القيامة بين يدى الله (جل وعلا)، ولذا قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[(٥)] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ

(١) سورة الحديد: الآية: (٤).
(٢) سورة النساء: الآية: (١).
(٣) سورة ق: الآية: (١٦).
(٤) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وأحمد (٧٩٦٨) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٤٥).
(٥) سورة الزخرف: الآية: (٦٧).

عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾[١].

- فاحذر أخي الحبيب من الصحبة السيئة فإنها باب شر مستطير واحرص كل الحرص على صحبة أهل الصلاح.

٤- عدم غض البصر:

فإطلاق البصر باب شر مستطير وهو ذريعة إلى الوقوع في الفاحشة ولذا أمر الله (عز وجل) بغض البصر من باب تحريم الوسائل إلى المحرم فقال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٢].

- وقد نفَّر النبي ﷺ من إطلاق البصر فيما حرم الله (جل وعلا) وسمى إطلاقه زنى العينين فقال ﷺ: «**كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة: العينان زناهما النظر...**»[٣].

- وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال: «**اصرف بصرك**»[٤].

* ولا شك أن الشاب الذي يقضي نهاره وليله في النظر إلى الصور

---

(١) سورة الفرقان: الآيات: (٢٧-٢٩).

(٢) سورة النور: الآيتان: (٣٠-٣١).

(٣) متفق عليه: وقد تقدم.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢١٥٩) كتاب الآداب.

المحرمة فى المجـلات وعلى الشاشات فإنه يشحن قلبـه بهذا الكَمِّ الهائل من الصور المحرمة فيحتاج أن يفرغ شـهوته فى الحلال فإن لم يجد فإنه يصرفها فى الحرام من خلال تلك العادة السيئة.

- ولو أنه سَدَّ على نفسه كل أبواب الـفتنة وغض بصره عن الحرام لكان هذا أسلم لدينه ودنياه.

فوائد غض البصر

ولقد ذكر أهل العلم باقة عطرة من فوائد غض البصر منها:

* أنهـا تـخلص القلب من ألم الحـسـرة، فـإن من أطلـق نظره دامت حسرته، فأضر شيء على القلب إرسال البصر، فإنه يريه ما يشتد طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه.

وكنـت مـتـى أرسلت طرفـك رائدًا
لقـلبك يومًـا أتعـبـتك المناظرُ
رأيـت الذى لا كُـلَّه أنـت قـادرٌ
عليـه ولا عن بعـضـه أنت صـابرُ

والنظرة تفـعل فى القلب مـا يفـعل السهـم فى الرميـة، فإن لم تقـتله جرحـته، وهى بمنزلة الشـرارة من النار ترمى فى الحشـيش اليابس، فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه، كما قيل:

كل الحـوادث مـبـداها من الـنظرِ
ومـعظم النار من مُـستـصـغر الشـررِ
كم نظرة فـتكت فى قلب صـاحـبها
فـتك السـهـام بلا قـوسٍ ولا وترِ
والمرء مـا دام ذا عـين يُـقلبـهـا
فى أعين الغـيد مـوقوف على الخطرِ

يسر مقلته ما ضر مهجته

لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر

* أنه يورث صحة الفراسة؛ . . . فإنها من النور وثمراته، وإذا استنار القلب صحَّت الفراسة لأنه يصير بمنزلة المرآة المجلوة تظهر فيها المعلومات كما هى، والنظر بمنزلة التنفس فيها، فإذا أطلق العبد نظره تنفست نفسه الصعداء فى مرآة قلبه فطمست نورها، كما قيل:

مرآة قلبك لا تريك صلاحه

والنفس فيها دائمًا تتنفس

* أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له بسرعة، ونفذ من بعضها إلى بعض، ومن أرسل بصره تكدَّر عليه قلبه وأظلم، وانسدَّ عليه باب العلم وطرقه.

* أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة.

* أنه يورث القلب سرورًا وفرحة، وانشراحًا أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك لقهره عدوه، بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه، وأيضًا فإنه لما كَفَّ لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرة نفسه الأمارة بالسوء، أعاضه الله سبحانه مسرة ولذة أكمل منها، . . . كما قال بعضهم: والله للذة العفة أعظم من لذة الذنب.

* أنه يخلص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه.

* أنه يسد عنه بابًا من أبواب جهنم، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل، وتحريم الرب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول، فمتى

هتك الحجاب ضرى على المحظور، ولم تقف نفسه منه عند غاية.

* أنه يقوى عقله ويزيده ويثبته.

* أنه يخلص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة، ويوقع فى سكرة العشق[١].

* ومنها أنه امتثال لأمر الله تبارك وتعالى، وما سَعِدَ مَن سَعِدَ إلا بامتثال أوامره، وما شقى من شقى إلا بتضييع أوامره.

* ومنها أنه يورث القلب أُنسًا بالله (عز وجل) وجمعية عليه، وإطلاقه يشتت القلب ويبعده عن الله (عز وجل).

* ومنها أنه يُكسب القلب نوراً وإشراقًا، وإذا استنار القلب أقبلت عليه وفود الخيرات من كل جانب.

* ومنها أنه يفرغ القلب للتفكر والعبادة، وإطلاقه يوقع فى الغفلة واتباع الهوى، . . . وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾[٢][٣].

٥- الاختلاط بين الشباب والبنات:

ولا شك أن الاختلاط المحرم بين الشباب والبنات فى المدارس والجامعات وفى العمل والمواصلات يثير الشهوات الكامنة ويكسر حاجز الحياء كسراً حتى إن الشاب عندما يرى هذا التبرج الصارخ الذى انتشر فى زماننا هذا فإنه تغلى نيران الشهوة فى عروقه، فإن لم يكن عنده وازع دينى فإنه يصرف تلك الشهوة فى الحرام، من خلال العادة السيئة، أو الزواج العرفى المحرم - الذى انتشر الآن فى الجامعات بشكل يجعلنا نشعر بخطر شديد يداهم مجتمعاتنا -.

---

(١) روضة المحبين (١٠٧-١٠٩) بتصرف.

(٢) سورة الكهف: الآية: (٢٨).

(٣) الطريق إلى العفاف، للمصنف (ص: ٣٨-٣٩) بتصرف.

وتحت شعار (محاربة الكبت الجنسى) استطاع أعداء الدين أن يُخرجوا المرأة من خدرها لتزاحم الرجال فى كل الميادين ولينتشر الفجور فى بلاد المسلمين (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

٦- الفراغ القلبى والعملى:

فإن القلب هو الملك الذى إذا صلح صلحت رعيته وإذا فسد فسدت رعيته، كما أخبر بذلك الحبيب ﷺ.

* ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، ولذا قال ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»(١).

* فالشباب والفراغ والمال مفسدة عظيمة تهوى بصاحبها إلى كل المهالك.

- أما إذا كان القلب قد امتلأ بالإيمان والتقوى فإن صاحب هذا القلب لا ينشغل إلا برضوان الخالق (جل وعلا) فلو أحاطت به الفتن من كل حَدَبٍ وصوب، فإنه لا يبرح صراط الله المستقيم، بل يُسرع إلى طاعة الله بقلبه وجوارحه، ولسان حاله ومقاله: ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾(٢).

* فيا **أيها الأخ الحبيب**: احرص كل الحرص على غذاء الروح والقلب، فإنه إذا كان الجسد يجوع ويعطش ويعرى ويتعب فكذلك الروح تحتاج إلى الغذاء والزاد ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾(٣)، والروح تحتاج إلى الكساء ﴿**وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ**﴾(٤)، وهكذا لا بد أن تحرص على غذاء القلب والروح؛ لأن القلب إذا فرغ من الإيمان ستجد نفسك تنساق وراء الشهوات المحرمة.

٧- الاسترسال فى الخواطر والأمانى:

كأن يجلس الشاب ويتخيل امرأة جميلة كان قد رآها أو رأى صورتها

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

(٢) سورة طه: الآية: (٨٤).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٩٧).

(٤) سورة الأعراف: الآية: (٢٦).

فيتخيل أنه يفعل معها الفاحشة، وهذا كله من تزيين الشيطان.

* لذا يقول الإمام ابن القيم (رحمه الله): «إياك أن تمكن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك، فإنه يفسدها عليك فساداً يصعب تداركه، ويلقى إليك أنواع الوساوس والأفكار المضرة، ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك، وأنت الذى أعنته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك فملكها عليك، فمثالك معه مثال صاحب رحى يطحن فيها جيد الحبوب، فأتاه شخص معه حِمل تراب وبَعْر وفحم وغثاء ليطحنه فى طاحونه، فإن طرده ولم يُمكنه من إلقاء ما معه فى الطاحون استمر على طحن ما ينفعه، وإن مكَّنه من إلقاء ذلك فى الطاحون أفسد ما فيها من الحَب وخرج الطحين كله فاسداً»(١).

* وقال (رحمه الله) فى موضعٍ آخر:

وأما الخطرات فشأنها أصعب فإنها مبدأ الخير والشر، ومنها تتولد الإرادات والهمم والعزائم، فمن راعى خطراته مَلَكَ زمام نفسه وقهر هواه، ومن غلبته خطراته فهواه ونفسه له أغلب، ومن استهان بالخطرات قادته قهراً إلى الهلكات ولا تزال الخطرات تتردد على القلب حتى تصير مُنى باطلة ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(٢)، وأخس الناس همة وأوضعهم نفساً من رضى من الحقائق بالأمانى الكاذبة واستجلبها لنفسه وتحلَّى بها، وهى لعمر الله رءوس أموال المفلسين ومتاجر البطالين وهى قوت النفس الفارغة التى قد قنعت من الوصل بصورة الخيال ومن الحقائق بكواذب الآمال، وهى أضر شىء على الإنسان، ويتولد منها العجز والكسل، ويتولد التفريط والحسرة والندم. . . . والمتمنى لما فاتته مباشرة الحقيقة بجسمه حوَّل صورتها فى قلبه وعانقها وضمَّها إليه فقنع بوصال صورة وهمية خيالية صوَّرها فكره، وذلك

---

(١) الفوائد (ص: ٢٥١-٢٥٢).

(٢) سورة النور: الآية: (٣٩).

لا يجدى عليه شيئًا، وإنما مثله مثل الجائع والظمآن يصور فى وهمه صورة الطعام والشراب، وهو لا يأكل ولا يشرب والسكون إلى ذلك واستجلابه يدل على خساسة النفس ووضاعتها(١).

٨- التعلق بشهوات الدنيا ونسيان الآخرة:

إن النبى ﷺ قال: «**إن الله يحب معالى الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها**»(٢).

فلا شك أن الشاب إذا تعلق قلبه بنعيم الجنة وما فيها من الحور العين، والأشجار والأنهار، وقبل ذلك كله برضوان الله (جل وعلا) والنظر إلى وجهه (سبحانه وتعالى) فإنه سيزهد فى أى متعة.

ولذلك كان النبى ﷺ دومًا وأبدًا يحدث أصحابه عن الجنة والنار لتتعلق قلوبهم بالدار الآخرة، وما فيها من النعيم المقيم.

* أما إذا نسى الشاب نعيم الجنة ورضوان الرب الرحيم (جل وعلا) فإنه سرعان ما يسقط أمام أى فتنة فتراه ينظر إلى النساء، ويشرب الخمور والمخدرات، ويمارس العادة السيئة - هذا إن لم يقع فى الفاحشة.

* فلا بد إذن أن يتعلق القلب بالدار الآخرة ليسلم من الوقوع فى الفتن والشهوات.

٩- تبرج النساء:

وإن من الأسباب الرئيسية لوقوع الشباب فى تلك العادة السيئة تبرج النساء؛ لأن الشاب لا تتحرك شهوته إذا نظر إلى أخت فاضلة تلبس نقابها، وإنما تتحرك شهوته إذا رأى فتاة متبرجة متعطرة تتمايل فى مشيتها.

---

(١) الداء والدواء (ص: ١٨٥).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى (٣/ ١٣١، رقم ٢٨٩٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨٩٠).

*ولذلك فنحن ننادى من أعماق قلوبنا ونناشد كل فتاة مسلمة أن تلبس الحجاب الذى فرضه الله عليها وتحجب فتنتها عن شباب المسلمين ليستطيع الشاب أن يخرج من بيته ويرجع إليه سليم الصدر لم يتلوث قلبه برؤية المناظر القبيحة التى تشعل نار الشهوة فى قلبه، فتكون الأخت المسلمة بذلك ثمرة صالحة فى تربة الإسلام وتكون بذلك لبنة طيبة فى مجتمع الطهر والعفاف.

١٠- اتباع خطوات الشيطان:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾ (١).

*اعلم أيها الأخ الحبيب أن الشيطان له خطوات ماكرة، فهو لا يقول لك: افعل الفاحشة مرة واحدة ولكنه يزين لك النظر إلى فتاة متبرجة أو إلى صورة عارية حتى يتشبع قلبك بهذه الفتنة ثم ينقلك إلى التى بعدها، فاحرص على أن تقطع عليه خُطُطه ووساوسه وذلك بأن تستعين بالملك (جل وعلا) ليصرفه عنك.

١١- ضعف رقابة الآباء على الأبناء:

أيها الوالد الكريم: هل تعرف أصدقاء ولدك؟ وهل تعرف أخلاقهم وسلوكياتهم؟ إن ضعف رقابة الآباء على الأبناء تجعل الأبناء يفعلون ما يشاءون فى أى وقت؛ لأنه ليس هناك من يحاسبهم على أفعالهم وبالتالى يكون الولد عُرضة لأن يصحب أهل الفساد الذين يأخذون بيديه إلى كل معصية، ومنها تلك العادة السيئة.

* * *

---

(١) سورة النور: الآية: (٢١).

كيفية الإقلاع عن هذه العادة السيئة

وبعد كل ما ذكرناه عن أضرار العادة السيئة وعن الأسباب التى تجعل كثيراً من الشباب يقعون فيها كان لا بد من أن نَصِفَ العلاج، وأن نذكر السُّبل التى نستطيع من خلالها أن نوضح للشباب كيفية الإقلاع عن هذه العادة السيئة.

١- الاستعانة بالله (جل وعلا):

* قال الإمام ابن القيم فى المدارج: «وأول معانى التوبة: أن تنظر إلى ما كان من انخلاعك عن الاعتصام بالله حال إتيان الذنب، وأن الله منع عصمته عنك، وأن تنظر إلى ما كان من فرحك عند ظفرك بذلك الذنب وقعودك عن تداركه، مُصراً عليه، مع تيقنك نظر الحق إليك، فإن العبد لو اعتصم بالله لما خرج عن هداية الطاعة، . . . قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[١] فلو كملت عصمته بالله لم يخذله أبدًا، . . . قال تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ﴾[٢] أى متى اعتصمتم به تولاكم، ونصركم على أنفسكم وعلى الشيطان، وهما العدوان اللذان لا يفارقان العبد، وعداوتهما أضر من عداوة العدو الخارج، فالنصر على هذا العدو أهم، والعبد إليه أحوج، وكمال النصرة على العدو بحسب كمال الاعتصام بالله، . . . ونقص هذا الاعتصام يؤدى إلى الانخلاع من عصمة الله، وهو حقيقة الخذلان فما خلَّى الله بينك وبين الذنب إلا بعد أن خذلك، وخلى بينك وبين نفسك، ولو عصمك ووفقك، لما وجد الذنب إليك سبيلاً.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠١).

(٢) سورة الحج: الآية: (٧٨).

فقد أجمع العارفون بالله على أن الخذلان: أن يكلك الله إلى نفسك، ويخلى بينك وبينها، والتوفيق: أن لا يكلك الله إلى نفسك، وله سبحانه فى هذه التخلية - بينك وبين الذنب وخذلانك حتى واقعته - حِكَم وأسرار.

٢- تجنب أسباب الوقوع فى تلك العادة:

وذلك بأن تعرف الأسباب التى تؤدى إلى الوقوع فى تلك العادة السيئة، وتحرص كل الحرص على أن تتجنب تلك الأسباب قدر استطاعتك وهى الأسباب التى ذكرناها فى بداية هذا الفصل.

٣- التعرف على الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى:

اعلم أيها الأخ الحبيب أن الجهل بأسماء الله وصفاته من أعظم الأسباب للوقوع فى المعاصى، فإذا أراد العبد أن يرتقى فى مدارج التوبة ويرتفع عن حضيض المعاصى فلا بد أن يتعرف على الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

* تأمل معى أيها الأخ الحبيب حال نبى الله يوسف (عليه السلام) حين راودته امرأة العزيز ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾(١) بل قال حين اجتمعت عليه نسوة المدينة ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾(٢).

* فإذا علمت أن الله هو الخبير العليم البصير السميع فإنك حينئذٍ تستحيى أن يراك على تلك المعصية، أما إذا لم تعرف أسماء الله وصفاته ولم تقدر الله حق قدره فحينئذ قد تجاهر بالمعصية ولا تستحيى من أحد.

* يقول الإمام ابن القيم: وأشد من هذا كله: المجاهرة بالذنب، مع تيقن نظر الرب جل جلاله من فوق عرشه إليه، فإن آمن بنظره إليه، وأقدم على المجاهرة فعظيم.. وإن لم يؤمن بنظره إليه واطلاعه عليه، فذلك كفر، وانسلاخ من الإسلام بالكلية، فهو دائر بين الأمرين بين قلة الحياء، ومجاهرة

(١) سورة يوسف: الآية: (٢٣).
(٢) سورة يوسف: الآية: (٣٣).

نظر الله إليه، وبين الكفر والانسلاخ من الدين، فلذلك يشترط فى صحة التوبة تيقنه أن الله كان ناظرًا - ولا يزال - إليه مُطلعًا عليه، يراه جهرة عند مواقعة الذنب؛ لأن التوبة لا تصح إلا من مسلم، إلا أن يكون كافرًا بنظر الله إليه جاحدًا له، فتوبته دخوله فى الإسلام، وإقراره بصفات الرب جل جلاله، إذ حقيقة التوبة: الرجوع إلى الله، ولا يصح الرجوع ويتم إلا بمعرفة الرب وأسمائه وصفاته وآثارها فى نفسه وفى الآفاق، ومعرفة أنه كان فارًّا من ربه، أسيرًا فى قبضة عدوه، وأنه ما وقع فى مخالب عدوه إلا بسبب جهله بربه، وجرأته عليه.

* لذلك كان لا بد لأى شاب يريد الله والدار الآخرة أن يتعلم العقيدة الصحيحة من الكتاب والسنة بفهم سلفنا الصالح (رضوان الله عليهم)... وذلك بأن تتعلم توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

وسوف تعلم وقتها أنك عبدٌ لله وحده ولست عبدًا لشهواتك.

يقول الإمام ابن القيم: اعلم أن أشعة لا إله إلا الله تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور، وتفاوت أهلها فى ذلك النور قوة وضعفًا - لا يحصيه إلا الله تعالى.

فمن الناس: مَن نور هذه الكلمة فى قلبه كالشمس.

ومنهم: مَن نورها فى قلبه كالكوكب الدرى.

وآخر: كالسراج المضىء، وآخر كالسراج الضعيف، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما فى قلوبهم من نور هذه الكلمة، علمًا وعملاً، ومعرفة وحالاً.

وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى أنه ربما وصل الموحد إلى حال لا يصادف معها

شبهــة ولا شهوة، ولا ذنبًا، إلا أحرقه ذلك النور، وهذا حال الصادق فى توحيده، الذى لم يشرك بالله شيئًا، فأى ذنب أو شهوة أو شــبهة دنت من هذا النور أحرقها.

وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شىء ومليكه، كمــا كان عُـبَّاد الأصنام مـقرين بذلــك وهم مشــركون، بل التوحـيد يتضــمن - محـبة الله، والخضوع له والذل له، وكمال الانـقياد لطاعـته، وإخــلاص العبـادة له، وإرادة وجـهه الأعـلى بجمـيع الأقـوال والأعمال، والمنع، والعطاء، والحب والبـغض ما يحول بـين صاحبـه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصى، والإصرار عليها. اهـ.

٤- السعى لإرضاء الله (جل وعلا):

يجب أن يكون الدافع للتخلص من هذه العادة: هو السعى لإرضاء الله تعالى بطاعـته واجتناب أسبـاب سخطه أكثـر من الدافع الدنيوى الناتج عن سماع الأضرار الطبية والنفسية لهذه العادة.

٥- دفع الخواطر الرديئة والوساوس:

قال الإمــام ابن القيم: دافع الخطرة فإن لم تفـعل صارت شهـوة فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمّة فإن لم تدافعها صارت فعلاً فإن لم تداركه بضده صارت عادة فيصعب عليك الانتقال عنها.

* ولذا فإنه يجب عـلى المسلم منع الشيطان من إلقـاء الخواطر والأفكار التى تدفع إلى تلك العادة كـتخيل صورة عـارية أو أوضاع محرمـة وشاذة، فهذه التى تهيج النفس على الوقوع فى السوء.

* وإذا أتى الشـيطان بهـا وتسلل، فـلا بد من طردها وإبعـادها وعـدم الاسترسال فيها خصوصًا وأنَّ تصورٌ شخص معين فى الذهن فى وضع محرم

مع تمنى الوصول إليه بالحرام، وأنه لو كان عنده لفعل معه ذلك الأمر المحرم، فإن هذا يعتبر عملاً قلبيًا يُخشى على صاحبه وليس مما يُعفى عنه من حديث النفس... ذلك لأنه تضمن نية جازمة، وعزمًا على فعل الحرام.

* لا بد من مزاحمة تلك الخواطر الرديئة بأفكار وخواطر حسنة كالتفكير فى أعمال الخير وأنجح السبل لتحقيقها، والتفكير فى آلاء الله ومخلوقاته، ومحاسبة النفس، والتفكير فى المسائل العلمية، وفهم استنباطات أهل العلم، والتفكير فى أوضاع المسلمين وطريق الخلاص، وكذلك سبل تحصيل الرزق الحلال وهكذا، ولا شك أن صرف الذهن عن الأفكار الرديئة إلى التفكير فى وسيلة دعوية أو قضية تربوية أو مسألة علمية؛ هو حماية للنفس من الوقوع فى مثل تلك التُّرهات(١).

٦- الزواج الشرعى:

ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**(٢).

* أجل: فالزواج هو العلاج الشرعى والشفاء الربانى والحل الجذرى الذى جاء به الحبيب النبى ﷺ من عند الرب الكريم العظيم العلى (جل جلاله).

قال تعالى: ﴿**وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ (٣).

* **واعلم أيها الأخ الحبيب**: أن الله (عز وجل) يسَّر لنا كل سُبل الزواج بل وجعل معونة خاصة (فوق الرزق) لكل شاب يريد الزواج الحلال.

---

(١) العادة السيئة/ للشيخ محمد صالح المنجد (ص: ١٤-١٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٦٥) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٠٠) كتاب النكاح.

(٣) سورة النور: الآية: (٣٢).

قال ﷺ: «**ثلاثة حقٌّ على الله تعالى عونهم - من بينهم - والناكح الذى يريد العفاف**»(١).

* ومهما كان الأمر عسيراً فى بدايته فكن على يقين من أن الله (عزوجل) يوشك أن يرزقك برزق عاجلٍ أو آجل.

٧- الصيام:

* ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»(٢).

* فإن كان النبى ﷺ قد أخبر أن الصيام وقاية من الوقوع فى الفاحشة فكُن على يقين من هذا... فهو الصادق الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ ثم إن الصيام مفيد على جميع الأحوال، فهو عبادة يؤجَر عليها ولو لم يجد لها أثراً مباشراً وسريعًا،... وأجر الصيام يمكن أن يمحو سيئات تلك الأعمال وزيادة.

* فإن قال قائل: جربنا الصيام فلم نجد أى نتيجة!!!

أقول: لعلك لم تصم صيامًا حقيقيًا، بمعنى أنك صمت عن الطعام والشراب فقط ولم تصم عينك عن النظر إلى النساء، ولم تصم أذنك عن سماع الغناء، فلو صمت صيامًا حقيقيًّا لوجدت هذا الأثر الطيب الذى أخبر عنه النبى ﷺ.

- ثم إنك لا بد أن تصوم فترة طويلة حتى تجد نتيجة تُرضيك أما أن تصوم يومًا أو يومين فى الشهر فلن تجد أى نتيجة.

٨- استحضار الحياء من الله (جل وعلا):

أيها الأخ الحبيب: أريدك الآن أن تُمسك بقلم وورقة وتكتب كل النعم

---

(١) حسن: رواه الترمذى (١٦٥٥) كتاب فضائل الجهاد، والنسائى (٣٢١٨) كتاب النكاح، وابن ماجه (٢٥١٨) كتاب الأحكام، وأحمد (٩٣٤٨) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٥٠).

(٢) متفق عليه: وقد تقدم.

التى أنعم الله بها عليك، منذ أن خُلقت وإلى يومنا هذا... بالله عليك هل تستطيع أن تُحصى تلك النعم؟ والجواب: كلا.. فقد قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾[1].

- فإن كان الأمر كذلك، ألا تستحى أن تقابل تلك النعم بهذه المعصية ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [2].

- ثم هل تعلم أنك تعصى الله بنعم الله؟!!.. فالله أعطاك هذه القدرة والطاقة لتستعملها فى الحلال الطيب.. وإذا بك تستعملها فى معصية الله (جل وعلا).

- ومن المعلوم أنك لا تستطيع بل ولن تستطيع أن تمارس تلك العادة السيئة أمام أحد من البشر فلماذا لا تستحيى من الله (جل وعلا).

٩- طرح الأعذار الواهية:

لقد اقتنع كثير من الشباب أنه يجوز له ممارسة هذه العادة حماية لنفسه من الفواحش العظام: كالزنا، واللواط، وهم عندما يتكلمون بذلك يخيلون إليك أنهم قاب قوسين أو أدنى من الوقوع فى الفاحشة، وأن أسبابها حاضرة بين أيديهم، وأنهم سيقعون فيها الآن للتو واللحظة، وإذا تأملت واقعهم وجدت بينهم وبين الفاحشة أمدًا بعيدًا، لكن يهولون الوضع لأنفسهم ليقنعوا أنفسهم أن ما يقومون به ضرورة، ويتناقلون أن بعض العلماء أباحوه للضرورة[3] ولتوضيح هذه المسألة ننقل هنا فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية فى هذا الموضوع.

قال رحمه الله فى الفتاوى[4]: «وكذلك من أباح «الاستمناء» عند

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٣٤).

(٢) سورة الرحمن: الآية: (٦٠).

(٣) العادة السيئة (ص: ٢٢).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٧٣).

الضرورة، فالصبر عن الاستمناء أفضل، فقد روى عن ابن عباس: أن نكاح الإماء خير منه، وهو خير من الزنا، فإذا كان الصبر عن نكاح الإماء أفضل، فعن الاستمناء بطريق الأولى أفضل.

لا سيما وكثير من العلماء أو أكثرهم يجزمون بتحريمه مطلقًا، وهو أحد الأقوال فى مذهب أحمد، واختاره ابن عقيل فى المفردات والمشهور عنه - يعنى عن أحمد - أنه محرم إلا إذا خشى العنت، والثالث أنه مكروه إلا إذا خشى العنت.

فإذا كان الله قد قال فى نكاح الإماء: ﴿**وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾[1] ففيه أولى، وذلك يدل على أن الصبر عن كليهما ممكن.

١٠- غض البصر:

أن مما لا شك فيه أن الشاب إذا أطلق لبصره العنان فى النظر إلى النساء فإن هذا الفعل يجعل تلك الصور محفورة فى الذهن والقلب مما يؤدى إلى سهولة استدعاء تلك الصور فى أى لحظة بشكل يثير شهوة الشاب مما يدفعه إلى ممارسة تلك العادة.

* **وإليك بعض الوسائل لغض البصر:**

١- امتثال أمر الله لما قال: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾[2].

٢- استحضار سعة علم الله، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

قال ابن عباس: هو الرجل يكون فى القوم فتمر بهم المرأة، فيريهم أنه يغض بصره عنها، فإن رأى منهم غفلة نظر إليها، فإن خاف أن يفطنوا إليه غض بصره، وقد اطلع الله عز وجل من قلبه أنه يود لو أنه نظر إلى عورتها.

---

(١) سورة النساء: الآية: (٢٥).

(٢) سورة النور: الآية: (٣٠).

٣- أن يعلم الناظر أن الإثم فى النظرة الثانية؛ لحديث على مرفوعًا: «**لا تُتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**»(١).

* ولكن هذا لا يعنى أن تنظر إلى المرأة لمدة عشرين دقيقة وتقول: هذه الأولى!!!.. بل المقصود بالنظرة الأولى أنها نظرة الفجأة فإذا حدث هذا فاصرف بصرك عنها فى التو واللحظة.

٤- أن يعلم الإنسان شهادة عينه عليه يوم القيامة، بما ينظر بها إلى الحرام،... وهذا نوع من الزنا... قال ﷺ: «**العينان زناهما النظر**»(٢).

٥- الاقتداء بالسلف الصالح، وحالهم العجيب فى هذا الأمر.

عن سفيان قال: كان الربيع بن خثيم يغض بصره، فمرَّ به النسوة فأطرق حتى ظن النسوة أنه أعمى، فتعوذن بالله من العمى.

ولما خرج سفيان إلى صلاة العيد قال: إن أول ما نبدأ به يومنا هذا غض أبصارنا.

* الابتعاد عن الأماكن التى يوجد فيها ما يغرى البصر بالانطلاق يمينًا وشمالاً، والتحفظ الشديد من ذلك ما أمكن كالأسواق والمتنزهات والشواطئ والطائرات، وأبواب مدارس البنات، وصالات الأعراس، وكذا أغلفة المجلات فى المحلات والأفلام المعروضة على الشاشات، فإنه لا معنى لأن يُعرِّض المسلم نفسه لمواطن الفتن ثم يحاول غض بصره فأنَّى يكون له النجاح.

ولابد من التذكير بالتخلص من جميع المقتنيات المحرمة؛ كالصور والأفلام وغيرها من مخلفات الجاهلية،... والمسلم ينبغى أن يخلع على عتبة الإسلام كل تلك الأردية الرديئة(٣).

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٢١٤٩) كتاب النكاح، والترمذى (٢٧٧٧) كتاب الأدب، وأحمد (٢٢٤٨٢) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٣).

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) العادة السيئة / للمنجد (ص: ١٧-١٨).

٦- الاستئذان عند الدخول، حتى لا تقع عينه على ما لا يجوز له النظر إليه... كما قال ﷺ: «**إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر**»[١].

١١- البعد عن أصدقاء السوء:

وإن من أعظم الخطوات التى تُبعدك عن تلك العادة السيئة أن تتخلص من أصدقاء السوء، وأن تصحب أهل الصلاح الذين يُذكرونك بالله ويأخذون بيديك إلى مرضاة الله وإلى جنته.

١٢- تجنب الوحدة:

أيها الأخ الحبيب: احرص قدر استطاعتك على أن تتجنب الوحدة؛ فإنها مظنة التفكير فى تلك الأشياء التى تثير الشهوة عند أكثر الشباب.

- **واعلم أن من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»**[٢] فبدلاً من أن تجلس وتفكر فى تلك الأشياء فاحرص على أن تجلس لتتفكر فى نعم الله عليك وتذكر تقصيرك فى حق الله، بل وتذكر تلك المعاصى التى كنت تبارز بها ربك (عز وجل) واستشعر مدى رحمة الله بك حيث إنه أمهلك ولم يعاقبك وفتح لك باب التوبة.. حينها ستجد دموعك على خديك لتكون يوم القيامة من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.

- فاحرص على تجنب الوحدة.. وإذا اضطررت لذلك فافعل ما قلته لك.. واعلم أن النبى ﷺ «**نهى أن يبيت الرجل وحده**»[٣] (لهذا السبب).

١٣- الالتزام بالآداب الشرعية عند النوم:

حيث إن الشيطان يأتى أشد ما يأتى بوسوسته بمثل هذه الأمور عند

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٤١) كتاب الاستئذان، ومسلم (٢١٥٦) كتاب الآداب.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥٦١٨) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٩١٩).

النوم؛ لذا كان من وسائل المحاربة تطبيق الهدى النبوى والآداب الشرعية فى تلك الحال ومن ذلك.

١- النوم على الجانب الأيمن:

عن البراء بن عازب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقِّه الأيمن (١) . . .

٢- تجنب النوم على البطن:

عن يعيش بن طخفة الغفارى ﷺ قال: قال أبى: بينما أنا مضطجع فى المسجد على بطنى، إذا رجل يحركنى برجله، فقال: «**إن هذه ضجعة يبغضها الله**» قال: فنظرت فإذا رسول الله ﷺ»(٢).

قال فى **عون المعبود**: وفى الحديث أن النوم على البطن لا يجوز(٣)، ولعل من سيئات هذه الوضعية فى النوم، ما ينتج من تحريك الشهوة، بخلاف ضجعة السنة.

٣- الوضوء:

عن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن..**» (٤).

ولا شك أن الوضوء مما يُسكِّن النفس ويباعد من وسوسة إبليس خصوصًا فى هذا الموضع.

٤- المحافظة على الأذكار الشرعية:

المتأمل لمعانى الأذكار الشرعية عند النوم؛ يجد فيها رهبة تمنع من مزاولة مثل تلك الدنايا فمن ذلك: «**اللهم باسمك أموت وأحيا**» (٥) . . .

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣١٥) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧١٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٤٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٥١١٥) مسند المكيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٧١).

(٣) عون المعبود (١٣/ ٣٨٣).

(٤) متفق عليه: وقد تقدم.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٦٣١٢) كتاب الدعوات.

وكذلك: «اللهم أسلمت وجهى إليك، وفوضت أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت، وبنبيك الذى أرسلت» رواه البخارى، . . . . وفى رواية: «واجعلهن آخر ما تقول»[1][2].

١٤- ممارسة بعض الألعاب الرياضية:

أيها الأخ الحبيب: ومن بين العلاجات أن تمارس بعض الألعاب الرياضية المباحة كالسباحة وركوب الخيل والرماية، وغيرها (لكن بالضوابط الشرعية).

* وإن كنا نتكلم عن الرياضة من أجل تصريف تلك الطاقة. . فما رأيك أن نُصرف الطاقة بشكل جديد يضمن لك الجنة (إن شاء الله).

- وذلك بأن تمشى إلى المساجد البعيدة على قدميك، فبكل خطوة تأخذ حسنة ويمحو الله عنك سيئة ويرفعك فى الجنة درجة.

- وكذلك أن تحرص على قيام الليل فهو يطرد الداء عن الجسد كما أخبر بذلك الصادق الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ.

- وكذلك تمشى لزيارة المرضى فى المستشفيات ليستغفر لك سبعون ألف ملك كما أخبر بذلك الصادق ﷺ.

- وكذلك تذهب لزيارة المقابر لتتذكر الآخرة وما أعده الله لك فى الجنة إن عشت على طاعته ومُت على ذلك.

- وكذلك تذهب لبعض الأماكن الخالية من المعاصى للتنزه بنية أن تتقوى على طاعة الله (جل وعلا).

- وكذلك أن تسعى فى خدمة فقراء المسلمين لتُدخل عليهم البسمة والسعادة.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٤٦) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود.

(٢) العادة السيئة (ص: ٣٠-٣٢).

نصيحة غالية

* سمعت أن بعض الشباب يستعمل بعض الأدوية المسكنة للشهوة، وفى الحقيقة إن هذا الحل قد يكون فيه بعض المخاطر عليه فى المستقبل إن تيسر له الزواج بعد ذلك. . وعلى كلٍّ فإن أراد شاب أن يستعمل مثل هذه الأدوية فليحرص على ألا تؤدى تلك الأدوية إلى القضاء على شهوة النكاح بالكلية.

* قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بعد أن حكى قولاً عن بعضهم فى مسألة استعمال المعالجة بالأدوية لقطع الشهوة قال: «وينبغى أن يحمل على دواء يُسكِّن الشهوة دون ما يقطعها أصالة؛ لأنه قد يقدر بعدُ فيندم لفوات ذلك، وقد صرح الشافعية بأنه لا يكسرها بالكافور ونحوه، والحجة فيه أنهم اتفقوا على منع الجب والخصاء، فيلحق بذلك ما فى معناه من التداوى بالقطع أصلاً»(١).

١٥- عدم الاستسلام لأى فتنة:

أيها الأخ الحبيب الغالى: من المفترض أنك طالب جنة فلا ينبغى أن ترضى بشهوة عاجلة رخيصة تكون سببًا فى حرمانك من دخول الجنة، فلا بد أن تكون صاحب إرادة وعزيمة فولاذية فلا تستسلم أبدًا لأى فتنة.

- وتذكر معى كيف ثبت يوسف (عليه السلام) أمام إغراء امرأة العزيز وكيف أنه آثر أن يدخل السجن على أن يعصى الله (عز وجل).

- وتذكر معى أيضًا قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة وهم فى الغار فتوسل كل واحد منهم إلى الله بعمله الصالح حتى فرج الله عنهم. فكان من بينهم هذا الشاب الذى قال: «**اللهم إنه كانت لى ابنة عم كنت أحبها**

---

(١) فتح البارى (٩/ ١١١).

كأشد ما يحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها فامتنعت منى حتى ألَّمت بها سَنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها - وفى رواية: **فلما قعدت بين رجليها، قالت:** - **اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلىَّ وتركت الذهب الذى أعطيتها... اللَّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه»** [(١)].

* فانظر إلى أصحاب العزائم واصنع مثلما صنعوا لتظفر فى دنياك وآخرتك.

١٦- الحذر من فتح أبواب الفتن:

جديرٌ بك أيها الأخ الحبيب أن تنأى بنفسك عن أى شىء يفتح عليك أى بابٍ من أبواب الفتن. . . كالنظر إلى المجلات الخليعة أو الكتب المشبوهة أو الأفلام والمسلسلات الهابطة أو الاختلاط المحرم بالنساء، إلى غير ذلك من الأبواب التى تُمرض القلب وتجعل العبد فريسة للوقوع فى تلك العادة السيئة.

١٧- التحلى بالصبر والعفة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما الصبر عن المحرمات فواجب، وإن كانت النفس تشتهيها وتهواها، . . . . قال تعالى: **﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾** [(٢)] والاستعفاف هو ترك المنهى عنه، كما فى الحديث الصحيح، عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: «**من يستعفف يُعفه الله، ومن يستغن يُغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أُعطى أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**» [(٣)(٤)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٢٧٢) كتاب الإجارة، ومسلم (٢٧٤٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) سورة النور: الآية: (٣٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٧٠) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٥٣) كتاب الزكاة.

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٧٤).

١٨- قراءة سير السلف الصالح من أهل العفاف.

أيها الأخ الحبيب: اعلم أن قراءة سير السلف الصالح من أهل العفاف والتأسى بهم تعينك على التحلى بخُلق العفاف.

* وسأكتفى بذكر ثلاثة أمثلة فقط:

عبد الله بن حذافة.. شامة فى جبين التاريخ

جاء فى السير أن عمر بن الخطاب وجَّه جيشًا لحرب الروم على مشارف قيسارية، وقد علم قيصر الروم من أخبار جند المسلمين وما يتحلون به من صدق إيمان ورسوخ عقيدة واسترخاص للنفوس فى سبيل الله ما علم، فأمر رجالاته أن إذا ظفروا برجل من المسلمين أن يُبقوا عليه حيًّا ويأتوه به. وشاء الله أن يقع فى الأسر عدد من المسلمين من بينهم «عبد الله بن حذافة» الذى أدرك معنى العبودية لله عز وجل فتخلص من رِقِّ المخلوقين فلا تراه إلا وهو يصوم النهار ويتلو القرآن ويقوم فى جنح الليل ويستغفر بالأسحار فقليلاً ما يهجع - وراقبوه فرأوا منه ما أدهشهم، ورأوا إن كسبوه لدينهم أنهم حققوا نصراً وكسبًا عظيمًا، فذكروه لقيصرهم فقال: ائتونى به، فجاءوا به فنظر إليه فوجد فيه عزة المؤمن ونجابة الأبطال فبادره قائلاً إنى أعرض عليك أمرًا.

قال: ما هو؟ قال: أن تتنصر فإن فعلت خليت سبيلك، وأكرمت مثواك، فقال فى حزم وعزة: هيهات هيهات، إن الموت أحب إلىَّ مما تدعونى إليه!!

فقال قيصرهم: ائتونى بملكة جمال البلاد، فجاءوا بها «ولك أن تتصور يا أخى الحبيب حال هذا الصحابى فهو شاب فى كامل رجولته وشبابه، وفوق ذلك فهو غائب عن أهله منذ شهور» فأدخلوها عليه فتجردت من ملابسها بعد تجردها من الإيمان، ولا ذنب بعد كفر!!.

فقامت ترتمى فى أحضانه فيهرب منها قائلاً: معاذ الله!! ويقرأ القرآن

ولسان حاله ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾(١) حتى يئست منه تلك المرأة... ونقلة الأخبار يقفون على الباب يريدون أن يشمتوا بهذا الصحابى.

- **وإذا بها تصرخ وتقول:** أخرجونى أخرجونى، ففتحوا لها وسألوها ما الخبر؟ يريدون أن ينقلوا خبر فتنة هذا الصحابى للملك.

قالت: والله ما يدرى أأُنثى أنا أم ذكر، ووالله ما أدرى أأدخلتمونى على بشر أم على حجر!

الله أكبر.. الإغراء بالشهوة يسقط أمام عبودية الله جل وعلا، نعم فكيف به يرضى بمتعة زائلة وهو يحلم بالحور العين.

فتأمل يا أخى كيف أنه ثبت أمام تلك الفتن والشدائد وأمام تلك الشهوة، فبذلك يكون من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إنى أخاف الله رب العالمين**»(٢).

الربيع بن خثيم (رحمه الله)

أراد جماعة من المفسدين إغواء العابد الزاهد «الربيع بن خثيم» - رحمه الله - فذهبوا إلى امرأة من البغايا وأعطوها ألف دينار، فسألت عن سبب ذلك! فقالوا لها: هذا ثمن قُبلة واحدة تأخذينها من الربيع بن خثيم.

ففرحت هذه المرأة البغى وقالت: ولكم فوق ذلك أن يزنى.

ذهبت المرأة إلى هذا العابد الزاهد، وتعرضت له بعد أن تجردت من ملابسها وحيائها المترتب على تجردها من الإيمان، فقام إليها «الربيع» مسرعًا وقال لها: كيف بك يا أمة الله إذا نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل

---

(١) سورة يوسف: الآية: (٣٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

الوتين؟ أم كيف بك يوم يسـألك منكر ونكير؟ أم كيف بك يوم تقـفين بين يدى العزيز الجليل؟ أم كيف بك إن لم تتوبى يوم تُرمين فى الجحيم!!

ففزعت المرأة وخرجت من عنده تائبة عابدة قائمة صائمة حتى لُقبت بعد ذلك بعابدة الكوفة.

فقال هؤلاء الفُـجَّار الذين أرسلوها لإفساد الربيـع بن خثيم: أردنا منها أن تفسد الربيع بن خثيم، فأفسدها الربيع علينا.

أبو بكر المسكى..وعفة تفوق الخيال

كان هناك رجل صالح يقال له: أبو بكر.. فبينما هو يسـير يومًا فى أحد الشوارع، وإذا بفتاة تنادى عليه وتقول له: إن سيدتى تدعوك للشهادة فدخل الرجل وإذا به يجـد أن المرأة قـد أغلقت خلفه الأبـواب وقالت له: أنا مـا دعوتك للشـهادة وإنما دعوتك لفعـل الفاحشة.. فـصمت الرجل من هول المفاجأة ثم هداه الحق (جل وعـلا) إلى فكرة عجيبـة تُخرجه من ذلك المأزق فـقال لهـا: لك مـا أردت يا سيـدتى لكنى أريد أن أدخـل الحمـام لأنظف جسـدى. فقالت: لك ما شـئت. فدخل الحمام وأخـذ الغائط[1] ودهن به جسده كله ثم خـرج ونادى عليها قائلاً: ها أنا قد تهيـأت لك!!! فصرخت فى وجهه عندما وجدت تلك الرائحـة الكريهة وقالت: اخرج أيها المجنون، فخرج وهو يحمد الله على أن عافاه من فعل الفاحشة.

فلمـا وصل إلى بيتـه ظل يغتـسل عشـرات المرات ومع ذلك لم تذهب الرائحة فنام وهو فى غاية السعادة لأنه ترك هذا الشىء لله، لكنه كان حزينًا لأنه خشى أن يتأذى الناس فى صلاة الصبح من رائحته فلما نام أتاه آتٍ فى منامـه وقال له: أمـا إنك فـعلت هذا من أجلنا لنُطيبنَّ رائحـتك فى الدنيـا

---

(١) الغائط هو: الفضلات التى تخرج من الإنسان من فتحة الدُّبر.

والآخرة.. فأصبح وقد فاحت من جسده رائحة المسك فسُمِّى منذ ذلك اليوم بأبى بكر المسكى.

أرأيت أيها الأخ الحبيب ماذا صنع هذا الرجل الصالح،... إنه لم يستسلم لتلك الفتنة، ولم يرجع إلى بيته ليمارس تلك العادة السيئة، بل إنه حمد الله على أن عافاه من فعل تلك الفاحشة.

أيها الأخ الحبيب: إن من كمال محبتك لله (جل وعلا) ألا تفعل شيئًا يغضبه لأن هذا يقدح فى محبتك لله.

١٩- الاشتغال بالعبادة والانهماك فى الدعوة:

أيها الأخ الحبيب: إن نفسك إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، وإنك إذا كنت تنتقل بين منازل الطاعات من صلاة وصيام وبرٍّ للوالدين وصلة للأرحام، وعيادة مريض وتشييع جنازة وزيارة مقابر وطلب علم، ودعوة إلى الله (جل وعلا) فإنك لن تجد حتى الوقت الذى تفكر فيه فى أى معصية فكيف تجد وقتًا للوقوع فيها.

* ولذلك كان من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله «**وشاب نشأ فى عبادة الله**»[١].

* وإذا ظل الشاب يتقرب إلى الله بالنوافل حتى ينال محبته فإن الله سيوفقه إلى كل ما يحبه ويرضاه، وسيحول بينه وبين الوقوع فى مثل تلك المعصية، وذلك لأن الله هو الذى وعد بذلك كما فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى أن الرب الكريم العلى قال: «.... **فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يُبصر به، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه**»[٢].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

٢٠- التطلع إلى الجزاء المترتب على تركها:

فإنك إن تركت تلك العادة السيئة فسوف يبدلك الله (عز وجل) مكانها حلاوة للإيمان تجدها فى قلبك؛ لأنك تغلبت على نفسك وشيطانك فى آن واحد.

* روى مسلم أن النبى ﷺ قال: **«ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً»**(١) فإذا رضيت بكل مـا جاء من عند الله ورسوله ﷺ وامتثلت الأمـر وفعلته فسوف تذوق حلاوة الإيمـان. وإذا رضيت بكل ما نهى عنه الله ورسوله ﷺ وانتهيت عن هذا الفعل فسوف تذوق حلاوة الإيمان.

٢١- كثرة الدعاء:

أيها الأخ الحـبيب: اعلم أن من أعظم الأسبـاب لرفع هذا البلاء عنك أن تقوم فى وقت السحر وتقف بين يدى الحق (جل وعلا) خاشعًا متذللاً فتلجأ إلى الله وتبكى بين يديه ليخلصك من تلك العـادة السيئة، فلقد أخبر النبى ﷺ بذلك فقال: **«إن الله عز وجل ينزل إلى السماء الـدنيا حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذى يدعونى فأستجيب له؟ من ذا الذى يسألنى فـأعطيه؟ من ذا الذى يسـتغفـرنى فأغفـر له؟ فلا يزال كـذلك حتى يضىء الفجر»**(٢).

- فقُم أيها الأخ الحبيب وقل بلسان الحال:

لبثـت ثوب الرجا والناس قـد رقدوا
وبتُّ أشكـو إلى مـولاى مـا أجـدُ

وقـلت يـا أملـى فى كـل نـائبـة
ومن عليـه لكشف الضـر أعـتـمـدُ

أشكو إلـيك ذنوبًا أنـت تعلمـهـا
مـالى على حـملهـا صبـرٌ ولا جلدُ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٤) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

وقـد مــددت يدى بالذل مـبتــهـلاً
إليك يـا خيــر من مُــدّتَ إليــه يدُ
فــلا تردنَّــهـــا يا رب خـــائبــةً
فـبـحــر جـودك يروى كـل مَن يَـرِدُ

٢٢- عدم اليأس والقنوط:

إن المؤمن مهما عصى الله ومهما تكرر منه وقوع الذنب فلا يجوز له أن ييأس، وليعلم بأن القنوط من رحــمة الله، واليأس من روح الله هو كـبيرة توقع فى الشرك، فتكون أعظم من الوقوع فى أسر تلك العادة السيئة.

وتكرار الوقوع فى هذه العادة يذكرنا بحديث فيه رجاء من جهة، وخوف من جهة أخرى، نسوقـه هنا لإنقاذ من أصيب بالإحبـاط التام، مـن كـثـرة وقوعه فى هذا الذنب... قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفـينة أو ذنب هو مقيم عليه، لا يفارقه حتى يفارق الدنيا، إن المؤمن خُلق مفتنًا توابًا نسيًّا، إذا ذُكِّر ذكر**»(١).

وهذه ليست دعوة للرضا بالواقع، كلا! ولا استحـسان الوضع والإقامة عليه، إنما هو تذكـير بالرجـاء فى موضع اليـأس، ودعوة إلى التـوبة عند النسيان، والتذكر عند الذكرى(٢).

٢٣- كثرة العمل الصالح بعد كل ذنب:

أيهـا الأخ الحبيب: تأمل معـى قول النبى ﷺ حيـن يقول: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلقٍ حسنٍ**»(٣).

---

(١) صحيح: الطبـرانى فى الكبـير (١١/ ٣٠٤ رقم ١١٨١٠ ، ١٢/ ٥٦ ، رقم ١٢٤٥٧)، وصـححـه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٣٥).

(٢) العادة السيئة (ص: ٣٥).

(٣) حسن: رواه التـرمذى (١٩٨٧) كـتاب البـر والصلة، والدارمى (٢٧٩١) كـتاب الرقـاق، وأحمـد (٢٠٨٤٧)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٥٠٨٣).

* فإذا وقعت فى تلك المعصية بدون قصدٍ ولا تعمد - وإنما كان ذلك فى لحظة من لحظات الضعف التى تصيب النفس البشرية، أو بسبب نزغة من نزغات الشيطان - فقُم وتب إلى الله وأكثِر بعدها من فعل الطاعات. . . فإذا رأى الشيطان منك ذلك فلن يزين لك تلك المعصية أبدًا؛ لأنها تجلب لك بعدها مباشرة ألوانًا من العبادات.

* وتذكر معى ما فعله عمر بن الخطاب ﷺ عندما جادل النبى ﷺ فى بنود الصلح فى الحديبية. . . فقال عمر بعدها: فعملت لذلك أعمالاً. . وذلك من أجل أن يُكفِّر عن هذا الذنب العظيم حين جادل النبى ﷺ.

* ومن أمثلة هذه الأعمال الصالحة التى تكون بعد أى ذنب أن تصلى ركعتى التوبة.

٢٤- الخوف من سوء الخاتمة:

أيها الأخ الحبيب الغالى: ألا تعلم أن الإنسان قد يموت فجأة؟

ألا تعلم أن ملك الموت لا يستأذن على أحد؟

ألا تعلم أن الموت لا يعرف صغيرًا ولا كبيرًا؟

أخى الحبيب: هل فكرت مرة أنك ربما يأتيك ملك الموت وأنت على تلك المعصية؟. . . بالله عليك قل لى: كيف يكون حالك لو قبض ملك الموت روحك، وأنت تمارس تلك العادة السيئة؟!!!

* والله: لقد سمعنا عن كثيرٍ ممن خُتم لهم بخاتمة أهل الشقاوة. . فمنهم من مات وهو يشرب الخمر، ومنهم من مات وهو يزنى. . ومنهم. . ومنهم.

* لكنى والله أحبك فى الله وأتمنى لك خاتمة أهل السعادة فاحرص على أن تترك تلك المعصية لله (جل وعلا) وسوف تجنى الخير كله فى الدنيا والآخرة.

٢٥- تذكر نعيم الجنة والحور العين:

أيها الأخ الحبيب: هل نسيت الجنة ونعيمها؟. . . هل تعلم أن الله (عز

وجل) أعد لعباده المؤمنين فى الجنة ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر؟ . . . فلماذا لا تترك تلك المعصية لتفوز بهذا النعيم المقيم وتتمتع بالحور العين فى الجنة.

فالحوراء فى الجنة لو بدا بعض بنانها لطمس ضوؤه ضوء الشمس والقمر، ولو أن خُصلة من شعرها ظهرت لملأ ريحها ما بين المشرق والمغرب، ولو نظر إليها زوجها لرأى مخ سوقها من وراء سبعين حُلة.

* أخى الحبيب: لا تنسَ نعيم الجنة. . واترك تلك المعصية لتفوز بجنة الدنيا التى تثمر لك جنة الآخرة.

وأخيرًا

أيها الأخ الحبيب الغالى: لو أقسمت لك بالله أنى أحبك فى الله فهل تصدقنى؟ فأنا أقسم لك بالله أنى أحبك فى الله وأخشى عليك من عذاب الله، وأريدك أن تكون من أهل الجنة بل وفى صحبة الحبيب محمد ﷺ.

أخى الحبيب: كانت هذه رسالة من أخٍ يحبك فى الله. . . فهيا لنتواعد من الآن على أن تترك تلك العادة السيئة، لكى يجمعنا الله فى الجنة ونجلس سويًا على الأرائك فنحمد الله على نعمة الهداية ونعمة الإسلام ونعمة العيش فى الجنة. وفوق ذلك نحمده على الفوز برضوانه، ولذة النظر إلى وجهه الكريم.

* أسأل الله (جل وعلا) أن ينفع بتلك الرسالة كل شاب مسلم، وأن يجعلها فى ميزان حسناتى يوم أُدرج فى أكفانى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

الشباب والطريق إلى العفاف



مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾(٣).

أما بعد:

ففى هذا الزمان الذى انتشرت فيه الشبهات والشهوات وانصرف فيه كثير من الناس عن طاعة رب الأرض والسماوات، واشتدت فيه الفتن وكثرت، حتى شاعت الفاحشة بين كثير من المسلمين - ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- من أجل ذلك كان لابد لنا من وقفة صادقة مع تلك الفتنة التى كادت أن تعصف بشبابنا وفتياتنا لنضع لهم علامات على طريق العفاف عسى الله أن ينفع بها.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

- فإن من أعظم المصائب أن يَفْرُغَ قلب الشاب من محبة الله وذكره وشكره وعبادته، وأن يترك صراط الله المستقيم ويتبع سبيل الشياطين فيصبح أسير شهوته، فيقع فى تلك الجريمة التى تُفسد عليه دنياه وآخرته.

تلك الجريمة الكبرى التى تتسبب فى زوال الصحة والعافية، وحلول البلايا والأسقام، وتتسبب كذلك فى محو البركة ومحق الأرزاق!!

تلك الجريمة النكراء، التى تتسبب فى قطع الأرحام، واختلاط الأنساب، وزوال الإيمان، تلك الكبيرة الشنعاء التى تُلحق العار والشنار، وتوجب فى الآخرة عذاب النار.

فكم من نفسٍ قد أُزهقت بسببها، وكم من رحمٍ قد قُطعت، وكم من امرأة قد طُلقت، وكم من صداقات قد مُزقت، وكم من مولود قد أُلحق بغير أبيه.

وكم من وجه قد سُلب بهاؤه، وكم من عين قد سُلبت ضياؤها، وكم من قلب قد اضطرب وانقلب، وكم من إيمان قد زال وانكمش بسبب هذه الفاحشة المنكرة[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تلك الرسالة لنقف مع تلك العلامات التى وضعناها لنصل من خلالها إلى طريق العفاف.

* أسأل الله «جل وعلا» أن يحفظنا جميعًا من الفواحش، وأن يرزق شبابنا وفتياتنا العفاف.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

أبو عمار

---

(١) ولا تقربوا الزنا / الشيخ مصطفى العدوى ص: (٤ - ٥).

فتنة النساء

لقد أشار القرآن الكريم إلى خطر الفتنة بالمرأة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾(١).

فقدم سبحانه النساء لعراقتهن فى هذا الباب، ولأن أكثر الرجال إنما دخل عليهم الخلل من قبل هذه الشهوة، ولعله لأجل ذلك أيضًا قدم سبحانه وتعالى المرأة على الرجل فى قوله جل وعلا: ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ** ﴾(٢) الآية، وقال سبحانه وتعالى حاكيا عن عزيز مصر: ﴿ **قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾(٣).

وبيَّن النبى ﷺ خطر فتنة النساء قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان.

فقال ﷺ: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء**»(٤).

وقال ﷺ: «**ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء**»(٥).

وقال ﷺ: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»(٦).

قال الطيبى: «والمعنى المتبادر أنها ما دامت فى خدرها لم يطمع الشيطان فيها، وفى إغواء الناس، فإذا خرجت طمع؛ وأطمع لأنها حبائله، وأعظم فخوخه».

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٤).

(٢) سورة النور: الآية: (٢).

(٣) سورة يوسف: الآية: (٢٨).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٤٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥٠٩٦) كتاب النكاح، ومسلم (٢٧٤٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٦) **صحيح**: رواه الترمذى (١١٧٣) كتاب الرضاع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٦٩٠).

قال المنذرى: «أى ينتصب ويرفع بصره إليها، ويهم بها، لأنها قد تعاطت سببًا من أسباب تسلطه عليها، وهو خروجها من بيتها».

وعن ابن مسعود ﵁ قال: «إنما النساء عورة، وإن المرأة لتخرج من بيتها ما بها بأس، فيستشرفها الشيطان، فيقول: إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبته، وإن المرأة لتلبس ثيابها، فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضًا، أو أشهد جنازة، أو أصلى فى مسجد، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده فى بيتها».

الترهيب من الزنا

ولقد جاءت النصوص الكثيرة من القرآن والسنة لتُرهِّب الناس من الوقوع فى الزنا.

* قال الله سبحانه: ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾[1].

* وقال سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا** ﴾[2].

* ولعظيم جُرم هذه الفاحشة وشدة نكارتها جُعلت عقوبتها من أشد العقوبات وأمر أن يشهد عباده المؤمنون تعذيب فاعله.

فجُعلت عقوبة هذه الجريمة النكراء الرجم بالحجارة حتى الممات لمن زنى وهو مُحصَن، والجلد والإبعاد عن البلاد عامًا لمن زنى ولم يكن قد أُحصن.

والدليل على ذلك ما أخرجه مسلم من حديث عبادة بن الصامت ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خذوا عنى، خذوا عنى، قد جعل الله لهن**

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٣٢).

(٢) سورة الفرقان: الآيات: (٦٨-٧٠)

سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم»(١).

* بل وجاءت الأحاديث الكثيرة عن رسول الله ﷺ لتحمل الوعيد الشديد للزناة. . . . قال ﷺ : «**إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظُّلَّة** - السحابة - **فإذا أقلع رجع إليه**»(٢).

* وقال ﷺ : «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن**»(٣).

* وقال ﷺ فى صلاة الخسوف: «... **يا أمة محمد ما من أحد أغير من الله أن يزنى عبده أو أن تزنى أمته**»(٤).

- وأخبر النبى ﷺ أن انتشار الفاحشة من أسباب كثرة الأمراض فقال ﷺ : «**يا معشر المهاجرين! خصالٌ خمسٌ إذا ابتُليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة فى قومٍ قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا..**»(٥).

- بل وأخبر النبى ﷺ عن عذاب الزناة فى قبورهم فقال ﷺ :
«**إنه أتانى الليلة آتيان، وإنهما ابتعثانى، وإنهما قالا لى: انطلق وإنى انطلقت معهما..**» فذكر الحديث، وفيه: «**فانطلقنا فأتينا على مثل التنور فإذا فيه لغط وأصوات، قال: فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عُراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضووا، قال قلت لهما: ما هؤلاء؟..**» فذكر الحديث وفيه: «**وأما الرجال والنساء العراة الذين فى مثل بناء التنور فهم الزناة والزوانى**»(٦).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٩٠) كتاب الحدود.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٢٥) كتاب الإيمان، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٨٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٧٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٥٧) كتاب الإيمان.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٤٤) كتاب الجمعة، ومسلم (٩٠١) كتاب الكسوف.

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠١٩) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٧٨).

(٦) صحيح: رواه البخارى (٧٠٤٧) كتاب التعبير.

* ولما كانت معصية هؤلاء بأجزائهم السفلى كانت النار تأتيهم من أسفل منهم، ولما كانت نيران الشهوات تثور عليهم فى الدنيا بين حين وآخر فيقارفون المعصية كانت النار تثور عليهم بين حين وآخر، وكانوا كلما أرادوا الخروج من المعصية والتوبة إلى الله عز وجل والانطلاق فى فضاء الطاعة قصرت بهم هممهم، وغلبت عليهم شهواتهم فعادوا إليها مرة ثانية، فهم كذلك فى تنور فى البرزخ كلما هَمُّوا بالخروج عادوا إليه مرة ثانية [١].

ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة

وعن أبى هريرة ﷺ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»[٢].

قال القاضى عياض: سببه أن كل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بُعدها منه وعدم ضرورته إليها، وضعف دواعيها عنده، وإن كان لا يُعذَر أحدٌ بذنب، لكن لما لم يكن لهذه المعاصى ضرورة مزعجة ولا دواعٍ معتادة، أشبه إقدامهم عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى، وقصد معصيته لا لحاجة غيرها، فإن الشيخ لكمال عقله، وتمام معرفته بطول ما مر عليه من الزمان، وضعف أسباب الجماع والشهوة للنساء، واختلال دواعيه لذلك، وعنده ما يريحه من دوعى الحلال فى هذا ويخلى سره منه، فكيف بالزنا الحرام، وإنما دواعى ذلك الشباب والحرارة الغريزية، وقلة المعرفة وغلبة الشهوة، لضعف العقل، وصغر السن [٣].

* * *

(١) مواقف إيمانية (ص ٢٨٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٧) كتاب الإيمان.

(٣) مسلم بشرح النووى (٢/ ١١٧).

يزداد الجُرم وتزداد العقوبة

أما إذا كان الزانى الخائن يزنى بحليلة جاره فجريمته أشد وعقوبته أكبر وأعظم فقد قال ﷺ : «**لأن يزنى الرجل بعشر نسوة، خير له من أن يزنى بامرأة جاره، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات، أيسر له من أن يسرق من بيت جاره**»[١].

وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «قلت: يا رسول الله: أى الذنب أعظم عند الله؟ قال: **أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**، قال: قلت: ثم أى؟ قال: **أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**. قال: قلت: ثم أى؟ قال: **أن تزانى بحليلة جارك**»[٢].

- ويزداد الأمر قُبحًا وسوءًا إذا كان الرجل يزنى بالمحارم كأن يزنى بأخته أو أمه أو ابنته.. وهذا الأمر قد انتشر فى هذا الزمان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

الزنا يجمع خلال الشر كلها

قال ابن القيم رحمه الله: ويكفى فى قُبح الزنا أن الله سبحانه وتعالى مع كمال رحمته شرع فيه أفحش القتلات وأصعبها وأفضحها، وأمر أن يشهد عباده المؤمنون تعذيب فاعله، ومن قبحه أن الله سبحانه فطر عليه بعض الحيوان البهيم الذى لا عقل له كما ذكر البخارى فى صحيحه عن عمرو بن ميمون قال: رأيت فى الجاهلية قردًا زنى بقردة فاجتمع عليهما القرود فرجموهما حتى ماتا، وكنت فيمن رجمهما» [٣].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٣٣٤٢) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٤٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥٢٠) كتاب التوحيد، ومسلم (٨٦) كتاب الإيمان.

(٣) روضة المحبين (ص: ٣٥٩).

ثم قال رحمه الله ما ملخصه: والزنا يجمع خلال الشر كلها: من قلة الدين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة، فلا تجد زانيًا معه ورع ولا وفاء بعهد، ولا صدق فى حديث، ولا محافظة على صديق، ولا غيرة تامة على أهله، . . . ومن موجباته غضب الرب بإفساد حرمه وعياله.

ومنها سواد الوجه، وظلمته، وما يعلوه من الكآبة والمقت، الذى يبدو عليه للناظرين، ومنها ظلمة الوجه وطمس نوره.

ومنها الفقر اللازم.

ومنها أنه يذهب حرمة فاعله، ويسقطه من عين ربه، ومن أعين عباده.

ومنها أنه يسلبه أحسن الأسماء، وهو اسم العفة والبر والعدالة، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر، والفاسق والزانى، والخائن.

ومنها أنه يسلبه اسم المؤمن... كما فى الصحيحين عن النبى ﷺ قال: «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن**» [1][2].

ومنها أنه يعرض نفسه لسكنى التَّنُّور الذى رأى النبى ﷺ فيه الزناة والزوانى [3].

ومنها أنه يفارقه الطيب الذى وصف الله به أهل العفاف ويستبدل به الخبيث الذى وصف الله به الزناة. . . كما قال تعالى: ﴿**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**﴾ [4].

وقد حرم الله الجنة على كل خبيث، بل جعلها مأوى الطيبين، ولا يدخلها إلا طيب.

ومنها الوحشة التى يجعلها الله عز وجل فى قلب الزانى، وهى نظير الوحشة التى تعلو وجهه، فالعفيف على وجهه حلاوة، وفى قلبه أُنس، ومن

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٧٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٥٧) كتاب الإيمان.

(٢) روضة المحبين (ص: ٣٥٩).

(٣) صحيح: وقد تقدم.

(٤) سورة النور: الآية: (٢٦).

جالسه استأنس به، والزانى تعلو وجهه الوحشة، ومن جالسه استوحش به.

ومنها قلة الهيبة التى تُنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم، وهو أحقر شيء فى نفوسهم وعيونهم، بخلاف العفيف فإنه يُرزق الحلاوة والمهابة.

ومنها أن الناس ينظرونه بعين الخيانة، ولا يأمنه أحد على حرمته ولا على ولده.

ومنها الرائحة التى تفوح عليه، يشمها كل ذى قلب سليم.

ومنها ضيقة الصدر وحرجه، فإن الزناة يُعامَلون بضد قصودهم، فإن من طلب لذة العيش وطيبه بما حرمه الله عليه عاقبه بنقيض قصده، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، ولم يجعل الله معصيته سببًا إلى خيرٍ قَط.

ولو علم الفاجر ما فى العفاف من اللذة والسرور، وانشراح الصدر، وطيب العيش، لرأى أن الذى فاته من اللذة أضعاف ما حصل له، مع ربح العاقبة والفوز بثواب الله وكرامته.

ومنها أنه يعرض نفسه لفوات الاستمتاع بالحور العين فى المساكن الطيبة فى جنات عدن.

ومنها أن الزنا يُجرئه على قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وكسب الحرام، وظلم الخلق، وإضاعة أهله وعياله، وربما قاده قسرًا إلى سفك الدم الحرام، وربما استعان عليه بالسحر وأشرك وهو يدرى أو لا يدرى، فهذه المعصية لا تتم إلا بأنواع من المعاصى قبلها و ومعها، ويتولد عنها أنواع أُخَر من المعاصى بعدها، فهى محفوفة بجند من المعاصى قبلها وجند بعدها وهى أجلب شيء لشر الدنيا والآخرة، وأمنع شيء لخير الدنيا والآخرة، وإذا علقت بالعبد فوقع فى حبائلها وأشراكها عَزَّ على الناصحين استنقاذه وأعيا الأطباء دواؤه، فأسيرها لا يُفدى، وقتيلها لا يُودى - أى ليس له دية - وقد وكلها الله سبحانه بزوال النعم، فإذا ابتُلى بها عبد فليودِّع نِعَم الله، فإنها

ضيف سريع الانتقال، وشيك الزوال، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾(٢)(٣).

كان النبي ﷺ يبايع الرجال والنساء على ترك الزنا :

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٤).

وقال النبي ﷺ كذلك للرجال: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا.....**»(٥).

* فأخذ النبي ﷺ البيعة من النساء والرجال على ترك الزنا. . فيا من وقعت في تلك الجريمة تخيل أن النبي ﷺ أخذ منك البيعة على ترك الزنا فهل تستطيع أن تنقض مبايعتك للنبي ﷺ ؟.

كما تدين تُدان

وعن أبي أمامة أن فتى من الأنصار أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه! فقال: «ادنه» فدنا منه قريبًا قال: فجلس، قال: «**أتحبه لأمك؟**» قال: ، لا والله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**». قال: «**أفتحبه لابنتك**»؟ قال: لا

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (٥٣).

(٢) سورة الرعد: الآية: (١١).

(٣) روضة المحبين (ص ٣٦٠ - ٣٦٣).

(٤) سورة الممتحنة: الآية: (١٢).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (١٨) كتاب الإيمان، ومسلم (١٧٠٩) كتاب الحدود.

والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**». قال: «**أفتحبه لأختك**»؟ قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**». قال: «**أفتحبه لعمتك**»؟ قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**». قال: «**أفتحبه لخالتك**»؟ قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**». قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وأحصن فرجه**» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[١].

* وفي قصص بني اسرائيل أن رجلاً تاجرًا ذهب يومًا إلى متجره فجاءته امرأة جميلة لتشتري منه شيئًا فلما أرادت أن تعطيه الثمن أمسك بيديها ثم تذكر فجأة أن هذا لا يحل له وأنه سوف يُسأل أمام ربه «جل وعلا» عما فعله فعاد إلى بيته مسرعًا فاستقبلته زوجته وهي تبكي وتقول له: لقد حدث اليوم شيء عجيب. فقال لها: ما هو؟ قالت: لقد جاء السقَّا ليضع الماء في الحوض كعادته فلما وضع الماء فتح الباب فجأة على غير عادته وأمسك بيدي ثم تركها وانصرف. فابتسم زوجها وقال: دقة بدقة ولو زدت لزاد السقا.

* نعم أيها الأخ الحبيب.. كما تدين تدان وكما تزرع تحصد.

قال المناوي: من عقوبة الزاني ما لابد أن يُعجَّل في الدنيا، وهو أن يقع في الزنا بعض أهل داره حتمًا مقضيًا، وذلك لأن الزنا يوجب هتك العرض، مع قطع النظر عن لزوم الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة فيكون سيئة وجزاء سيئة سيئة مثلها، فيلزم أن يسلط على الزاني من يزني به بنحو حليلته،... والله عزيز ذو انتقام، فإن لم يكن للزاني من يُزنَى به أو يُلاط به من نحو حليلة أو قريب عوقب به بوجه آخر.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢١٧٠٨) باقي مسند الأنصار، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٧٠)، وقال: و هذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح.

وعلم مما تقرر مكافأة الزانى بهتك عرضه بالزنا، هبة لنفسه أو لشخص من أتباعه، والظاهر أن المرأة كالرجل فإذا زنت عوقبت بزنا زوجها، ووقوع الزنا فى أبويها، وحصول الغيرة لها (١).

يا هاتكًا حرم الرجال وتابعًا
طرق الفساد فأنت غير مُكرم
من يزنى فى قومٍ بألفى درهم
فى أهله يُزنى بربع الدرهم
إن الزنا دَين إذا استقرضته
كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

الضمانات الوقائية لعدم الوقوع فى الزنا

لقد اتخذت الشريعة الإسلامية اتجاهين لضمان عدم وقوع الأفراد فى الزنا:

الأول: اتجاه وقائى يمنع وقوع الفاحشة عن طريق سد المنافذ المؤدية إليها سداً محكمًا.

والثانى: اتجاه علاجى عن طريق فتح أبواب التعفف والحصانة على مصاريعها، وشق الطرق المُعبَّدة الموصلة إلى ما أحله الله.

* فأما عن الضمانات الوقائية فهى(٢):

* **أن الله سبحانه منع الزواج ممن عُرف - أو عرفت - بالفاحشة إذا لم يتب**، فقال سبحانه: **﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾**(٣)، أخذًا بالحيطة إذ من اعتاد الفاحشة لا يأمن أن يعاودها.

---

(١) سورة فيض القدير (٦/ ١٤٣).

(٢) سأذكرها باختصار من كتاب (عودة الحجاب) للدكتور محمد إسماعيل المقدم - حفظه الله -.

(٣) سورة النور: الآية: (٣).

* **حرم البذاء، ومنع الفحش فى القول**، وكره التلفظ بالسوء.
قال عز وجل: ﴿**لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ**﴾(١)، وقال ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان، ولا باللعان، ولا الفاحش، ولا البذى**»(٢).

* **وحرم أن يُظن بمؤمن سوء**، وأوجب على المؤمن إذا سمع عن أخيه سوءًا أن يظن به البراء من الإثم، والطهارة من السوء كما هو طاهر وبرىء، قال تعالى: ﴿**لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾(٣).

والقصد من وراء هذا عدم السماح للفاحشة أن تظهر، ولو على ألسنة المتكلمين، أو فى أذهان السامعين تركيزًا للطهارة وتثبيتًا لها فى جو البلاد والعباد، وفى هذا من معنى محاربة الفاحشة بالوقاية ما لا يخفى على عاقل.

* **وحرم قذف المؤمن أو المؤمنة بالفاحشة**، ووضع لذلك عقوبة زاجرة «الجلد ثمانين جلدة»،... قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(٤).

وعليه فمن قذف امرأة مؤمنة عفيفة أو مؤمنًا عفيفًا بكلمة الفاحشة، وجب عليه أن يحضر أربعة شهود على صحة ما قاله، أو يُجلد حدًّا على ظهره ثمانين جلدة، مع إسقاط عدالته حتى يتوب توبة نصوحًا.

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٤٨).
(٢) صحيح: رواه الترمذى (١٩٧٧) كتاب البر والصلة، وأحمد (٣٩٣٨) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٣٨١).
(٣) سورة النور: الآيتان (١٢، ١٣).
(٤) سورة النور: الآيتان (٤، ٥).

* **وحرم مجرد حب إشاعة الفاحشة فى البلاد والعباد.**

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (١).

* **ومن إجراءات الإسلام فى هذا الشأن تحريم التحدث بما يكون بين الزوجين متعلقًا بالوقاع ونحوه.**

* **حظر على الرجل أن يغيب عن زوجه مدة طويلة.**

قال تعالى: ﴿ **لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾(٢).

فإذا حلف الرجل ألا يطأ زوجته أربعة أشهر فأكثر كان موليًا، فإما أن يرجع فى تلك المدة فيطؤها، ويكفر عن يمينه، وإلا تُطلَّق منه بمجرد مضى المدة حتى لا تتضرر الزوجة.

* **فرض الحجاب على النساء**، واعتبار قرارهن فى البيت هو الأصل الأصيل فى دائرة عملهن، قال ﷺ: «**والمرأة فى بيت زوجها راعية، وهى مسئولة عن رعيتها**»(٣)وما عداه استثناء، ثم إن هى خرجت تخرج محجوبة، لا تخالط الرجال.

* **ومن ذلك أيضًا: تحريم التبرج، وإظهار الزينة**، والتجمل للفت نظر الأجانب، قال تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى** ﴾(٤).

* **ومنها تشريع الاستئذان**، فقد حرم الله عز وجل الدخول إلى البيوت إلا بعد الإذن، . . . قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا**

---

(١) سورة النور: الآية: (١٩).

(٢) سورة البقرة: الآيتان: (٢٢٦، ٢٢٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٥١) كتاب الوصايا، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة.

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [(١)].

ووضحت السنة الهدف من الاستئذان، وهو خشية أن تقع عينٌ آثمة على عورة غافلة، فتلد تلك النظرة الخاطفة فاحشة فاضحة.

* **ومنها الأمر بغض البصر**، قال تعالى: **﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾**[(٢)].

فالله سبحانه يعلم مدى تأثير النظرة المحرمة فى القلب، وما تُحدثه من تحويل النفس إلى بركان، وما تحركه من الاندفاع نحو المرأة، والواقع يصدق ذلك.

* **ومنها تحريم مس الأجنبية ومصافحتها.**

وإذا كان الإسلام يطارد الحرام أنَّى وُجد، ويترصد المنكر حيثما كان ليقضى عليه، فلمس المرأة باليد يحرك كوامن النفس، ويفتح أبواب الفساد، ويسهل مهمة الشيطان، من أجل ذلك توعد الله من يفعل ذلك بصارم عقابه، وشديد عذابه:

فعن معقل بن يسار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يُطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»[(٣)].

وإذا كان هذا فى مجرد المسِّ إذا كان بغير شهوة، فما بالك بما فوقه؟!.

وهذا أطهر ولد آدم ﷺ وأخوفهم لله، وأرعاهم لحدوده، يقول وهو المعصوم: **«لا أمس أيدى النساء»** [(٤)]، ويمتنع من ذلك حتى فى وقت البيعة

---

(١) سورة النور: الآيتان: (٢٧- ٢٨).

(٢) سورة النور: الآيتان: (٣٠ - ٣١).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى (٢٠/ ٢١١، رقم ١٧٢٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٤٥).

(٤) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٦/ ٢١٧، رقم ٦٢٢٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١٧٧).

الذى يقتضى عادة المصافحة، فكيف يباح لغيره من الرجال مصافحة النساء مع أن الشهوة فيهم غالبة، والفتنة غير مأمونة، والشيطان يجرى منهم مجرى الدم؟!.

* **ومن ذلك: تحريم الخلوة بالأجنبية:** وحقيقة الخلوة أن ينفرد رجل بامرأة فى غيبة عن أعين الناس.

إن الخلوة بالأجنبية من أعظم الذرائع، وأقرب الطرق إلى اقتراف الفاحشة الكبرى.

إن خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية مدرجة الهلاك، وداعية الإثم والفجور، وكيف لا يكون ذلك، والفرصة سانحة، وقد مهدت الخلوة للغريزة أن تستيقظ؟

وقد تكون القرابة إلى المرأة أو زوجها سبيلاً إلى سهولة الدخول عليها أو الخلوة بها، كابن العم وابن الخال مثلاً، ولذلك حذرنا النبى ﷺ من ذلك؛ لأنه من مداخل الشيطان، ومسارب الفساد، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء**»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**»[1].

- والحمو هو قريب الزوج الذى لا يحل للمرأة، فبيَّن النبى ﷺ أنه يفسد الحياة الزوجية كما يفسد الموت البدن.

* فلا يحل لشخص بعد هذه النصوص أن يخلو بامرأة لا تحل له.

* فلا يحل لقريب الزوج كأخيه وابن عمه أن يأتى إلى البيت فى غياب الزوج ويخلو بالزوجة.

* ولا يحل لصديق الزوج أن يأتى إلى المنزل فى غياب الزوج ويخلو بالزوجة، ولا يحل له أن يخلو بها فى حضور الزوج فى البيت ويُغلَق على

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٣٢) كتاب النكاح، ومسلم (٢١٧٢) كتاب السلام.

الأجنبى مع الزوجة باب.

* لا يحل لمدرس أن يخلو بفتاة يعلمها، ولا أن يُغلَق عليهما باب، فهذا باب عظيم من أبواب البلاء.

* وكذلك لا يحل لمحفظ القرآن أن يخلو بامرأة يعلمها القرآن.

* وكذلك لا يحل لمعالج يعالج بالقرآن أن يخلو بامرأة يعالجها.

* ولا يحل لطبيب أن يخلو بمريضة ولا بممرضة.

* وقبيح أيما قُبح أمر صيدلى يستأجر فتاة للعمل معه حيث هناك مكان يخلو بها فيه.

* وكذلك لا يحل ثم لا يحل لمدير أن يخلو بسكرتيرة، ولا أن يغلق عليهما باب، فالشيطان ثالث هؤلاء.

* ولا يحل كذلك لخاطب أن يخلو بمخطوبته، فهو لا يزال رجلاً أجنبيًا عنها.

* كذلك لا يحل لرجل أن يخلو بالخادمة التى تخدم فى بيته، فليست هى من محارمه.

* ولا يحل لسائق أن يخلو بامرأة من يعمل عنده فهو رجل أجنبى كذلك[١].

*** ومن الضمانات الوقائية: قرار المرأة فى بيتها:**

فلما كان احتكاك النساء بالرجال واختلاط النساء بالرجال من أكبر أسباب هذه الفاحشة وأعظمها جاء الحثُّ على قرار النساء فى البيوت.

قال الله تعالى لأزواج نبيه ﷺ اللواتى هن خير أسوة لنسائنا وبناتنا: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[٢].

(١) ولا تقربوا الزنا / الشيخ مصطفى العدوى (ص: ٦٩ : ٧١) بتصرف.
(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

وقال النبي ﷺ: **«المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون المرأة من ربها وهي في قعر بيتها»**[١].

وانظر إلى جميل الاعتذار الذي اعتذرت به هاتان المرأتان لما سألهما موسى عليه السلام: ﴿**مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**﴾[٢].

فذكرتا عذرهما في خروجهما، وأوضحتا السبب الذي من أجله كان الخروج ﴿**وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**﴾.

شيخ كبير لا يطيق سقي الأنعام، ولا يطيق العمل ولا الخروج، ولولا ذلك ما خرجتا.

ولكنهما مع هذا الخروج «تذودان» تصرفان الأنعام والمواشي والأغنام عن الاحتكاك بالناس!!.

*** ومن ذلك: أنه حرم سفر المرأة بغير محرم:**

فإن المرأة مظنة الشهوة والطمع، وهي لا تكاد تقي نفسها لضعفها ونقصها، ولا يغار عليها مثل محارمها، الذين يرون أن النيل منها نيل من شرفهم وعرضهم وسفرها بدون محرم يعرضها إلى الخلوة بالرجال ومحادثتهم، وقد يطمع فيها من في قلبه مرض، وربما سهل خداع المرأة وربما يعتريها مرض، وإذا سلمت من كل هذا فلن تسلم من القيل والقال إذا سافرت بدون محرم يصونها ويرعاها.

*** ومنها تحريم خروج المرأة متطيبة متعطرة:**

فمن المعلوم أن من دواعي فتنة الرجل بالمرأة، ونزوعه إليها، ما يشم منها من الطِّيب، الذي يفوح شذاه فيجر إلى الفتنة، ويكون رسولاً من نفسٍ شريرة إلى نفوس أخرى شريرة.

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط (٨/ ١٠١، رقم ٨٠٩٦)، وابن حبان (١٢/ ٤١٢، رقم ٥٥٩٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٤).

(٢) سورة القصص: الآية: (٢٣).

قال ﷺ : «أيما امرأة استعطرت، ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية، وكل عين زانية»(١).

*** ومنها: تحريم امتناع المراة من فراش زوجها:**

فقد قال رسول الله ﷺ : «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجىء لعنتها الملائكة حتى تصبح» (٢).

وفى رواية لمسلم: قال رسول الله ﷺ : «والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطًا عليها»(٣).

*** ومنها: عدم وصف المرأة لامرأة أخرى:**

قال ﷺ : «لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها»(٤).

فقد قال ذلك رسول الله ﷺ ، وذلك خشية أن يفضى هذا الوصف إلى افتتان الزوج بهذه الموصوفة.

*** ومنها تحريم الخضوع بالقول:**

فقد يكون صوت المرأة رخيمًا، يحرك النفوس المريضة، فيجرها إلى التفكير فى المعصية، أو يوقعها ويقع بها فى بليّة العشق.

وقد سدَّ الإسلام على المرأة كل سبيل للتسيب فى هذا الباب حينما جعل أمهات المؤمنين محلاً للقدوة، فلم يبق هناك عذر لمعتذر، . . . قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾(٥).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤١٧٣) كتاب الترجل، والترمذى (٢٧٨٦) كتاب الأدب، والنسائى (٥١٢٦) كتاب الزينة، والدارمى (٢٦٤٦) كتاب الاستئذان، وأحمد (١٩٠٨١) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٧٠١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٩٣) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٣٦) كتاب النكاح.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٣٦) كتاب النكاح.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٥٢٤٠) كتاب النكاح.

(٥) سورة الأحزاب: الآية: (٣٢).

ومن أعظم وسائل الإسلام لتجفيف منابع الفتنة بالمرأة: تحريم الاختلاط المستهتر:

وقد حذر القرآن الكريم من هذا الاختلاط كما فى قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ (١) فخير حجاب للمرأة بيتها.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾(٢).

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لو تركنا هذا الباب للنساء؟» قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات»(٣).

قال أبو داود فى «سننه»: «باب انصراف النساء قبل الرجال من الصلاة» ثم ساق حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا سلم مكث قليلاً، وكانوا يرون أن ذلك كيما ينفذ النساء قبل الرجال»(٤).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كان يسلم فينصرف النساء فيدخلن بيوتهن من قبل أن ينصرف رسول الله ﷺ» (٥).

قال الدكتور محمد بن إسماعيل المقدم: والآن نستطيع أن نجزم بحقيقة لا مراء فيها، وهى أنك إذا وقفت على جريمة فيها نُهش العرض، وذُبح العفاف، وأُهدر الشرف، ثم فتشت عن الخيوط الأولى التى نسجت هذه الجريمة وسهلت سبيلها، فإنك حتمًا ستجد أن هناك ثغرة حصلت فى الأسلاك الشائكة التى وضعتها الشريعة الإسلامية بين الرجال والنساء، ومن

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥٣).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٢) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٥٨).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٠٤٠) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٨٥٠) كتاب الأذان.

خلال هذه الثغـرة دخل الشيطان، . . . وصدق الله العظيم: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (١)(٢).

*** ومنها: الحضُّ على الزواج لمن استطاع إليه سبيلاً والحض على الصيام لمن لم يستطع إلى ذلك سبيلاً:**

قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**»(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه **قال:** «لو لم يبق من أجلى سوى عشرة أيام أعلم أنى أموت بعدهن، ولى طَول النكاح فيهن لتزوجت مخافة الفتنة».

*** ومنها الحض على تعاون المسلمين على تزويج الشباب والفتيات:**

حتى لا يبقى بين المسلمين عزب تخشى فتنته.

قال تعالى: ﴿**وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ (٤).

والأيامى جمع أيِّم، وهو من ليس متزوجًا من ذكر أو أنثى، فالرجل أيم، والمرأة أيم إذا لم يكن لهما زوج، . . . . قال ابن مسعود رضي الله عنه: «التمسوا الغنى فى النكاح»، وتلا هذه الآية، . . . . وقال عمر رضي الله عنه: «عجبى ممن لا يطلب الغنى فى النكاح، وقد قال الله تعالى: ﴿**إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾.

* * *

(١) سورة النساء: الآيتان: (٢٧، ٢٨).

(٢) عودة الحجاب (٣/ ٥٩ - ٦٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٦٥) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٠٠) كتاب النكاح.

(٤) سورة النور: الآية: (٣٢).

تيسير الزواج وعدم المغالاة فى المهور

ومن أعظم أسباب نشر العفاف بين المسلمين: تيسير الزواج وعدم المغالاة فى المهور، فلقد جعل الإسلام من المهر رمزًا لتكريم المرأة ولم يجعله عائقًا فى سبيل النكاح. ولعله لأجل هذا لم يضبطه بحدٍّ لا يزيد ولا ينقص بل ترك تحديده إلى الناس، كل واحد على قدره.. ورغَّب النبى ﷺ فى أن يكون المهر مما يُدفع بيسر،... قال ﷺ: «**خير النكاح أيسره**»(١).

وقال ﷺ للرجل الذى طلب منه أن يزوجه بامرأة قد وهبت نفسها للنبى ﷺ: «**اذهب فالتمس ولو خاتمًا من حديد**»(٢) وهكذا أوجب الإسلام المهر لكن لم يجعله عائقًا فى سبيل النكاح، ومع هذا فالناس يغالون فى المهور لدرجة أصبح معها المهر عائقًا فى سبيل النكاح، مما ترتب عليه أن بقى الكثير من الشباب بدون زواج رغم رغبتهم الشديدة فيه.

قال ﷺ: «**إن من يُمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها**»(٣).

قال عروة رضي الله عنه: وأنا أقول من عندى: ومن أول شؤمها أن يكثر صداقها.

وقال عمر رضي الله عنه: لا تغلوا فى صداق النساء، فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبى ﷺ. وما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه، ولا أُصدقت امرأة من بناته بأكثر من أربعمائة درهم، أو خمسمائة(٤).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢١١٧) كتاب النكاح، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٠٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٢١) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٢٥) كتاب النكاح.

(٣) حسن: رواه أحمد (٢٣٩٥٧) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٣٥).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٢١٠٦) كتاب النكاح، والترمذى (١١١٤) كتاب النكاح، والنسائى (٣٣٤٩) كتاب النكاح، وابن ماجه (١٨٨٧) كتاب النكاح، والدارمى (٢٢٠٠) كتاب النكاح، وأحمد (٢٨٧) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن النسائى.

ولقد زوَّج النبى ﷺ عليًّا من ابنته فاطمة بدرعٍ مكسورة، وزوَّج رجلاً بما معه من القرآن. وكل ذلك يجعل الألفة تخيم على المجتمع المسلم بدلاً من الحقد والضغينة.

ولقد جاء الأمر من الله جل وعلا بتزويج الفقراء من المؤمنين ووعد بأن يغنيهم من فضله، فقال جل وعلا: ﴿**وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾(١).

يقول ابن العربى فى تفسير هذه الآية: «فى هذه الآية دليل على تزويج الفقير، ولا يقولن كيف أتزوج وليس لى مال، فإن رزقه ورزق عياله على الله تعالى، . . . وقد زوَّج النبى ﷺ الموهوبة من بعض أصحابه، وليس له إلا إزار واحد».

وذكر الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه الآية أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى.

قال الله تعالى: ﴿**إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾، وذكر أبو بكر الجصاص قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ما رأيت مثل مَن يُجلس أيمًا بعد هذه الآية ﴿**وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ**﴾ التمسوا الغناء فى الباءة.

وقد عَنْوَنَ الإمام البخارى فى صحيحه بابًا أسماه «باب تزويج المعسر» لقوله تعالى: ﴿**إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾، ويقول الحافظ ابن حجر فى شرح قول الإمام البخارى: «إن الآية تعليل لحكم الترجمة ومحصله أن الفقر فى الحال لا يمنع التزويج لاحتمال حصول المال فى المآل، والله أعلم»(٢).

* ومن هنا فنحن نوجه نداءً عاجلاً للآباء والأمهات بأن يرحموا شباب

---

(١) سورة النور: الآية: (٣٢).

(٢) فتح البارى (٩/ ١٣١).

المسلمين وأن ييسروا لهم سُبل الزواج ولا يغالوا فى المهور.

سعيد بن المسيب يزوج ابنته على درهمين

وها هو سعيد بن المسيب الذى زوَّج ابنته على درهمين فكان مثالاً عظيمًا للاتباع لنهج الحبيب ﷺ . . . وها هى القصة كما أوردها الإمام الذهبى فى السير.

* قال أبو بكر بن أبى داود: كانت بنت سعيد قد خطبها عبد الملك لابنه الوليد، فأبى عليه، فلم يزل يحتال عبد الملك عليه حتى ضربه مائة سوط فى يوم بارد، وصَبَّ عليه جَرة ماء، وألبسه جُبة صوف.

قال كثير بن أبى وداعة فى قصة زواجه من ابنة سعيد بن المسيب: كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدنى أيامًا فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلى فاشتغلت بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم قال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا فقلت: وتفعل؟ قال: نعم، ثم حمد الله، وصلى على النبى ﷺ، وزوجنى على درهمين - أو قال: ثلاثة - فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلى وجعلت أتفكر فيمن أستدين. فصليت المغرب، ورجعت إلى منزلى، وكنت وحدى صائمًا، فقدمت الطعام لكى أفطر، وكان خبزًا وزيتًا، فإذا بابى يُقرع، فقلت: من هذا؟ فقال: سعيد، فأفكرت فى كل من اسمه سعيد إلا ابن المسيب، فإنه لم يُرَ أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فخرجت، فإذا سعيد، فظننت أنه قد بدا له، - أى بدا له أن يرجع عن هذه الزيجة - فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إلىَّ فآتيك؟ قال: لا، أنت أحق أن تُؤتَى، إنك كنت رجلاً عزبًا فتزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك. فإذا هى قائمة من خلفه فى طوله، ثم أخذ بيدها فدفعها فى الباب، وردَّ الباب.

فسقطت المـرأة من الحياء، فاستـوثقت من الباب، ثم وضعت القـصعة فى ظل السراج لكى لا تراه، ثم صعدت إلى السطح فرميت الجيران، فجاءونى فقالوا: ما شـأنك؟ فأخبرتهم. ونزلوا إليـها، وبلغ أمى، فجاءت وقـالت: وجهى من وجهك حـرام إن مسستـها قبل أن أُصلحـها إلى ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثًا، ثم دخلت بها، فإذا هى من أجمل الناس، وأحفظ الناس لـكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق زوج. فمكثت شـهرًا لا آتى سعيد بن المسيب. ثم أتيته وهو فى حلقته، فسلمت، فردَّ علىَّ السلام، ولم يكلمنى حتى تقوَّض المجلس، فلما لم يبق غيرى قال: مـا حال ذلك الإنسان؟ قلت: خير يا أبا مـحـمـد، على ما يحـب الصديق، ويكره العدو، قال: إن رابك شىء، فالعصا. فانصرفت إلى منزلى، فوجه إلىَّ بعشرين ألف درهم(١).

كان مهرها الإسلام

إنها أم سليم بنت ملحـان التى سارعت إلى الدخول فى الإسـلام وكان من أوائل من وقف فى وجهها زوجها «مالك» الذى غضب وثار عندما رجع من غيبتـه وعلم بإسلامها، فقال لهـا بغضب بالغ: أصبوت؟ فقـالت بيقين وثبات: ما صبوت، ولكنى آمنت.

وجـعلت تلقن أنسًا «ابـنها وهو أنس بن مـالك رضي الله عنه» قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن محمدًا رسول الله، ففعل، فيقول لها أبوه، لا تُفسدى علىّ ابنى، فتقول: إنى لا أفسده.

ولما سمع مـالك زوجته تردد بعـزيمة أقوى من الصـخر: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، خرج من البيت غاضبًا فلقيه عدو له فقتله.

ولما علمت أم سليم بمقتل زوجـها احتسبت وقـالت: لا جرم، لا أفطم

(١) السير (٤/ ٢٣٣ - ٢٣٤).

أنسًا حتى يدع الثدى، ولا أتزوج حتى يأمرنى أنس.

وذهبت أم أنس إلى الرسول ﷺ على استحياء وعرضت عليه أن يكون أنس خادمًا عنده، فرحَّب وأقر عينها بذلك.

ومضى الناس يتحدثون عن أنس بن مالك وأمه بإعجاب وتقدير.

ويسمع أبو طلحة بالخبر، فيتقدم للزواج من أم سليم ويعرض عليها مهرًا غاليًا، إلا أن المفاجأة أذهلته وعقلت لسانه عندما رفضت أم سليم كل ذلك بعزة وكرامة وكبرياء، وهى تقول: إنه لا ينبغى أن أتزوج مشركًا. أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها آل فلان، وإنكم لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت. فأحس أبو طلحة بضيق شديد، فانصرف وهو لا يكاد يصدق ما يرى ويسمع، ولكنه عاد فى اليوم التالى يمنيها بمهرٍ أكبر وعيشة رغيدة عساها تلين وتقبل. ولكن أم سليم الداعية اللبيبة الذكية - التى ترى الدنيا تتراقص أمام عينيها، حيث المال والجاه والشباب - تشعر بأن قلعة الإسلام فى قلبها أقوى من كل نعيم الدنيا، فقالت بأدبٍ جَمٍّ: «والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرد. ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لى أن أتزوجك، فإن تُسلم فذاك مهرى ولا أسألك غيره».

لقد هزت هذه الكلمات أعماقه وملأت كيانه، فقد تمكنت أم سليم من قلبه تمامًا، فليست هى بالمرأة اللعوب التى تنهار أمام المغريات، إنها المرأة العاقلة التى تفرض وجودها، وهل يجد خيرًا منها تكون زوجًا له، وأُمًّا لأولاده؟!!

ما شعر إلا ولسانه يردد «أنا على مثل ما أنت عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله». فالتفتت أم سليم إلى ابنها أنس، وهى تقول بسعادة بالغة بعد أن هدى الله على يديها أبا طلحة: قم يا أنس فزوِّج أبا طلحة. فزوَّجها، وكان صداقها الإسلام.

وبذلك قال ثابت راوى الحديث عن أنس: «فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهراً من أم سليم كان مهرها الإسلام»(١).

التزويج على القرآن وبغير صداق

والإسلام يضرب لنا الأمثلة العظيمة فى تيسير الزواج على المسلمين، فهذا هو رسول الله ﷺ يزوج رجلاً على القرآن وبغير صداق.

وقد أورد الحديث الإمام البخارى فى صحيحه، وقال فى عنوان هذا الباب: «باب التزويج على القرآن وبغير صداق».

عن سهل بن سعد الساعدى أنه قال: إنى لفى القوم عند رسول الله ﷺ إذ قامت امرأة فقالت: يا رسول الله! إنها قد وهبت نفسها لك، فرَ فيها رأيك، فلم يُجبها شيئًا، ثم قامت فقالت: يا رسول الله إنها قد وهبت نفسها لك فرَ فيها رأيك، فلم يجبها شيئًا ثم قامت الثالثة فقالت: إنها قد وهبت نفسها لك، فرَ فيه رأيك. فقام رجل فقال: يا رسول الله! أنكحنيها. قال: **«هل عندك من شىء؟»** قال: لا، قال: **«اذهب فاطلب ولو خاتمًا من حديد»** فذهب وطلب ثم جاء فقال: ما وجدت شيئًا ولا خاتمًا من حديد. فقال: **«هل معك من القرآن شىء؟»** قال: معى سورة كذا وسورة كذا. قال: **«اذهب فقد أنكحتكها بما معك من القرآن»** وفى رواية: **«اذهب فقد ملَّكتكها بما معك من القرآن»**(٢).

* * *

---

(١) صحيح: رواه النسائى (٣٣٤١) كتاب النكاح، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن النسائى.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٢١) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٢٥) كتاب النكاح.

لا تتبعوا خطوات الشيطان

أخي الحبيب: اعلم يقينًا أن الشيطان لـن يأمرك بفعل الفاحشة مباشرة، ولكنه سوف يزين لك فعل المقدمات التى توصلك إليها. فتراه يزين لك النظر إلى التلفاز، ثم إلى النساء فى الطرقات، ثم يزين لك الاختلاط بالنساء، ولو على سبيل الدعوة، وهذا كله من مكائد الشيطان حتى يوصلك إلى ما يريد، فاحذر أيها الأخ الحبيب.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾[١].

ولما أراد الله - عز وجل - أن ينهانا عن الفاحشة لم يقل: (ولا تزنوا)، ولكن قال: ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى** ﴾[٢] فهذا أبلغ، لأنه نهى عن مجرد الدنو منه عن طريق ذرائعه ومقدماته، وقال سبحانه: ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا** ﴾[٣]. فما بالك بمن يتخطاها.

ومن أجل ذلك كله كان «الحفاظ على العرض» أحد المقاصد الأساسية العليا للشريعة الإسلامية.

إطلاق البصر ذريعة إلى الوقوع فى الفاحشة

قال تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ .....** ﴾[٤] فغض البصر استعفاف، لأن غَضَّه وسيلة إلى حفظ

---

(١) سورة النور: الآية: (٢١).
(٢) سورة الإسراء: الآية: (٣٢).
(٣) سورة البقرة: الآية: (١٨٧).
(٤) سورة النور: الآيتان: (٣٠، ٣١).

الفرج والعفة، فالعين رائد القلب كما قال بعضهم:

ألـم تر أن الـعــين لـلقـلب رائـد
فـمــا تألف العــينان فـالـقلب آلف

فإطلاق البصر ذريعة إلــى الوقوع فى الفاحشة، لذا أمر الله - عز وجل - بغضه من باب تحـريم الوسائل إلى المحرم؛ و ما حُـرم سدًا للذريعة أُبيح للمصلحة الراجحة، فأباح الشرع للخاطب أن ينظر إلى من أراد أن يخطبها، كما قال النبى ﷺ: «**انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدَم بينكما**»[١].

وكذا إذا احتـيج إلى ذلك للتطبب والشهادة، وذلك بالضوابط الشـرعية، وقد نفَّـر النبى ﷺ من إطلاق البـصر، وسمَّى إطلاقـه زنى العينين فـقال ﷺ: «**كُتب عـلى ابن آدم نصيبه من الزنا فـهو مدرك ذلك لا مـحالة: العـينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**»[٢].

وعن جـرير بن عـبـد الله رضي الله عنه قـال: سألت رسـول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال: «**اصرف بصرك**»[٣].

فضل العفة والاستعفاف

ولقد مـدح الله (جل وعلا) أهل العفـاف فى كتابه فقـال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾[٤].

وكذا قوله عـز وجل فى سورة المعارج: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٢٩

(١) صحـيح: رواه التـرمذى (١٠٨٧) كـتاب النكاح، والنسـائى (٣٢٣٥) كتـاب النكاح، وابن مـاجه (١٨٦٦) كتاب النكاح، والدارمى (٢١٧٢) كتاب النكاح، وأحـمد (١٧٦٧١) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٥٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦١٢) كتاب القدر، ومسلم (٢٦٥٧) كتاب القدر.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢١٥٩) كتاب الآداب.

(٤) سورة المؤمنون: الآيات: (١-٧).

إلاَّ علَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾[١].

وأثنى على مريم «عليها السلام» فقال: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾[٢].

- بل لقد أخبر النبى ﷺ أن من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله»[٣].

وقال النووى: وخَصَّ ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها وعسر حصولها، وهى جامعة للمنصب والجمال، لاسيما وهى داعية إلى نفسها طالبة لذلك، قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها، فالصبر عنها لخوف الله تعالى، وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال من أكمل المناصب وأعظم الطاعات، فرتب الله تعالى عليه أن يظله فى ظله. وذات المنصب هى ذات الحسب والنسب الشريف، ومعنى «دعته» أى: دعته إلى الزنا بها، وهذا هو أصوب فى معناه، وذكر القاضى فيه احتمالين أصحهما هذا، والثانى أنها دعته لنكاحها، فخاف العجز عن القيام بحقها، وأن الخوف من الله تعالى شغله عن لذات الدنيا وشهواتها [٤].

العفة سبب لتفريج الكربات

ولقد توسل أقوام إلى الله «جل وعلا» بتعففهم وتركهم لهذه الفاحشة، ففرج الله عنهم الكربات.

فها هو أحد هؤلاء الثلاثة أصحاب الغار الذين كانوا على سفر، فأخذهم المطر فأووا إلى غار فى جبل، فانحطَّت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله

(١) سورة المعارج: الآيتان: (٢٩-٣٠).
(٢) سورة التحريم: الآية: (١٢).
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.
(٤) مسلم بشرح النووى (٧/ ١٧١).

فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم.. فذكر الحديث وفيه:

قال النبي ﷺ: «**وقال الآخر: اللهم كانت لى بنتُ عمٍ كانت أحب الناس إلىَّ، فأردتها عن نفسها، فامتنعت منى، حتى ألَّمت بها سنة من السنين فجاءتنى، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفتُ عنها وهى أحب الناس إلىَّ، وتركت الذهب الذى أعطيتها. اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها**»(١).

قال **الشيخ الألبانى** «رحمه الله»: وتوسَّل الثانى بعفته من الزنا بابنة عمه التى أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء بعد ما قدر عليها، استسلمت له مُكرَهة بسبب الجوع والحاجة، ولكنها ذكَّرته بالله عز وجل فتذكر قلبه، وخشعت جوارحه، وتركها والمال الذى أعطاها (٢).

* وهذه أيضًا سارة - عليها السلام - لما أُدخلت على الجبار قامت تتوضأ وتصلى، فقالت: «**اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط علىَّ هذا الكافر.... ففرج الله همها، وأزال كربها**»(٣).

النبى ﷺ يحض الأمة على العفة

- وها هو الحبيب يحض الأمة على العفاف فيقول: «**أربعٌ إذا كُن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحُسن خليقة، وعفة فى طُعمة**»(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٢٧٢) كتاب الإجارة، ومسلم (٢٧٤٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) التوسل (ص ٣٥).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٢١٧) كتاب البيوع.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٦٦١٤) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٧٣).

- وكان من دعاء النبى ﷺ الذى علمه لأمته: «**اللهم إنى أسألك الهدى والتُّقَى والعفاف والغنى**»(١).

- بل ولما سأل هرقل أبا سفيان بن حرب - قبل أن يُسلم - عن النبى ﷺ وقال له: فبماذا يأمركم به؟ قال له أبو سفيان: «**يأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة..**»(٢).

- **بل وأخبر النبى ﷺ أن العفاف من صفات أهل الجنة فقال ﷺ**: «..**وأهل الجنة ثلاثة** - وذكر من بينهم - **وعفيف ذو عيال..**»(٣).

- **وقال** ﷺ: «**من يضمن لى ما بين رجليه وما بين لحييه أضمن له الجنة**»(٤).

وقال ﷺ: «**اضمنوا لى ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتُمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**»(٥).

ثلاثة حق على الله عونهم

وعن أبى هريرة رضي الله عنه **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح الذى يريد العفاف، والمكاتب الذى يريد الأداء** - أى: العبد الذى يريد أن يحرر رقبته ببذل مقدار من المال يكاتب عليه سيده - **والغازى**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٤١) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٤٧٤) كتاب الرقاق.

(٥) حسن: رواه أحمد (٢٢٢٥١) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠١٨).

في سبيل الله»[١].

قال الأستاذ حسين سليم أسد: لقد ذكر رسول الله ﷺ ما يحتاج إليه المؤمن من العفة: من عفة الفرج، وتخليص الرقبة، وبراءة الذمة، وإعلاء كلمة الله، وأخبر أن هذه الواجبات لا تتم إلا بالمال.

ولذا قال سعيد بن المسيب: «لا خير فيمن لا يحب المال، يعبد به ربه، يؤدي به أمانته، ويصون به نفسه، ويستغني به عن الخلق»[٢].

أخي الحبيب: اعلم علم اليقين أن كل من أراد أن يترك طريق الفواحش وأن يسلك طريق العفاف فإن الحق «جل وعلا» يعينه ويرزقه فقد قال ﷺ: «تنزل المعونة من السماء على قدر المؤنة وينزل الصبر على قدر المصيبة»[٣].

- فما عليك إلا أن تختار زوجة صالحة تعينك على أمر دينك ودنياك، وسترى كيف تتنزل عليك المعونة كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

أنواع العفة

قال الماوردي - رحمه الله تعالى: العفة والنزاهة والصيانة من شروط المروءة. . . والعفة نوعان: أحدهما العفة عن المحارم، والثاني العفة عن المآثم، فأما العفة عن المحارم، فنوعان: أحدهما: ضبط الفرج عن الحرام، والثاني: كف اللسان عن الأعراض.

وأما العفة عن المآثم فنوعان أيضًا: أحدهما: الكف عن المجاهرة بالظلم، والثاني: زجر النفس عن الإسرار بخيانة[٤].

---

(١) حسن: رواه الترمذي (١٦٥٥) كتاب فضائل الجهاد، والنسائي (٣٢١٨) كتاب الجهاد، وابن ماجه (٢٥١٨) كتاب الأحكام، وأحمد (٩٣٤٨) باقي مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٥٠).

(٢) هامش مسند أبي يعلى (١١ / ٤١١).

(٣) صحيح: رواه ابن عساكر من طريق الحسن بن سفيان (١٥/ ٤٠٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٠١).

(٤) أدب الدنيا والدين (ص: ٣٩٠).

تمام العفة

لا يكون الإنسان تام العفة حتى يكون عفيف اليد واللسان والسمع والبصر، فمن عدمها في اللسان: السخرية والتجسس والغيبة والهمز والنميمة والتنابز بالألقاب، ومن عدمها في البصر: مد العين إلى المحارم وزينة الحياة الدنيا المولدة للشهوات الرديئة، ومن عدمها في السمع: الإصغاء إلى المسموعات القبيحة. وعماد عفة الجوارح كلها أن لا يطلقها صاحبها في شيء مما يختص بكل واحد منها إلا فيما يسوغه العقل والشرع دون الشهوة والهوى.

شروط العفة

واعلم أنه لا يكون المتعفف عفيفًا إلا بشرائط: وهي أن لا يكون تعففه عن الشيء انتظارًا لأكثر منه أو لأنه لا يوافقه، أو لجمود شهوته، أو لاستشعار خوف من عاقبته، أو لأنه ممنوع من تناوله، أو لأنه غير عارف به لقصوره، فإن ذلك كله ليس بعفة [١].

لذة العفة أعظم من لذة قضاء الوطر

* قال ابن القيم رحمه الله: إن للعفة لذة أعظم من لذة قضاء الوطر، لكنها لذة يتقدمها ألم حبس النفس، ثم تعقبها اللذة، أما قضاء الوطر فبالضد من ذلك.

ولم يزل الناس يفتخرون بالعفة قديمًا وحديثًا: قال بعضهم:

إذا ما هممنا صدَّنا وازع التُّقَى
فولَّى على أعقابه الهم خاسئًا [٢]

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص ٣١٩).

(٢) روضة المحبين (ص ٣٤٧).

الدوافع التى تدفع إلى العفة والاستعفاف

قال ابن القيم رحمه الله: وهذه الطائفة لعفتهم أسباب أقواها:

- إجلال الجبار، ثم الرغبة فى الحور الحسان فى دار القرار، فإن من صرف استمتاعه فى هذه الدار إلى ما حرم الله عليه منعه من الاستمتاع بالحور الحسان هناك. . . ، قال ﷺ: «**من يلبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة**»(١)، «**ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة...**»(٢).

فلا يجمع الله للعبد لذة شرب الخمر ولبس الحرير والتمتع بما حرم الله عليه من النساء والصبيان ولذة التمتع بذلك فى الآخرة، فليختر العبد لنفسه إحدى اللذتين، وليطب نفسًا عن إحداهما بالأخرى، فلن يجعل الله مَن أذهب طيباته فى حياته الدنيا واستمتع بها كمن صام عنها ليوم فطره من الدنيا إذا لقى الله.

ودون ذلك مرتبة أن يتركها لمجرد خوف العقوبة.

ثم أدنى من ذلك أن يحمله عليها خوف العار والشنار.

- ومنهم من يحمله على العفة الإبقاء على محبته خشية ذهابها بالوصال.
- ومنهم من يحمله عليها عفة محبوبه ونزاهته.
- ومنهم من يحمله عليها الحياء منه والاحتشام له وعظمته فى صدره.
- ومنهم من يحمله عليها الرغبة فى جميل الذكر، وحسن الأحدوثة.
- ومنهم من يحمله عليها الإبقاء على جاهه ومروءته وقدره عند محبوبه وعند الناس.
- ومنهم من يحمله عليها كرم طبعه وشرف نفسه وعلو همته.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٨٣٢) كتاب اللباس، ومسلم (٢٠٧٣) كتاب اللباس.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٧٥) كتاب الأشربة، ومسلم (٢٠٠٣) كتاب الأشربة.

- ومنهم من يحمله عليها لذة الظفر بالعفة، فإن للعفة لذة أعظم من لذة قضاء الوطر، لكنها لذة يتقدمها ألم حبس النفس، ثم تعقبها اللذة، وأما قضاء الوطر فبالضد من ذلك.

- ومنهم من يحمله عليها علمه بما تعقبه اللذة المحرمة من المضار والمفاسد، وجمع الفجور خلال الشر كلها [١].

إنهم حقًا أصحاب قلوب طاهرة

إننا فى هذا الزمان قد نجد شابًّا أو فتاة وقعا فى جريمة الزنا ومع ذلك لا يشعر واحد منهما بجريمته وجنايته.. أما أصحاب الرسول ﷺ فلو وقع أحدهم فى الزنا - وكان ذلك نادرًا ما يحدث - فإنه يشعر كأنه جالس تحت أصل جبل يوشك أن يقع على رأسه، فكان يبحث عن أى شىء يفعله ليفوز بمغفرة الله ورضوانه.

* ففى الحديث الذى رواه مسلم أن ماعز بن مالك الأسلمى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إنى قد ظلمت نفسى وزنيت وإنى أريد أن تطهرنى، فردَّه، فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول الله! إنى قد زنيت، فردَّه الثانية، فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه فقال: «**أتعلمون بعقله بأسًا تنكرون منه شيئًا؟**» فقالوا: ما نعلمه إلا وفىّ العقل - من صالحينا - فيما نرى، فأتاه الثالثة، فأرسل إليهم أيضًا فسأل عنه، فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله، فلما كان الرابعة حفر له، ثم أمر به فرُجم.

قال: فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول اللهّ إنى قد زنيت فطهرنى، وإنه ردَّها، فلما كان الغد قالت: يا رسول اللهّ! لِمَ تردنى؟ لعلك أن تردنى كما رددت ماعزًا، فوالله إنى لحُبْلى، قال: «**إما لا، فاذهبى حتى تلدى**» فلما

(١) روضة المحبين (ص: ٣٤٣ - ٣٤٤).

ولدت أتته بالصبى فى خرقة، قالت: هذا قد ولدته، قال: «**اذهبى فأرضعيه حتى تفطميه**»، فلما فطمته أتته بالصبى فى يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبى الله! قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفع الصبى إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فيُقبل خالد بن الوليد بحجر، فرمى رأسها، فتنضَّح الدم على وجه خالد، فسبَّها، فسمع نبى الله سبَّه إياها، فقال: «**مهلاً يا خالد! فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة، لو تابها صاحبُ مَكسٍ لغُفر له**»(١).

وبالمثال يتضح المقال

وها أنا أسوق لحضراتكم باقة عطرة من سيرة أهل العفاف الذين ملؤوا الكون بعبير العفاف فى زمنٍ عَزَّ فيه العفاف.

يوسف «عليه السلام»... قمة فى الإحسان والمراقبة:

كان يوسف عليه السلام فتى فتيًّا وشابًّا بارع الفتوة والجمال، وكان مملوكًا عند امرأة من أهل التبرج والسفور، وتزينت له المرأة وكانت ذات منصب وجمال، وغلَّقت الأبواب وقالت: هيت لك، فقال يوسف عليه السلام: ﴿**مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾(٢) فأبَى يوسف أن يميل مع الهوى، فإن من اتبع الهوى هوى به، ومن استعمل التقوى تقوَّى بها.

* **قال ابن القيم رحمه الله:**

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عن يوسف الصديق ﷺ من العفاف أعظم ما يكون، فإن الداعى الذى اجتمع فى حقه لم يجتمع فى حق غيره؛ فإنه ﷺ كان شابًّا والشباب مُركَّب الشهوة، وكان عزبًا ليس عنده ما

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٩٥) كتاب الحدود.

(٢) سورة يوسف: الآية: (٢٣).

يعوضه، وكان غريبًا عن أهله ووطنه، والمقيم بين أهله وأصحابه يستحى منهم أن يعلموا فيسقط من عيونهم، فإذا تغرَّب زال هذا المانع، وكان فى صورة المملوك، والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر، وكانت المرأة ذات منصب وجمال، والداعى مع ذلك أقوى من داعى من ليس كذلك، وكانت هى المطالبة فيزول بذلك كلفة تعرض الرجل، وطلبه، وخوفه من عدم الإجابة، وزادت مع الطلب الرغبة التامة والمراودة التى يزول معها ظنُّ الامتحان والاختبار، لتعلم عفافه من فجوره، وكانت فى محل سلطانها وبيتها، بحيث تعرف وقت الإمكان ومكانه الذى لا تناله العيون، وزادت مع ذلك تغليق الأبواب، لتأمن هجوم الداخل على بغتة وأتته بالرغبة والرهبة، ومع هذا كله فعفّ لله ولم يُطعها، وقدَّم حق الله وحق سيدها على ذلك كله، وهذا أمر لو ابتُلى به سواه لم يعلم كيف كانت تكون حاله. فإن قيل: فقد همَّ بها. قيل عنه جوابان: أحدهما: أنه لم يهم بها بل لولا أن رأى برهان ربه لهَمَّ، هذا قول بعضهم فى تقدير الآية.

والثانى وهو الصواب: أن همه كان هم خطرات فتركه لله، فأثابه الله عليه، وهمها كان همَّ إصرار بذلت معه جهدها فلم تصل إليه، فلم يستوِ الهمَّان [1].

ولم يقتصر الأمر على موقف عابر، ولحظات انتصر فيها يوسف عليه السلام على نفسه، ورفع راية الإيمان.... بل استمر التحريش والتحضيض، والترغيب، والترهيب بيوسف عليه السلام ليس من المرأة وحدها، بل منها ومن نساء المدينة، فلما بلغ نساء المدينة أن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حُبًّا، أرادت المرأة أن تُرى النساء جمال يوسف عليه السلام حتى يلتمسن لها العذر فى شدة محبتها وبذلها نفسها له

(١) روضة المحبين (ص ٣١٨ - ٣١٩).

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[١]، فلما رأت امرأة العزيز مدى انبهار النساء بيوسف عليه السلام صرَّحت لهن، واعترفت بين أيديهن ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾[٢].

فاستمر الكيد والمكر بيوسف عليه السلام من المرأة ومن نساء المدينة، وهو يعتصم بالإيمان، ويلجأ إلى الرحمن ويقول: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٣]، وفي ذلك أدبٌ رفيع للمؤمن عند كثرة الفتن، لا يحسن الظن بنفسه، ولكنه يسيء الظن بنفسه، ويعترف بضعفه، ويلجأ إلى ربه عز وجل أن يصرف عنه الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه ييأس من حوله وقوته ويلجأ إلى الله عز وجل، يلوذ إليه ويعوذ به، فالمؤمن لا ينكس راية الإيمان بحجة أن الفتن جارفة، والشهوات عارمة، بل عليه أن يرفع راية الإيمان، ويستعين بالرحمن.

اختار يوسف عليه السلام السجن لبدنه على سجن الهوى والشهوة لقلبه.

قال ابن القيم رحمه الله: فتأمل كيف جزاه الله سبحانه وتعالى على ضيق السجن أن مكَّنه في الأرض ينزل منها حيث يشاء، وأذل له العزيز وامرأته، وأقرت المرأة والنسوة ببراءته، وهذه سُنته تعالى في عباده قديمًا وحديثًا إلى يوم القيامة.

ولما عقر سليمان بن داود عليهما السلام الخيل التي شغلته عن صلاة

(١) سورة يوسف: الآية: (٣١).

(٢) سورة يوسف: الآية: (٣٢).

(٣) سورة يوسف: الآية: (٣٣).

العصر حتى غابت الشمس سخَّر الله له الريح يسير على متنها حيث أراد.

ولما ترك المهاجرون ديارهم لله وأوطانهم التى هى أحب شىء إليهم، أعاضهم الله أن فتح عليهم الدنيا وملَّكهم شرق الأرض وغربها (١).

عثمان بن طلحة.. وعفة تفوق الخيال

تروى أم سلمة ﵂ قصة هجرتها فتقول: ففرقوا بينى وبين زوجى، إذ واصل هو سيره إلى المدينة، . . . وبينى وبين ولدى، إذ أخذه رهط زوجى، فكنت أخرج كل غداة إلى الأبطح فأجلس أبكى، حتى مر بى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة فرأى ما بى فرحمنى. فقال لبنى المغيرة: ألا تُخرجون هذه المسكينةّ! فرَّقتم بينها وبين زوجها، وبين ولدها.

قالت: فقالوا لى: الحقى بزوجك إن شئت. قالت: وردَّ بنو عبد الأسد إلىَّ عند ذلك ابنى. فارتحلت بعيرى، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة، وما معى أحد من خلق الله.

فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم علىّ زوجى، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن أبى طلحة أخا بنى عبد الدار. فقال لى: إلى أين يا بنت أبى أمية؟ قلت: أريد زوجى بالمدينة، ، قال: أوَ ما معك أحد؟ قلت: لا والله إلا الله وبُنىّ هذا. قال: والله ما لك من مَترك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معى يهوى بى، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى، ثم استأخر عنى حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى فحطَّ، ثم قيده فى الشجرة، ثم تنحَّى عنى إلى شجرة أخرى فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحَّله، ثم استأخر عنى، وقال: اركبى، فإذا ركبت واستويت على بعيرى أتى وأخذ بخطامه فقاده، حتى ينزل بى، فلم

---

(١) روضة المحبين (ص ٤٤٥).

يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك فى هذه القرية - وكان أبو سلمة نازلاً بها - فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعًا إلى مكة، وهو يومئذ على الشرك، وما أسلم إلا فى هدنة الحديبية، والله ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة، وما رأيت صاحبًا قط أكرم من عثمان بن طلحة.

* قال الجزائرى حفظه الله: حقًّا ما قالته: ما أعلم أهل بيت أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة، هذه واحدة، . . . وأخرى فى كمال عثمان بن طلحة الذى يضرب الرقم القياسى فى الكرم النفسى، إنه يجد امرأة على بعيرها تريد السفر مسافة عشرة أيام فى صحراء لا خضراء به ولا ماء، فيقول وقد سألها عن حالها: والله ما لك من مترك، ويقود بعيرها، ويحسن إليها فى ركبها ونزولها، ويريها من العفة والكرم ما لم تره امرأة مثلها قط.

آه!! أين هؤلاء الرجال الأعفاء الكرماء ذوو النجدة؟! لقد أقفرت منهم الحياة، وأجدبت منهم ساحة الوجود، ولا خير فى دنيا يُفقَد فيها أمثال هؤلاء [1].

إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم

عن إبراهيم النخعى قال: كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد. فنزل فى جوار قوم من النخع، فنظر إلى جارية منهم جميلة فهويها وهام بها عقله، ونزل بالجارية ما نزل بالفتى. . فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مُسمَّاة لابن عمٍّ لها، فلم اشتد عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى أرسلت إليه الجارية: «قد بلغنى شدة محبتك لى، وقد اشتد بلائى بك. فإن شئت زُرتك، وإن شئت سهَّلتُ لك أن تأتينى إلى بيتى. فقال للرسول: ولا واحدة من هاتين الخلتين ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ

(١) هذا الحبيب يا محب (ص ١٥١ - ١٥٢).

يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١]؛ أخاف نارًا لا يخبو سعيرها، ولا يخمد لهيبها.

فلما أبلغها الرسول قالت: وأراه مع هذا يخاف الله!! والله ما أحد أحق بهذا من أحد، وأن العباد فيه لمشتركون... ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها، وجعلت تتعبد.

أيها الأخ الحبيب: إذا حدثتك نفسك بأى معصية فياليتك ترفع شعار ﴿قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إنه شعار لا يرفعه إلا من وصل إلى مرتبة الإحسان وهى: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

عطاء بن يسار.. والمرأة البدوية

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجَّين من المدينة، ومعهما أصحاب لهما، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلاً، فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم، وبقى عطاء بن يسار قائمًا فى المنزل يصلى.

قال: فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة، فلما رآها عطاء ظن أن لها حاجة، فأوجز فى صلاته ثم قال: ألك حاجة؟ قالت: نعم. قال: ما هى؟ قالت: قُم فأصِب منى فإنى قد ودقت ولا بعل لى[٢]. فقال: إليك عنى لا تحرقينى ونفسك بالنار.

ونظر فإذا هى امرأة جميلة، فجعلت تراوده عن نفسها، ويأبى أن يجيبها إلى ما تريد، قال: فجعل عطاء يبكى ويقول: ويحك! إليك عنى.

واشتد بكاؤه، فلما نظرت المرأة إليه وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه. قال: فجعل يبكى، والمرأة بين يديه تبكى، فبينما هو كذلك إذ

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٥).

(٢) ودقت: أى اشتدت عليها الشهوة، وليس لها زوج يعفها.

جاء سليمان من حاجته، فلما نظر إلى عطاء يبكى والمرأة بين يديه تبكى فى ناحية الدرس بكى لبكائهما، لا يدرى ما أبكاهما، وجعل أصحابهما يأتون رجلاً رجلاً كلما أتى رجل فرآهم يبكون جلس يبكى لبكائهم، لا يسألهم عن أمرهم، حتى كثر البكاء، وعلا الصوت فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت.

قال: فقام القوم فدخلوا. فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالاً له وهيبة. قال: وكان أسنّ منه.

قال: ثم إنهما قدما مصر لبعض حاجتهما، فلبثا بها ما شاء الله، فبينا عطاء ذات ليلة نائم إذ استيقظ وهو يبكى. فقال سليمان: ما يبكيك يا أخى؟ قال: فاشتد بكاؤه. قال: ما يبكيك يا أخى؟ قال: فاشتد بكاؤه. قال: ما يبكيك يا أخى؟ قال: رؤيا رأيتها الليلة. قال: وما هى؟ قال: لا تخبر بها أحدًا ما دُمت حيًّا: رأيت يوسف النبى ﷺ فى النوم، فجئت أنظر إليه فيمن ينظر إليه، فلما رأيت حُسنه بكيت، فنظر فى الناس فقال: ما يبكيك أيها الرجل؟ فقلت: بأبى أنت وأمى يا نبى الله ذكرتك وامرأة العزيز، وما ابتُليت به من أمرها وما لقيت من السجن وفُرقة يعقوب فبكيت من ذلك، وجعلت أتعجب منه، قال: فهلا تعجبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء؟ فعرفت الذى أراد فبكيت، واستيقظت باكيًا.

قال سليمان: أى أخى، ما كان من حال تلك المرأة؟ فقصَّ عليه عطاء القصة، فما أخبر بها سليمان أحدًا حتى مات عطاء، فحدث بها بعده امرأة من أهله. قال: وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان بن يسار رحمهما الله (١).

* * *

(١) صفة الصفوة (٢/ ٨٣ - ٨٤).

عبيد بن عمير.. قمة فى المراقبة

ذكر أبو الفرج ابن الجوزى أن امـرأة جميلة كانت بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها فى المرآة فقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى هذا الوجه ولا يُفتن به؟ قال: نعم. قالت: من؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فائذن لى فيه فلأفتننه، قال: قد أذنت لك. فأتته كالمستفتية، فخلا معها فى ناحية فى المسجد الحرام، فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أمة الله استترى، فقالت: إنى قد فُتنت بك. قال: إنى سائلك عن شىء، فإن أنت صدقتينى نظرت فى أمرك. قالت: لا تسألنى عن شىء إلا صدقتك. قال: أخبرينى لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضى لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو دخلت قبرك، وأُجلست للمسألة أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت.

قال: فلو أن الناس أُعطوا كتبهم، ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت.

قال: فلو أردت المر على الصراط، ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين، أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت.

قال: فلو جىء بالميزان، وجىء بك، فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت.

قال: اتقى الله، فقد أنعم عليك وأحسن إليك.

قال: فرجعت إلى زوجها. فقال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطال ونحن بطالون. فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: ما لى ولعبيد بن عمير أفسد على امرأتى، كانت فى كل ليلة عروسًا فصيرها راهبة[١].

---

(١) روضة المحبين (ص ٣٤٠).

ثمرات العفة والاستعفاف

أما عن ثمرات العفة فهى كثيرة، وسنذكر بعضها فى تلك النقاط:

١- النجاة من عقوبات المعاصى فى الدنيا والبرزخ، فللمعاصى عقوبات دنيوية كالوحشة فى القلب، وحرمان نور العلم، وحرمان الرزق، وذهاب الغيرة والحياء، والذل، وضيق الصدر، وظلمة القبر، وحرمان الطاعة، ونسيان العبد لنفسه، والتعرض للعنة الله عز وجل ولعنة رسول الله ﷺ، وزوال الأمن والأمان، وظهور الأوجاع والطواعين، ومحق البركة، والعقوبات الشرعية، وغير ذلك، وقد مضى كيف يُعذَّب الزناة والزوانى فى التنور وتأتيهم النار من أسفل منهم فى القبور، أما عقوبة الآخرة فقد قال الله عز وجل: ﴿**وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا**﴾ (١).

٢- الفوز بثمرات التقوى العاجلة والآجلة، فلا شك فى أن العفة من تقوى الله عز وجل، وقد وعد الله عز وجل المتقين بثمرات طيبة.

- فمن الثمرات العاجلة: المخرج من كل ضيق، والرزق من حيث لا يحتسب، والسهولة واليسر فى كل أمر، وتيسير تعلُّم العلم النافع، وإطلاق نور البصيرة، ومحبة الله عز وجل، ومحبة ملائكته، والقبول فى الأرض، ونصرة الله عز وجل وتأييده وتسديده، والبركات من السماء والأرض، والبشرى وهى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له، والحفظ من كيد الأعداء ومكرهم، وحفظ الذرية الضعاف بعناية الله عز وجل، وقبول الأعمال، والنجاة من عذاب الدنيا، وما يجعله الله عز وجل لهم من الهيبة والشرف والمعرفة.

---

(١) سورة الفرقان: الآيات: (٦٨ - ٧١).

- أما الثمرات الآجلة، فمن ذلك: تكفير السيئات، وعز الفوقية فوق الخلق يوم القيامة، وميراث الجنة، والفوز بأعلى الدرجات، والسعادة بالصحبة والمحبة مع أحبائهم فى الله وهم يُساقون إلى الجنة زُمرًا.

٣- ومن ثمرات العفة طهارة الفرد، ونقاء المجتمع، فالعفيف يحيى حياة اجتماعية مستقرة، يتمتع بالسمعة الطيبة والذكر الحسن، والزواج السعيد، ويهنأ بنفسية مستقرة مطمئنة بأنس الطاعة، وبهجة القرب من الله، ولذة العبادة، وحلاوة الإيمان، يَسعد ويُسعد مجتمعه بأخلاقه الفاضلة، بحيائه وعفافه، وحشمته وتقواه، وستره، وصبره، فقل لى بربك: ألا يسعد المجتمع بأمثال هؤلاء!

أم أن سعادة المجتمع فى ذلك الذى استمرأ العيش فى الظلام، وأكل اللحم الحرام، لا يرعى المحرمات، ولا همَّ له إلا إشباع الشهوات.

٤- ومن ثمرات العفة النجاة من الإصابة بالأمراض الخبيثة، التى تلاحق أصحاب الشهوات والنزوات، كالإيدز، والزهرى، والسيلان، . . . نعوذ بالله من الخذلان.

٥- ومن ثمرات العفة التدرب على مخالفة الهوى، . . . والله عز وجل لم يجعل للجنة طريقًا إلا فى مخالفة الهوى فقال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ**﴾(١).

٦- ومن ثمرات العفة التدرب على قوة الإرادة والعزيمة على فعل الطاعات وترك المعاصى، فمن استطاع مخالفة هوى نفسه، تقوى إرادته فى سائر الطاعات، وكذا يقوى على قهر نفسه وكفِّها عن سائر المعاصى.

٧- ومن ثمرات العفة أن يطمئن المؤمن على إيمانه وإخلاصه لله عز وجل، . . . قال الله تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾(٢).

---

(١) سورة النازعات: الآيتان: (٤٠، ٤١).

(٢) سورة يوسف: الآية: (٢٤).

وروى عن عبد الله بن عمر قال: «صدق الإيمان أن يخلو الرجل بالمرأة الحسناء فيدعها لا يدعها إلا لله». وقوله: «يخلو» لا يقصد به أنه يتعمد الخلوة بها، ولكن المقصود إذا خلا بها فى ظرف من الظروف. والله أعلم.

٨- ومن ثمرات العفة أنها برهان على الصبر، بل هى من الصبر، فالصبر ثلاثة أنواع: صبر على الطاعات حتى يؤديها، وصبر على المعاصى حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار حتى لا يتسخطها.

٩- ومن ثمرات العفة أن يصون العبد عِرضه، فمن حافظ على أعراض الناس حفظ الله عرضه، ومن عبث بأعراض الناس عبث الناس بعرضه.

١٠- ومن ثمرات العفة الوصول إلى الزواج المثالى: فإن الشاب الذى أرخى العنان لشهواته، وتعود على تدنيس الأعراض، وإشباع رغباته بألوان متعددة من المفاسد لن يطيق صبراً عنها وإن تزوج، إلا أن يتوب، ويبدأ بزواجه صفحة جديدة من حياته، وكذلك الفتاة التى خرجت من حصنها العفيف وخالطت الرجال وعاشرتهم من الصعب بعد ذلك أن تخضع لزوج تهب له كل حياتها، إلا بعد توبة نصوح، أما أهل العفاف من الرجال والنساء فإن المودة والرحمة والسكن تتبادل بين الزوجين، ويرى كل منهما فى الآخر الحب المخلص، والمنحة الأبدية، وعنوان الرخاء، فيتعلق كل منهما بالآخر حتى النهاية.

١١- ومن ثمرات العفة أن يجعل الله للعبد الذى خالف هواه وأطاع مولاه من الضيق مخرجًا، كما فى قصة الثلاثة الذين انسدَّت عليهم فوهة الغار، فتوسل أحدهم بعفته فانفرجت الصخرة.

١٢- ومن ثمرات العفة أن يستظل العبد العفيف بظل عرش الرحمن يوم القيامة كما فى قوله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله....**»(١) الحديث.

---

(١) متفق عليه: وقد تقدم.

فمن استظل بتقوى الله ومخافته فى الدنيا، استظل بظل عرشه يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة. نسأل الله السلامة(١).

الطريق إلى العفاف

ويبقى السؤال الذى نحتاج أن نجيب عليه: ما الطريق إلى العفاف؟

والجواب: أننا نحتاج أن نوجه تلك النصائح الغالية لكل أفراد المجتمع.

فنقول أولاً للآباء: ليعلم كل واحد منكم أنه راعٍ وأنه مسئول عن رعيته فليحرص كل أبٍ أن يحافظ على زوجته وبناته، وأن يأخذ بأيديهن إلى طاعة الله وإلى الحجاب والحياء، لينتشر الخير فى المجتمع كله، وذلك من باب قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾(٢).

* فيا أيها الوالد الكريم احذر من أن تترك ابنتك تخرج بغير حجاب، أو أن تسمح لها بالاختلاط بالرجال، فإن ذلك يذهب بحيائها، واحرص على أن تكون رقيبًا على تصرفات أولادك وبناتك وأن تسددهم وتدلهم على الطريق الذى يقربهم من الله «جل وعلا».

واحرص على أن تنتقى لابنتك زوجًا صالحًا ولا تنشغل بغناه أو بفقره، فالمال لن يجلب لها السعادة، والفقر لن يجلب لها الشقاء إن كانت مؤمنة، واحرص على تيسير زواجها ولا تعضلها وتمنعها من الزواج؛ لأن هذا فيه شيوع للفواحش، وإذا استطعت أن تُعين ابنك على الزواج فجزاك الله خيراً، فأنت بذلك تُعينه على إنشاء بيتٍ مسلم يعيش على طاعة الله «جل وعلا».

* ويا أيتها الأم الفاضلة احرصى على أن تكونى قدوة صالحة لأولادك.

---

(١) العفة ومنهج الاستعفاف (٩٨: ١٠٠) بتصرف. نقلاً من وقفات تربوية للدكتور/ أحمد فريد.

(٢) سورة التحريم: الآية: (٦).

وبناتك وذكِّريهم دائمًا بالله (جل وعلا)، واجعلى قلوبهم موصولة بالله.
وعلمى بناتك الحياء والبعد عن مخالطة الرجال وعلمى بناتك كل شئون المنزل من طهى وغيره، لتكون زوجة مثالية فى بيتها، وعلميها حُسن التبعل لزوجها، وعلميها أن طاعتها لزوجها واجبة.

* **وأنت أيتها الأخت الفاضلة:** اعلمى أن الله «عز وجل» سيرزقك بالزوج الصالح الذى يعينك على طاعته إذا عشت على طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ، فاحرصى على الحجاب لتكونى عونًا لإخوانك على العفاف ولا تكونى سببًا لفتنة أى شاب مسلمٍ، واحرصى على غض البصر والبعد عن مخالطة الرجال فهذا أحفظ لدينك وحيائك.

* **وأنت أيها الأخ الحبيب:** اعلم أن الزواج رزق وأن الرزق يأتيك بكل يُسرٍ وسهولةَ إذا عشت على تقوى الله وطاعته.

جاهد نفسك قدر استطاعتك واحرص على غض البصر، وأَغلق على نفسك أبواب الفتن، فإن استطعت الزواج فأسرع الخُطا وإن لم تستطع فعليك بكثرة الصيام، واحرص على طلب العلم والدعوة إلى الله.

- فإذا رزقك الله بزوجة صالحة فكن عونًا لها على طاعة الله «جل وعلا».

* وأخيرًا: فإنى أسأل الله «جل وعلا» أن يبارك فى إخوانى وأخواتى وأن يرزقهم جميعًا العفاف وأن يملأ بيوتهم بركة وإيمانًا.

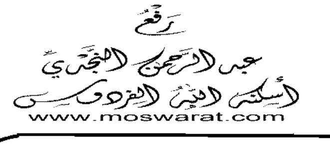
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)





الشباب..
واللقمة الحلال



ويرزقه من حيث لا يحتسب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

أما بعد:

فإن قضية الرزق فى تلك الأيام أصبحت ظلمات بعضها فوق بعض، فلقد تعذَّر الحلال واستشرى الحرام، مما جعل الكثير من بنى جلدتنا يصيبه اليأس الشديد من أن يتحصل على لقمة عيش من رزقٍ حلال.. ومن أجل ذلك رأيت أن نتناول موضوع الرزق بنظرة إسلامية، ثم نُسقط ذلك على أرض الواقع من أجل أن يدبَّ اليقين فى القلب بأن الله هو الرازق، وأن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته.. فقد قال ﷺ: «**إن روح القُدُس نفث فى روعى أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فاتقوا الله**

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

وأجملوا فى الطلب، ولا يحملنَّ أحدَكم استبطاءُ الرزق أن يطلبه بمعصية الله؛ فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته»(١).

ما هو الرزق؟!!!

إننا حينما نتحدث عن قضية الرزق؛ فإن الفكر ينصرف بلا تردد إلى الرزق المتمثل فى الدرهم والدينار، مع أن قيمته فى مؤخرة الأرزاق التى يسوقها الله إلى عباده.

فنعمة الإسلام هى أعظم نعمة ساقها الله إليك أيها الأخ الحبيب وأيتها الأخت الفاضلة.. وكذلك إذا جعلك الله من أتباع الحبيب ﷺ فهذا رزق عظيم.. وحفظ القرآن وحُسن الخلق والرحمة ونقاء النفس وسلامة الصدر والصحة والستر وراحة البال والأمانة وحُب الخير للناس والشجاعة والدعوة إلى الله على بصيرة، وكذلك فالقناعة رزق عظيم لمن تدبر.

كل هذه الأرزاق غفل عنها الكثير من المسلمين وشغلوا أنفسهم باللهث وراء الدرهم والدينار.. بل إن الصبر نعمة عظيمة، فقد قال الحبيب ﷺ: **«من يتصبر يُصبّره الله، وما أُعطى أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر»**(٢).

نعم والله، فالصبر نعمة لا يعلم قدرها إلا من لامس الإيمان شغاف قلبه... أما المال فإنه قد يجعل الإنسان ينشغل عن طاعة ربه.

ولذا قال ﷺ: «ما قلّ وكفى خيرٌ مما كَثُر وألهى»(٣).

ومن أجل ذلك كان من دعاء النبى ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمدٍ

---

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية (١٠/ ٢٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠٨٥).
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٥٣) كتاب الزكاة.
(٣) صحيح: رواه أحمد (٢١٢١٤) مسند الأنصار ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٥٣).

قوتًا»[١]، أي: ما يكفى لقوت اليوم ولا يزيد عليه.

ولما كان الإنسان فى سن الشيخوخة أشد احتياجًا إلى تيسير الرزق، وذلك لأن قدرته على السعى لا توازى قدرته فى فترة الشباب، فكان من دعاء النبى ﷺ: «**اللهم اجعل أوسع رزقك علىَّ عند كبر سنّى وانقطاع عمرى**»[٢].

بل إن النبى ﷺ يخبر عن حال أنعم أهل الدنيا يوم القيامة فيقول: «يُؤتَى بأنعم أهل الدُّنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغُ فى جهنم صبغةً، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يارب، ويُؤتَى بأشد الناس بؤسًا فى الدُّنيا من أهل الجنة، فيُصبغُ فى الجنة صبغةً، فيُقالُ له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا والله يارب! ما مرَّ بى بؤسٌ قط، ولا رأيت شدَّة قط»[٣].

ومن أجل ذلك كان لزامًا علينا أن نعلم أن نعمة الإسلام هى أعظم نعمة وكفى بها والله.. فاللهم أمتنا على التوحيد والإيمان.

وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها

والله لو أيقنت القلوب بتلك الآية لما وجدنا رجلاً يخاصم أخاه على مالٍ أو جاهٍ أو أى شىء من حطام الدنيا؛ فلقد تكفّل الله بأن يرزق الناس والدواب والهوام، فكيف بالمؤمن الذى رفع راية التوحيد فى قلبه ورسخت العقيدة بين جوانحه، فظهرت على جوارحه؟!

قيل **لحاتم الأصم**: من أين تأكل؟ فقال: من عند الله، فقيل له: الله

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٠) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٥٥) كتاب الزكاة.

(٢) حسن: رواه الحاكم (١/ ٧٢٦، رقم ١٩٨٧)، والطبرانى فى الأوسط (٤/ ٦٢، رقم ٣٦١١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٥٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

يُنزل لك دنانير ودراهم من السماء؟ فقال: كأن ما له إلا السماء! يا هذا الأرض له والسماء له، فإن لم يؤتنى رزقى من السماء ساقه لى من الأرض، وأنشد يقول:

وكيف أخافُ الفقر واللهُ رازقى
ورازق هذا الخلق فى العُسر واليُسرِ
تكفَّل بالأرزاق للخلق كُلِّهم
وللضَّبِّ فى البيداء والحُوت فى البحرِ

وذكر الترمذى الحكيم فى «نوادر الأصول» بإسناده عن زيد بن أسلم: أن الأشعريين أبا موسى وأبا مالك وأبا عامر فى نفرٍ منهم، لما هاجروا وقَدِموا على رسول الله ﷺ فى ذلك وقد أرملوا من الزاد (أى: نفد زادهم)، فأرسلوا رجلاً منهم إلى رسول الله ﷺ يسأله، فلما انتهى إلى باب رسول الله ﷺ سمعه يقرأ هذه الآية ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾[1] فقال الرجل: ما الأشعريون بأهون الدواب على الله، فرجع ولم يدخل على رسول الله ﷺ، فقال لأصحابه: أبشروا أتاكم الغوث... ولا يظنون إلا أنه قد كلّم رسول الله ﷺ فوعده، فبينما هم كذلك؛ إذ أتاهم رجلان يحملان قصعة بينهما مملوؤة خبزًا ولحمًا، فأكلوا منها ما شاءوا، ثم قال بعضهم لبعض: لو أنا رددنا هذا الطعام إلى رسول الله ﷺ ليقضى به حاجته، فقالوا للرجلين: اذهبا بهذا الطعام إلى رسول الله ﷺ فإنا قد قضينا منه حاجتنا، ثم إنهم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ما رأينا طعامًا أكثر ولا أطيب من طعام أرسلت به، قال: «**ما أرسلت إليكم طعامًا**» فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبهم، فسأله رسول الله ﷺ فأخبره ما صنع، وما قال

---

(١) سورة هود: الآية: (٦).

لهم، فقال رسول الله ﷺ: «**ذلك شيء رزقكموه الله**»[١].

* ورُوى أن رجلاً جلس تحت أشجار من النخيل ثم استلقى على ظهره، فإذا به يرى عصفوراً بفمه ثمرة من نخلة مثمرة إلى أخرى غير مثمرة، ثم رأى هذا العمل يتكرر، فعجب لذلك وقال فى نفسه: لأصعدن هذه النخلة لأتبين الأمر، فصعد فإذا به يرى داخل سعف النخلة حية عمياء فاتحة فمها والعصفور يلقى بالثمر فى فمها، فعجب من ذلك وقال: صدق الله حيث يقول: ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾[٢].

* ويُحكى أن ابن أبشاذ النحوى كان يومًا على سطح جامع مصر، وهو يأكل شيئًا وعنده ناس فحضرهم قط فقدَّموا له لقمة فأخذها فى فمه وغاب عنهم، ثم عاد إليهم، فرموا له شيئًا آخر، ففعل كذلك وتردد مِراراً وهم يرمون له وهو يأخذه ويغيب، ثم يعود من فوره حتى عجبوا من ذلك القط، وعلموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته فلما شكّوا فى أمره تبعوه، فوجدوه يصعد إلى حائط فى سطح الجامع، ثم ينزل إلى موضع خراب وفيه قط آخر أعمى، وكل ما يأخذ من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه وهو يأكله. فعجبوا من تلك الحال فقال ابن أبشاذ: إذا كان هذا حيوان أخرس قد سخر الله له هذا القط وهو يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق فكيف يضيع مثلى؟!

❊ ❊ ❊

(١) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبى (٩/ ١٠-١١) بتصرف.

(٢) سورة هود: الآية: (٦).

إن أعظم رزقٍ بعد الإسلام.. أن تتوق نفسك للجنة فتعمل بعمل أهلها

إن السعادة هدف لكل إنسان يعيش على أرض الله، سواءً كان مسلمًا أو كافرًا. . وتلك السعادة تتفاوت بتفاوت العقول والأشخاص، ولكن السعادة الحقيقية التى لا يختلف عليها اثنان لن تكون إلا فى جنة الرحمن.

سُئل الإمام أحمد: متى الراحة؟ فقال: لا راحة إلا فى الجنة. . . ولذلك فإن النفس إذا تاقت للجنة فهى تعمل وتجتهد لتكون من أهلها، وهذا هو أعظم رزق بعد نعمة الإسلام والإيمان.

* وأُهدى لحضراتكم تلك القصة لعمر بن عبد العزيز ونفسه التواقة.

قال رجاء بن حيوة - (الوزير المخلص لعمر بن عبد العزيز) -: كنت مع عمر بن عبد العزيز لما كان واليًا على المدينة. فأرسلنى لأشترى له ثوبًا. فاشتريته له بخمسمائة درهم. فلما نظر فيه قال: هو جيد لولا أنه رخيص الثمن!

فلمَّا صار خليفة للمسلمين، بعثنى لأشترى له ثوبًا فاشتريته له بخمسة دراهم!! فلما نظر فيه قال: هو جيد لولا أنه غالى الثمن!

قال رجاء: فلما سمعت كلامه بكيت.

فقال لى عمر: ما يُبكيك يا رجاء؟ قلت: تذكرت ثوبك قبل سنوات وما قلت عنه. فكشف عمر لرجاء بن حيوة سرَّ هذا الموقف. وقال: يا رجاء إن لى نفسًا تواقة، وما حققت شيئًا إلا تاقت لما هو أعلى منه. تاقت نفسى إلى الزواج من ابنة عمى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها. ثم تاقت نفسى إلى الإمارة فوليتها، وتاقت نفسى إلى الخلافة فنلتها. والآن يا رجاء تاقت نفسى إلى الجنة. . . فأرجو أن أكون من أهلها.

وبلغ عمر بن عبد العزيز أن أحد أبنائه اتخذ خاتمًا، واتخذ له فصًّا بألف درهم فكتب إليه: بلغنى أنك اشتريت فصًّا لخاتمك بألف درهم، فبعه، وأَشْبِع بثمنه ألف جائع، واتخذ خاتمًا من حديد، واكتب عليه: رحم الله امرأً عرف قدر نفسه.

كثرة الأموال ليست دليل الكرامة على الله

إن كثرة الأموال ليست دليل الكرامة على الله، وكذلك فإن الفقر ليس دليل الهوان على الله، وإلا لما ابتُلى سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ بالفقر. فى الوقت الذى ساق الله فيه الأرزاق إلى أبناء القردة والخنازير.

فاليهود هم أكثر الناس أموالاً.. ولقد قال الكفار من قبل: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾، فردّ الله عليهم ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥)

---

(١) سورة سبأ: الآيات: (٣٥: ٣٩).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان: (٥٥: ٥٦).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٥٥).

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾(١).

فالابتلاء بالنعمة أشد من الابتلاء بالنقمة. فقد يرزق الله العبد لكي يستدرجه بالنعم، كما قال تعالى عن هؤلاء الكفار: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢).

ولذا قال ﷺ: «**إذا رأيت الله تعالى يعطى العبد من الدنيا ما يحب، وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج**»(٣).

النعم ثلاثة

وتحت هذا العنوان يقول الإمام ابن القيم:

النِّعم ثلاثة: نعمةٌ حاصلة يعلم بها العبد، ونعمة منتظرة يرجوها، ونعمة هو فيها لا يشعر بها. فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده، عرَّفه نعمته الحاضرة، وأعطاه من شكره قيدًا يقيدها به حتى لا تشرد؛ فإنها تشرد بالمعصية وتقيَّد بالشكر. ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصَّره بالطرق التى تسدّها وتقطع طريقها ووفقه لاجتنابها. وإذا بها قد وافت إليه على أتمِّ الوجوه، وعرَّفه النعم التى هو فيها ولا يشعر بها.

ويُحكى أن أعرابيًّا دخل على الرشيد، فقال: يا أمير المؤمنين، ثبت اللهُ عليك النعم التى أنت فيها بإدامة شكرها، وحقَّق لك النعم التى ترجوها بحسن الظنِّ به ودوام طاعته، وعرَّفك النعم التى أنت فيها ولا تعرفها

(١) سورة الفجر: الآيات: (١٥ : ٢٠).

(٢) سورة الأنعام: الآيتان: (٤٤ : ٤٥).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٦٨٦٠) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦١).

لتشكرها. فأعجبه ذلك منه، وقال: ما أحسن تقسيمه[١].

تحرى الحلال أمانة واجبة

إن الواجب على كل مسلم أن يسلك سبل الحلال وينأى بنفسه عن مواطن الشبهة، فلا يأكل إلا الحلال، ولا يُدخل بيته إلا الحلال...

قال ﷺ: «**يأتى على الناس زمان ما يُبالى الرجل من أين أصاب المال؟ من حلال أم حرام**»[٢].

وقال ﷺ: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس** - وذكر منهم - **وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه**»[٣].

وتأمل معى كيف كان ورع أصحاب النبى ﷺ وعلى رأسهم (الصدّيق) رضي الله عنه... فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لأبى بكر الصديق رضي الله عنه غلام يُخرج له الخَراج، وكان أبو بكر يأكل من خَراجه، فجاء يومًا بشىء، فأكل منه أبو بكر... فقال له الغلام: أتدرى ما هذا؟... فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية، وما أُحسن الكهانة إلا أنى خدعته، فلقينى فأعطانى لذلك. هذا الذى أكلت منه... فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شىء فى بطنه»[٤]...

والواجب على المسلم أيضًا ألا يعتدى فى طلبه للحلال على حقوق الآخرين... قال الله عز وجل: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ**﴾[٥].

أى: لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل.

---

(١) كتاب الفوائد للإمام ابن القيم (ص:٢٤٨).

(٢) صحيح: رواه النسائى (٤٤٥٤) كتاب البيوع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠٠٣).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٤١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤٢) كتاب المناقب.

(٥) سورة البقرة: الآية: (١٨٨).

قال ابن عباس ﷺ: «يعنى باليمين الباطلة... الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل».

* **يقول الإمام ابن القيم:**

ما أخذ العبد ما حُرم عليه إلا من جهتين:

إحداهما: سوء ظنه بربِّه، وأنه لو أطاعه وآثره لم يعطه خيرًا منه حلالاً.

والثانية: أن يكون عالمًا بذلك، وأن من ترك لله شيئًا أعاضه خيرًا منه، ولكن تغلب شهوتُه صبره، وهواهُ عقله.

فالأول من ضعف علمه، والثانى من ضعف عقله وبصيرته[1].

المال الحرام يحول بينك وبين قبول العبادة ورفع الدعاء

ففى صحيح مسلم ذكر النبى ﷺ: «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذى بالحرام، فأنَّى يُستجاب لذلك**»[2]...

ورُوى: «أن من لم يبال من أين اكتسب المال، لم يبال الله من أى باب أدخله النار».

ورُوى: «أن من اشترى ثوبًا بعشرة دراهم، وفيه درهم من حرام؛ لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه».

وعن أبى هريرة ﷺ قال: «لأن يجعل أحدكم فى فيه ترابًا خير من أن يجعل فى فيه حرامًا».

وقد رُوى عن يوسف بن أسباط - رحمه الله- قال: «إن الشاب إذا تعبَّد قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعم سوء؛ قال: دعوه يتعب ويجتهد، فقد كفاكم نفسه، إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه».

---

(١) الفوائد للإمام ابن القيم (ص: ٧٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠١٥) كتاب الزكاة.

ورُوى أن ملكًا على بيت المقدس ينادى كل يوم وكل ليلة: «من أكل حرامًا لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً».

والصرف: النافلة، والعدل: الفريضة.

وقال عبد الله بن المبارك: «لأن أردَّ درهمًا من شبهة أحب إلىَّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف... حتى عدَّ ستمائة ألف».

وقال وهيب بن الورد: «لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام».

وقال ابن عباس ﷺ: «لا يقبل الله صلاة امرئ، وفى جوفه حرام حتى يتوب إلى الله - تعالى - منه».

وقال سفيان الثورى: «من أنفق الحرام فى الطاعة كان كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال».

وقال عمر ﷺ: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع فى الحرام».

ورُوى أن من حج بمال حرام فقال: لبيك، قال مَلَك: لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك.

وعن بعض الصالحين أنه رؤى بعد موته فى المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: خيرًا، غير أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها[1].

المعاصى تزيل النعم

* يقول الإمام ابن القيم:

ومن عقوبات الذنوب: أنها تزيل النعم وتحل النقم، فمازالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلَّت به نقمة إلا بذنب،... كما قال علىّ بن أبى طالب ﷺ: «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رُفع إلا بتوبة».

(١) الكبائر للإمام الذهبى - تحقيق: د. أسامة عبد العظيم (ص:١١٢، ١١٣).

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٢).

فأخبر الله تعالى أنه لا يغير نعمه التى أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذى يغيّر ما بنفسه، فيغيّر طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غـيّر غُيّـر عليه، ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾(٣) ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(٤).

فإن غَيَّر المعصية بالطاعة غيّر الله عليه العقوبة بالعافية، والذل بالعز.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾(٥).

وفى بعض الآثار الإلهية، عن الرب - تبارك وتعالى - أنه قال: «**وعزتى وجلالى لا يكون عبد من عبيدى على ما أحب، ثم ينتقل عنه إلى ما أكره، إلا انتقلت له مما يحب إلى ما يكره، ولا يكون عبد من عبيدى على ما أكره ثم ينتقل عنه إلى ما أحب، إلا انتقلت له مما يكره إلى ما يحب**».

وقد أحسن القائل حيث يقول:

إذا كنت فى نعمة فارعها
فإن الذنوب تُزيل النعم
وحُطها بطاعة رب العباد
فربُّ العباد سريعُ النِّقَم

---

(١) سورة الشورى: الآية: (٣٠).
(٢) سورة الأنفال: الآية: (٥٣).
(٣) سورة النبأ: الآية: (٢٦).
(٤) سورة فصلت: الآية: (٤٦).
(٥) سورة الرعد: الآية: (١١).

وإياك والظلم مهما استطعت
فظُلم العباد شديد الوخم
وسافر بقلبك بين الورى
لتُبصر آثار مَن قد ظلم
فتلك مساكنهم بعدهم
شهودٌ عليهم، ولا تتهم
وما كان شيء عليهم أضر
من الظلم وهو الذى قد قصم
فكم تركوا من جنانٍ ومن
قصورٍ، وأخرى عليهم أُطم
صُلُوا بالجحيم وفاتوا النعيم
وكان الذى نالهم كالحلم

قال ابن عباس ﷺ: «إن للحسنة ضياءً فى الوجه ونوراً فى القلب وسعة فى الرزق وقوة فى البدن ومحبة فى قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا فى الوجه وظلمة فى القلب ووهنًا فى البدن ونقصًا فى الرزق وبغضة فى قلوب الخلق».

* وفى موضع آخر يقول الإمام ابن القيم:

ومن عقوباتها: أنها تُزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة، فتزيل الحاصل وتمنع الواصل، فإن نعم الله ما حُفظ موجودها بمثل طاعته، ولا استُجلب مفقودها بمثل طاعته، فإن ما عنده لا يُنال إلا بطاعته، وقد جعل الله سبحانه لكل شىء سببًا وآفة: سببًا يجلبه وآفة تبطله. فجعل أسباب نعمه الجالبة لها طاعته، وآفاتها المانعة منها معصيته. فإذا أراد حفظ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها، وإذا أراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها.

ومن العجيب: علم العبد بذلك مشاهدة فى نفسه وغيره. وسماعًا لما غاب عنه من أخبار من أُزيلت نعم الله عنهم بمعاصيه، وهو مقيم على معصية الله، كأنه مُستثنى من هذه الجملة، أو مخصوص من هذا العموم. وكأن هذا أمر جارٍ على الناس لا عليه، وواصل إلى الخلق لا إليه. فأى جهل أبلغ من هذا؟ وأى ظلم للنفس فوق هذا؟ فالحكم لله العلى الكبير(١).

المعاصى تمحق بركة الرزق

إن الإنسان فى تلك الأيام فى أشدّ الحاجة للبركة فى الرزق والعمر، بل فى كل شىء؛ لأننا لا نستطيع أبدًا أن نعيش فى تلك الحياة الدنيا بغير بركة من الله جل وعلا.

ولذا قال تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** (٢).

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: اللهم إنى لا أسألك رزقًا قد قدرته لى، ولكنى أسألك البركة فى هذا الرزق.

ويحكى رسول الله ﷺ عن نبى الله أيوب عليه السلام هذا المشهد فيقول: «**بينا أيوب يغتسلُ عريانًا خرَّ عليه جرادٌ من ذهب، فجعل أيوبُ يحثى فى ثوبه، فناداه ربه تبارك وتعالى: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى وعزتك، ولكن لا غنى بى عن بركتك**»(٣).

ومن هنا فإن الإنسان إذا بارز الله بالمعاصى فإن الله ينزع البركة من

---

(١) كتاب الداء والدواء للإمام ابن القيم (ص: ٩٦، ٩٧، ١٣٧، ١٣٨ بتصرف) ط. مكتبة أبى بكر الصديق.

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٩٦).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٣٩١) كتاب أحاديث الأنبياء.

عمره وعلمه ورزقه، بل من حياته كلها.

* **يقول الإمام ابن القيم عن أثر الذنوب فى محق البركة:**

ومن عقوباتها: أنها تمحق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة.

وبالجملة أنها تمحق بركة الدين والدنيا، فلا تجد أقل بركة فى عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله، وما مُحقت البركة من الأرض إلا بمعاصى الخلق.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [2].

وقال ﷺ: «وإن العبد ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه» [3].

وقال ﷺ: «إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ولا يحملنَّ أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله؛ فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته» [4].

وليست سعة الرزق والعمل بكثرته، ولا طول العمر بكثرة الشهور والأعوام، ولكن سعة الرزق والعمر بالبركة فيه.

وقد تقدم أن عُمر العبد هو مدة حياته، ولا حياة لمن أعرض عن الله

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٩٦).

(٢) سورة الجن: الآيتان: (١٦-١٧).

(٣) ضعيف: رواه ابن ماجه (٩٠) فى مقدمة سننه، وأحمد (٢١٨٨١) باقى مسند الأنصار، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (١٤٥٢).

(٤) صحيح: رواه أبو نعيم فى الحلية (١٠/٢٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠٨٥).

واشتغل بغيره، بل حياة البهائم خير من حياته، فإن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره ومحبته وعبادته وحده، والإنابة إليه، والطمأنينة بذكره، والأنس بقربه، ومن فَقَد هذه الحياة فَقَد الخير كله، ولو تعوض عنها بما تعوض مما فى الدنيا، بل ليست الدنيا بأجمعها عوضًا عن هذه الحياة، فمن كل شىء يفوت العبد عوض، وإذا فاته الله لم يعوض عنه شىء ألبتة.

وإنما كانت معصية الله سببًا لمحق بركة الرزق والأجل؛ لأن الشيطان موكَّل بها وبأصحابها، فسلطانه عليهم وحوالته على هذا الديوان وأهله وأصحابه. وكل شىء يتصل به الشيطان ويقارنه فبركته ممحوقة، ولهذا شُرِع ذكر اسم الله تعالى عند الأكل والشرب واللبس والركوب والجماع، لما فى مقارنة اسم الله من البركة، وذكر اسمه يطرد الشيطان فتحصل البركة، ولا معارض له... وكل شىء لا يكون لله فبركته منزوعة، فإن الرب هو الذى يبارك وحده والبركة كلها منه، وكل ما نُسب إليه مبارك، فكلامه مبارك، ورسوله مبارك، وعبده المؤمن النافع لخلقه مبارك، وبيته الحرام مبارك، وكنانته من أرضه وهى الشام أرض البركة وصفها بالبركة فى ست آيات من كتابه، فلا مبارك إلا هو وحده، ولا مبارك إلا ما نُسب إليه، أعنى: إلى محبته وألوهيته ورضاه، وإلا فالكون كله منسوب إلى ربوبيته وخلقه، وكل ما باعده من نفسه من الأعيان والأقوال والأعمال فلا بركة فيه ولا خير فيه، وكل ما كان قريبًا من ذلك ففيه من البركة على حسب قربه منه[1].

* * *

(١) الداء والدواء للإمام ابن القيم (ص:١٠٨ : ١١٠) بتصرف.

وبالمثال يتضح المقال

وها أنا أسـوق لحضراتكم مثـالين نعـرف من خـلالهمـا كـيف تزول النعمة. . . . أما المثال الأول فهـو فردى والثانى جماعى. فالأول يحكى عن قصة قارون الذى يُضرب به المثل فى كثرة المال والطغيان، والثانى يحكى عن قصة قوم سبأ الذين أنعم الله عليهم بصنوف النعيم فعصوا ربهم فأذاقهم الله العذاب فى الدنيا قبل الآخرة ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾(١).

قصة قارون

يقول الحق - جل جلاله - مـخبراً عن قصة قـارون. . تلك القصة التى تجسّد الطغيان المادى الذى يتكرر فى كل زمان ومكان. . والتى تصور وتجسّد كُفـر النعمة فـى أعلى صورها ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى ﴾(٢) أى: من عشيرته وجـماعته. قال ابن عبـاس: كان ابن عم موسى ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾(٣) أى: تجبر وتكبر على قومه، واستعلى عليهم بسبب ما منحه الله من الكنوز والأموال.

قال الطبرى: أى: تجاوز حدَّه فى الكبر والتجبر عليهم ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾(٤) أى: أعطيناه من الأموال الوفـيرة، والكنوز الكثيرة مـا يثقل على الجماعـة أصحاب القوة حمل مـفاتيح خزائنه لكثرتها وثقلها، فضلاً عن حمل الخزائن والأموال. . . والآية تصويرٌ لما كان عليه قارون من كثرة المال والغنى والثراء ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ ﴾(٥) أى: لا تأشر ولا تبطر ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾(٦) أى: لا يحب البطرين الذين لا يشكرون الله على إنعامه، ويتكبرون بأموالهم على عباد الله ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٤٩).

(٢)، (٣)، (٤)، (٥)، (٦) سورة القصص: الآية: (٧٦).

اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ﴾(١)، أي: اطلب فيما أعطاك الله من الأموال رضى الله، وذلك بفعل الحسنات والصدقات والإنفاق من الطاعات ﴿ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾(٢).

قال الحسن: أي: لا تضيّع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه ﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾(٣)، أي: أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك ﴿ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ ﴾(٤)، أي: لا تطلب بهذا المال البغي والتطاول على الناس، والإفساد في الأرض بالمعاصي ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾(٥)، أي لا يحب من كان مجرمًا باغيًا مفسدًا في الأرض ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾(٦) لـمَّا وعظه قومه أجابهم بهذا على وجه الرد عليهم والتكبر عن قبول الموعظة. . . والمعنى: إنما أُعطيت هذا المال على علمٍ عندي بوجوه المكاسب، ولولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي واستحقاقي له ما أعطاني هذا المال!

قال تعالى ردًّا عليه: ﴿ أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾(٧)، أي: أو لم يعلم هذا الأحمق المغرور أنَّ الله قد أهلك من قبله من الأمم الخالية من هو أقوى منه بدنًا وأكثر مالاً؟!

قال البيضاوي: والآية تعجبٌ وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله، مع علمه بذلك لأنه قرأه في التوراة، وسمعه من حفاظ التواريخ ﴿ وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾(٨) أي: لا حاجة أن يسألهم الله عن كيفية ذنوبهم وكميتها؛ لأنه عالمٌ بكل شيء، ولا يتوقف إهلاكه إياهم على سؤالهم، بل متى حقَّ عليهم العذاب أهلكهم بغتة، ثم أشار تعالى إلى أن قارون لم يعتبر بنصيحة قومه، بل تمادى في غطرسته وغيِّه، فقال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾(٩) أي: فخرج قارون على قومه في أظهر زينةٍ وأكملها.

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥) سورة القصص: الآية: (٧٧).

(٦)، (٧)،(٨) سورة القصص: الآية: (٧٨).

(٩) سورة القصص: الآية: (٧٩).

قال المفسرون: خرج ذات يوم فى زينةٍ عظيمة بأتباعه الكثيرين، رُكبانًا مُتحلِّين بملابس الذهب والحرير، على خيولٍ موشحة بالذهب، ومعه الجوارى والغلمان فى موكبٍ حافلٍ باهر ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾(١) أى: فلما رآه ضعفاء الإيمان ممن تخدعهم الدنيا ببريقها وزخرفها وزينتها قالوا: يا ليت لنا مثل هذا الثراء والغنى الذى أُعطيه قارون ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٢) أى: ذو نصيب وافرٍ من الدنيا ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾(٣)، أى: وقال لهم العقلاء من أهل العلم والفهم والاستقامة ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾(٤) أى: ارتدعوا وانزجروا عن مثل هذا الكلام، فإن جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين خيرٌ مما ترون وتتمنَّون من حال قارون.

قال الزمخشرى: أصل (ويلك) الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع، والبعث على ترك ما لا يرتضى ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾(٥)، أى: ولا يُعطَى هذه المرتبة والمنزلة فى الآخرة إلا الصابرون على أمر الله.

قال تعالى تنبيهًا لنهايته المشئومة: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾(٦)، أى: جعلنا الأرض تغور به وبكنوزه. جزاءً على عُتُوِّه وبَطره ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾(٧)، أى: ما كان له أحد من الأنصار والأعوان يدفعون عنه عذاب الله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾(٨) أى: وما كان من المنتصرين بنفسه، بل كان من الهالكين ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾(٩) أى: وصار الذين تمنوا منزلته وغناه بالأمس القريب بعد أن شاهدوا ما نزل به من الخسف ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾(١٠).

---

(١)، (٢) سورة القصص: الآية: (٧٩).

(٣)، (٤)، (٥) سورة القصص: الآية: (٨٠).

(٦)، (٧)، (٨) سورة القصص: الآية: (٨١).

(٩)، (١٠) سورة القصص: الآية: (٨٢).

أى: يقولون ندمًا وأسفًا على ما صدر منهم من التمنى: اعجبوا أيها القوم من صنع الله، كيف أن الله يوسّع الرزق لمن يشاء من عباده - بحسب مشيئته وحكمته - لا لكرامته عليه، ويضيّق الرزق على من يشاء - لحكمته وقضائه ابتلاءً - لا لهوانه عليه!!

قال الزمخشرى: (ويكأن) كلمتان «وَىْ» مفصولة عن «كأنَّ» وهى كلمة تنبيه على الخطأ والتندُّم، ومعناه أن القوم تنبهوا على خطئهم فى تمنيهم منزلة قارون وتندموا. وقالوا: ﴿**لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا**﴾[١]، أى: لولا أنَّ الله لطف بنا، وتفضَّل علينا بالإيمان والرحمة، ولم يعطنا ما تمنيناه ﴿**لَخَسَفَ بِنَا**﴾[٢] أى: لكان مصيرنا مصير قارون، وخسف بنا الأرض كما خسفها به ﴿**وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾[٣]، أى: أعجبُ من فعل الله حيث لا ينجح ولا يفوز بالسعادة الكافرون لا فى الدنيا، ولا فى الآخرة.

وإلى هنا تنتهى «قصة قارون» وهى قصة الطغيان بالمال، بعد أن ذكر تعالى قصة الطغيان بالجاه والسلطان فى قصة فرعون وموسى، ثم يأتى التعقيب المباشر فى قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا**﴾[٤] الإشارة للتفخيم والتعظيم، أى: تلك الدار العالية الرفيعة التى سمعت خبرها، وبلغك وصفها هى دار النعيم الخالد السرمدى، التى فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نجعلها للمتقين الذين لا يريدون التكبر والطغيان ولا الظلم والعدوان فى هذه الحياة الدنيا ﴿**وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٥]، أى: العاقبة المحمودة للذين يخشون الله ويراقبونه ويبتغون رضوانه ويحذرون عقابه[٦].

❊ ❊ ❊

---

(١)، (٢)، (٣) سورة القصص: الآية: (٨٢).

(٤)، (٥) سورة القصص: الآية: (٨٣).

(٦) نقلاً من صفوة التفاسير - للشيخ محمد على الصابونى (٢/ ٤٤٥: ٤٤٧).

قصة قوم سبأ

وها هى قصة أخرى تمثل الطغيان المادى الجماعى. وكيف أن الله - عز وجل - قادر على أن يسلب النعمة من الناس إذا لم يشكروا الله عليها، وإذا لم يطيعوا ربهم ويعبدوه حق عبادته، ويعرفوا قدره وعظمته.

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ**﴾(١) اللام موطئة للقسم، أى: والله لقد كان لقوم سبأ فى موضع سُكناهم باليمن آية عظيمة دالة على الله جل وعلا وعلى قدرته على مجازاة المحسن بإحسانه، والمسىء بإساءته، فإن قوم سبأ لما كفروا نعمة الله خرَّب الله مُلكهم، وشتَّت شملهم، ومزَّقهم شرَّ ممزق، وجعلهم عبرةً لمن يعتبر، ثم بيَّن تعالى وجه تلك النعمة فقال: ﴿**جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ**﴾(٢) أى: حديقتان عظيمتان فيهما من كل أنواع الفواكه والثمار عن يمين الوادى بساتين ناضرة، وعن شماله كذلك.

قال قتادة: كانت بساتينهم ذات أشجار وثمار، تسرُّ الناس بظلالها، وكانت المرأة تمشى تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل، فيتساقط من الأشجار ما يملؤه من غير كلفةٍ ولا قطاف لكثرته ونُضجه.

قال البيضاوى: ولم يُرد بستانين اثنين فحسب، بل أراد جماعتين من البساتين، جماعة عن يمين بلدهم، وجماعة عن شماله سُميت كل جماعة منها جنة لكونها فى تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة ﴿**كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ**﴾(٣)، أى: وقلنا لهم على لسان الرسل: كلوا من فضل الله وإنعامه واشكروا ربكم على هذه النعم ﴿**بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ**﴾(٤) أى: هذه بلدتكم التى تسكنونها بلدةٌ طيبة، كريمة التربة، حسنة الهواء، كثيرة الخيرات، وربكم الذى رزقكم وأمركم بشكره ربٌّ غفورٌ لمن شكره

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤) سورة سبأ: الآية: (١٥).

﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾(١)، أى: فأعرضوا عن طاعة الله وشكره، واتباع أوامر رسله، فأرسلنا عليهم السيل المدمّر المخرب الذى لا يطاق لشدته وكثرته، فغرّق بساتينهم ودورهم.

قال الطبرى: وحين أعرضوا عن تصديق الرسل، ثقب ذلك السدُّ الذى كان يحبس عنهم السيول، ثم فاض الماء على جناتهم فغرّقها، وخرّب أرضهم وديارهم ﴿ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ ﴾(٢).

أى: وأبدلناهم بتلك البساتين الغنَّاء، بساتين قاحلة جرداء، ذات أُكلٍ مُرٍّ بشعٍ ﴿ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾(٣) وشىء من الأشجار التى لا ينتفع بثمرها كشجر الأثل والسِّدر.

قال الرازى: أرسل الله عليهم سيلاً غرّق أموالهم، وخرّب دورهم.

والخمطُ: كلُّ شجرة لها شوك وثمرتها مُرة، والأثلُ: نوع من الطرفاء ولا يكون عليه ثمرة إلا فى بعض الأوقات، يكون عليه شىء كالعفص أو أصغر منه فى طعمه وطبعه، والسدر معروف. وقال فيه ﴿ قَلِيلٍ ﴾؛ لأنه كان أحسن أشجارهم، وقد بيَّن تعالى بالآية طريقة الخراب، وذلك لأن البساتين التى فيها الناس تكون فيها الفواكه الطيبة بسبب العمارة، فإذا تُركت سنين تصبح كالغيضة والأجمة تلتفُّ الأشجار بعضها ببعض وتنبتُ المفسدات فيها، فتقل الثمار وتكثر الأشجار.

قال المفسرون: وتسمية البدل «جنتين» فيه ضربٌ من التهكم؛ لأن الأثل والسدر وما كان فيه خمط لا يسمى جنة؛ لأنها أشجار لا يكاد يُنتفع بها، وإنما جاء التعبير على سبيل المشاكلة ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ﴾(٤) أى: ذلك الجزاء الفظيع الذى عاقبناهم به إنما كان بسبب كفرهم ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾(٥)؟ أى: وما نجازى بمثل هذا الجزاء الشديد إلا الكافر المبالغ فى كفره.

---

(١)، (٢)، (٣) سورة سبأ: الآية: (١٦).

(٤)، (٥) سورة سبأ: الآية: (١٧).

قال مجاهد: أى: ولا يُعاقَب إلا الكفور؛ لأن المؤمن يُكفِّر اللهُ عنه سيئاته، والكافر يُجازَى بكل سوءٍ عمله ﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً**﴾(١) هذا من تتمة ذكر ما أنعم الله به عليهم، أى: وجعلنا بين بلاد سبأ وبين القرى الشامية التى باركنا فيها للعالمين قرى متواصلة من اليمن إلى الشام، يُرى بعضها من بعض لتقاربها، ظاهرة لأبناء السبيل ﴿**وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ**﴾(٢)، أى: جعلنا السير بين قراهم وبين قرى الشام سيرًا مقدرًا من منزل إلى منزل، ومن قرية إلى قرية ﴿**سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ**﴾(٣)، أى: وقلنا لهم سيروا بين هذه القرى متى شئتم لا تخافون فى ليل ولا فى نهار.

قال الزمخشرى: كان الغادى منهم يقيل فى قرية، والرائح يبيت فى قرية إلى أن يبلغ الشام، لا يخاف جوعًا ولا عطشًا ولا عدوًا، ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، وكانوا يسيرون آمنين لا يخافون شيئًا ﴿**فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا**﴾(٤) إخبارٌ بما قابلوا به النعم من الكفران، أى: أنهم حين بطروا النعمة، وملُّوا العافية، وسئموا الراحة طلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة ليمشوا فى المفاوز ويتزودوا للأسفار، فعجَّل الله إجابتهم بتخريب تلك القرى وجعلها مفاوز قفارًا ﴿**وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ**﴾(٥)، أى: وظلموا أنفسهم بكفرهم وجحودهم النعمة ﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ**﴾(٦)، أى: جعلناهم أخبارًا تُروى للناس بعدهم ﴿**وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ**﴾(٧)، أى: وفرقناهم فى البلاد شذر مذر ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾(٨)، أى: أن فيما ذكر من قصتهم لعبرًا وعظات لكل عبد صابرٍ على البلاء، شاكر فى النعماء... والمقصود من ذكر قصة سبأ تحذير الناس من كفران النعمة لئلا يحل بهم ما حلَّ بمن قبلهم، ولهذا أصبحت قصتهم يُضرب بها المثل فيقال: «**ذهبوا أيدى سبأ**»(٩).

---

(١)، (٢)، (٣) سورة سبأ: الآية: (١٨).

(٤)، (٥)، (٦)، (٧)، (٨) سورة سبأ: الآية: (١٩).

(٩) نقلا من صفوة التفاسير، للشيخ محمد على الصابونى (٢/ ٥٥٠ : ٥٥١).

وضرب الله مثلاً

وفى سورة النحل يضرب الله المثل بتلك القرية التى كفرت بنعم الله، فقال جل وعلا: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً﴾[1] هذا مثلٌ ضربه الله لأهل مكة وغيرهم، بقومٍ أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فعصوا وتمردوا، فبدَّل الله نعمتهم بنقمة ﴿كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾[2]، أى: كان أهلها فى أمنٍ واستقرار، وسعادة ونعيم ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾[3]، أى: تأتيها الخيرات والأرزاق بسعةٍ وكثرةٍ من كل الجهات ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾[4]، أى: لم يشكروا الله على ما آتاهم من خير، وما وهبهم من رزق ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾[5].

أى: سلبهم اللهُ نعمة الأمن والاطمئنان، وأذاقهم آلام الخوف والجوع والحرمان ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[6]، أى: بسبب كفرهم ومعاصيهم.

قال الرازى: وهذا مثلُ أهل مكة لأنهم كانوا فى الأمن والطمأنينة والخصب، ثم أنعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد ﷺ فكفروا به، وبالغوا فى إيذائه، فعذبهم الله بالقحط والجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام[7].

وهكذا فإن الله لا يظلم الناس شيئًا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.. فتلك عقوبة الله لكل من كفر به وبنعمته، ولم يشكر الله على تلك النعم التى لا تُعد ولا تحصى.. فنسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة.

هكذا الدنيا وأهلها

يقول ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»[8].

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥)، (٦) سورة النحل: الآية: (١١٢).

(٧) التفسير الكبير للرازى (٢٠/١٢٨) نقلاً من صفوة التفاسير (٢/١٤٦).

(٨) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٠) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٠) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٩٢).

فالدنيا ليس لها أى قيمة عند الله - جل وعلا - بل إن الدنيا لهوانها عند الله أعطاها للكفار أكثر من المؤمنين.

قال تعالى: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾(٤).

وقال تعالى: مخاطبًا عباده المؤمنين ومحذرًا لهم من الركون إلى الدنيا: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٥).

وذلك لأن الإنسان بطبعه يميل ويركن إلى حب الدنيا، ولذا قال ﷺ: «لو كان لابن آدم واد من مال لابتغى إليه ثانيًا، ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب»(٦).

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٥٥).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان: (٥٥: ٥٦).

(٣) سورة آل عمران: الآيتان: (١٩٦: ١٩٧).

(٤) سورة محمد: الآية: (١٢).

(٥) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٣٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٤٨) كتاب الزكاة.

وأسوق لحضراتكم تلك القصة لتعلموا أن الدنيا لا قيمة لها.

قال وهب بن منبه: خرج عيسى عليه السلام يسيح فى الأرض، فصحبه يهودى، وكان معه رغيفان، ومع عيسى رغيف، فقال له عيسى: تشاركنى فى طعامك؟ قال اليهودى: نعم. فلما علم أن ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم.. فقام إلى الصلاة.. فذهب صاحبه وأكل رغيفًا.. فلما أتم عيسى قدَّما طعامهما.. فقال عيسى لصاحبه: أين الرغيف الآخر؟ فقال: ما كان إلا رغيفًا واحدًا.. فأكل عيسى رغيفًا وصاحبه رغيفًا ثم انطلقا، فجاءوا إلى شجرة فقال عيسى لصاحبه: لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال: افعل. فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له: أرأيت إن أنا عالجتك حتى يرد الله بصرك فهل تشكره؟ قال: نعم. فمسَّ بصره ودعا الله له فأبصر.. فقال عيسى لليهودى: بالذى أراك الأعمى يبصر أما كان معك من رغيف؟ فقال: والله ما كان إلا رغيفًا واحدًا. فسكت عيسى عنه.. فمراً بظباء ترعى فدعا عيسى عليه السلام ظبيًا منها فذبحه، ثم أكلا منه ثم قال عيسى للظبى: قم بإذن الله فقام، فقال الرجل: سبحان الله، فقال عيسى: بالذى أراك هذه الآية مَن أكل الرغيف الثالث؟. فقال: ما كان إلا رغيفًا واحدًا. فمضيا فمراً بنهر عظيم فأخذ عيسى بيده فمشى به على الماء حتى جاوزاه. فقال الرجل: سبحان الله. فقال عيسى: بالذى أراك هذه الآية مَن صاحب الرغيف الثالث؟ فقال الرجل: والله ما كان إلا رغيفًا واحدًا.. فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة، وإذا قريب منهما ثلاثة أحجار كبيرة من ذهب فقال عيسى عليه السلام: واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث، فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلى. فقال عيسى هى لك كلها... وفارقه، فأقام الرجل عليها ليس معه ما يحملها عليه، فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا الذهب، فقال

اثنان منهم لواحد: انطلق إلى القرية فأتنا بطعام، فذهب فقال أحد الباقين: نقتل هذا إذا جاء ونقسم هذا بيننا. . قال الآخر: نعم. . . قال الذى ذهب يشترى الطعام: أجعل فى الطعام سمًا فأقتلهما وآخذ الذهب وحدى. ففعل ما أملاه عليه شيطانه. فلما عاد بالطعام المسموم أكلاه بعد أن قتلاه، فماتا هما أيضًا بجوار الذهب، فمر سيدنا عيسى عليه السلام بعد ذلك، وعندما رأى الأربعة صرعى عند الذهب أشار إليهم وإلى الذهب قائلاً لمن معه من الحواريين: هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحذروها.

أسباب الرزق الحلال

إننا فى زمن تعذَّر فيه الرزق الحلال، وذلك بعد أن اتسعت دائرة الحرام بشكل لا يخطر على عقل بشر!!!

ولكن من أراد أن يأكل حلالاً فسوف يسوق الله إليه الرزق الحلال شريطة أن يكون هذا الإنسان ورعًا تقيًا، وألا يكون حريصًا كل الحرص على الدنيا وزينتها الفانية. . . فدرهمٌ من حلال خيرٌ من الدنيا وما فيها.

والحصول على الرزق الحلال يحتاج إلى إعانة وتوفيق من الله - جل وعلا.

وها أنا أسوق لحضراتكم باقة من الأسباب التى جعلها الله سببًا للحصول على الرزق الحلال، بل ولزيادة الرزق الحلال، بل وللبركة فى هذا الرزق.

١- الإيمان والتقوى:

قال تعالى: **﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾**(١).

(١) سورة الأعراف: الآية: (٩٦).

قال الإمام الرازى: «بركات السماء بالمطر، وبركات الأرض بالنبات والثمار وكثرة المواشى والأنعام وحصول الأمن والسلامة، وذلك لأن السماء تجرى مجرى الأب، والأرض تجرى مجرى الأم، ومنهما يحصل جميع المنافع والخيرات بخلق الله تعالى وتدبيره»[١] .

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٢] .

قال الحافظ ابن كثير: «أى: ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، أى: من جهة لا تخطر بباله»[٣] .

وقال ابن مسعود ﷺ: «إن أكبر آية فى القرآن فرجًا ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾»[٤] .

قال الحسين بن الفضل: «﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فى أداء الفرائض، ﴿يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ من العقوبة ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ الثواب ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، أى: يبارك له فيما آتاه».

وقال سهل بن عبد الله: «﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فى اتباع السُّنة ﴿يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ من عقوبة أهل البدع، ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب. وقيل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فى الرزق بقطع العلائق يجعل له مخرجًا بالكفاية».

وقال عمر بن عثمان الصَّدفى: «﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فيقف عند حدوده ويجتنب معاصيه يخرجه من الحرام إلى الحلال، ومن الضيق إلى السعة، ومن النار إلى الجنة ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ من حيث لا يرجو».

---

(١) التفسير الكبير (١٢/ ١٨٥) - تفسير الخازن (٢/ ٢٦٦).
(٢) سورة الطلاق: الآيتان: (٢- ٣).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٠).
(٤) تفسير ابن مسعود (٢/ ٦٥١).

وقال ابن عُيينة: هو البركة فى الرزق.

وقال أبو سعيد الخدرى: «ومن يبرأ من حوله وقوته بالرجوع إلى الله يجعل له مخرجًا مما كلّفه بالمعونة له».

وتأوّل ابن مسعود ومسروق الآية على العموم.

وقال أبو ذرّ: «قال النبى ﷺ: «**إنى لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم** - ثم تلا - ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾»[١]. فما زال يكررها ويعيدها.

وقال ابن عباس: قرأ النبى ﷺ: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾ قال: **مخرجًا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة**»[٢].

وقال أكثر المفسرين فيما ذكر الثعلبى: إنها نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى[٣].

وعن جابر بن عبد الله قال: نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى أسر المشركون ابنًا له يُسمى سالمًا، فأتى رسول الله ﷺ وشكا إليه الفاقة، وقال: إن العدو أسر ابنى وجزعت الأم، فما تأمرنى؟ فقال عليه السلام: «**اتق الله واصبر وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله**».

فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرنى وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله. فقالت: نِعْمَ ما أمرنا به. فجعلا يقولان؛ فغفل العدّو عن ابنه، فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه؛ وهى أربعة آلاف شاة. فنزلت الآية، وجعل النبى ﷺ تلك الأغنام له.

---

(١) ذكره ابن كثير بمعناه فى تفسير (٤/ ٣٧٩) من رواية الإمام أحمد.

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦/ ٢٣٢) من رواية أبى يعلى وأبى نعيم والديلمى.

(٣) راجع: جامع البيان (٢٨/ ٨٩) وتفسير ابن كثير (٨/ ١٧٣) والمحرر الوجيز (١٦/ ٣٨) وتفسير الماوردى (٦/ ٣١).

فى رواية: أنه جاء وقد أصاب إبلاً من العدوّ وكان فقيراً [١].

قال الكلبى: أصاب خمسين بعيراً.

وفى رواية: فأفلت ابنه من الأسر وركب ناقة للقوم، ومرّ فى طريقه بسرح لهم فاستاقه.

وقال مقاتل: أصاب غنمًا ومتاعًا فسأل النبى ﷺ: أيحل لى أن آكل مما أتى به ابنى؟ قال: «نعم». ونزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾.

٢- إقامة شرع الله:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[٢].

فإقامة شرع الله فى أرضه سبب للرخاء وسعة الرزق.

ولذا فإنى أقول لك أيها الأخ الكريم: حكِّم شرع الله فى نفسك وفى بيتك وستجد رزقك تحت رجليك يأتيك فى يُسرٍ وسهولة.

ولعل من قرأ سيرة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ممن سار على هدى رسول الله ﷺ - مثل عمر بن عبد العزيز - لرأى الخير الذى كان يأتى للمسلمين من كل مكان حتى كثر المال ولم يجد من يأخذه وحتى كان الذئب ينام فى حضن الغنم، فلما سألوا عمر بن عبد العزيز عن ذلك قال: «لا عجب فى ذلك فلقد أصلحت ما بينى وبين ربى فأصلح الله ما بين الذئب والغنم».

٣- التفرغ لعبادة الله - جل وعلا -

وليس معنى التفرغ للعبادة أن يترك الإنسان السعى على العمل ويجلس

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (١٨/ ١٥٤: ١٥٦) ط. دار الحديث.

(٢) سورة المائدة: الآية: (٦٦).

للعبادة ويقول: إن الله سيبعث الرزق إلىّ!!!

ولكن المقصود أن يسعى الإنسان على الرزق، ولكن قلبه يكون متعلقًا بربه فى كل لحظة من عمره.. وإذا كان فى العبادة فلابد أن يكون خاضعًا وخاشعًا لله تعالى، بل ومستحضراً لعظمة الرب - جل جلاله - ممتثلاً قول النبى ﷺ: **«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**[1].

إنها الحقيقة التى نراها فى حياتنا جليّة واضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار أنه كلما ازداد القلب تعلقًا بالله كلما كان الرزق سهلاً ميسوراً بلا تعب ولا نَصَب.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[2].

وقال تعالى فى الحديث القدسى: **«يا ابن آدم تفرَّغ لعبادتى أملأ صدرك غنىً وأسُدَّ فقرك، وإلاَّ تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أسُدَّ فقرك»**[3].

ولذا قال الإمام ابن القيم: «فرِّغ خاطرك للهمّ بما أُمرت به، ولا تشغله بما ضُمن لك؛ فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان. فما دام الأجل باقيًا كان الرزق آتيًا. وإذا سدَّ عليك بحكمته طريقًا من طرقه فتح لك برحمته طريقًا أنفع لك منه».

فتأمَّل حال الجنين يأتيه غذاؤه، وهو الدم، من طريق واحد وهو السرّة، فلمَّا خرج من بطن الأم، وانقطع ذلك الطريق، فتح له طريقين اثنين، وأجرى له فيهما رزقًا أطيب وألذ من الأول لبنًا خالصًا سائغًا. فإذا تمَّت مدة

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٩) كتاب الإيمان.

(٢) سورة الذاريات: الآيات: (٥٦: ٥٨).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤١٠٧) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٣٥٩).

الرضاع، وانقطع الطريقان بالفطام، فتح طُرقًا أربعًا أكمل منها: طعامان وشرابان، فالطعامان من الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان، وما يضاف إليهما من المنافع والملاذ. فإذا مات انقطعت عنه هذه الطرق الأربع. لكنه سبحانه فتح له - إن كان سعيدًا - طرقًا ثمانية، وهى أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيِّها شاء.

فهكذا الرب سبحانه، لا يمنع عبده المؤمن شيئًا من الدنيا، إلا ويؤتيه أفضل منه وأنفع له، وليس ذلك لغير المؤمن. فإنه يمنعه الحظ الأدنى الخسيس ولا يرضى له به ليعطيه الحظ الأعلى النفيس. والعبد لجهله بمصالح نفسه، وجهله بكرم ربه وحكمته ولطفه، لا يعرف التفاوت بين ما مُنع منه وبين ما ذُخر له، بل هو مولع بحب العاجل وإن كان دنيًّا، وبقلة الرغبة فى الآجل وإن كان عليًّا. ولو أنصف العبدُ ربه، وأنَّى له بذلك؟! لعلم أن فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها أعظم من فضله عليه فيما آتاه من ذلك، فما منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا امتحنه إلا ليصافيه، ولا أماته إلا ليُحييه، ولا أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه وليسلك الطريق الموصلة إليه. فـ ﴿**جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا**﴾[١] ﴿**أَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا**﴾[٢] والله المستعان[٣].

❊ ❊ ❊

(١) سورة الفرقان: الآية: (٦٢).
(٢) سورة الإسراء: الآية: (٩٩).
(٣) الفوائد للإمام ابن القيم (ص: ٨٧: ٨٨) د. دار الخانى.

وبالمثال يتضح المقال

تأمل معى أخى الكريم قصة مريم عليها السلام حينما انشغلت قلبًا وقالبًا بربها - جل وعلا - فكانت ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا** ﴾(١) فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف، وفاكهة الصيف فى الشتاء ﴿ **قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾(٢) .

ثم تأمل معى مرة أخرى عندما حملت بعيسى عليه السلام وانشغل قلبها بعض الشىء بوليدها فأمرها ربها أن تأخذ بالأسباب ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** ﴾(٣) .

إلا أن الله يسَّر لها الأسباب وعاملها معاملة الأولياء والمقربين.

وهكذا يتضح لك أيها الأخ الحبيب أنه على قدر تعلق قلبك بالله فإن الرزق يأتيك سهلاً ميسورًا بإذن الله.

وفى السماء رزقكم وما توعدون

إننا إذا وقفنا عند تلك الآية؛ فإننا نجد سؤالاً يطرح نفسه. فقد يسأل سائل ويقول: إذا كان الرزق فى السماء فلماذا نطلبه من الأرض؟!!

والجواب على ذلك: أن الرزق فى السماء وأنت تطلبه من رب السماوات والأرض، ولكن المخزون فى الأرض. . والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ** ﴾(٤) .

---

(١)، (٢) سورة آل عمران: الآية: (٣٧).

(٣) سورة مريم: الآية: (٢٥).

(٤) سورة فصلت: الآية: (١٠).

وقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾(١).

ولكى يطمئن قلبك قال تعالى: ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾(٢).

فكم من الناس يتعب ولا يحصل إلا على القليل، وكم من الناس يحصل على المال الكثير بالسعى القليل.. وذلك لأن قلبه متعلق بالله. ولذا فإنى أضرب لكم مثلاً (ولله المثل الأعلى) فإذا كان هناك رجل يعمل عند (ملك) ولكنه يأخذ الراتب من أمين المخزن، فهل يتعلق قلب الرجل بالملك أم بأمين المخزن؟

والجواب عن ذلك: أن الرجل إذا تعلق قلبه بأمين المخزن، فهو جاهل لأنه لا يستطيع أن يعطيه شيئًا إلا بأمر الملك.

(ولله المثل الأعلى) فالدنيا كلها لا تستطيع أن تعطيك شيئًا إلا بأمر مالك الملك وملك الملوك سبحانه وتعالى.

فإذا تعلق قلبك برب السماوات والأرض فسوف يسخِّر لك أمين المخزن لتحصل على رزقك بغير عناء ﴿**وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾(٣).

واعلم أيها الأخ الحبيب وأيتها الأخت الفاضلة أن الرزق ضمنه الله لنا حتى أننا لا نستطيع أن نهرب من الرزق، كما أننا لا نستطيع أن نهرب من الموت.

ولذا قال ﷺ: «لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت»(٤).

---

(١) سورة الملك: الآية: (١٥).

(٢) سورة هود: الآية: (٦).

(٣) سورة هود: الآية: (٣).

(٤) حسن: رواه أبو نعيم فى الحلية (٧/ ٩٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٤٠).

فعسى بعد كل هذا أن تطمئن القلوب وأن تتعلق بـعلام الغيوب سبحانه وتعالى.

قال الأصمعي: أقبلت ذات مـرة من مسجـد البصـرة إذ طلع أعرابى جلف جافٍ على قَعودٍ له متقلدًا سيفه وبيده قوسه، فدنا وسلّم وقال: ممن الرجل؟ قلت: من بنى أصمع، قال: أنت الأصمـعى؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقـبلت؟ قلت: من مـوضع يُتـلى فيـه كـلامُ الرحـمن؛ قـال: وللرحمن كلام يتلوه الآدمـيون؟ قلت: نعم. قال: فاتلُ عليَّ منه شـيئًا، فقرأت: ﴿**وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا**﴾ إلى قوله: ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ**﴾[1] فقال: يا أصمعى حسبك!! ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطعها بجلدها، وقال: أعنِّى على توزيعها، ففرّقناها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيـفه وقوسه فكسرهـمـا ووضعهـما تحت الرَّحل وولى نحو البـادية وهو يقول: ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾ فقـال الأصـمـعى: فمـقتُّ نفسى ولمتُـها، ثم حججت مع الرشيد، فبينما أنا أطوف إذا أنا بصوتٍ رقيق، فالتفتّ فإذا أنا بالأعرابى وهو ناحلٌ مُصفر، فسلم عليّ وأخذ بيدى وقال: اتل عليَّ كلام الرحمن، وأجلسنى من وراء المقام فـقرأت: ﴿**وَالذَّارِيَاتِ**﴾ حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾ فقال الأعـرابى: لقد وجدنا ما وعدنا الرحمن حقًّا، وقال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**﴾[2] قال: فصاح الأعرابى وقال: يا سبحان الله! من الذى أغضب الجليل حتى حلف! ألم يصـدقوه فـى قوله حـتى ألجـؤوه إلى اليمـين؟ فـقالهـا ثلاثًا وخرجت بها نفسه.

---

(١) سورة الذاريات: الآيات: (١-٢٢).

(٢) سورة الذاريات: الآية: (٢٣).

وروى أن قومًا من الأعراب زرعوا زرعًا فأصابته جائحة فحزنوا لأجله، فخرجت عليهم أعرابية فقالت: ما لى أراكم قد نكستم رءوسكم، وضاقت صدوركم، هو ربنا والعالم بنا، رزقنا عليه يأتينا به حيث شاء! ثم أنشأت تقول:

لو كان فى صخرةٍ فى البحر راسية
صمًّا مُلمُلةٍ ملسا نواحيها
رزقٌ لنفسٍ براها الله لانفلقت
حتى تؤدى إليها كُل ما فيها
أو كان بين طباق السبع مسلكها
لسهَّل الله فى المرقى مراقيها
حتى تنال الذى فى اللوح خُطَّ لها
إن لم تنله وإلا سوف يأتيها(١)

٤- الاستقامة:

قال تعالى: ﴿ **وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا** ﴾(٢).

فمن استقام على الطاعة فإن الله ييسر له أسباب الرزق ويملأ قلبه رضًا بما يأتيه من الرزق، سواءً كان قليلاً أم كثيرًا. بل إن أهل الاستقامة تأتيهم الملائكة عند الموت تبشرهم برزقهم فى الجنة.. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ** ﴾(٣).

---

(١) نقلاً من الجامع لأحكام القرآن - للإمام القرطبى (١٧/ ٤٥-٤٦).
(٢) سورة الجن: الآية: (١٦).
(٣) سورة فصلت: الآيات: (٣٠: ٣٢).

٥- التوكل:

التوكل هو: صدق اعتماد القلب على الـله فى استجلاب المصالح ودفع المضار فى أمور الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾(١).

وقال ﷺ : «**لو أنكم توكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»(٢).

ففى هذا الحديث لطيفة: أن كل الحيوانات والهوام يدّخرون الطعام إلا الطيور، فهى لا تدّخر شيئًا، فإذا أصبحت سبّحت بحمد ربها وخرجت متوكلة عليه ثم ترجع برزقها ورزق أولادها.

وليس معنى الحديث أن نترك الأخذ بالأسباب بحجة أننا نتوكل على الله وأنه سيرسل لنا الأرزاق.

قال الإمام أحمد: «ليس فى الحديث ما يدل على ترك الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق، وإنما أراد لو توكلوا على الله فى ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا أن الخير بيده لم ينصرفوا إلا غانمين سالمين كالطير»(٣).

ولقد كان النبى ﷺ يأخذ بالأسباب فى كل شىء حتى فى هجرته عندما دخل الغار، وكان من الممكن أن يدعو ربه فيطمس أعين الكفار فلا يرونه، ولكنه ﷺ يُعلّم أمته أن الأخذ بالأسباب لا ينافى التوكل أبدًا.

وكان أصحاب النبى ﷺ يتجرون ويعملون فى نخيلهم وهم أسوتنا وقدوتنا بعد رسول الله ﷺ .

قال الإمام أبو القاسم القشيرى: «اعلم أن التوكل محله القلب، وأما

---

(١) سورة الطلاق: الآية: (٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٤٤) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٦٤) كتاب الزهد، وأحمد (٢٠٥) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٥٤).

(٣) نقلاً عن تحفة الأحوذى (٨/٧).

الحركـة بالظاهر فلا تنافى التوكل بالقلب بعـدما يتحقق العـبد أن الرزق من قِبل الله تعالى؛ فإن تعسَّر شيء فبتقديره وإن تيسَّر شيء فبتيسيره»(١).

ولذا لما جاء رجل للـنبى ﷺ وقال له: «أُرسل ناقتى أو أتوكل» قال له: **«اعقلها وتوكل»**(٢).

* وأخيرًا تأملوا معى ثمرة التوكل على الله.

رُوى أن حاتم الأصم قال لأولاده: إنى أريد الحج فبكوا وقالوا: إلى من تكلنا؟. وكان له بنت، فقـالت: دعوه يذهب فليس برازق، فخرج فـباتوا جياعًا فـجعلوا يوبخون تلك البنت، فقالت: اللهم لا تُخجلنى بينهم، فمرَّ بهم أميـر البلد فقال لبـعض أصحابه: اطلب لى مـاء... فناوله أهل حاتم كوزًا جديدًا وماءً باردًا فشرب فـقال: دار مَن هذه؟ فقالوا: دار حاتم الأصم فرمى فيها صرة من ذهب وقال: من أحبنى وافقنى، فرمى العسكر ما معهم من المال فى هذا الإناء، فجـعلت البنت تبكى فقـالت أمها: مـا يبكيك وقد وسع الله علينا؟! فقالت: لأن مخلوقًا نظر إلينا نظرة فاغتنينا، فكيف لو نظر الخالق إلينا؟!.

وقال ابن عـباد الصـيرفى البـغدادى: بينما أنا نائم إذ قـيل لى فى المنام: يا عَبّاد قُم فأغث الملهوف، فقلت: وأين هو؟ فقيل لى: اركب دابتك فهو حيثما وقفت. قـال: فانتـبهت من نومى وركـبت دابتى وجعلت أتخلل أزقّـة بغداد حتى انتـهيت إلى مسـجد فوقـفت الدابة ونزلت عنها ودخلت المسـجد، فإذا برجل مستقـبل القبلة فسلمت عليه وقلت: ما قـضيتك؟. قال: إنى رجل ذو عيـال ولم يكن عندهم الليلة شىء، فجلست هاهنا وطـلبت من الله الفرج. قال: فأعطيـته مائة دينار، وقلت له: أنا ابن عباد الصيـرفى فإذا احتجت إلى

(١) نقلاً عن مرقاة المفاتيح (٥/ ١٥٧).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٥١٧) كتاب صـفة القيامة والرقائق والورع، وحسنه العـلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن الترمذى.

شيء فائتني، . . . فقال سبحان الله: أترك الذى أقامك من فراشك وأتى بك إلىَّ فى ظلمة الليل وأذهب إلى غيره!!!. فودعته وانصرفت. .

إنها القلوب التى أحبت ربها وتوكلت عليه فكفاها.

٦- الاستغفار والتوبة:

ولقد شرع الله لنا الاستغفار هنا؛ لأننا إذا قصَّرنا فى أسباب الرزق؛ فإن الاستغفار يجبر هذا التقصير. . . قال تعالى: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا**﴾(١).

قال الشعبى: خرج عمر يستسقى فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأُمطروا فقالوا: ما رأيناك استسقيتَ؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التى يُستنزل بها المطر؛ ثم قرأ: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا**﴾.

وقال الأوزاعى: خرج الناس يستسقون؛ فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اللهم إنا سمعناك تقول: ﴿**مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ**﴾(٢)، وقد أقررنا بالإساءة، فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا؟! اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا! فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسُقُوا.

وقال ابن صبيح: شكا رجل إلى الحسن الجدوبة، فقال له: استغفر الله. وشكا آخر إليه الفقر، فقال له: استغفر الله. وقال له آخر: ادع الله أن يرزقنى ولدًا؛ فقال له: استغفر الله. وشكا إليه آخر جفاف بستانه؛ فقال له: استغفر الله. فقلنا له فى ذلك؟ فقال: ما قلت من عندى شيئًا؛ إن الله

---

(١) سورة نوح: الآيات: (١٠: ١٢).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٩١).

تعالى يقول في سورة «نوح»: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾(١)(٢).

ويقول الحافظ ابن كثير في تفسيره: «أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدرّ لكم الضرع، وأمدّكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخلّلها بالأنهار الجارية بينها»(٣).

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾(٤).

ففي الآية الكريمة وعدٌ من الله القادر المقتدر بالمتاع الحسن لمن استغفر وتاب. والمراد بقوله تعالى: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما يتفضل عليكم بالرزق والسعة(٥).

وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾(٦).

وقال صلى الله عليه وسلم: **«من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار»**(٧).

---

(١) سورة نوح: الآيات: (١٠: ١٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي (١٨/ ٢٩٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٩).

(٤) سورة هود: الآية: (٣).

(٥) زاد المسير (٤/ ٧٥).

(٦) سورة هود: الآية: (٥٢).

(٧) حسن: رواه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٥٦، رقم ٨٣٩)، والبيهقي في الشعب (١/ ٤٤٠، ٦٤٨)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٩٥٥).

٧- صلة الرحم:

قال ﷺ: «من أحب أن يُبسط له فى رزقه، وأن يُنسأ له فى أثره فليصل رحمه»(١).

وفى رواية: «من سرَّه أن يُعظم الله رزقه، وأن يمدَّ فى أجله فليصل رحمه»(٢).

قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾(٣).

*** والجمع بينهما من وجهين:**

أحدهما: أن هذه الزيادة كناية عن البركة فى العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه فى الآخرة، وصيانته عن تضييعه فى غير ذلك.

ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة للملك الموكل بالعمر. وأما الأول الذى دلّت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يقال للملك مثلاً: «إن عُمر فلان مائة مثلاً إن وصل رحمه، وستون إن قطعها» وقد سبق فى علم الله تعالى أنه يصل أو يقطع، فالذى فى علم الله لا يتقدّم ولا يتأخّر، والذى فى علم الملك هو الذى يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾(٤) فالمحو والإثبات بالنسبة لما فى علم الملك، وما فى أمَّ الكتاب هو الذى فى علم الله تعالى فلا محو فيه البتة، ويقال له: القضاء المبرم، ويقال للأول:

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٨٦) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٥٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٦٩٣) كتاب الزكاة، وأحمد (١٢١٧٨) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٩١).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٣٤).

(٤) سورة الرعد: الآية: (٣٩).

القضاء المعلّق[١].

وقال ﷺ: «تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم محبة فى الأهل مثراة فى المال منسأة فى الأثر»[٢].

وقال ﷺ: «من سره أن يُمدّ له فى عمره، ويوسَّع عليه فى رزقه، ويُدفع عنه ميتة السوء فليتقِ الله وليصل رحمه»[٣].

بل لقد بلغت بركة صلة الرحم فى تكثير الأموال ونمائها وزيادتها حتى وإن كان أصحاب البيت فُجّارًا لا يطيعون ربهم (ولكنهم يصلون الرحم).

قال ﷺ: «إن أعجل الطاعة ثوابًا صلة الرحم حتى إن أهل بيت ليكونون فَجَرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيتٍ يتواصلون فيحتاجون»[٤].

«وصلة الرحم تكون بالمال وبالعون على الحاجة وبدفع الضرر وبطلاقة الوجه وبالدعاء» كما قال الإمام ابن أبى جمرة.

٨- الصلاة:

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[٥].

وقال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[٦].

---

(١) شرح النووى (١٦/ ١١٤) - فتح البارى (١٠/ ٤١٦) باختصار.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (١٩٧٩) كتاب البر والصلة، وأحمد (٨٦٥١) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٩٦٥).

(٣) حسن لغيره: رواه أحمد (١٢١٧) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٨٨)، وقال: حسن لغيره.

(٤) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ١٨٢-١٨٣) وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط لشواهده.

(٥) سورة طه: الآية: (١٣٢).

(٦) سورة إبراهيم: الآية: (٣٧).

وإذا كان الله عز وجل يرزق أهل الفساد والمعاصى، فهل يمنع رزقه عن أهل الإيمان والتقوى الذين يسجدون لله ليلاً ونهاراً؟

إن الصلاة من أحب العبادات التى يتقرب بها العبد إلى ربه.

كما جاء فى الحديث القدسى: «.. **وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضته عليه...**»[١].

٩- الشكر:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣].

قال قتادة الدوسى - رحمه الله -: «كان هذا الحى من العرب أشد الناس ذلاً، وأشقاهم عيشاً. وأجوعهم بطوناً، وأعراهم جلوداً، وأبينهم ضلالاً، من عاش منهم عاش شقيًّا، ومن مات منهم ردى فى النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلاً من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلاً منهم؛ حتى جاء الله بالإسلام فمكّن به فى البلاد، ووسّع به فى الرزق، وجعلهم به ملوكًا على رقاب الناس. وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا الله على نعمه. فإن ربكم مُنعم يحب الشكر، وأهل الشكر فى مزيد من الله»[٤].

١٠- المتابعة بين الحج والعمرة:

قال ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

(٢) سورة إبراهيم: الآية: (٧).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٢٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦١).

الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»[1].

يقول الشيخ أبو الحسن السندى: «اجعلوا أحدهما تابعًا للآخر واقعًا على عقبه، أى: إذا حججتم فاعتمروا وإذا اعتمرتم فحجُّوا فإنهما متتابعان»[2].

وقال الإمام الطيبى فى شرح قوله ﷺ: «فإنهما ينفيان الفقر والذنوب»: إزالته للفقر كزيادة الصدقة للمال.

١١- الهجرة فى سبيل الله:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[5].

فإن كان النبى ﷺ قال: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية...»[6].

إلا أن هناك هجرة أخرى شرعها الله لمن كان يعيش فى مجتمع فاسد يبارز الله بالذنوب والمعاصى.. وهذا هو الذى فعله الرجل الذى قتل تسعة وتسعين نفسًا، بل ويفعله كل مؤمن لا يتمكن من عبادة ربه - عز وجل - فعليه أن يترك أرضه ويعيش فى مكان يستطيع أن يعبد ربه فيه ويأمن على نفسه فيه من الفتن.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٨١٠) كتاب الحج، والنسائى (٢٦٣١)، وأحمد (٣٦٦٠) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٩٠١).

(٢) فيض القدير للمناوى (٣/ ٢٢٥) - حاشية السندى على سنن النسائى (٥/ ١١٥).

(٣) سورة النساء: الآية: (١٠٠).

(٤) سورة النحل: الآية: (٤١).

(٥) سورة الحج: الآيتان: (٥٨- ٥٩).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٨٣) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٣٥٣) كتاب الإمارة.

يقول الإمام الرازى فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (١).

«والحاصل كأنه قيل: يا أيها الإنسان! إن كنت إنما تكره الهجرة عن وطنك خوفًا من أن تقع فى المشقة والمحنة فى السفر فلا تخف فإن الله تعالى يعطيك من النعم الجليلة والمراتب العظيمة فى مهاجرتك ما يصير سببًا لرغم أنوف أعدائك ويكون سببًا لسعة عيشك»(٢).

ولعل من قرأ التاريخ الإسلامى يعلم ما الذى حدث لأصحاب النبى ﷺ حينما هاجروا من مكة إلى المدينة وتركوا أموالهم وديارهم وأرضهم فعوضهم الله خيرًا منها ففتح لهم قلوب الأنصار وديارهم ثم أعطاهم بعد ذلك مفاتيح الشام وفارس واليمن وقصور الشام الحمر وقصر المدائن الأبيض وسخّر لهم خزائن قيصر وكسرى.. وهذا هو الذى أخبر عنه النبى ﷺ حيث قال: **«إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذى نفسى بيده لتُنفقن كنوزهما فى سبيل الله»**(٣).

١٢- الجهاد فى سبيل الله:

إن الله تعالى حرَّم الغنائم على الأمم من قبلنا ثم أحلّها لنا فقال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤).

قال ﷺ: «ثلاثة حق على الله تعالى عونهم - وذكر منهم -: **المجاهد فى سبيل الله...»**(٥).

(١) سورة النساء: الآية: (١٠٠).
(٢) التفسير الكبير (١١/ ١٥).
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٢٠) كتاب فرض الخمس، ومسلم (٢٩١٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة.
(٤) سورة الأنفال: الآية: (٦٩).
(٥) حسن: رواه الترمذى (١٦٥٥) كتاب فضائل الجهاد، والنسائى (٣١٢٠) كتاب الجهاد، وابن ماجه (٢٥١٨) كتاب الأحكام، وأحمد (٩٣٤٨) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٥٠).

وقال ﷺ عن المرابط فى أرض الشرف والجهاد: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات مرابطًا جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأُجرى عليه رزقه وأَمن من الفتّان**»(١).

وقال ﷺ : «**جُعل رزقى تحت ظل رمحى وجُعل الذلة والصغار على من خالف أمرى**»(٢).

ويوم أن تركت الأمة جهادها أذلها الله لأذل الأمم من الشرق الملحد ومن الغرب الكافر. . فأصبحت الأمة تتسول على موائد أهل الكفر بعد أن تركت طريق العزة، وبعد أن كانت بالأمس القريب تسير فى مقدمة القافلة وتقود البشرية كلها بجدارة واقتدار. . . ولذا قال ﷺ : «**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلَّط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»(٣).

١٣- الزواج:

إن الزواج سبب عظيم من أسباب الرزق، وذلك لأن الله حرّم الفواحش وحضَّ على المكارم. . ولذلك فإنه حرَّم الزنا وأحلَّ النكاح.

قال تعالى: ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (٤).

ففى تلك الآية يرغّب الله سبحانه وتعالى فى النكاح، بل ويسكب البشرى فى قلوب الذين يُقبلون على النكاح بأنه سيغنيهم من فضله ويغدق عليهم من نعمه ما يكفيهم ويسدّ فقرهم وحاجتهم، وذلك حرصًا على

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩١٣) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥٠٩٣) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى تخريج أحاديث مشكلة الفقر (٢٤).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٤٦٢) كتاب البيوع، وأحمد (٤٨١٠) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١١).

(٤) سورة النور: الآية: (٣٢).

العفاف وسدًّا لباب الغواية والفتنة.

ولذا قال ﷺ: **«ثلاثة حقٌّ على الله تعالى عونهم: المجاهد فى سبيل الله، والمكاتَب الذى يريد الأداء، والناكح الذى يريد العفاف»**(١).

وقال ﷺ: **«إن المعونة تأتى من الله للعبد على قدر المؤونة، وإن الصبر يأتى من الله على قدر المصيبة»**(٢).

فأبشر أيها الأخ الكريم؛ فإن الذى سيعينك على زواجك هو الله - عز وجل -.

١٤- الدعاء:

إن الدعاء من أهم أسباب الرزق؛ لأن المؤمن عندما يدعو ربه أن يرزقه فهو ينخلع من حوله وقوته إلى حول الله وقوته.

قال تعالى: **﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾**(٣).

وقال ﷺ: **«إن ربى حَيِىٌّ كريم يستحى أن يبسط العبد يديه إليه فيردهما صِفرًا»**(٤).

وقال تعالى فى الحديث القدسى: «... يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أُطعمكم، يا عبادى كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم....»(٥).

---

(١) حسن: رواه الترمذى (١٦٥٥) كتاب فضائل الجهاد، والنسائى (٣١٢٠) كتاب الجهاد، وابن ماجه (٢٥١٨) كتاب الأحكام، وأحمد (٩٣٤٨) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٥٠).

(٢) صحيح: رواه البزار كما فى كشف الأستار (٢/ ١٩٥ ، رقم ١٥٠٦)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ١٩١ ، رقم ٩٩٥٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩٥٢).

(٣) سورة غافر: الآية: (٦٠).

(٤) حسن: رواه أبو داود (١٤٨٨) كتاب الصلاة، والترمذى (٣٥٥٦) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٦٥) كتاب الدعاء، وأحمد (٢٣٢٠٢) باقى مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠٧٠).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

فتوجه إلى الله واسأله سبحانه وتعالى أن يرزقك وأن يوسّع عليك بما ينفعك فى دينك ودنياك.

١٥- الصدقة:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(٣).

وقال ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أَعط مُنفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أَعط مُمسكًا تلفًا»(٤).

وقال ﷺ: «ثلاثٌ أُقسمُ عليهنَّ: ما نقص مالُ عبد من صدقة، ولا ظُلم عبدٌ مظلمةً صبر عليها إلا زاده الله عز وجل عزًا، ولا فتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، وأحدِّثُكم حديثًا فاحفظوه، إنما الدنيا لأربعة نفر: عَبد رزقهُ الله مالاً وعلمًا فهو يتقى فيه ربه، ويصلُ فيه رحمهُ، ويعملُ لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله تعالى علمًا ولم يرزقه مالاً، فهو صادقُ النية، يقولُ: لو أن لى مالاً، لعملتُ بعمل فلان فهو بنيَّته، فأجرُهما سواءٌ، وعبد رزقه الله مالاً، ولم يرزقه علمًا، فهو يخبطُ فى ماله بغير علم، لا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعمل لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا،

---

(١) سورة الليل: الآيات: (٥: ٧).

(٢) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٧٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

فهو يقولُ: لو أنَّ لى مالاً لعملتُ فيه بعمل فلان، فهو بنيتّه، فوزرهما سواء»(١).

وقال تعالى فى الحديث القدسى: «أنفق يا ابن آدم أُنفق عليك»(٢).

وقال ﷺ: «بينا رجُلٌ بفلاة من الأرض، فسمع صوتًا فى سحابةٍ يقولُ: اسق حديقة فلان؛ فتنحَّى ذلك السحابُ، فأفرغ ماءه فى حَرَّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجلٌ قائمٌ فى حديقته يحوِّلُ الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمُك؟ قال: فلانٌ، للاسم الذى سمع فى السحابة، فقال له: يا عبد الله لِمَ تسألنى عن اسمى؟ قال: إنى سمعت صوتًا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان، لاسمك، فما تصنعُ فيها؟ قال: أمَّا إذ قلت هذا، فإنى أنظرُ إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكلُ أنا وعيالى ثلثًا، وأرُدُّ فيها ثُلثًا»(٣).

* ولنقف وقفة مع قول النبى ﷺ: «ما نقص مال عبد من صدقة».

أقول يا إخوانى: إن أكثر أهل هذا الزمان أحسنوا الظَّن بأنفسهم وأساءوا الظن بالله - جل وعلا -.

وأكبر دليلٍ على هذا الكلام أنه عندما ظهرت شركات توظيف الأموال وعرضت على الناس أن يعطوهم أموالهم ليستثمروها مقابل فائدة وربحٍ كبير؛ فإن الناس أسرعوا ووضعوا أموالهم طمعًا فى الربح الوفير... وفى المقابل فإن الملك - جل جلاله - ينادى على عباده منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، ويقول: ﴿مَن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾(٤).

ومع ذلك لا تجد أحدًا (إلا من رحم الله) يتاجر مع ربه تلك التجارة

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٥) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٢٢٨) كتاب الزهد، وأحمد (١٧٥٧٠) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٥٢) كتاب النفقات، ومسلم (٩٩٣) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٠٣٦) كتاب الأدب.

(٤) سورة البقرة: الآية: (٢٤٥).

الرابحة. . . فكانت النتيجة والعقوبة أن ضاعت الأموال حتى قال بعضهم: يا ليتنى تصدقت بمالى كله بدلاً من ضياعه بغير حسنة واحدة.

- ويذكر الشيخ (على الطنطاوى) أنه عندما دخل الاستعمار إلى بعض بلاد الشام. . قام الشيخ ليجمع التبرعات لشراء الطعام والسلاح للشعب. . وبينما كان الشيخ يمر على التجار ليطلب منهم المساعدة لإخوانه المسلمين، إذ قال له تاجر من الأثرياء: أنا لن أدفع شيئًا؛ لأن الأمر لا يهمنى.

يقول الشيخ: وتمر الأيام، وبينما أنا فى أحد المعسكرات أوزع الماء والطعام على الناس وإذا بى أرى رجلاً يهرب منى، فلما اقتربت منه وقدمت له الطعام وجدته يبكى، فنظرت فى وجهه؛ فإذا هو التاجر الثرى الذى رفض مساعدة إخوانه. . فقال لى ودموعه على خده: يا ليتك أخذت مالى كله فى سبيل الله، فقد استولى المستعمرون على مالى ولم يبق لى درهم ولا دينار.

صور مشرقة من الإنفاق فى سبيل الله

وإذا أردنا أن نتكلم عن تلك الصور فليس هناك أجود من النبى ﷺ . . . فها هى بعض مواقفه ﷺ .

فعن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة إلىّ النبى ﷺ ببُردة، فقالت: يا رسول الله! أكسوك هذه، فأخذها النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم محتاجًا إليها، فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسُنيها فقال: «**نعم**». فلما قام النبى ﷺ لامه أصحابه، فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبى ﷺ أخذها مُحتاجًا إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يُسأل شيئًا فيمنعه. فقال: رجوتُ بركتها حين لبسها النبى ﷺ لعلى أُكَفَّنُ فيها [(١)].

وقد كان النبى ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان،

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٠٣٦) كتاب الأدب.

كما فى حديث ابن عباس رضي الله عنهما (١).

وكان من هديه ﷺ أنه لا يُسأل شيئًا فيقول: لا.

وفى صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «ما سُئِلَ رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، فجاء رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا؛ فإن محمدًا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة»(٢).

تَعَــوَّدَ بسطَ الكف حــتى لو أنه
ثناها لقــبضٍ لم تُجبــه أناملُه
تراه إذا مــا جئـتــهُ مُتــهللاً
كــأنك تُعطيـه الذى أنت ســائلهُ
هو البــحــرُ من أىِّ النواحى أتيتـه
فَــلُجَّتُـهُ المعروفُ والجودُ ساحلُه
ولو لم يكن فى كَفِّه غـير روحـه
لجــادَ به فليــتقِ الله ســائله

* وهذا صدِّيق الأمة رضي الله عنه.... فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندى. فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، فجئت بنصف مالى، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» فقال: مثله. قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شىء أبدًا (٣).

فقد كان أبو بكر رضي الله عنه أجود الصحابة الكرام، وأسبقهم إلى كل خير.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦) كتاب بدء الوحى، ومسلم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٢) كتاب الفضائل - الفاقة: أى الفقر.

(٣) حسن: رواه أبو داود (١٦٧٨) كتاب الزكاة، والترمذى (٣٦٧٥) كتاب المناقب، والدارمى (١٦٦٠) كتاب الزكاة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٦٠٢١).

وكان عمر ﷺ يقول: أبو بكر سيدنا وأعتق بلالاً سيدنا.

أبو بكرٍ حَبَا في الله مالاً
وأعتقَ في محبته بلالاً
وقد واسى النبيَّ بكلِّ فضلٍ
وأسرع في إجابته بِلا: لا

بل لقد كان هذا هو دأب أصحاب النبي ﷺ.

فعن عبد الرحمن بن سمُرة قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة، قال: فَصَبَّهَا في حجر النبي ﷺ، قال: فجعل النبي ﷺ يُقلبها وهو يقول: «**ما ضرَّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم**» يردد ذلك مِراراً (١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهلي من بعدي**». قال: فباعَ عبد الرحمن بن عوف حديقة بأربعمائة ألف، فقسمها في أزواج النبي ﷺ (٢).

وعن أم بكر بنت المسور أن عبد الرحمن بن عوف باع أرضًا له من عثمان بأربعين ألف دينار، فقسم ذلك في فقراء بني زهرة، وفي ذي الحاجات من الناس، وفي أمهات المؤمنين.

قال المسور: فأتيت عائشة بنصيبها من ذلك، فقالت: من أرسل بهذا؟ قلت: عبد الرحمن بن عوف. فقالت: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحنو عليكن بعدي إلا الصابرون**» سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة(٣).

وعن أم ذرة وكانت تغشى عائشة قالت: بعث إليها ابن الزبير بمالٍ في غرارتين.

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٧٠١) كتاب المناقب، وأحمد (٢٠١٠٧) أول مسند البصريين، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٦٠٦٤).

(٢) حسن: رواه الحاكم (٣/ ٣٥٢، رقم ٥٣٥٩)، وابن أبي عاصم (٢/ ٦١٦، رقم ١٤١٤)، وأبويعلى (١٠/ ٣٣٠، رقم ٥٩٢٤)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣١٥).

(٣) حسن: رواه أحمد (٢٤٢٠٣) باقي مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٠٠٢).

قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، فدعت بطبق وهى يومئذ صائمة، فجلست تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم. فلما أمست قالت: يا جارية هَلُمِّى فِطرى، فجاءتها بخبزٍ وزيت، فقالت لها أم ذرة: أما استطعت مما قسمت اليوم أن نشترى لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه؟ فقالت لها: لا تُعنفينى، لو كنت ذكّرتينى لفعلت[١].

ولقد مدح الله - عز وجل - الأنصار بالإيمان والإيثار فقال: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢].

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ أى: من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم ﴿ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾ أى: لا يجدون فى أنفسهم حسدًا للمهاجرين فيما فضَّلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم فى الذكر والرتبة[٣].

وقال القرطبى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة، . . . أى: يؤثرون على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم، لا عن غنى، بل مع احتياجهم إليها[٤].

وقال رحمه الله: والإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال، ومن الأمثال السائرة: والجود بالنفس أقصى غاية الجود[٥].

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٢٩-٣٠).

(٢) سورة الحشر: الآية: (٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٣٧) دار المعرفة ببيروت.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٦٥٠٥) ط. الشعب.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٦٠٥٧).

وأخيرًا فلا نستطيع أن ننسى أبدًا ذلك الموقف الذى سجله التاريخ. .

إنه موقف الإيثار الذى حدث من سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فعن أنس رضي الله عنه قال: قَدِمَ عبد الرحمن بن عوف فآخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلِك ومالك[1].

وعن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: «لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن وسعد بن الربيع. . . قال لعبد الرحمن: إنى أكثر الأنصار مالاً فاقسم مالى نصفين، ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمِّها لى أُطلقها، فإذا انقضت عِدَّتها فتزوجها. قال: بارك الله لك فى أهلك ومالك. أين سوقكم؟ فدلُّوه على سوق بنى قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقطٍ وسمن، ثم تابع الغُدوَّ يومًا، ثم جاء يومًا وبه أثر صُفْرةٍ. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «مَهْيَمْ؟» قال: تزوجت. قال: «كم سُقت إليها؟» قال: نواةً من ذهب - أو وزن نواةٍ من ذهب[2].

* **يقول الإمام ابن القيم:**

الدراهم أربعة: درهم اكتُسِب بطاعة الله وأُخرج فى حق الله فذاك خير الدراهم، ودرهم اكتُسب بمعصية الله وأُخرج فى معصية الله فذاك شرُّ الدراهم، ودرهم اكتُسب بأذى مسلم وأُخرج فى أذى مسلم فهو كذلك، ودرهم اكتُسب بمباح وأُنفق فى شهوة مباحة فذاك لا له ولا عليه.

هذه أصول الدراهم، ويتفرّع عليها دراهم أُخَر: منها: درهم اكتسب بباطل وأُنفق فى حق فإنفاقه كفارته، ودرهم اكتسب من شبهة فكفارته أن ينفق فى طاعة. وكما يتعلق الثواب والعقاب والمدح والذمُّ بإخراج الدرهم،

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٧٨٠) كتاب المناقب.

(٢) انظر السابق.

فكذلك يتعلق باكتسابه. وكذلك يُسأل عن مستخرجه ومصروفه: من أين اكتسبه وفيما أنفقه.

* **وأما عن أنواع المواساة للمؤمنين فيقول الإمام:**

والمواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجُّع لهم.

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة؛ فكلما ضَعُفَ الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قَوىَ قَويَتْ. وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابة بذلك كلِّه، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له.

ودخلوا على (بشر الحافى) فى يوم شديد البرد وقد تجرّد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرتُ الفقراء وبردهم وليس لى ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم فى بردهم[1].

١٦- الإنفاق على طلبة العلم الشرعى:

لقد ذكر الله - عز وجل - المصارف الشرعية للزكاة فى سورة التوبة فقال: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَة قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[2]، فكان من أولهم: الفقراء.. فإذا كان الفقير طالب علم مجتهد، فهذا أحقّ الناس بالصدقة؛ لأنه واقف على ثغرٍ من ثغور الإسلام.

- **ومما يدل على أن الإنفاق على طلبة العلم من أسباب الرزق أنه:**

«كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ فكان أحدهما يأتى النبى ﷺ - أى: لطلب العلم - والآخر يحترف - يشتغل بحرفةٍ - فشكا

(١) الفوائد للإمام ابن القيم (ص٢٤٦ : ٢٤٧).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٦٠).

المحترف أخاه إلى النبى ﷺ فقال: **لعلك ترُزق به**»(١).

فيوضح له النبى ﷺ أنه لا ينبـغى له أن يَمُنَّ على أخيه، فلربما يأتيه الرزق بسبب إنفاقه على أخيه الذى تفرغ لطلب العلم الشرعى.

- وهنا لطيفة ينبغى أن ننبه عليهـا ليعلم المسلمون أهمية هذا الأمر، ألا وهى: أن الأطباء يقولون: إن من أخطر الأمراض التى فتكت بالأمة (مرض الإيدز) وذلك لأنه يصيب جهاز المناعة مـباشرة.. فإذا أصيب مريض الإيدز بأى مرض؛ فإنه يقضى على حياته كلها.

- وطلبة العلم يمثلون الجهـاز المناعى لتلك الأمة المسلمة، فهم يذودون عن حياض الإسلام ويحاربون البـدع والمحرمات وينشرون القرآن والسنة بين المسلمين، ويأخذون بأيدى الناس إلى مرضاة الله - عز وجل -.

فإذا كان طالب العلم فـقيراً؛ فإنه سرعـان ما ينصرف عن طلب العلم، وينشغل بعـملٍ ليسدَّ جـوعته وليـنفق على أسرته، وبذلك تُصاب الأمة فى جهازها المناعى.. فسرعان ما تسرى فيها البدع والمعاصى والمخالفات، وذلك لغياب طلبة العلم من ساحة العلم والدعوة.

- ومن هنا أفـتى الكثيـر من العلمـاء بتقـديم طلبـة العلم الفقـراء فى استـحقاق زكاة المال.. بـل أجازوا أن يُخرج الغنى زكـاة ماله لطالب العلم على صـورة راتبٍ شهـرى يدفـعه لطالب العـلم ويقول له: خـذ هذا المال واستـعن به على طلب العلم... ووقتك وقفٌ لله.. فـإذا هدى الله على يدى طالب العلم مـائة رجل؛ فـإن ذلك يكون فى ميـزان حـسناته وميـزان حسنات المسلم الذى ينفق عليه.

واحذر أيها الأخ الكريم أن تمنَّ على طالب العلم بإنفـاقك عليه؛ فوالله

(١) صحيح: رواه الترمـذى (٢٣٤٥) كتاب الزهد، وصحـحه العلامـة الألبانى رحمه الله فى صـحيح الجامع (٥٠٨٤).

إنه يجد من المشقة فى اليوم الواحد ما لا تجده أنت فى شهرٍ بأكمله فهو يقف على ثغرٍ من ثغور الإسلام.. يسافر إلى هنا وهناك ليدعو إلى الله وليصلح بين المسلمين ويدافع عن دين الملك - جل جلاله.

- وقد ذكر بعض العلماء أن المتفرغين للعلم الشرعى يدخلون فيمن ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ (١)(٢).

وقال الإمام الغزالى: «كما ينبغى أن يطلب بصدقته - صاحب المال - من تزكو به الصدقة كأن يكون من أهل العلم؛ فإن ذلك إعانة له على العلم. والعلم أشرف العبادات مهما صحَّت فيه النية».

وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم. فقيل له: لو عمّمت. فقال: إنى لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء. فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يُقبِل على التعلم. فتفريغهم للعلم أفضل(٣).

١٧- الإحسان إلى الضعفاء:

قال ﷺ موضحًا أن الإحسان إلى الضعفاء من أسباب الرزق:

«**هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم؟**»(٤).

وفى رواية: «**هل تُنصرون إلا بضعفائكم؟ بدعوتهم وإخلاصهم**»(٥).

ومن بين الضعفاء الذين يكرمنا الله ويرزقنا إذا أحسنَّا إليهم: اليتامى والنساء.

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٧٣).

(٢) تفسير المنار (٣/ ٨٨).

(٣) نقلاً عن تفسير القاسمى: (٣/ ٢٥٠).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٢٨٩٦) كتاب الجهاد والسير.

(٥) صحيح: رواه أبو نعيم فى الحلية (٨/ ٢٩٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٩٩٠).

فقد قال ﷺ : «**إنى أُحرِّج عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة**»(١).

وقال ﷺ موضحًا أن من أراد أن يُدرك حاجته وأن يلين قلبه فعليه بالإحسان إلى اليتامى... فقد جاء رجل يشكو من قسوة قلبه، فقال له ﷺ : «**أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟**» قال: بلى يا رسول الله. قال ﷺ : «**ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك**»(٢).

وقال ﷺ موضحًا الأجر العظيم لكافل اليتيم فى الآخرة: «أنا وكافل اليتيم له أو لغيره فى الجنة والساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله»(٣).

١٨- السعى والأخذ بالأسباب:

إننا إذا كنا نتحدث عن أسباب الرزق فليس معنى ذلك أن نترك السعى والأخذ بالأسباب.. فالأصل أننا نجمع بين هذين الأمرين... السعى والأخذ بأسباب الرزق.

ولذا قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(٤).

وقال ﷺ : «إن داود النبى كان لا يأكل إلا من عمل يده»(٥).

وكان الحبيب ﷺ يرعى الغنم قبل البعثة، بل وكان يخرج فى تجارة خديجة رضي الله عنها... وهكذا فالأصل هو السعى والأخذ بالأسباب شريطة أن يكون القلب متعلقًا بالله جل وعلا.

(١) حسن: رواه ابن ماجه (٣٦٧٨) كتاب الأدب، وأحمد (٩٣٧٤) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠١٥).

(٢) صحيح: رواه عبد الرزاق فى الجامع عن معمر (١١/ ٩٦ ، رقم ٢٠٠٢٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٥/ ٨٤، رقم ٤٧٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٤٧٦).

(٤) سورة الملك: الآية: (١٥).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٢٠٧٣) كتاب البيوع.

وقفة مع سورة الواقعة

وقد يسأل سائل ويقول: لماذا لم تذكر أن قراءة سورة الواقعة من أسباب الرزق.

والجواب عن ذلك أنه لم يثبت فى حديث واحد عن النبى ﷺ أن قراءتها سببٌ للرزق.. وكل ما ذُكر فى هذا الأمر فهو ضعيف، ولذا فأنا أسوق لحضراتكم الحديث وحكم العلماء عليه.

ذكر أبو عمر بن عبد البر فى (التمهيد) و(التعليق) والثعلبى أيضًا: أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده فى مرضه الذى مات فيه، فقال: ما تشتكى؟ قال: ذنوبى. قال: فما تشتهى؟ قال: رحمة ربى. قال: أفلا ندعو لك طبيبًا؟ قال: الطبيب أمرضنى. قال: أفلا نأمر لك بعطائك؟ قال: لا حاجة لى فيه؛ حبسته عنى فى حياتى، وتدفعه لى عند مماتى؟ قال: يكون لبناتك من بعدك. قال: أتخشى على بناتى الفاقة من بعدى؟ إنى أمرتهن أن يقرأن سورة «الواقعة» كل ليلة؛ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تُصبه فاقة أبدًا**»[1].

وهذا الحديث ذكره ابن كثير فى تفسيره (٤/ ٢٨١) من رواية ابن عساكر، والألوسى فى روح المعانى (٨/ ٣١١) هذا. وحديث: «**من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا**» أورده الشوكانى فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة (ص٣١١) وقال: فى إسناده كذاب.

وهنا لابد أن نعلم يا إخوانى أننا لا نقرأ القرآن إلا لأننا نحب الله ونحب كلامه تبعًا لمحبته... وفى المجمل فإن قراءة القرآن طاعة لله.. والطاعة سبب من أسباب الرزق، فلا يلزم أن نخصص سورة الواقعة أو غيرها بالقراءة من أجل الرزق؛ فالقرآن وحده رزق لا توازيه الدنيا بما فيها.. فاللهم ارزقنا حفظ القرآن والعمل بما فيه.

---

(١) ضعيف: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٢/ ٤٩٢ ، رقم ٢٥٠٠)، وابن عساكر (٣٣/ ١٨٦)، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (٥٧٧٣).

كلمة أخيرة

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة..

إن كل ما ذكرته من الأسباب تجعل الرزق يأتينا (إن شاء الله)، وذلك لأن كل ذلك يرجع إلى مشيئته.. فعلى الرغم من أن الله تعالى قال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾[1] إلا أنه قال فى آية أخرى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾[2] وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾[3].

فإن ابتلاك الله بالغنى فاشكر الله على تلك النعمة، وإن ابتلاك بالفقر؛ فاصبر وأحسن الظن بالله.

* وتلك كلمة أخرى أوجهها إلى إخوانى وأخواتى.

هل المطلوب من المسلم أن يكون غنيًا أم فقيرًا؟

والجواب: المطلوب من المسلم أن يكون راضيًا عن الله - عز وجل - سواءً كان غنيًّا أو فقيرًا.

فإن بعض الناس يستغرق فى طلب الدنيا حتى ينسى دينه كله، والبعض الآخر يستغرق فى طلب العلم حتى يتسول على موائد الناس... ولكن خير الأمور الوسط.

فعلى المؤمن أن يسعى ليتحصل على الرزق الذى يكفيه ولا يجعله فى حاجة للناس من حوله.. وفى نفس الوقت عليه أن يخصص وقتًا لطلب العلم وللدعوة إلى الله - جل وعلا -.

---

(١) سورة هود: الآية: (١٥).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (١٨).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٢٨).

أخى الكريم.. أختى الكريمة

إنى والله أسأل الله أن يوسع أرزاق المسلمين وأن يبارك لهم فى تلك الأرزاق، وأن يرد المسلمين إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ وألا يُذلهم إلى الشرق الملحد أو الغرب الكافر، وأن يربط قلوبهم برب المشارق والمغارب.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصرى
أبو عمار



خطر
ممنوع الاقتراب



مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾(٣).

أما بعد:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) سورة الحشر: الآية: (٧).

(٥) سورة النجم: الآيتان: (٣، ٤).

(٦) سورة آل عمران: الآية: (٣١).

يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾[١].

وعن أبى **نجيح العرباض بن سارية** ﷺ **قال**: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبدٌ حبشى، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا. فعليكم بسُنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»[٢].

* وعن **أبى هريرة** ﷺ **أن رسول الله** ﷺ **قال**: «**كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى**». قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى**»[٣].

ولقد بلغ الاتباع مبلغًا عظيمًا فى قلوب الصحابة ﷺ فكانوا لا يرفعون قدمًا ولا يضعونها إلا بأمر من الله ورسوله ﷺ.

فعن عابس بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب ﷺ، يُقبِّل الحجر - يَعنى: الأسودَ - ويقولُ: أعلمُ أنك حجرٌ ما تنفع ولا تضر، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يُقبلك ما قبلتك[٤].

ومن ثم كان لابد من الوقوف على بعض المخالفات التى يقع فيها بعض المسلمين... وأنا فى الحقيقة لا أخاطب فى هذه الرسالة الملتزمين فحسب وإنما أخاطب عامة المسلمين سائلاً ربى (عز وجل) أن ينفع بها وأن يجعلها

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧) كتاب السنة، والترمذى (٢٦٧٦) كتاب العلم، وابن ماجه (٤٢) فى مقدمة سننه، والدارمى (٩٥) فى مقدمة سننه، وأحمد (١٦٦٩٢) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٤٩).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٥٩٧) كتاب الحج، ومسلم (١٢٧٠) كتاب الحج.

خالصة لوجهه الكريم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ملحوظة: لقد نبهت فى تلك الرسالة على بعض الكبائر مثل اللواط وغيره من القبائح وذلك من باب العلم بقُبح تلك الكبائر وليس من باب أنها شائعة بين المسلمين... ونسأل الله حُسن الخاتمة.

كتبه
الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصرى
أبو عمار

الحلف بغير الله (جل وعلا)

قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك»(١).

وقال ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله وإلا فليصمت»(٢).

وقال ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فليصدق ومن حُلف له بالله فليرضَ ومن لم يرضَ بالله فليس من الله»(٣).

وقال ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهائكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون»(٤).

أخى الحبيب: إن الحلف بالشىء تعظيمٌ له... وليس هناك أعظم من الله (عز وجل) فيجب ألا تحلف إلا بالله.

والله سبحانه وتعالى له أن يُقسم بما شاء من مخلوقاته.

شدُّ الرحال إلى مقابر الأولياء

قال ﷺ: «لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى»(٥).

فشدُّ الرحال إلى مقابر الأولياء أمرٌ يخالف العقيدة الصحيحة... بل إن شدَّ الرحال إلى قبر النبى ﷺ لا يجوز لأن شدَّ الرحال يكون لمسجد الحبيب ﷺ وليس لقبره.

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٢٥١) كتاب الأيمان، والنذور، والترمذى (١٥٣٥) كتاب النذور والأيمان، وأحمد (٦٠٣٦) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٠٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٠٨) كتاب الأدب، ومسلم (١٦٤٦) كتاب الأيمان.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٢١٠١) كتاب الكفارات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٢٤٧).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٣٢٤٨) كتاب الأيمان والنذور، والنسائى (٣٦٧٩) كتاب الأيمان والنذور، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن النسائى.

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (١١٨٩) كتاب الجمعة، ومسلم (١٣٩٧) كتاب الحج.

أخى الحبيب: اعلم أن النافع الضار هو الله القائل فى كتابه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

فلا يملك النفع والضر (نبى أو ولى) بل لا يملك ذلك إلا الكريم العلى.

عقوق الوالدين وقطيعة الرحم

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (٢).

وعن أبى بكرة نُفيع بن الحارث ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» - ثلاثًا - قُلنا: بلى يا رسول الله: قال: «الإشراك بالله، وعُقُوقُ الوالدين» وكان مُتكئًا فجلسَ، فقال: «ألا وقولُ الزُّور وشهادةُ الزُّورِ» فما زال يكررُها حتى قُلنا: ليته سكت (٣).

وعن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطعٌ» (٤) - يعنى قاطع رحم -.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقامُ العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل مَن وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا إن شئتم ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ

(١) سورة النمل: الآية: (٦٢).
(٢) سورة الإسراء: الآيتان: (٢٣-٢٤).
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٧٦) كتاب الأدب، ومسلم (٨٧) كتاب الإيمان.
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٨٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٥٦) كتاب البر والصلة والآداب.

فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ (١)(٢) .

وفى رواية للبخارى: فقال الله تعالى : **«من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته»**(٣).

- واعلم يا أخى الحبيب أن عقوق الوالدين وقطيعة الرحم يوجبان العقوبة فى الدنيا والآخرة قال ﷺ : **«ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدَّخره له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم»**(٤) .

وفى رواية: **«بابان مُعجَّلان عقوبتهما فى الدنيا: البغى والعقوق»**.

- وأما عن حسرة من عق والديه فى الآخرة فقد أخبر عنها ﷺ بقوله: **«ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة** - وذكر منهم - **العاق لوالديه. وثلاثة لا يدخلون الجنة** - وذكر منهم - **العاق لوالديه»**(٥) .

مصاحبة أهل الفسوق والعصيان

قال ﷺ : **«الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»**(٦) .

وقال ﷺ : **«إنما مثلُ الجليس الصالح، وجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسلك، إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخُ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وأما أن تجد ريحًا خبيثة»**(٧) .

(١) سورة محمد: الآيتان: (٢٢، ٢٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٣٢) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٥٤٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٩٨٨) كتاب الأدب.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٠٢) كتاب الأدب، والترمذى (٢٥١١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٢١١) كتاب الزهد، وأحمد (١٩٨٦١) أول مسند البصريين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٠٤).

(٥) صحيح: رواه النسائى (٢٥٦٢) كتاب الزكاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٧١).

(٦) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٣) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٧٨) كتاب الزهد، وأحمد (٧٩٦٨) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٤٥).

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٠١) كتاب البيوع، ومسلم (٢٦٢٨) كتاب البر والصلة والآداب.

ولذلك حضَّ النبى ﷺ على مصاحبة الصالحين فالمؤمن يزداد إيمانه بمصاحبة الصالحين ولذلك قال ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى**»(١).

فاحذر يا أخى من مصاحبة أهل الفسوق والعصيان - فالمرء على دين خليله.

الكذب

أخى الحبيب: إن الكذب قد شاع وانتشر بين الناس فى هذا الزمان كانتشار النار فى الهشيم... ولم يعلم الكاذب أنه سيجنى الحسرات فى الدنيا والآخرة.

فأما فى الدنيا فحسبُه أن يُكتب عند الله كذابًا كما أخبر بذلك الحبيب ﷺ: «**وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا**»(٢).

وكذلك فإنه يدخل فى دائرة المنافقين كما قال ﷺ: «**أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا** - وذكر منه: **وإذا حدث كذب**»(٣). بل لقد دعا النبى ﷺ على أهل الكذب فقال: «**ويل للذى يحدث فيكذب ليُضحك به القوم ويلٌ له ويلٌ له**»(٤).

وأما عن حسرة أهل الكذب فى قبورهم فلقد أخبر ﷺ بعذابهم فى قبورهم.

قال ﷺ: «**رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدىَّ فأخرجانى إلى الأرض**

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٢) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣٩٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٠٩٤٤) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٤١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٩٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٨) كتاب الإيمان.

(٤) حسن: رواه أبو داود (٤٩٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٩٥١٩) أول مسند البصريين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١٣٦).

المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم على رأسه بيده كُلُّوبٍ من حديد فيُدخله في شدقه فيشقَّه حتى يُخرجه من قفاه ثم يُخرجه فيُدخله في شَدقه الآخر ويلتئم هذا الشدق فهو يفعل ذلك به، فقلت: ما هذا؟

فقالا في آخر الحديث ردًّا على السؤال: «أما الرجل الأول الذي رأيت فإنه رجل كذاب يكذب الكذبة فتُحمل عنه في الآفاق فهو يُصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة ثم يصنع الله تعالى به ما شاء»(١) .

وأما عن حسرتهم يوم القيامة فقد قال ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر»(٢) .

وقال ﷺ : «من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»(٣) .

بل إن الفضيحة تلازمهم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(٤) .

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٥) .

الغيبة

أخي الحبيب: إن الغيبة صارت فاكهة كثير من المجالس، وهو أمر قد نهى الله عنه ونفَّر عباده منه ومثَّله بصورة كريهة تتقزز منها النفوس فقال عز

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٨٦) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٧) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٠٧) كتاب العلم.

(٤) سورة هود: الآية: (١٨).

(٥) سورة الزمر: الآية: (٦٠).

وجل: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾(١) .

وقد بيَّن معناها النبى ﷺ بقوله: «**أتدرون ما الغيبة؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه**»(٢) .

والمغتاب يجنى الحسرة والندامة فى الدنيا والآخرة.

فأما حسرته فى الدنيا فإنه يجنى كراهية الخلق والخالق جل وعلا بل إن الله يسلط عليه من يقع فى عرضه.

قال الإمام مالك: أعرف أُناسًا لم يكن لهم عيوب فخاضوا فى عيوب الناس فأوجد الناس لهم عيوبًا وأعرف أناسًا لهم عيوبٌ فستروا عيوب الناس فستر الله عيوبهم.

وقد قال ﷺ : «**الربا اثنان وسبعون بابًا أدناها مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل فى عِرض أخيه**»(٣) .

وأما عن حسرته فى الآخرة يقول النبى ﷺ واصفًا تلك الحسرة: «لما عرج بى ربى عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم»(٤) .

قال الطيبى: لما كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات جعلها جزاء من يقع فى أعراض المسلمين إشعارًا بأنهما ليستا من صفات الرجل بل هما من صفة النساء فى أقبح حالة وأبشع صورة.

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه الطبرانى (١٣/ ١٧٢ ، رقم ٤١١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٣٧).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٧٨) كتاب الأدب، وأحمد (١٢٩٢٧) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢١٣).

وفى حديث أبى هريرة يرفعه: «من أكل لحم أخيه فى الدنيا قُرب له يوم القيامة فيقال له: كُله ميتًا كما أكلته حيًّا فيأكله ويكلح ويصيح»(١).

وفى المقابل فإن النبى ﷺ قد رغَّب فى أن يدفع المسلم ويدافع عن عرض أخيه المسلم فقال ﷺ : «من ردَّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة»(٢).

النميمة

أخى الحبيب: احذر من السعى بين إخوانك للإفساد بينهم فإن من يفعل ذلك فسوف يجنى الحسرة فى الدنيا والآخرة.

فأما حسرته فى الدنيا فإن الله ينزغ الطمأنينة والسعادة من قلبه لأن الإنسان الذى يسعى بين الناس بالنميمة لا يفعل ذلك إلا لحقده وحسده ولذا فإن الله جل وعلا يشعل النار فى صدره ويشعلها عليه فى قبره كما أشعل نار الفتنة بين إخوانه المسلمين.... وتأمل معى هذا المشهد عندما مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليُعذَّبان وما يُعذَّبان فى كبير. أما أحدهما فكان لا يستتر من البول - وفى رواية: لا يستنزه من البول - وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة»(٣).

وأما عن حسرته فى الآخرة فقد قال ﷺ : «لا يدخل الجنة قتات»(٤).

والقتات هو النمام!!!

* * *

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط (٢/ ١٨٢، رقم ١٦٥٦)، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الترغيب والترهيب (١٦٨٥).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (١٩٣١) كتاب البر والصلة، وأحمد (٢٦٩٨٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٦٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٨) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٩٢) كتاب الطهارة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٥٦) كتاب الأدب، ومسلم (١٠٥) كتاب الإيمان.

عدم تحرى الحلال

قال تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (١).

وقال ﷺ: «**يأتى على الناس زمان ما يبالى الرجل من أين أصاب المال؟ من حلال أو حرام**»(٢).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحلال بيِّن، وإن الحرام بيِّن، وبينهما أمورٌ مشتبهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اتَّقى الشُّبُهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشُّبهات، وقع فى الحرام...**»(٣).

فيجب على كل مسلم أن يتقى الله فى نفسه وفى زوجته وأولاده فلا يُطعمهم إلا حلالاً... ولقد كانت المرأة من سلفنا الصالح تقول لزوجها إذا أراد الخروج فى الصباح: اتقِ الله فينا ولا تُطعمنا حرامًا فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على نار جهنم.

ترك الصلاة أو تأخيرها

بعض الرجال يتركون الصلاة أو يؤخرونها عن وقتها... وهذا حرام ولا يحل أبدًا إلا إذا كان هناك عذر شرعى لتأخيرها... قال تعالى: ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا** ﴾ (٤).

وإضاعة الصلاة هنا ليس تركها بالكلية وإنما تأخيرها عن وقتها أما من

(١) سورة النور: الآية: (١٥).

(٢) صحيح: رواه النسائى (٤٤٥٤) كتاب البيوع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠٠٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة.

(٤) سورة مريم: الآيتان: (٥٩، ٦٠).

يترك الصلاة فقد قال تعالى عنه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (١).

فمن ترك الصلاة ولم يسجد لله يُحشر يوم القيامة فى (وادى سقر) عياذا بالله.

فاحذر يا أخى الحبيب من ترك الصلاة أو تأخيرها.

ترك الطمأنينة فى الصلاة

قال ﷺ: **«أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته»** قالوا: يا رسول الله: وكيف يسرق من صلاته؟ قال: **«لا يتم ركوعها ولا سجودها»** (٢).

وفى الحقيقة إن هذا الأمر قد انتشر بشكل لا يخطر على قلب بشر. مع أن أكثر الناس يعلمون أن الخشوع والطمأنينة فى الصلاة ركن ولا تصح الصلاة بدونها ولذلك قال ﷺ: **«لا تُجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره فى الركوع والسجود»** (٣).

وعن **أبى عبد الله الأشعرى قال:** صلى رسول الله ﷺ بأصحابه ثم جلس فى طائفة منهم فدخل رجل فقام يصلى فجعل يركع وينقر فى سجوده فقال النبى ﷺ: **«أترون هذا؟ من مات على هذا مات على غير ملة محمد ينقر صلاته كما**

---

(١) سورة المدثر: الآيات: (٣٨-٤٨).

(٢) صحيح: رواه الدارمى (١٣٢٨) كتاب الصلاة، وأحمد (٢٢١٣٦) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٨٦).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٨٥٥) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٦٥) كتاب الصلاة، والنسائى (١٠٢٧) كتاب الافتتاح، وابن ماجه (٨٧٠) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، والدارمى (١٣٢٧) كتاب، وأحمد (١٦٦٢٥) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٢٢٤).

ينقر الغراب الدم، إنما مثل الذى يركع وينقر فى سجوده كالجائع لا يأكل إلا التمرة والتمرتين فماذا تغنيان عنه» [١]، وعن زيد بن وهب قال: رأى حذيفة رجلاً لا يتم الركوع والسجود قال: «ما صليت ولو مُتَّ مت على غير الفطرة التى فطر الله محمدًا ﷺ عليها» [٢]. وينبغى على من ترك الطمأنينة فى الصلاة إذا علم بالحكم أن يعيد فرض الوقت الذى هو فيه ويتوب إلى الله عما مضى، ولا تلزمه إعادة الصلوات السابقة كما دل عليه حديث «**ارجع فصلِّ فإنك لم تُصلِّ**» [٣][٤].

ترك صلاة الجمعة

كثير من الناس وصل بهم التهاون فى أمر دينهم أنهم يتركون صلاة الجمعة فى المسجد ويصلونها فى بيوتهم (ظُهرًا) أربع ركعات. وكل ذلك بسبب الجهل الشديد الذى حال بينهم وبين معرفة ثوابها وحال بينهم وبين معرفة إثم تاركها.

قال ﷺ: «لينتهين أقوامٌ عن ودعهم الجُمعات: أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» [٥].

وقال ﷺ: «من ترك ثلاث جُمعات من غير عذر كُتب من المنافقين» [٦].

وقال ﷺ: «من ترك ثلاث جُمع تهاونًا بها طبع الله على قلبه» [٧].

---

(١) حسن: رواه ابن خزيمة (١/ ٣٣٢ ، رقم ٦٦٥) ، والبيهقى (٢/ ٨٩ ، رقم ٢٤٠٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صلاة التراويح (ص١١٨).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٩١) كتاب الأذان.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥٧) كتاب الأذان، ومسلم (٩٣٧) كتاب الصلاة.

(٤) محرمات استهان بها الناس / محمد صالح المنجد (ص: ٢٤، ٢٥).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٨٦٥) كتاب الجمعة.

(٦) صحيح: رواه الطبرانى (١/ ١٧٠ ، رقم ٤٢٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٤٤).

(٧) رواه أبو داود (١٠٥٢) كتاب الصلاة، والترمذى (٥٠٠) كتاب الجمعة، والنسائى (١٣٦٩) كتاب الجمعة، وابن ماجه (١١٢٥) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، والدارمى (١٥٧١) كتاب الصلاة، وأحمد (١٥٠٧٢) مسند المكيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٤٣).

فتأمل يا أخى الكريم كيف أن الله يجمع على تارك صلاة الجمعة ثلاثة أنواع من العقوبات:

أولاً: أنه من أهل الغفلة.

ثانيًا: أنه يُكتب من المنافقين.

ثالثًا: أن الله يطبع على قلبه.

ترك صلاة الجماعة فى المسجد بغير عذر

وتلك مخالفة وقع فيها الكثير ممن زيّن لهم الشيطان هجر بيوت الله التى أثنى على أهلها فقال: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ**﴾[١].

وعن ابن عباس أنه ﷺ قال: «**من سمع النداء فلم يُجب فلا صلاة له إلا من عُذر**»[٢].

وعن أبى الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو، لا تُقامُ فيهم الصلاة، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئبُ من الغنم القاصية**»[٣].

وعن ابن مسعود أنه ﷺ قال: «**ولو أنكم صليتم فى بيوتكم، كما يُصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنَّة نبيكم، ولو تركتم سنَّة نبيكم لضللتم...**»[٤]. الحديث.

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد هممت أن آمر**

---

(١) سورة النور: الآيتان: (٣٦، ٣٧).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٧٩٣) كتاب المساجد والجماعات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٠٠).

(٣) حسن: رواه أبو داود (٥٤٧) كتاب الصلاة، والنسائى (٨٤٧) كتاب الإمامة، وأحمد (٢١٢٠٣) مسند الأنصار ﷺ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٠١).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٥٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

فتيتى فيجمعوا لى حزمًا من حطب، ثم آتى قومًا يصلون فى بيوتهم، ليست بهم علة، فأحرّقها عليهم»[(١)].

قال الإمام ابن تيمية: «من اعتقد أن الصلاة فى بيته أفضل من صلاة الجماعة فى مسجد المسلمين فهو ضال مبتدع باتفاق المسلمين[(٢)].

أكل الثوم والبصل عند الذهاب إلى المسجد

بعض الناس يأكلون الثوم أو البصل أو الكراث عندما يذهبون إلى المسجد فيتسببون فى إيذاء من حولهم من المصلين، بل ومن الملائكة.

قال ﷺ : «من أكل من هذه الشجرة -يعنى الثوم- **فلا يأتين المساجد»**[(٣)].

وعن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكراث. فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها. فقال: **«من أكل من هذه الشجرة المُنتنة فلا يقربن مسجدنا. فإن الملائكة تتاذّى مما يتأذى منه الإنس»**[(٤)].

قال الإمام النووى: هذا تصريح بنهى من أكل الثوم ونحوه عن دخول كل مسجد، وهذا مذهب العلماء كافة.

قال العلماء: ويلحق بالثوم والبصل والكراث كل ما له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها.

وقال العلماء: فى الحديث دليل على منع آكل الثوم ونحوه من دخول المسجد وإن كان خاليًا؛ لأنه محل الملائكة، ولعموم الأحاديث[(٥)].

وأقول: فإن كان هذا النهى عن شىء أحله الله فما ظنك بمن يشرب الدخان الذى حرمه الله ثم يأتى ليصلى بين يدى الله فيؤذى كل من حوله[(٦)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٤) كتاب الأذان، ومسلم (٦٥١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) الفتاوى الكبرى (١/ ١٢٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٨٥٤) كتاب الأذان، ومسلم (٥٦٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٥٦٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) مسلم بشرح النووى (٥/ ٦٧: ٦٩) بتصرف.

(٦) أخطاء المصلين / للمصنف (ص: ٢٠٩: ٢١١) بتصرف.

إفطار رمضان بلا عذر ولا رخصة

عن أبى أُمامة الباهلى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**بينا أنا نائم أتانى رجلان، فأخذا بضبعىَّ، فأتيا بى جبلاً وعرًا، فقالا: اصعد. فقلت: إنى لا أطيقه. فقالا: إنا سنُسهله لك. فصعدت، حتى إذا كنت فى سواء الجبل إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار. ثم انطلق بى، فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم، مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دمًا. قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم**»[١].

قال الإمام الذهبى: عند المؤمنين مقرر أن من ترك صوم رمضان بلا مرض ولا عذر، أنه شر من المكَّاس ومُدمن الخمر[٢].

ترك الحج مع القدرة عليه

إنها الحسرة - والله - لكل من ترك الحج متعمداً مع قدرته عليه فإنه يُحرم من الثواب الذى أخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم حيث يقول: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**»[٤].

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى (٨/ ١٥٥ ، رقم ٧٦٦٦) ،والحاكم (٢/ ٢٢٨ ، رقم ٢٨٣٧)، والبيهقى فى إثبات عذاب القبر (ص ٧٨ ، رقم ٩٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٩٣).

(٢) الكبائر للذهبى (ص٥٧)، طبع مكتبة السنة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٧٧٣) كتاب الحج، ومسلم (١٣٤٩) كتاب الحج.

(٤) حسن: رواه الترمذى (٨٤٠) كتاب الحج، والنسائى (٢٦٣١) كتاب مناسك الحج، وأحمد (٣٦٦٠) مسند المكثرين من الصحابة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١١٠٥).

وقال عمر ﷺ: من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديًا أو نصرانيًا.

وقال أيضًا: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية... ما هم بمسلمين!!![1].

ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[3].

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم مُنكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[4].

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحابٌ يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلفُ من بعدهم خلوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون،

---

(١) وأنذرهم يوم الحسرة / للمصنف (ص ١٦٤، ١٦٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١١٠).

(٣) سورة المائدة: الآيتان: (٧٨، ٧٩).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٤٩) كتاب الإيمان.

فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[(١)].

وعن حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم»[(٢)].

إيذاء الجار

وأما عن سوء الجوار فحدّث ولا حرج... فإنك لا تكاد تجد بيتًا ليس فيه جار يسيء إلى جيرانه - إلا من رحم الله - وهذا كله بسبب ضعف الإيمان في القلوب.

قال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحسن إلى جاره...»[(٣)].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره...»[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله ولا يؤمن» قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»[(٥)][(٦)].

وفي رواية لمسلم: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقهُ»[(٧)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٠) كتاب الإيمان.

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢١٦٩) كتاب الفتن، وأحمد (٢٢٨١٦) باقي مسند الأنصار، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٠٧٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٩) كتاب الأدب، ومسلم (٤٨) كتاب الإيمان، واللفظ له.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

(٥) البوائق: الغوائل والشرور.

(٦) صحيح: رواه البخاري (٦٠١٦) كتاب الأدب.

(٧) صحيح: رواه مسلم (٤٦) كتاب الإيمان.

وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»(١).

فاللهم اهد جيراننا وارزقنا الإحسان إلى جيراننا.

شهادة الزور

قال تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾(٢).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قُلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**» وكان متكئًا فجلس، فقال: «**ألا وقول الزور، وشهادة الزور**» فما زال يُكررها حتى قلنا: ليته سكت(٣).

أخذ الرشوة وإعطاؤها

قال تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٤).

وهذه جريمة تؤدى إلى ظلم أصحاب الحقوق وإلى انتشار الفساد فى المجتمعات.

أما إذا كان الإنسان مقهورًا على دفع الرشوة ليتوصل إلى حقه أو لدفع الظلم عن نفسه، ولم يتمكن من فعل ذلك إلا من خلال الرشوة فالذنب على من أخذ الرشوة.

وقد تفشَّت الرشوة فى عصرنا تفشيًا واسعًا حتى صارت موردًا أعظم من

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٢٤) كتاب البر والصلة والآداب.
(٢) سورة الحج: الآية: (٣٠).
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٧٦) كتاب الأدب، ومسلم (٨٧) كتاب الإيمان.
(٤) سورة البقرة: الآية: (١٨٨).

المرتبات عند بعض الموظفين، بل صارت بندًا من ميزانيات كثير من الشركات بعناوين مُغلَّفة، وصارت كثير من المعاملات لا تبدأ ولا تنتهى إلا بها.

وتضرر من ذلك الفقراء تضررًا عظيمًا، وفسدت كثير من الذمم بسببها، وصارت سببًا لإفساد العمال على أصحاب العمل، والخدمة الجيدة لا تُقدَّم إلا لمن يدفع، ومن لا يدفع فالخدمة له رديئة أو يُؤخَّر ويُهمَل، وأصحاب الرشاوى الذين جاؤوا من بعده قد انتهوا قبله بزمن، وبسبب الرشوة دخلت أموال هى من حق أصحاب العمل فى جيوب مندوبى المبيعات والمشتريات، ولهذا وغيره فلا عجب أن يدعو النبى ﷺ على الشركاء فى هذه الجريمة والأطراف فيها أن يطردهم الله من رحمته... فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعنة الله على الراشى والمرتشى**»[1][2].

قذف المحصنات

قال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات** - وذكر منهم - **قذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[3]، وتأمل معى حسرتهم فى الآخرة فقد قال الحق جل وعلا: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[4].

ويا له من خزى يوم تشهد الجوارح على الإنسان بكل ما عمل وقال... قال

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٥٨٠) كتاب الأقضية، والترمذى (١٣٣٧) كتاب الأحكام، وابن ماجه (٢٣١٣) كتاب الأحكام، وأحمد (٦٤٩٦) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥١١٤).

(٢) محرمات استهان بها كثير من الناس / الشيخ: محمد صالح المنجد (ص: ٥٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٦٧) كتاب الوصايا، ومسلم (٨٩) كتاب الإيمان.

(٤) سورة النور: الآيتان: (٢٣، ٢٤).

ﷺ : «من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال»(١) .

وقال: «من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جُلد يوم القيامة حدًّا إلا أن يكون كما قال»(٢) . فإن كان هذا هو الحال مع المملوك فكيف بالحرة الطاهرة؟

شرب الخمور

إنها الحسرة على من شرب الخمر فى الدنيا .

فأما حسرته فى الدنيا فحسبُه (يعنى يكفيه) أنه مطرود من رحمة الله جل وعلا، فقد قال ﷺ : «أتانى جبريل فقال: يا محمد إن الله عز وجل لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقيها ومُسقيها»(٣) . . . واللعن هو الطرد من رحمة الله .

ثم إنه من شربها فتح له الشيطان بابًا إلى ارتكاب الفواحش. . . قال ﷺ : «الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر من شربها وقع على أمه وخالته وعمته»(٤) .

وكذلك فإن الملائكة لا تقرب شارب الخمر، . . . وهذا والله عقاب أليم أن يُحرم العبد صحبة الملائكة فقد قال ﷺ : «ثلاثة لا تقربهم الملائكة: السكران، والمتضمخ بالزعفران، والجُنُب»(٥) .

وقال ﷺ : «الخمر أم الخبائث من شربها لم تُقبل صلاته أربعين يومًا فإن مات وهى فى بطنه مات ميتة جاهلية»(٦) .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٦٠) كتاب الأيمان.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٨٥٨) كتاب الحدود.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٨٩٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٢).

(٤) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير (١١/ ١٦٤ ، رقم ١١٣٧٢)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٤٥).

(٥) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٥/ ٢٥٢ رقم ٥٢٣٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٦٠).

(٦) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٤/ ٨١ ، رقم ٣٦٦٧) ، والدارقطنى (٤/ ٢٤٧)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٤٤).

وفى رواية : «ومن تاب تاب الله عليه فإن عاد كان حقًا على الله أن يسقيه من ردغة الخبال يوم القيامة. عُصارة أهل النار»(١).

وأما عن حسرتهم فى الآخرة فقد قال ﷺ : «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا(٢): الديوث والرجلة من النساء ومدمن الخمر»(٣).

وقال ﷺ : «من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حُرمها فى الآخرة»(٤).

وقال ﷺ : «من مات وهو مدمن خمر لقى الله وهو كعابد وثن»(٥).

تتبع عورات المسلمين

وهناك صنف من الناس يشغلون أنفسهم بتتبُّع عورات المسلمين. . .

قال رسول الله ﷺ : «يا معشر مَن آمن بلسانه ولم يدخلِ الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته»(٦).

ولله در القائل :

لا تكشفن مساوى الناس ما ستروا
فيهتك الله سترًا عن مساويكا

(١) رواه الترمذى (١٨٦٢) كتاب الأشربة، والنسائى (٥٦٦٤) كتاب الأشربة، وابن ماجه (٣٣٧٧) كتاب الأشربة، والدارمى (٢٠٩١) كتاب الأشربة، وأحمد (٦٦٠٦) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣١٣).

(٢) المقصود منها أنه إذا استحل شرب الخمر أو أنكر حرمانية الخمر فهو كافر ومخلد فى النار وأما إن شربها وعلم أنه عاص لله فهو فى مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ولكنه لا يدخل الجنة مع أول الداخلين بل يؤخر عنهم لمعصيته وحكمه حكم أهل الكبائر.

(٣) صحيح لغيره: رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٤١٢ ، رقم ١٠٨٠٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٧١)، وقال: صحيح لغيره.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٧٥) كتاب الأشربة، ومسلم (٢٠٠٣) كتاب الأشربة.

(٥) صحيح: رواه الطبرانى (١٢/ ٤٥، رقم ١٢٤٥٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٤٩).

(٦) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٨٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٩٢٧٧) أول مسند البصريين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٨٤).

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذُكروا
ولا تعب أحدًا منهم بما فيكا[١]

سمع أعرابى رجلاً يقع فى الناس، فقال: قد استدللتُ على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس؛ لأن الطالب لها يطلبها بقدر ما فيه منها.

لبس الحرير

وهذا من بين الأشياء المحرمة على الرجال.

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تلبسوا الحرير فإنَّ مَن لَبِسهُ فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة**»[٢].

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما يلبسُ الحرير من لا خلاق له**»[٣].

وفى رواية للبخارى: «**من لا خلاق له فى الآخرة**».

وعن على ﷺ قال: «رأيت رسول الله ﷺ أخذ حريراً فجعله فى يمينه وذهبًا فجعله فى شماله ثم قال: «**إن هذين حرامٌ على ذكور أمتى**»[٤].

لبس الذهب

وهذا من بين الأشياء التى حرمها الشارع على الرجال وأحلها للنساء فعن على ﷺ قال: رأيت رسول الله أخذ حريراً فجعله فى يمينه وذهبًا فجعله فى شماله ثم قال: «**إن هذين حرامٌ على ذكور أمتى**»[٥].

---

(١) تفسير القرطبى (٩/ ١٤٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٨٣٢) كتاب اللباس، ومسلم (٢٠٧٣) كتاب اللباس والزينة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٨٣٥) كتاب اللباس، ومسلم (٢٠٦٩) كتاب اللباس والزينة.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٥٧) كتاب اللباس، والنسائى (٥١٤٤) كتاب الزينة، وابن ماجه (٣٥٩٥) كتاب اللباس، وأحمد (٩٣٧) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٧٤).

(٥) صحيح، انظر السابق.

وفى رواية قال ﷺ : «**حُرِّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتى وأُحِلَّ لإناثهم**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب فى يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده**»، فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ (٢).

الغش فى البيع والشراء

ومن المخالفات الشائعة - الغش فى البيع والشراء - وهو من المحرمات التى نهى الشارع عنها.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من حمل علينا السلاح، فليس منا، ومن غشنا فليس منا**»(٣).

وفى رواية له: أن رسول الله ﷺ مرّ على صبرة طعام، فأدخل يدهُ فيها، فنالت(*) أصابعه بللاً، فقال: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟**» قال: أصابتهُ السماءُ يا رسول الله. قال: «**أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا**»(٤).

وقد ضرب سلفنا الصالح - رحمة الله عليهم - الأسوة والقدوة فى الأمانة والسماحة فى البيع والشراء.

سماع الأغانى والمعازف

قال ﷺ : «**ليكونن فى أمتى أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف**

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٧٢٠) كتاب اللباس، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٣٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٩٠) كتاب اللباس والزينة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠١) كتاب الإيمان.

(*) فنالت: أصابت بللاً مستورًا بالطعام اليابس - أصابته السماء: المطر.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٠٢) كتاب الإيمان.

ولينزلن أقوام إلى جنب عَلَم، يروح عليه بسارحة لهم، يأتيهم لحاجة. فيقولوا: ارجع إلينا غدا، فيُبيتهم الله تعالى، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»(١).

يقول الإمام ابن القيم بعد ذكره لمُستحلّى الحرام بالحيلة وعقابهم بجنس عقوبات أمثالهم من العصاة: المسخ على صورة القردة والخنازير واقع فى هذه الأمة ولابد، وهو فى طائفتين: علماء السوء الكاذبين على الله ورسوله، الذين قلبوا دين الله وشرعه، فقلب الله تعالى صورهم، كما قلبوا دينه، والمجاهرين المتهتكين بالفسق والمحارم. ومن لم يُمسخ منهم فى الدنيا مُسخ فى قبره، أو يوم القيامة، وبكل حال فالمسخ لأجل الاستحلال بالاحتيال قد جاء فى أحاديث كثيرة»(٢).

فيا ليتنا نعرف قدر القرآن ونملأ بيوتنا به - تلاوة وسماعًا - بدلاً من الأغانى التى إن لم تُبعدك عن الله فلن تُقربك منه.

التدخين

وهذا أيضًا مما عمّت به البلوى - وهو من المحرمات - فقد قال تعالى فى وصف النبى ﷺ: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾(٣).

ولا يشك عاقل أن الدخان من الخبائث التى حرمها الله.

بل قال ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»(٤). والتدخين ضارٌّ بصاحبه مُضرٌّ بمن حوله... بل هو تضييع للمال الذى جعله الله أمانة بين يديك ثم يسألك عنه يوم القيامة.

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى معلقًا كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، وأبو داود (٤٠٢٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٤٦٦).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان / الإمام ابن القيم (ص: ٣٤٦).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٥٧).

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٣٤١) كتاب الأحكام، وأحمد (٢٨٦٢)، ومالك فى الموطأ (١٤٦١) كتاب الأقضية، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٥١٧).

اللعب بالنرد

إن من المحرمات التى انتشرت بين كثير من المسلمين - اللعب بالنرد - (المعروف بالزهر) الذين يلعبون به فى الطاولة والسلم والثعبان وغيرهما من الألعاب.

وهذا النرد قد حرم النبى ﷺ اللعب به لأنه مفتاح لأبواب المقامرة والميسر... قال ﷺ: «**من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله**»(١).

وقال ﷺ: «**من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده فى لحم خنزير ودمه**»(٢).

عدم غض البصر

ونجد كثيراً من الرجال يطلقون العنان لأبصارهم فى النظر إلى النساء فتحرك شهوته فيفتح عليه باب شر مستطير.

قال الله تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾(٤). وقال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾(٦).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه **أن النبى** ﷺ **قال: «كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة: العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماعُ، واللسان زناه الكلامُ، واليدُ زناها البطش، والرجل زناها الخُطا، والقلب يهوى**

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٩٣٨) كتاب الأدب، وابن ماجه (٣٧٦٢) كتاب الأدب، وأحمد (١٩٠٢٧) أول مسند الكوفيين، ومالك فى الموطأ (١٧٨٦) كتاب الجامع، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٢٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٦٠) كتاب الشعر.

(٣) سورة النور: الآية: (٣٠).

(٤) سورة الإسراء: الآية: (٣٦).

(٥) سورة غافر: الآية: (١٩).

(٦) سورة الفجر: الآية: (١٤).

ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»(١).

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**إياكم والجلوس فى الطرقات**» قالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بُد: نتحدث فيها: فقال رسول الله ﷺ: «**فإذا أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقَّه**» قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «**غض البصر، وكف الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**»(٢).

* وعن جرير ﷺ قال: سألت رسول ﷺ عن نظر الفجأة فقال: «**اصرف بصرك**»(٣).

الخلوة بالمرأة الأجنبية

وهذا أمرٌ لا يجوز شرعًا.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾(٤).

وعن عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء**»، فقال رجل من الأنصار أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحموُ الموت**»(٥)(٦).

وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم**»(٧).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٤٣) كتاب الاستئذان، ومسلم (٢٦٥٧) كتاب القدر.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٦٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢١٢١) كتاب اللباس والزينة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢١٥٩) كتاب الآداب.

(٤) سورة الأحزاب: الآية: (٥٣).

(٥) «الحمو» قريب الزوج كأخيه، وابن أخيه، وابن عمه.

(*) الحمو الموت: الخوف منه لوجود الشر والفتنة أكثر من غيره لتمكنه من الوصول إلى المرأة، أى الخلوة بالحمو مؤدية إلى الهلاك.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٣٢) كتاب النكاح، ومسلم (٢١٧٢) كتاب السلام.

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٣٣) كتاب النكاح، ومسلم (١٣٤١) كتاب الحج.

التشبُّه بالنساء

عن ابن عباس رضي الله عنهما **قال:** لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء [١].

وفى رواية: لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال[٢].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه **قال:** «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»[٣].

الدياثة

لقد أمر الله المؤمنين بحمل تلك الأمانة العظيمة فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [٤]. فخانوا تلك الأمانة فكان حالهم يوم القيامة كما أخبر الحق جل وعلا ﴿ **قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ﴾[٥].

فقد خسروا أنفسهم فى الدنيا لبُعدهم عن الله جل وعلا وإدخال الفساد إلى بيوتهم فكان الواحد منهم سببًا فى فساد أولاده وأزواجه وكان سببًا فى

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٨٨٦) كتاب اللباس.

* المخنث: الذى يتشبه بالنساء فى الحركة والكلام واللباس فهو المؤنث من الرجال.

* المترجلات: اللاتى كالرجال تشبيهًا: قال الطبرى: المعنى أنه لا يجوز للرجال التشبه بالنساء فى لبس أو زينة مختصات بهن ولا العكس.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٨٨٥) كتاب اللباس.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٩٨) كتاب اللباس، وأحمد (٨١١٠) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٩٥).

(٤) سورة التحريم: الآية: (٦).

(٥) سورة الزمر: الآية: (١٥).

حرمانهم من دخول الجنة فقضى الله بحرمانه من الجنة. . . والجزاء من جنس العمل كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ : «**ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة** - وذكر منهم - **والديوث الذى يُقر فى أهله الخبث**»(١) .

وكل ذلك لأن الآباء فى زماننا هذا - إلا من رحم الله - قد قدموا استقالة جماعية من وظيفتهم الأساسية ألا وهى تربية الأبناء من خلال النبع الصافى: كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فأصبح لسان حال كل واحد منهم:

بعضى على بعض يجرد سيفه
والسهم منى نحو صدرى يُرسَلُ
النار توقد فى خيام عشيرتى
وأنا الذي ياللمصيبة أُشعِلُ(٢)

السفر لجمع المال... وترك الزوجة

وهذا مما عمّت به البلوى. . . فنرى الرجل يسافر لجمع المال ويترك زوجته عامًا أو عامين أو أكثر فيحرمها بذلك من حقوقها الشرعية بل قد تضعف وتعصى ربها وتخون زوجها - إن لم يكن عندها وازع دينى - فيكون بذلك قد هدم بيته كله فى الوقت الذى كان يسعى فيه لرفع مستوى المعيشة.

أخى الحبيب: إذا أردت السفر فلا تترك زوجتك وإذا لم تسافر فحافظ على زوجتك وأحسن عشرتها.

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥٣٤٩) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٥٢).

(٢) وأنذرهم يوم الحسرة / للمصنف (ص: ١٥٧، ١٥٨).

مصافحة النساء الأجنبيات

قال المصطفى ﷺ: «**لأن يُطعَن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**»[١].

ولا شك أن هذا من زنا اليد كما قال ﷺ: «**العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزنى**»[٢] وهل هناك أطهر قلبًا من محمد ﷺ، ومع ذلك قال: «**إنى لا أصافح النساء**»[٣] وقال أيضًا: «**إنى لا أمس أيدى النساء**»[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ولا والله ما مسَّت يدُ رسول الله ﷺ يدَ امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام»[٥].

ومن هنا نقول إنه لا يجوز لرجل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصافح يد امرأة أجنبية عنه لأن ذلك يفتح باب الفتنة على مصراعيها وبخاصة عند أصحاب القلوب المريضة.

اللواط

وهى جريمة من أبشع الجرائم ولا يرتكبها إلا أصحاب الفِطَر المنكوسة.

ولشناعة هذه الجريمة وقُبحها وخطورتها عاقب الله مرتكبيها بأربعة أنواع من العقوبات لم يجمعها على قوم غيرهم، وهى أنه طمس أعينهم، وجعل

(١) صحيح: رواه الطبرانى (٢٠/ ٢١١، رقم ١٧٢٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٤٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٩٠٢) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤١٥٠).

(٣) صحيح: رواه النسائى (٤١٨١) كتاب البيعة، وابن ماجه (٢٨٧٤) كتاب الجهاد، وأحمد (٢٦٤٦٦) باقى مسند الأنصار، ومالك فى الموطأ (١٨٤٢) كتاب الجامع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥١٣).

(٤) صحيح: رواه الطبرانى فى الأوسط (٦/ ٢١٧ ، رقم ٦٢٢٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١٧٧).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٨٨) كتاب الطلاق، ومسلم (١٨٦٦) كتاب الإمارة.

عاليها سافلها، وأمطرهم بحجارة من سجيل منضود، وأرسل عليهم الصيحة.

وفى هذه الشريعة صار القتل بالسيف - على الراجح - هو عقوبة الفاعل والمفعول به إذا كان عن رضًا واختيار. . . فعن ابن عباس مرفوعًا: «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**»(١).

وما ظهر فى زماننا من الطواعين، وأنواع الأمراض التى لم تكن فى أسلافنا الذين مضوا بسبب الفاحشة كمرض الإيدز القاتل، يدل على شىء من حكمة الشارع فى تعيين هذه العقوبة البليغة(٢).

الزنا

ولقد انتشر الزنا بين كثير من الشباب - باسم الزواج العرفى - الذى ما أنزل الله به من سلطان.

أخى الحبيب: هل ترضى لأختك أن تتزوج زواجًا عُرفيًّا؟! بالطبع لا.

فلماذا ترضاه لبنات المسلمين.

وهل تعلم أن من مقاصد الشريعة حفظ العرض والنسل، ولذا حرَّم اللهُ الزنا فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾(٣).

بل وجاءت الشريعة لتسدَّ جميع الطُرق الموصلة إلى الفاحشة ففرضت الحجاب وأمرت بغض البصر وحرّمت الخلوة بالأجنبية. . . إلى غير ذلك من السياج الواقية التى تحمى الشباب من الوقوع فى الرذيلة.

وأخيرًا: ألا تعلم كيف يعاقب الله (الزناة) فى الدنيا وفى القبر ويوم القيامة وفى النار؟!

أسأل الله أن يرزق شبابنا وفتياتنا العفاف وأن ييسر لهم جميعًا سُبل الحلال.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٤٦٤) كتاب الحدود، والترمذى (١٤٥٦) كتاب الحدود، وابن ماجه (٢٥٦٤) كتاب الحدود، وأحمد (٢٧٢٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٨٩).

(٢) محرمات استهان بها الناس / محمد صالح المنجد (ص: ٣١).

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٣٢).

وطء الزوجة فى حيضها

قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ [(١)]. فلا يُحل له أن يأتيها حتى تغتسل بعد طهرها لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾[(٢)]، ويدل على شناعة هذه المعصية قوله ﷺ: «**من أتى حائضًا أو امرأة فى دُبرها أو كاهنًا فقد كفر بما أُنزل على محمد**»[(٣)].

ومَن فعل ذلك خطأً دون تعمد وهو لا يعلم فليس عليه شىء، ومن فعله عامدًا عالمًا فعليه الكفارة فى قول بعض أهل العلم ممن صحح حديث الكفارة وهى دينار أو نصف دينار، قال بعضهم: هو مخير فيهما، وقال بعضهم: إذا أتاها فى أول حيضها فى فورة الدم فعليه دينار، وإن أتاها فى آخر حيضها إذا خفَّ الدم أو قبل اغتسالها من الحيض فعليه نصف دينار، . . . . يتصدق بها أو بقيمتها من الأوراق النقدية[(٤)].

إتيان الزوجة فى دبرها

وهذا من الأفعال القبيحة المحرمة التى تأباها الفطر السليمة بل هو من الكبائر التى تجلب اللعن والطرد من رحمة الله (جل وعلا) قال ﷺ: «**ملعون من أتى امرأة فى دُبرها**»[(٥)].

---

(١)، (٢) سورة البقرة: الآية: (٢٢٢).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٩٠٤) كتاب الطب، والترمذى (١٣٥) كتاب الطهارة، وابن ماجه (٦٣٩) كتاب الطهارة وسننها، والدارمى (١١٣٦) كتاب الطهارة، وأحمد (٩٠٣٥) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٩٤٢).

(٤) والصواب أنه مخير بين الدينار ونصفه سواء كانت فى أول الحيض أو فى آخره.

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٢١٦٢) كتاب النكاح، وأحمد (٩٤٤٠) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٨٨٩).

وقال ﷺ: «من أتى حائضًا أو امرأة فى دُبرها أو كاهنًا فقد كفر بما أُنزل على محمد»(١).

وقد جاء فيها أن النبى ﷺ أخبر بأنه يجوز أن يأتيها كيف شاء من الأمام والخلف ما دام فى موضع الولد، ولا يخفى أن الدبر مكان الغائط وليس موضعًا للولد.

ممارسة العادة السيئة

وهذا أمرٌ شائع بين كثير من الشباب بسبب الفراغ الدينى الذى يعيشونه... وهذه العادة حرَّمها الشارع (جل وعلا).

وقد استدل الإمام الشافعى ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾(٢). قال فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين. وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾(٣)(٤).

وللتخلص من هذه العادة ينبغى على الشباب أن يراقب ربه وأن يُكثر من الصيام فإنه يُضعف الشهوة - كما قال ﷺ - وعليه بغض البصر والسعى إلى الزواج الشرعى وتجنب الوحدة والالتزام بالآداب الشرعية عند النوم فلا ينام على بطنه... وعليه أن يمارس الألعاب الرياضية وأن يتحلى بالصبر والعفة وأن يُكثر من الدعاء ليعصمه الله من هذه العادة القبيحة.



---

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان: (٥، ٦).

(٣) سورة المؤمنون: الآية: (٧).

(٤) تفسير ابن كثير. ط. دار الشعب (٥/٤٥٨).

حلق اللحية

وهذا أيضًا من المخالفات الشائعة بين المسلمين فالنبى ﷺ أمر بإطلاق اللحية فقال ﷺ : «**جُزُّوا الشوارب وأرخوا اللحى وخالفوا المجوس**»(١).

فإعفاء اللحية سُنة مُحمدية وفطرة إنسانية وحَلْقُها معصية وبُعدٌ عن هدى الحبيب ﷺ وتغيير لخلق الله وتشبُّه بالكافرين.

أخى الحبيب: اعلم أن اللحية هى التى تربيك ولست أنت الذى تربيها فإنك إذا هممت بمعصية قالت لك اللحية بلسان الحال: اتقِ الله فإنه لا يليق بمثلك أن تفعل تلك المعصية فأنت قدوة لمن حولك.

نتف الشيب من اللحية أو الرأس

قال ﷺ : «**لا تنتفوا الشَّيب فإنه نور المسلم يوم القيامة**»(٢).

فقد يظن بعض الرجال أحيانًا أن هذا الشيب يشوه منظره أو يجعل الناس يظنون أنه أصبح شيخًا كبيرًا بسبب هذا الشيب... ولكن الحبيب ﷺ يخبر بأن هذا الشيب نور المسلم يوم القيامة.

وصل الشعر والوشم

قال تعالى: ﴿**إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ**

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٠) كتاب الطهارة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٠٢) كتاب الترجل، والترمذى (٢٨٢١) كتاب الأدب، والنسائى (٥٠٦٨) كتاب الزينة، وابن ماجه (٣٧٢١) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٤٦٣).

فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ (١).

وعن ابن عمـر رضي الله عنهما أن رسول الله لعن الواصلة والمستوصلة والـواشمة والمستوشمة(٢).

فإن كـان النبى ﷺ لعن من تلبس الباروكة ولعن من تفـعل ذلك لها فكيف إذا كـان الذى يلبس البـاروكـة - رجل -؟! وهذا الأمـر شـائع فى الأوساط الفنيـة لأن الرجل فى هذا الوسط لابد أن يكون وسيمًا فـإذا سقط شعر رأسه فليس أمامه إلا الباروكة - ولا حول ولا قوة إلا بالله -.

وأما الوشم فهو شـائع فى الأوساط التى ينتشر فيها الفقـر والجهل معًا. فتجد الشاب إذا تعلق بفتاة - وهذا أمرٌ محرم - فإنه يذهب إلى من يضع له الوشم على كتفـه أو ذراعه ليكتب له اسم الفتاة التى يحبـها... فنسأل الله العفو والعافية.

القزع

والقزع هو حلق بـعض الشعر وترك بعـضه... كأن يحلـقه من النصف ويترك الجوانب أو يحـلقه من الجوانب ويتركه من النصـف - وهو ما يسمى بحلقة الكابوريا - ولقد جاء النهى عن ذلك لما فيه من التشبُّه بالأمم الكافرة.

* **عن ابن عمر** رضي الله عنهما **قال:** نهى رسول الله ﷺ عن القزع(٣).

وعنه قال: رأى رسول الله ﷺ صبيًّا قد حُلق بعضُ شعر رأسه وتُرك بعضه، فنهاهم عن ذلك وقال: «**احلقوه كله أو اتركوه كله**»(٤).

(١) سورة النساء: الآيات: (١١٧-١١٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٣٧) كتاب اللباس، ومسلم (٢١٢٤) كتاب اللباس والزينة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٢١) كتاب اللباس، ومسلم (٢١٢٠) كتاب اللباس والزينة.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤١٩٥) كتاب التـرجل، والنسائى (٥٠٤٨) كتاب الزينة، وصححـه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٢).

إسبال الثياب

وإسبال الثياب إن كان للخُيلاء فهو حرامٌ، وإن كان بغير قصد فهو مكروه (وهذا إن كان فى غير صلاة، فإن كان فى الصلاة فهو أشد كراهة).

قال ﷺ: **«من أسبل إزاره فى صلاته خُيلاء فليس من الله فى حِلٍّ ولا حرام»**(١).

وإن كان لغير الخيلاء فقد قال ﷺ: **«ما أسفل الكعبين من الإزار ففى النار»**(٢).

وقد تهاون كثير من المصلين فى هذا الأمر حتى وصل بهم الأمر أنهم لا يتوبون من تلك المعصية، بل ويسخرون من كل من يقصر ثيابه تشبهًا بالنبى ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره، والمنان الذى لا يعطى شيئًا إلا منَّة، والمنفق بالحلف الفاجر»** - وفى لفظ آخر: **« بالحلف الكاذب»**(٣).

عدم الاستتار عند قضاء الحاجة

وهذا مما عمَّت به البلوى.. فكثير من الناس يقضون حاجتهم أمام الناس فى الطرقات لدرجة أن الناس يطلعون على عوراتهم.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد نهى النبى ﷺ **عن ذلك فقال: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة...»**(٤)، والذى يقضى حاجته أمام الناس يكون متسببًا فى وقوعهم فى معصية النظر إلى عورته (فهما فى الوزر سواء).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٦٣٧) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠١٢).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٧٨٧) كتاب اللباس.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠٦) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٣٣٨) كتاب الحيض.

وكان من هدى النبى ﷺ عند قضاء الحاجة أنه كان يبتعد عن أعين الناس وأسماعهم فلا يُسمع له صوت ولا يُشم له رائحة.

فعن جابر رضي الله عنه **قال:** «خرجنا مع النبى ﷺ فى سفر فكان لا يأتى البراز حتى يغيب فلا يُرى»(١).

وعن عبد الله بن جعفر قال: «كان أحب ما استتر به النبى ﷺ لحاجة: هدف أو حائش نخل»(٢).

عدم الاستنزاه من البول

وهذه المخالفة يترتب عليها بُطلان الصلاة دون أن يشعر الرجل الذى يقع فى تلك المخالفة.

وقد حذرنا النبى ﷺ **فقال:** «**تنزهوا من البول فإنه عامة عذاب القبر منه**»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبى ﷺ مر بقبرين فقال: «**إنهما يُعذَّبان، وما يُعذَّبان فى كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول...**» الحديث(٤).

وفى رواية: «**أما أحدهما فكان لا يستنزه من بوله**»(٥).

منع الأجير حقه

لقد رغَّب النبى ﷺ فى سرعة إعطاء الأجير حقه فقال: «**أعطوا الأجير حقه قبل أن يجفَّ عرقُه**»(٦). فمن خان تلك الأمانة فإنه يجنى الحسرة

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢) كتاب الطهارة، وابن ماجه (٣٣٥) كتاب الطهارة وسننها، والدارمى (١٧) فى مقدمة سننه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٤٢) كتاب الحيض.

(٣) صحيح: رواه الدارقطنى (١/ ١٢٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٠٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٦) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٩٢) كتاب الطهارة.

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٢٠) كتاب الطهارة، والنسائى (٣١) كتاب الطهارة، وابن ماجه (٣٤٧) كتاب الطهارة وسننها، وأحمد (١٩٨١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٤٤٠).

(٦) حسن: رواه ابن ماجه (٢٤٤٣) كتاب الأحكام، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٥٥).

فى الدنيا بدعوة المظلوم ونزع البركة من ماله وأولاده وأما حسرته فى الآخرة فقد أخبر عنها النبى ﷺ بقوله: «**قال الله تعالى: ثلاثة أنا خَصْمُهم يوم القيامة** - وذكر منهم-: **ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يُعطه أجره**»[١].

عدم العدل بين الزوجات

إن العدل المطلوب من الرجل هو أن يعدل بين أزواجه فى المبيت والنفقة والكسوة... أما العدل فى الميل القلبى فهذا لا يستطيعه إنسان لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن وقد كان الحبيب ﷺ يحب عائشة رضي الله عنها أكثر من غيرها من أزواجه وعلى الرغم من ذلك كان أعدل وأفضل زوج فى الدنيا كلها.

أما من لم يعدل بين أزواجه فإنه يجنى الحسرة فى الدنيا بأن يتعرض لدعوة المظلوم التى ليس بينها وبين الله حجاب وذلك لأنه ظلم إحدى زوجاته وفضَّل عليها الأخرى.

وأما حسرته فى الآخرة فإنه يأتى يوم القيامة أمام الخلائق وشِقُّه مائل كما قال النبى ﷺ: «**من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشِقُّه مائل**»[٢].

عدم العدل بين الأولاد

وهذا من الظلم الذى يجب على المسلم الرحيم أن يتجنبه...

قال تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[٣].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٢٢٧) كتاب البيوع.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢١٣٣) كتاب النكاح، والترمذى (١١٤١) كتاب النكاح، والنسائى (٣٩٤٢) كتاب عشرة النساء، وابن ماجه (١٩٦٩) كتاب النكاح، والدارمى (٢٢٠٦) كتاب النكاح، وأحمد (٨٣٦٣) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥١٥).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٨).

وعدم العدل بين الأولاد يوغر صدور بعضهم على بعض ويزرع بينهم العداوة والبغضاء... بل ويجعل المظلوم من الأولاد يكون عاقًا لوالديه بسبب الظلم الذى وقع عليه.. وهذا بخلاف الذنب الذى يتحمله الوالدان بسبب هذا الظلم وعدم العدل بين الأولاد.

فعن النعمان بن بشير ﷺ أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: «إنى نحلت ابنى هذا غلاما [١]، فقال رسول الله ﷺ: «**أكُل ولدك نحلته مثله؟** فقال: لا. فقال رسول الله ﷺ: «**فأرجعه**»[٢]، وفى رواية فقال رسول الله ﷺ: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**». قال: فرجع فردَّ عطيته[٣]، وفى رواية: «**فلا تُشهدنى إذًا فإنى لا أشهد على جور**»[٤] - أى على ظُلم- .

المضارة فى الوصية

قال ﷺ: «إن الله تعالى قد أعطى كل ذى حقٍّ حقه فلا وصية لوارث»[٥].

وإن من قواعد الشريعة أنه لا ضرر ولا ضرار فلا يجوز أبدًا أن يوصى الرجل وصية يضر فيها الورثة الشرعيين أو بعضهم.. قال ﷺ: «**من ضارّ ضارَّ الله به ومن شاق شاقَّ الله عليه**»[٦].

---

(١) أى: وهبته عبدًا كان عندى.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥٨٦) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، ومسلم (١٦٢٣) كتاب الهبات.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٥٨٧) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٥٠) كتاب الشهادات، ومسلم (١٦٢٣) كتاب الهبات.

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٢٨٧٠) كتاب الوصايا، والترمذى (٢١٢٠) كتاب الوصايا، وابن ماجه (٢٧١٣) كتاب الوصايا، وأحمد (٢١٧٩١) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٨٨).

(٦) حسن: رواه أبو داود (٣٦٣٥) كتاب الأقضية، والترمذى (١٩٤٠) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٢٢٤٢) كتاب الأحكام، وأحمد (١٥٣٢٨) مسند المكيين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٧٢).

أخي الحبيب: وفي نهاية تلك الرسالة القصيرة أسأل الله تعالى أن ينفعك بها وأن يجعلها حاديًا لك إلى طاعة الله ومن ثم إلى جنته.

سبحانك اللهم وبحمدك أشـهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)



يا شباب.. احذروا هاذم اللذات



مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾(٣).

أما بعد: فإن الإنسان فى هذه الحياة الدنيا عابر سبيل يوشك أن تنتهى رحلته وأن يصل إلى دار القرار -إما فى الجنة وإما فى النار- ولكن تزخرفت الدنيا واستقرت فى قلوب أكثر الناس فنسوا أو تناسوا أنهم سيتركون الدنيا لا محالة ويرتحلون عنها إلى دار القرار.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٤) سورة الانشقاق: الآية: (٦).

(٥) سورة النجم: الآية: (٤٢).

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ (١).

فلا بد بعد تلك الحياة أن تجتمع الخلائق كلها للفصل والحساب بين يدى الكريم التواب ليجزى الذين أحسنوا بالحسنى ويُذيق المجرمين ألوان العذاب.

فتعالوا بنا لنتعايش مع تلك الرسالة الصغيرة بقلوبنا وأرواحنا لنتعرف على حقيقة الموت وكيف نتأهب لهذا اليوم.. عسى الله أن يحيى قلوبنا وأن يوفقنا لطاعته وأن يرزقنا جميعًا حُسن الخاتمة.

* **وهذه رسالة مختصرة من كتابى والذى هو بعنوان:** «رحلة إلى الدار الآخرة».

فأسأل الله (جل وعلا) أن ينفع به وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم... وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

---

(١) سورة القيامة: الآيات: (٣٦: ٤٠).

لا تغفلوا عن الحقيقة الكبرى

الموت حتمٌ لازم، لا تمنع منه حصانة القلاع ولا يحول دونه الحجاب ولا تردُّه الأبواب. . . قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(٣).

قال صاحب الظلال: إنه لا بد من استقرار هذه الحقيقة فى النفس: حقيقة أن الحياة فى هذه الأرض موقوتة، محدودة بأجل؛ ثم تأتى نهايتها حتمًا. . يموت الصالحون ويموت الطالحون. يموت المجاهدون ويموت القاعدون. يموت المستعلون بالعقيدة ويموت المستذلون للعبيد. . يموت الشجعان الذين يأبون الضيم، ويموت الجبناء الحريصون على الحياة بأى ثمن. . يموت ذوو الاهتمامات الكبيرة والأهداف العالية، ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص.

* **قيل لبعض الزهاد:** ما أبلغ العظات؟ قال: النظر إلى الأموات.

وقد أحسن القرطبى فى وصف الموت حيث يقول: «اعلم أن الموت هو الخَطب الأفظع، والأمر الأشنع، والكأس الذى طعمها أكره وأبشع، وأنه الأهزم للذات. والأقطع للراحات، والأجلب للكريهات، فإن أمرًا يقطع أوصالك، ويفرق أعضاءك، ويهدم أركانك، لهو الأمر الفظيع، والخطب الجسيم، وإن يومه لهو اليوم العظيم»(٤).

(١) سورة النساء: الآية: (٧٨).
(٢) سورة الجمعة: الآية: (٨).
(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).
(٤) التذكرة: (ص: ٢٤).

أكثروا ذكر هاذم اللذات

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسولُ الله ﷺ بمنكبى فقال: «كنْ فى الدنْيا كأنّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ» وكان ابْنُ عُمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت، فلا تنْتظر الصباح، وإذا أصْبحت فلا تنْتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك [٣].

وعنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «ما حقُّ امْرئ مُسلمٍ له شيءٌ يُوصى فيه. يبيتُ ليْلتيْن إلاّ ووصيّتُهُ مكْتُوبةٌ عنْدهُ»[٤].

وقال رسولُ الله ﷺ: «أكْثرُوا ذكْر هَاذم اللّذّات» يَعنى: المَوْتَ [٥].

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبى ﷺ سُئل: أى المؤمنين أكيس، قال: «أكثرهم للموت ذكراً وأشدهم استعداداً له أولئك هم الأكياس» [٦].

---

(١) سورة المنافقون: الآيات: (٩-١١).
(٢) سورة المؤمنون: الآيتان: (٩٩، ١٠٠).
(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٦) كتاب الرقاق.
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٣٨) كتاب الوصايا، ومسلم (١٦٢٧) كتاب الوصية.
(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٠٧) كتاب الزهد، والنسائى (١٨٢٤) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٥٨) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٦٥) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢١٠).
(٦) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢٥٩) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٣٥).

وقال الحسن البصرى: فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذى لُبٍّ فيها فرحًا، وما ألزم عبدٌ قلبه الموت إلا صغرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، وكان يجمع كل ليلة الفقهاء، فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون، حتى كأن بين أيديهم جنازة.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: السعيد من وُعظ بغيره، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا ذُكر الموتى، فعُدَّ نفسك كأحدهم.

أثر تذكر الموت فى إصلاح النفوس

إن لتذكر الموت أثر كبير فى إصلاح النفوس وتهذيبها، ذلك أن النفوس تؤثر الدنيا وملذاتها، وتطمع فى البقاء المديد فى هذه الحياة، وقد تهفو إلى الذنوب والمعاصى، وقد تقصر فى الطاعات، فإذا كان الموت دائمًا على بال العبد، فإنه يصغر الدنيا فى عينه، ويجعله يسعى فى إصلاح نفسه وتقويم المعوج من أمره... فقد روى البيهقى فى شُعب الإيمان.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت، فإنه لم يذكره فى ضيق من العيش إلا وسَّعه عليه، ولا ذكره فى سعة إلا ضيقها**»(١).

ويذكر ابن المبارك أن صالحًا المرى كان يقول: «إن ذكر الموت إذا فارقنى ساعة فسد علىَّ قلبى».

وقال القرطبى: قال العلماء: تذكر الموت يردع عن المعاصى، ويُلين القلب القاسى، ويُذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب.

* * *

(١) حسن: رواه البزار كما فى كشف الأستار (٤/ ٢٤٠، رقم ٣٦٢٣)، الطبرانى فى الأوسط (١/ ٢١٣، رقم ٦٩١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢١١).

من أكثر من ذكر الموت أُكرم بثلاثة أشياء

قال الدقَّاق: من أكثر من ذكر الموت أُكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف والتكاسل فى العبادة.

فتفكر يا مغرور فى الموت وسكراته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، وكفى بالموت مُقرحًا، ومُبكيًا للعيون، ومفرقًا للجماعات، وهادمًا للذات، وقاطعًا للأمنيات، فهل تفكرت يا ابن آدم فى يوم مصرعك وانتقالك من موضعك، وإذا نُقلت من سعة إلى ضيق، وخانك الصاحب والرفيق، وهجرك الأخ والصديق، وأُخذت من فراشك، وغطائك إلى عرر، وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر، فيا جامع المال، والمجتهد فى البنيان، ليس لك والله من مالك إلا الأكفان، بل هى والله للخراب والذهاب، وجسمك للتراب والمآب، فأين الذى جمعته من المال؟ فهل أنقذك من الأهوال؟ كلا، بل تركته إلى من لا يحمدك، وقَدمت بأوزارك على من لا يعذرك، ولقد أحسن من قال فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ﴾[1] أى: اطلب[2].

استحباب زيارة القبور للرجال

ولأن أكثر الناس ينشغلون بالدنيا وحُطامها الزائل فيُستحب للرجال زيارة القبور لأنها تذكرهم بالآخرة.

* **عن بُرَيْدَةَ** ﷺ **قال:** قال رسولُ الله ﷺ: **«كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زيارة القُبُورِ فَزُورُوها»** [3].

---

(١) سورة القصص: الآية: (٧٧).

(٢) التذكرة: (١/ ٥٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩٧٧) كتاب الجنائز.

وفى رواية: «فمن أراد أن يزور القبور فليزر فإنها تذكرنا بالآخرة».

* وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُهُمْ إذا خَرَجُوا إلى المَقَابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُم: «السَّلامُ عَلَيكُمْ أَهْلَ الدِّيارِ من المُؤْمِنِينَ والمُسْلمين، وإنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ للاَحِقُونَ، أَسْأَلُ الله لَنَا وَلَكُمُ العافِيَةَ»(١).

خير الناس من طال عمره وحسن عمله

واختلف السالكون أيما أفضل، مَن تمنّى الموت شوقًا إلى لقاء الله أو مَن تمنى الحياة رغبة فى طاعة الله؟ أو مَن فوّض الأمر إلى الله ورضى باختياره ولم يختر لنفسه شيئًا.

* فذهب قوم إلى تفضيل الموت على الحياة واستدل طائفة من الصحابة بقول الله عز وجل: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾(٢).

* ولكن الأحاديث الصحيحة تدل على أن عمر المؤمن كلما طال ازداد بذلك ما له عند الله من خير، فلا ينبغى له أن يتمنى انقطاع ذلك، اللّهم إلا أن يخشى الفتنة على دينه، فإنه إذا خشى الفتنة على دينه فقد خشى أن يفوته ما عند الله من خير، والموت خير له على هذه الحال.

* وعن أبى بكرة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله، وشر الناس، من طال عمره وساء عمله»(٣).

* «الموتى فى قبورهم يتحسرون على زيادة فى أعمالهم بتسبيحة وبركعة. ومنهم من يسأل الرجعة إلى الدنيا لذلك، فلا يقدرون على ذلك قد حيل بينهم وبين العمل.

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٧٥) كتاب الجنائز.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٩٨).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٣٠) كتاب الزهد، وأحمد (١٩٩٠٢) أول مسند البصريين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٩٧).

ورؤى بعضهم فى المنام فقال: ندمنا على أمر عظيم، نعلم ولا نعمل، وأنتم تعلمون ولا تعملون، والله لتسبيحة أو تسبيحتان، أو ركعة أو ركعتان فى صحيفة أحدنا أحب إليه من الدنيا وما فيها [١].

الموت كفارة لكل مسلم

إنما كان الموت كفارة، لكل ما يلقاه الميت فى مرضه من الآلام والأوجاع، وقد قال ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذى، من مرض فما سواه إلا حَطَّ الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**»[٢].

* **وعن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب ؓ قال:** «إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شىء لم يبلغه بعمله شُدِّد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفًا فى الدنيا، هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصير إلى النار».

لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله

عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاثة أيام: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**»[٣].

(وذكره) ابن أبى الدنيا فى كتاب (حسن الظن بالله تعالى)، وزاد: فإن قومًا قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم تبارك وتعالى: ﴿**وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[٤].

وعن أنس أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت فقال: «**كيف تجدك؟**» فقال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله

---

(١) لطائف المعارف: (ص: ٣٢٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٤٨) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) سورة فصلت: الآية: (٢٣).

ﷺ : «لا يجتمعان فى قلب عبد مؤمن فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمَّنه مما يخاف»(١).

من أحب الجنة فليحب الموت

* وقال ابن عبد ربه لمكحول: «أتحبُّ الجنة؟ قال: ومَن لا يحب الجنة؟!!، قال: فأحبَّ الموت، فإنك لن ترى الجنة حتى تموت».

* وعن حبان بن الأسود قال: الموت خير يُوصل الحبيب إلى الحبيب.

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ما من نفس بَرّة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة، إن كان بَرًّا فقد قال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾(٢)، وإن كان فاجرًا، فقد قال تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ (٣).

* وقال عمر بن عبد العزيز: «إنما خُلقتم للأبد، وإنما تُنقلون من دار إلى دار».

* وعن فضالة بن عُبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهم من آمن بك، وشهد أنى رسولك فحبِّب إليه لقاءك، وسَهِّلْ عليه قضاءك، وأقلل له من الدنيا، ومَن لم يؤمن بك، ولم يشهد أنى رسولك، فلا تُحبِّبْ إليه لقاءك، ولا تُسهِّل عليه قضاءك، وأكثر له من الدنيا»(٤).

لا يكره الموت إلا أحد رجلين

واعلم أخى الحبيب أنه لا يكره الموت إلا أحد رجلين:

* أحدهما: من لا يؤمن بالآخرة وعنده أن لا حياة ولا نعيم إلا فى الدنيا

(١) حسن: رواه الترمذى (٩٨٣) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٥٦١) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٥١).
(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٩٨).
(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٧٨).
(٤) صحيح: رواه الطبرانى (١٨/ ٣١٣ رقم ٨٠٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٣١١).

كمن وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾(١).

* والثانى: يُؤمن به ولكن يخاف ذنبه.

فأما من لم يكن كذلك فإنه يحبه، ويتمناه كما أحبّه الصالحون وتمنوه.

* **قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»(٢).**

* **وقال تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣).**

كراهة تمنى الموت بسبب كثرة الابتلاءات

ويُكره للمؤمن أن يتمنى الموت عندما يشتد عليه البلاء إلا أن يخشى الفتنة فى دينه.

عن أبى هُريرة ؓ أن رسُول الله ﷺ قال: «لا يتمنين أحدكُمُ الموت إما مُحسنًا، فلعلهُ يزدادُ، وإما مُسيئًا فلعلهُ يستعتبُ»(٤).

وفى رواية لمسلم عن أبى هُريرة ؓ عن رسُول الله ﷺ قال: «لا يتمنين أحدكُمُ الموت، ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه، إنهُ إذا مات انقطع عملُهُ، وإنهُ لا يزيدُ المُؤمن عُمرُهُ إلا خيرًا»(٥).

وعن أنس ؓ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكُمُ الموت لضُرٍّ أصابهُ فإن كان لابُد فاعلاً، فليقُل: اللهُم أحينى ما كانت الحياةُ خيرًا لى، وتوفنى إذا كانت الوفاةُ خيرًا لى»(٦).

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٩٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٠٨) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٦٨٦) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) سورة البقرة: الآية: (٩٤).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٧٢٣٥) كتاب التمنى.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٨٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٧١) كتاب المرضى، ومسلم (٢٦٨٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

تمنى الموت يقع على وجوه

والتحقيق فى تلك المسألة: أن تمنى الموت يقع على وجوه:

* **منها:** تمنّيه لضرٍّ دنيوى ينزل بالعبد فيُنهى حينئذ عن تمنى الموت.

ووجه كراهيته فى هذا الحال أن المتمنى للموت لضرٍّ نزل به إنما يتمناه تعجيلاً للاستراحة من ضره وهو لا يدرى إلى ما يصير بعد الموت فلعله يصير إلى ضُرٍّ أعظم من ضره فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وفى الحديث عن النبى ﷺ قال: «**إنما يستريح من غُفر له**»[1]، فلهذا لا ينبغى له أن يدعو بالموت إلا أن يشترط أن يكون خيرًا له عند الله عز وجل.

* **ومنها:** تمنيه خوف الفتنة فى الدين فيجوز حينئذ. وقد تمنّاه ودعا به خشية فتنة الدين خلق من الصحابة وأئمة الإسلام... وفى حديث المنام: «وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون».

* **تمنّى الموت عند حضور أسباب الشهادة:** فيجوز ذلك أيضًا، وسؤال الصحابة الشهادة وتعرضهم لها عند حضور الجهاد كثير مشهور وكذلك سؤال مُعاذ لنفسه وأهل بيته الطاعون لما وقع بالشام.

* ومنها تمنى الموت لمن وثق بعمله شوقًا إلى لقاء الله عز وجل: فهذا يجوز أيضًا وقد فعله كثير من السلف.

* **قال أبو الدرداء:** أحب الموت اشتياقًا إلى ربى.

وقال عنبسة الخولانى: كان من قبلكم لقاء الله أحب إليه من الشهد.

وقال بعضهم: طال شوقى إليك فعجّل قدومى عليك.

وقال بعضهم: لا تطيب نفسى بالموت إلا إذا ذكرت لقاء الله عز وجل فإننى حينئذ أشتاق إلى الموت كشوق الظمآن الشديد ظمؤه فى اليوم الحار

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٤١٩٢) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧١٠)، وقال: صحيح لكثرة طرقه.

الشديد حره إلى الماء البارد الشديد برده.

* وفى هذا يقول بعضهم:

أشـــتـــاق إليك يـا قـــريب نـائئ

شـــــوق ظمـــــأ إلى زلال المـاء

* سُئل أبو حازم: كيف القدوم على الله؟ قال: أما المطيع فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين إليه، وأما العاصى فكقدوم الآبق على سيده الغضبان.

* رُئى أحد الصالحين فى النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: خيراً لم يُر مثل الكريم إذا حلّ به مطيع.. الدنيـا كلها شهر الصـيام للمتقـين وعيد فطرهم يوم لقاء ربهم... وصدق من قال:

وقـد صُمت عن لذات دهرى كلهـا

ويوم لقـــاكم ذاك فطـر صـيـــامى

* وعن أبى هريرة ﷺ قـال: قال رسـول ﷺ : «**والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يمرّ الرجل على القبر فيتمرّغ عليه ويقول: يا ليتنى كُنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدِّين إلا البلاء**»[1].

الموت مصيبة... والغفلة عنه من أعظم المصائب

فـالموت هائل وخطره عـظيم والناس فى غـفلة عنه لـقلة فكرهم فـيـه وذكرهم له.

* نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها، ثم بكى فقال: والله لولا الموت لكنت بك مسروراً، ولولا ما نصـير إليه من ضيق القـبور لقرّت بالدنيا أعيننا، ثم بكى بكاءً شديداً حتى ارتفع صوته».

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١١٥) كتاب الفتن، ومسلم (١٥٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة، واللفظ لمسلم.

قال القرطبي: قال العلماء: الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدُّل حال، وانتقال من دار إلى دار، وهو من أعظم المصائب، وقد سماه الله تعالى مصيبة، فى قوله (تعالى) ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾(١) فالموت هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى... قال علماؤنا: وأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وقلة التفكر فيه، وترك العمل له.

قل يتوفاكم ملك الموت

* ومن بين الملائكة الملك الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه.... قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِى أَنفُسِهِمْ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٦) وغيرها من الآيات. وقد جاء فى الأحاديث أن أعوانه يأتون العبد بحسب عمله، إن كان محسنًا ففى أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارة، وإن كان مسيئًا ففى أشنع هيئة وأفظع منظر بأغلظ وعيد، ثم يسوقون الروح حتى إذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت فلا

(١) سورة المائدة: الآية: (١٠٦).
(٢) سورة السجدة: الآية: (١١).
(٣) سورة الأنعام: الآيتان: (٦١-٦٢).
(٤) سورة الأنفال: الآية: (٥٠).
(٥) سورة النساء: الآية: (٩٧).
(٦) سورة النساء: الآية: (٣٢).

يدعونها فى يده بل يضعونها فى أكفان وحنوط يليق بها.

* قال ابن بطة: «الإيمان بملك الموت أنه يقبض الأرواح، ثم تُرد فى الأجساد فى القبور... وهو يتصف بصفات من القدرة والسلطان وعِظَم الخلق وغيرهما من الصفات التى جعلته قادراً على قبض أرواح كثيرة فى أماكن مختلفة بعيدة الأطراف فى لحظة واحدة».

قال ابن عباس: «خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب».

وصح عن مجاهد أنه قال عن ملك الموت: «حُويت له الأرض فجُعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء».

مشهد السكرات ونداء ملك الموت

* قال القرطبى: «مَثِّل نفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات، ونزل بك الأنين والغمرات، فمن قائل يقول: إن فلانًا قد أوصى، وماله قد أحصى، ومن قائل يقول: إن فلانًا ثقل لسانه، فلا يعرف جيرانه، ولا يكلم إخوانه، فكأنى، أنظر إليك تسمع الخطاب، ولا تقدر على رد الجواب. فخَيِّلْ لنفسك، يا ابن آدم إذا أُخذت من فراشك إلى لوح مُغسلك، فغسلك الغاسل، وأُلبست الأكفان، وأوحش منك الأهل والجيران، وبكت عليك الأصحاب والإخوان، وقال الغاسل: أين زوجة فلان تحالله، وأين اليتامى ترككم أبوكم فما ترونه بعد هذا اليوم أبدا [1].

ياله من مشهدٍ مهيب يتحدد من خلاله مصير العبد إما إلى ظلٍ ظليل وإما إلى شرٍّ مقيل.

* * *

(١) التذكرة: (ص: ٢١).

الذى يخفف عنه سكرات الموت

أخبرنا الرسول ﷺ أن الشهيد الذى يسقط فى المعركة تُخفَّف عنه سكرات الموت، . . . فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القَرصة**» [١].

لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله

قال ﷺ: «**لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله**» [٢].

قال القرطبى: قال علماؤنا: تلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون، وذلك ليكون آخر كلامهم لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة، وليدخل فى عموم قوله عليه السلام: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[٣].

* فإذا تلقَّنها المحتضر وقالها مرة واحدة فلا تُعاد عليه لئلا يضجر، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين، والإلحاح عليه إذا هو تلقنها أو فهم ذلك عنه. . . قال ابن المبارك: «لقنوا الميت لا إله إلا الله فإذا قالها فدعوه».

قال أبو محمد عبد الحق: وإنما ذلك لأنه يخاف عليه إذا لجَّ عليه بها أن يتبرم ويضجر، ويُثقِّلها الشيطان عليه، فيكون سببًا لسوء الخاتمة.

يا لها من لحظات

قال القرطبى: وفى الخبر: أنه إذا دنت منية المؤمن نزل عليه أربعة من الملائكة: ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه

(١) حسن: رواه الترمذى (١٦٦٨) كتاب فضائل الجهاد، والنسائى (٣١٦١) كتاب الجهاد، وابن ماجه (٢٨٠٢) كتاب الجهاد، والدارمى (٢٤٠٨) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٨١٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩١٦) كتاب الجنائز.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣١١٦) كتاب الجنائز، وأحمد (٢١٥٢٩) مسند الأنصار رضي الله عنهم، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٧٩).

اليسرى، والنفس تنسلُّ انسلال القطرة من السِّقاء وهم يجذبونها من أطراف البنان ورءوس الأصابع. والكافر تنسلُّ روحه كالسُّفود من الصوف المبتل. فمثِّل نفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات، ونزل بك الأنين والغمرات، فمن قائل يقول: إن فلانًا قد أوصى، وماله قد أحصى، ومن قائل يقول: إن فلانًا ثقل لسانه، فلا يعرف جيرانه، ولا يكلم إخوانه، فكأنى أنظر إليك تسمع الخطاب، ولا تقدر على رد الجواب، ثم تبكى ابنتك وهى كالأسيرة، وتتضرع وتقول: حبيبى أبى من ليُتمى من بعدك؟ ومن لحاجتى؟ وأنت والله تسمع الكلام ولا تقدر على رد الجواب [1].

لَيسَ الغَرِيْبُ غَريبَ الشَّام واليَمَن
إِنَّ الغَرِيبَ غَرِيْبُ اللَّحْدِ والكَفَنِ

إِنَّ الغَريْبَ لَهُ حَقٌ لِغُرْبتِه
عَلَى المُقيمينَ فى الأوْطَانِ والسَّكَنِ

لا تَنْهَرنَّ غريبًا حَالَ غُربته
الدَّهْرُ يَنهَره بالذُّل والمِحَنِ

سَفَرِىْ بعيدٌ وزادِى لَنْ يُبلِّغَنى
وَقوَّتِى ضَعُفَتْ والموتُ يَطْلُبُنى

ولى بقايا ذُنُوبٍ لستُ أعلمُها
الله يعلمُها فى السر والعلنِ

ما أحلم الله عنى حيث أمهلنى
وقد تماديتُ فى ذنبى ويستُرنى

تمرُ ساعاتُ أيامى بلا ندم
ولا بُكاءٍ ولا خوفٍ ولا حَزَنِ

---

(١) التذكرة: (١/ ٧٥، ٧٦).

وأنا الذى أُغلقُ الأبواب مُجتهدًا
على المعاصى وعينُ الله تنظُرُنى
يا زلةً كُتبت فى غفلة ذهبت
يا حسرةً بقيت فى القلب تحرقُنى
دعنى أنوحُ على نفسى وأندُبُها
وأقطعُ الدهر بالتذكير والحَزَنِ
دع عنك عذلى يا من كان يعذلُنى
لو كُنت تعلمُ ما بى كنت تَعْذُرُنى
دعنى أسح دمُوعًا لا انقطاع لها
فهل عسى عبرةٌ منها تُخلِّصُنى
كأننى بين تلك الأهل مُنطرحًا
على الفراش وأيديهم تقلبنى
كأننى وحولى من ينوح ومن
يبكى علىَّ وينعانى ويندُبُنى
وقد أتوا بطبيبٍ كى يُعالجنى
ولم أر الطبيب اليوم يُنفعُنى
واشتد نزعى وصار الموتُ يجذبُها
من كل عرقٍ بلا رفق ولا هَوَنِ
واستخرج الروح منى فى تغرغُرها
وصار ريقى مُرًّا حين غرغرنى
وغمضُونى وراح الكلُّ وانصرفوا
بعد الإياس وجدُّوا فى شرا كفنى

وقام مَن كـان أحب الناس فى عَجلٍ
نحـو المُغـسل يأتينى يُغـسلُنى
وقـال يا قـوم نبـغى غـاسلاً حـذقًا
حُـرًّا أديبًـا أريبًـا عــارفًـا فَطِنِ
فـجـاءنى رجلٌ منـهُم فـجـرَّدنى
من الشيـاب وأعـرانى وأفـردنى
وأودعُـونى على الألـواح منطرحًـا
وصـار فـوقى خـريرُ الماء ينظـفُنى
وأسكب المـاء من فـوقـى وغسَّـلنى
غُـسلاً ثلاثًا ونـادى القـوم بـالكفنِ
وألبـسُـونى ثيـابًا لا كـمـام لهـا
وصـار زادى حنُوطى حـين حنَّطنى
وأخـرجـونى من الـدنيا فـوا أسـفـا
علـى رحـيلٍ بـلا زادٍ يُـبلـغُنـى
وحـمَّـلُونى على الأكـتـاف أربعـة
من الرجـال وخلفى من يُـشيـعُنى
وقـدمـونى إلى المحراب وانصـرفُـوا
خلـف الإمـام فـصلى ثُم ودَّعـنى
صلوا عـلىَّ صـلاةً لا رُكُـوع لهـا
ولا سُـجُـود لعل الـله يرحـمُنى
وأنزلُونـى إلى قـبرى عـلى مَـهَـلٍ
وقـدمُـوا واحـدًا منهُم يُـلحـدُنى

وكشف الثوب عن وجهى لينظُرنى
وأسبل الدمع من عينيه أغرقنى
فقام مُحتزمًا بالعزم مُشتملاً
وصفَّف اللَّبِنَ من فوقى وفارقنى
وقال هُلُّوا عليه التُّراب واغتنمُوا
حُسن الثواب من الرحمن ذى المنِ
فى ظلمة القبر لا أمٌ هُناك ولا
أبٌ شفيقٌ ولا أخٌ يُؤنِّسُنى
وهالنى صُورةٌ فى العين إذ نظرت
من هول مطلع ما قد كان أدهشنى
من مُنكرٍ ونكيرٍ ما أقولُ لهُم
قد هالنى أمرهم جدًّا فأفزعنى
وأقعدُونى وجدُّوا فى سُؤالهمُ
ما لى سواك إلهى من يُخلصُنى
فامنُن علىَّ بعفوٍ منك يا أملى
فإننى مُوثقٌ بالذنب مُرتهن
تقاسم الأهل مالى بعدما انصرفوا
وصار وزرى على ظهرى فأثقلنى
واستبدلت زوجتى بعلاً لها بدلى
وحكَّمتهُ فى الأموال والسَّكَنِ
وصَيَّرت ابنى عبدًا ليخدمهُ
وصار مالى لهم حلاًّ بلا ثمنِ

فـلا تـغـرنك الدنـيـا وزينتُـهـا
وانظر إلى فـعلهـا فى الأهل والوطنِ
وانظر إلى من حوى الدنيـا بأجمعـها
هل راح منهـا بغـيـر الحَـنْطِ والكفنِ
خُـذ القناعـة مـن دُنيـاك وارضَ بهـا
لو لم يكن لك فيـها، إلا راحة البدنِ
يا زارع الخيـر تحـصُـد بعـدهُ ثمـرًا
يا زارع الشـر مـوقُـوفٌ على الوَهَنِ
يا نفس كُفِّى عن العصيـان واكتسبى
فـعـلاً جـمـيـلاً لعل الله يـرحُـمنى
يا نفس ويحك تُوبى واعـملى حسنًا
عـسى تُجـزين بـعـد الموت بالحسنِ
ثم الصـلاةُ على المُخـتـار سيـدنا
مـا وضَّـأ البـرقُ فـى شـامٍ وفى يَمَنِ
والحُـمـد لله مُـمـسينا ومُـصـبـحنا
بالخـير والعـفـو والإحسـان والمنِ[1]

ويا لها من كرامة

* عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:

«إذا توفى اللهُ العبد المؤمن، أرسل إليه ملكين بخرقة من الجنة، وريحان الجنة، فقالا: أيتها الروح الطيبة، اخـرجـى إلى روحٍ وريحـان، وربٍ غيـر غضبان.

---

(١) من شعر الإمام على زين العابدين بن الحسين بن على (رضى الله عنهم جميعًا).

اخرجى، فنعم ما قدمت.

فتخرج كأطيب رائحة مسك وجدها أحدكم بأنفعه.

وعلى أرجاء السمـاء ملائكة يقولون: سبحان الله، لقد جاء من الأرض روح طيبة، فلا يمر بباب، إلا فتح له، ولا ملك إلا صلى عليه وشفع، حتى يؤتى به ربه، فتسجد الملائكة قبله، ثم يقولون:

ربنا هذا عبدك فلان، توفيناه، أنت أعلم به.

فيقولُ: مُروهُ بالسجود، فتسجدُ النسمةُ، ثم يُدعى ميكائيلُ، فيُقالُ:

اجعل هذه النسمة، مع أنفس المؤمنين، حتى أسألك عنها يوم القيامة.

فيُؤمـرُ بقبره، فيُوسعُ له، طُولهُ سبعون، وعرضهُ سـبعون، ويُنبذُ فيه الريحان، ويُبسطُ له فـيه الحرير، وإن كان معـه شيءٌ من القرآن نوَّرهُ، وإلا جُعل له نورٌ مثل نور الشمس، فيُفتحُ له بابٌ إلى الجنة، فينظرُ إلى مـقعده فى الجنة بُـكرةً وعشيًّا (١).

أتدرى ماذا يقول النعش

دخل بهـاء الدين السـبكى على الشـيخ برهان الدين الإبناسى يعـوده - يزوره- وكان تجاههما نعش، فنظر السبكى إلى النعش، ثم قال للإبناسى: يا شيخ برهان الدين: أتدرى ما يقول هذا النعش؟ فقال إنه يقول:

انْـظُـرْ إلـىَّ بَعـــقْـلـكْ

أَنَـا الْمُـعَـدُّ لَـحـمْـلـكْ

أَنَـا سَـريـرُ الْمَـنَـايَـا

كَمْ سَـارَ مِـثْـلِى بِمِـثْـلِكْ

(١) رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

بعض القصص الذى يبين لنا مشاهد الحسرة والفرحة عند لقاء الموت

قال أشعث بن أسلم: سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت فقال: يا ملك الموت ما تصنع. إذا كان نفسٌ بالمشرق ونفسٌ بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع؟ قال: أدعو الأرواح بإذن الله فتكون بين أصبعى هاتين.

وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام: ما لى أراك لا تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا؟ قال: ما أنا بذلك بأعلم منك! إنما هى صحف أو كتب تُلقَى إلىّ فيها أسماء، . . . . . وقال وهب بن منبه: كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض، فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه -بعد مرات- وطلب دابة فأُتى بها فلم تعجبه، حتى أُتى بدواب فركب أحسنها، فجاء إبليس فنفخ فى منخره نفخة فملأه كِبرًا، ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبرًا فجاءه رجل رثَّ الهيئة فسلَّم عليه فلم يرد عليه السلام، فأخذ بلجام دابته فقال: أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرًا عظيمًا! قال: إن لى إليك حاجة قال: اصبر حتى أنزل قال: لا . . الآن، فقهره على لجام دابته فقال اذكرها! قال، هو سر، فأدنى له رأسه فسارّه وقال: أنا ملك الموت! فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال: دعنى حتى أرجع إلى أهلى وأقضى حاجتى وأودعهم، قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدًا! فقبض روحه فخرّ كأنه خشبة، ثم مضى -ملك الموت- فلقى عبدًا مؤمنًا فى تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال: إن لى إليك حاجة أذكرها فى أذنك فقال هات. . . .

فسارّه وقال أنا ملك الموت! فقال: أهلاً وسهلاً بمن طالت غيبته عليَّ فوالله ما كان فى الأرض غائب أحب إلىَّ أن ألقاه منك! فقال ملك الموت! اقضِ حاجتك التى خرجت لها، فقال ما لى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله تعالى! قال فاختر على أى حال شئت أن أقبض روحك! فقال: تقدر على ذلك؟ قال نعم إنى أُمرت بذلك، قال: فدعنى حتى أتوضأ وأصلى ثم اقبض روحى وأنا ساجد، فقبض روحه وهو ساجد.

وعن الأعمش عن خيثمة قال: دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جُلسائه يديم النظر إليه، فلما خرج قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت، قال: لقد رأيته ينظر إلىَّ كأنه يريدنى قال: فماذا تريد؟ قال: أريد أن تخلصنى منه فتأمر الريح حتى تحملنى إلى أقصى الهند! ففعلت الريح ذلك، ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أتاه ثانية: رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائى قال: نعم كنت أتعجب منه لأنى كنت أُمرت أن أقبضه بأقصى الهند فى ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك!

* فيا أخى الحبيب ألا تغتنم العمر فى طاعة الله جل وعلا قبل أن تسمع هذا النداء الذى يقرع القلوب والأسماع.

أيا عبدُ كم يراك الله عاصيا
حريصًا على الدنيا وللموت ناسيا
أنسيت لقاء الله واللحد والثرى
ويومًا عبوسًا تشيب فيه النواصيا
لو أن المرء لم يلبس ثيابًا من التُّقى
تجرَّد عُريانًا ولو كان كاسيا

ولو أن الدنيا تدوم لأهلها
لكان رسول الله حيًّا وباقيا
لكنها تفنى ويفنى نعيمُها
وتبقى الذنوب والمعاصى كما هى

كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين

حُكى عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [(١)].

وفرش المأمون رماداً واضطجع عليه وكان يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه.

ولما حضرت معاذًا رضي الله عنه الوفاة قال: اللهم إنى كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالرُّكَب عند حِلَق الذكر. ولما اشتد به النزع ونزع نزعًا لم ينزعه أحد كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب ما أخنقنى خنقك فوعزتك إنك تعلم أن قلبى يحبك.

ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يُبكيك؟ قال: ما أبكى جزعًا على الدنيا، ولكن عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون زاد أحدنا من الدنيا كزاد الراكب. فلما مات سلمان نظروا فى جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهمًا.

ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته: واحزناه فقال: بل واطرباه! غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه.

---

(١) سورة الحاقة: الآيتان: (٢٨، ٢٩).

* ولقد وعظ الله تعالى رسوله ﷺ بالموت فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(١).

قال رسول الله ﷺ : «أتاني جبريل، فقال: يا محمد، عشْ ما شئت. فإنك ميت. وأحبب مَن شئت فإنك مُفارقه، واعمل ما شئت فإنكَ مجزيٌّ به. واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعِزَّه استغناؤه عن الناس»(٢).

* وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه: «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة بنون فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل».

تخيير الأنبياء عند الموت

وهذا أمرٌ خاص بالأنبياء والرسل -صلوات ربى وسلامه عليهم- لا يشاركهم فيه أحدٌ من البشر.

ففى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لم يُقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُخيّر»(٣).

* وروى الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه، قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «إن الله خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله!»، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يُخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر... فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا»(٤).

يخيّر الأنبياء بين البقاء فى الدنيا والانتقال إلى ذلك المقام، ولا شك أن كل رسول يفضل النعيم المقيم على الدنيا وما فيها.

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٣٠).

(٢) حسن: رواه الحاكم (٤/ ٣٦٠ ، رقم ٧٩٢١) ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبى . والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٣٤٩ ، رقم ١٠٥٤١)، وأبو نعيم فى الحلية (٣/ ٢٥٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤٣٧) كتاب المغازى، ومسلم (٢١٩٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٤٦٦) كتاب الصلاة، ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة.

إنك ميت وإنهم ميتون

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[(٣)].

وقال تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[(٤)].

فالموت حق على الإنس والجن لا ينجو منه أحدٌ ولو نجا منه أحدٌ لنجا منه سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ﷺ: «**أعوذ بعزتك الذى لا إله إلا أنت الذى لا يموت والإنس والجن يموتون**»[(٥)].

وعن أنس قال: لما ثقل النبى ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أبتاه، فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»، فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب»[(٦)].

* وعن أنس رضي الله عنه قال: «لما قالت فاطمة ذلك، يعنى لما وجد رسول الله ﷺ من كرب الموت ما وجد، قالت فاطمة: واكرباه، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) سورة الرحمن: الآيتان: (٢٦: ٢٧).

(٢) سورة القصص: الآية: (٨٨).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

(٤) سورة الأنبياء: الآية: (٣٤).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٨٣) كتاب التوحيد، واللفظ له، ومسلم (٢٧١٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٦) صحيح: رواه البخارى (٤٤٦٢) كتاب المغازى.

«يا بُنية! إنه قد حضر بأبيك ما ليس الله بتاركٍ منه أحدًا لموافاة يوم القيامة» (١).

إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا استعمله

قال ﷺ: «إذا أرادَ الله بعبد خيرًا استعمله»، قيل: ما يستعملُه؟ قال: «يفتحُ لهُ عملاً صالحًا بين يدىْ موتهِ حتَّى يرضى عليه منْ حولهُ» (٢).

وقال ﷺ: «إذا أرادَ الله بعبد خيرًا طهرهُ قبلَ موته» قالوا: وما طهورُ العبد؟ قال: «عملٌ صالح يلهمهُ إياهُ حتَّى يقبضهُ عليهِ» (٣).

وما تدرى نفس بأى أرض تموت

ولا يعلم أى إنسان -مهما كانت منزلته- ميعاد موته فهذا من الغيب الذى استأثر الله بعلمه.

قال ﷺ: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٤)» (٥).

وقال ﷺ: «إذا أراد الله قبض عبد بأرضٍ جعل له فيها حاجة» (٦).

ولذلك فعلى العبد أن يجتهد دائمًا فى طاعة الله لأنه لا يعلم متى يموت.

---

(١) حسن: رواه أحمد (١٢٠٢٦) باقى مسند المكثرين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧٣٨)، وقال: وأصله فى صحيح البخارى.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢١٤٤٢) مسند الأنصار ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٤).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى (٨/ ٢٣٠، رقم ٧٩٠٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٦).

(٤) سورة لقمان: الآية: (٣٤).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٤٦٢٧) كتاب تفسير القرآن.

(٦) صحيح: رواه البزار كما فى كشف الأستار (٣/ ٢٥، رقم ٢١٥٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١١).

ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها

قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[3].

فكل إنسان له أجلٌ محدود لا يستطيع أن يتجاوزه بحال من الأحوال... فآجال العباد وأرزاقهم قد قدَّرها الله (عز وجل) قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وجرى بذلك القلم فى اللوح المحفوظ.

قال ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء»[4].

وقفة لطيفة

قال تعالى: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾[5].

وقال ﷺ: «من سرَّه أن يُبسَط له فى رزقه ويُنسأ له فى أثره فليصل رحمه»[6].

فهناك من يسأل ويقول: إذا كان الله (عز وجل) يعلم كل شيء فما معنى ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾[7].. بل كيف يزيد الرزق والعمر إذا كان ذلك قد كُتب فى اللوح المحفوظ.

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٣٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٤٥).

(٣) سورة المنافقون: الآية: (١١).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣) كتاب القدر.

(٥) سورة الرعد: الآية: (٣٩).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٦٧) كتاب البيوع، ومسلم (٢٥٥٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٧) سورة الرعد: الآية: (٣٩).

قال الإمام النووى -رحمه الله-: وبَسْطُ الرزق توسيعه وكثرته وقيل: البركة فيه وأما التأخير فى الأجل ففيه سؤال مشهور وهو أن الآجال والأرزاق مُقدرة لا تزيد ولا تنقص (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وأجاب العلماء بأجوبة الصحيح منها أن هذه الزيادة بالبركة فى عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه فى الآخرة وصيانتها عن الضياع فى غير ذلك، والثانى أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفى اللوح المحفوظ ونحو ذلك فيظهر لهم فى اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك (١).

الذين تتوفاهم الملائكة طيبين

عن محمد بن كعب القرظى قال: إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال: السلام عليك يا ولى الله، الله يقرئك السلام، ثم نزع بهذه الآية: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ﴾(٢).

* عن جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«يُبعث كل عبد فى القبر على ما مات، المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه»**(٣).

* **قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾** (٤).

* **قال علماء السلف:** إن العبد المؤمن وهو يتقلّب فى نعيم الجنة لا ينسى

---

(١) مسلم بشرح النووى: (١٦/ ١٧٢، ١٧٣).

(٢) سورة النحل: الآية: (٣٢).

(٣) إسناده جيد: رواه أحمد (١٤٣١٢) باقى مسند المكثرين، وقال الشيخ الألبانى فى ظلال الجنة (٨٦٥): وهذا إسناد جيد فى الشواهد والمتابعات، وجملة: **«يبعث كل عبد على ما مات عليه»** قد أخرجها مسلم من طريق الأعمش عن أبى سفيان عن جابر.

(٤) سورة النحل: الآية: (٣٢).

طعم وحلاوة بشارة ملك الموت له عند خروج الروح... ونقيض ذلك للعاصى والكافر.

من مات فقد قامت قيامته

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: «إن الله سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزى فيهما الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

فالبعث الأول: مفارقة الروح للبدن ومصيرها إلى دار الجزاء الأول.

والبعث الثانى: يوم يرد الله الأرواح إلى أجسادها، ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار، وهو الحشر الثانى، ولهذا فى الحديث الصحيح.

«وتؤمن بالبعث الآخر فإن البعث الأول لا ينكره أحد، وإن أنكر كثير من الناس الجزاء فيه والنعيم والعذاب».

«فالقيامة الصغرى هى الموت، فكل من مات فقد قامت قيامته، وحان حينه،.... عن عائشة قالت: كان رجال من الأعراب يأتون النبى ﷺ فيسألونه عن الساعة، فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: «**إن يعش هذا، لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم**»(١).

إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ**﴾(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥١١) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٥٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) سورة فصلت: الآيات: (٣٠: ٣٢).

* **يقول تعالى:** ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾(١) أى أخلصوا العقيدة والعمل لوجه الله تعالى على ما شرع سبحانه وتعالى لهم وبقوا على ذلك حتى لقوا الله.... كما روى الحافظ أبو يعلى الموصلى عن أنس بن مالك ﷺ قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾(٢) قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها».

وعن ابن عباس ﷺ: ﴿**قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾(٣) على أداء فرائضه.

وروى مسلم فى صحيحه والنسائى عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال قلت: يا رسول الله- قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**» قلت يا رسول الله: ما أكثر ما تخاف علىَّ؟ فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه ثم قال: «**هذا**»(٤).

رحلة أرواح المؤمنين وأرواح الكافرين

* **عن البراء بن عازب قال:** «خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ مُستقبل القبلة، وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفى يده عودٌ ينكتُ فى الأرض، فجعل ينظرُ إلى السماء، وينظرُ إلى الأرض، وجعل يرفعُ بصرهُ ويخفضهُ، ثلاثًا، فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» -مرتين أو ثلاثًا-، ثم قال: «**اللّهم إنى أعوذُ بك من عذاب القبر**» -ثلاثًا- ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكةٌ من السماء، بيضُ الوجوه، كأن وجوههم الشمسُ، معهم كفنٌ من أكفان الجنة، وحَنُوطٌ من حَنُوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجىء ملكُ الموت** - عليه السلام - **حتى يجلس عند رأسه فيقولُ: أيتُها النفس الطيبةُ** - وفى رواية:

---

(١)، (٢)، (٣) سورة فصلت: الآية: (٣٠).

(٤) رواه بتمامه أحمد (١٤٩٩٢) مسند المكيين، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح. اهـ. والحديث فى مسلم (٣٨) كتاب الإيمان بدون زيادة: «قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علىَّ؟.....».

المطمئنة- اخرُجى إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرجُ تسيلُ كما تسيل القطرةُ من فِيِّ السقاء، فيأخذُها، - وفى رواية -: (حتى إذا خَرجت روحَهُ صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكلُّ ملك فى السماء، وفُتحت له أبوابُ السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يُعرج بروحه من قِبلهم) -، فإذا أخذها لم يدعُوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن، وفى ذلك الحنُوط، فذلك قوله تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾(١)، ويخرجُ منها كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يُمرون -يعنى بها- على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروحُ الطيب؟ فيقولون: فلانُ ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يُسمونه بها فى الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيُفتح لهم، فيُشيعهُ من كل سماء مُقربوها، إلى السماء التى تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقولُ الله عز وجل: اكتُبوا كتاب عبدى فى عليين، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾(٢) فيُكتب كتابه فى عليين، ثم يقال: أعيدوهُ إلى الأرض، فإنى وعدتهم أنى منها خلقتُهم، وفيها أُعيدُهم ومنها أُخرجهم تارةً أخرى، قال: فيُردُّ إلى الأرض، وتُعادُ روحه فى جسده، قال: فإنه يسمعُ خفقَ نعالِ أصحابه إذا ولَّوا عنه مُدبرين، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه، ويُجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله، فيقولان له: ما دينُك؟ فيقولُ: دينى الإسلامُ، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان له: وما عَمَلك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنتُ به، وصدقت، فينتهرهُ فيقولُ: من ربك؟ ما دينُك؟ من نبيُّك؟ وهى آخرُ فتنة تُعرض على المؤمن، فذلك حين يقولُ الله عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾(٣)، فيقول:

---
(١) سورة الأنعام: الآية: (٦١).
(٢) سورة المطففين: الآيات: (١٩، ٢١).
(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٢٧).

ربى الله، ودينى الإسلام؛ ونبيى محمدٌ ﷺ، فيُنادى مُناد فى السماء: أن صدق عبدى، فَأفرشُوه من الجنة، وألبسُوه من الجنة، وافتحُواً له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفسحُ له فى قبره مدَّ بصره، قال: ويأتيه -وفى رواية -: (يُمثلُ له رجلٌ حسنُ الوجه، حسنُ الثياب، طيبُ الريح، فيقولُ: أبشر بالذى يَسرُّكَ، أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيمٌ مقيمٌ»، هذا يومُك الذى كنت تُوعدُ، فيقول لـه: وأنتَ فبشَّرك الله بخير من أنت؟ فوجُهك الوجه يجىء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح فوالله ما علمتُك إلا كنت سريعًا فى طاعة الله، بطيئًا فى معصية الله، فجزاك الله خيراً، ثم يُفتح له بابٌ من الجنة، وبابٌ من النار، فيُقال: هذا منزلك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما فى الجنة قال: رب عجِّل قيامَ الساعةِ كيما أرجع إلى أهلى ومالى، فيُقال له: اسكُن.

قال: وإن العبد الكافر -وفى رواية-: (الفاجر) إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ، سودُ الوجوه، معهم المُسوحُ من النار، فيجلسون منه مَدَّ البصر، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلسَ عند رأسه، فيقولُ: أيتها النفسُ الخبيثةُ اخرجى إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق فى جسده فينتزعُها كما يُنتزع السُّفودُ الكثيرُ الشُّعَب من الصوف المبلولِ، فتُقطعُ معها العروقُ والعصبُ، فيلعنهُ كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك فى السماء، وتُغلق أبوابُ السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحهُ من قِبلهم، فيأخذُها، فإذا أخذها، لم يدعُوها فى يده طرفةَ عين حتى يجعلُوها فى تلك المُسوحِ، ويخرجُ منها كأنتنِ ريحِ جيفة وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروحُ الخبيثُ؟ فيقولون: فلانُ بن فلان -بأقبحِ أسمائه التى كان يُسمَّى بها فى الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيُستفتح له، فلا يُفتح له، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ

يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[1] فيقول الله عز وجل: اكتبُوا كتابه في سجِّين في الأرض السفلى، ثم يقال: أعيدُوا عبدى إلى الأرض فإنى وعدتُهم أنى منها خلقتُهم، وفيها أُعيدُهم، ومنها أُخرجُهم تارةً أخرى، فتُطرح روحُه من السماء طرحًا حتى تقع فى جسده، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[2] فتُعادُ روحُه فى جسده، قال: فإنه ليسمع خفق نعالِ أصحابه إذا ولَّوا عنه.

ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويُجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى، فيقولان له: ما دينُك؟ فيقولُ: هاه هاه لا أدرى، فيقولان: فما تقولُ فى هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فلا يهتدى لاسمه، فيُقال: محمدٌ! فيقولُ: هاه هاه لا أدرى سمعتُ الناس يقولون ذاك! قال: فيُقال: لا دريت، ولا تلوت، فيُنادى مُناد من السماء أن: كذب، فأفرشُوا له من النار، وافتحُوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسَمُومها، ويُضيقُ عليه قبرُه حتى تختلفَ فيه أضلاعُه، ويأتيه - وفى رواية -: (ويُمثل له) رجلٌ قبيحُ الوجه، قبيحُ الثياب، مُنتنُ الريح، فيقولُ: أبشر بالذى يسوؤك، هذا يومُك الذى كُنت تُوعدُ، فيقولُ: وأنت فبشَّرك الله بالشر من أنت؟ فوجهُك الوجهُ يجىء بالشر! فيقول: أنا عملُك الخبيثُ، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله، سريعًا إلى معصية الله، فجزاك الله شرًا، ثم يُقيضُ له أعمى أصمُّ أبكمُ فى يده مرزبة! لو ضُرب بها جبلٌ كان ترابًا، فيضربهُ ضربةً حتى يَصيرَ بها ترابًا، ثم يعيدهُ الله كما كان، فيضربهُ ضَربةً أخرى، فيصيحُ صيحةً يسمعهُ كل شىء إلا الثقلين، ثم يُفتح له بابٌ من النار، ويُمهدُ من فُرُشِ النارِ، فيقول: رب لا تُقِم الساعةَ»[3].

(١) سورة الأعراف: الآية: (٤٠).

(٢) سورة الحج: الآية: (٣١).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٨٠٦٣) أول مسند الكوفيين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٧٦).

فأما إن كان من المقربين

* قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾[1].

* **يقول الطبرى:** «فأما إن كان الميت من المقربين الذين قرّبهم الله من جواره فى جنانه ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾، يقول: فله روح وريحان.

* عن على، عن ابن عباس: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾: راحة ومستراح.

* **وقال ابن القيم -رحمه الله-:** «ليس هذا سلام تحية ولو كان تحية لقال: فسلام عليه كما قال: ﴿سَلامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[2]. ﴿سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾[3]، ولكن الآية تضمنت ذكر مراتب الناس وأقسامهم عند القيامة الصغرى حال القدوم على الله، فذكر أنهم ثلاثة أقسام:

* مقرّب له الروح والريحان وجنة النعيم.

* ومقتصد من أصحاب اليمين له السلامة فوعده بالسلامة، ووعد المقرب بالغنيمة والفوز، وإن كان كل منهما سالمًا غانمًا.

* وظالم بتكذيبه وضلاله فأوعده بنزُل من حميم وتصلية جحيم.

فلما لم يكن المقام مقام تحية، وإنما هو مقام إخبار عن حاله، ذكر ما يحصل له من السلامة.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الواقعة: الآيات: (٨٨-٩٥)

(٢) سورة الصافات: الآية: (١٠٩).

(٣) سورة الصافات: الآية: (٧٩).

كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين

قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾(١).

* قال الإمام ابن القيم فى كتابه «حادى الأرواح»:

«أخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم تحقيقًا لكونه مكتوبًا كتابة حقيقية، وخصّ تعالى كتاب الأبرار بأنه يُكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجّار تنويهًا بكتاب الأبرار، وما وقع لهم به، وإشهارًا له وإظهارًا بين خواص خلقه، كما يكتب الملوك تواقيع مَن تعظمه بين الأمراء، وخواص أهل المملكة، تنويهًا باسم المكتوب له، وإشادة بذكره، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده». وقال: «فهذا التوقيع والمنشور الأول. ويكتب فى ديوان أهل الجنة يوم موته».

* وعن الضحاك قال: «إذا قُبض روحُ العبد المؤمن عُرِجَ بها إلى السماء، فينطلقُ معه المقربونَ، ثم عُرِجَ به إلى السماء الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، حتى ينتهُوا إلى سدرة المُنتهى، فيقولون: عبدُك فُلانٌ -وهو أعلمُ به.

* فيأتيه صَكٌّ، مَختُومٌ بأمنه من العذاب، فذلك قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (٢).

* وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المؤمن، إذا كان فى إقبال من الآخرة، وإدبار من الدنيا، نزلت ملائكةٌ من ملائكة الله -**

---

(١)، (٢) سورة المطففين: الآيات: (١٨ : ٢٢).

كأن وجوهـهُم الشمس- بكفنه وحنوطه، فيقـعُدُونَ منهُ، حيثُ ينظر إليهم، فإذا خرجت رُوحهُ، صلى عليه كل ملكٍ بين السماء والأرض» (١).

تلاقى أرواح المؤمنين

* وقال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا قُبض، أتتهُ ملائكةُ الرحمة بحريرة بيضاء، فيقـولون: اخرجى، راضيةً مـرضيًا عنك، إلى روح الله تعالى وريحانٍ، ورب غير غضبان.

فَتخرجُ كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناولهُ بعضهم بعضًا، فيُسمُّونهُ بأحسن الأسماء لهُ حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون:

مـا أطيب هذه الريح، التى جـاءت من الأرض!!! كلمـا أتوا سمـاءً، قالوا ذلك، حتى يأتوا به أرواح المؤمنين.

فهم أفرحُ به من أحدكم بغائبه إذا قَدمَ. فيسألونهُ: ما فعل فلانٌ؟

فيقولون: دعُوه حتى يستريح، فإنهُ كَان فى غم الدنيا» (٢).

بشارات للمؤمنين من رب العالمين

وها هى باقة عطرة من البشارات التى يُـكرم الله بها أولياءه عند أصعب لحظة تمر بالعبد -وهى لحظة الموت-.

وتالله إننى أجـد الكلمات تتـوارى خجـلاً وحيـاء أمام إكرام الـله (عز وجل) لأوليائه الذين عبدوه وأخلصوا العبادة له.

(١) رؤية العبد المؤمن لملائكة الرحمـة . . . بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس.

---

(١) صحيح: رواه أحمـد (١٨١٤٠) أول مسند الكوفـيين، وصحـحه العلامـة الألبانى رحـمه الله فى صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٢) صحيح: رواه النسائى (١٨٣٣) كـتاب الجنائز، وصحـحه العلامة الألبـانى رحمه الله فى صـحيح الجامع (٤٩٠).

(٢) ملك الموت يبشره بمغفرة الله ورضوانه.

(٣) ملك الموت يبلغه السلام من ربه (عز وجل).

(٤) خروج روحه بيُسرٍ وسهولة كما تسيل القطرة من فِيّ السقاء.

(٥) خروج روحه فى كفنٍ من الجنة وحنوط من الجنة.

(٦) أنه يرى مقعده من الجنة قبل الموت.

(٧) خروج روحه فى ريحان الجنة ومسك الجنة.

(٨) إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك فى السماء.

(٩) تُفتح لروحه أبواب السماء.

(١٠) يخرج من روحه كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض.

(١١) الملائكة تناديه بأحب أسمائه إليه.

(١٢) أنه يُشرق وجهه ويأتى ربَّه من الباب الذى كان يصعد عمله منه.

(١٣) يسمع ثناء الناس عليه وهو محمولٌ على الأعناق.

* **وعن عمرو بن دينار قال:** «ما من ميت يموت إلا روحه فى يد ملك ينظر إلى جسده، كيف يُغسل، وكيف يُكفن، وكيف يُمشى به، ويُقال له، وهو على سريره: اسمع ثناء الناس عليك».

(١٤) يُشيعه من كل سماء مُقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى إلى السماء السابعة.

(١٥) يقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدى فى عليين... وكل ذلك بمشهدٍ من المقربين.

(١٦) ينادى منادٍ من السماء: أن صدق عبدى.

(١٧) تلتقى روحه بأرواح المؤمنين فيفرحون به ويفرح بهم.

قال ثابت البنانى: «بلغنا أن الميت إذا مات احتوشه أهله وأقاربه الذين

تقدّموه فلهو أفرح بهم وهم أفرح به من المسافر إذا قدم إلى أهله».

(١٨) الملائكة تبشره: ألا خوف عليه ولا حزن على ما ترك من حُطام الدنيا الزائل ولا خوف عليه من الأهوال الآتية لأن الله سيحفظه منها.

(١٩) أنه يُبشَّر بصلاح ولده.

قال مجاهد: «إن المؤمن يُبشَّر بصلاح ولده من بعده لتقرّ عينه».

(٢٠) أن الله يثبته عند سؤال الملكين.

(٢١) يُفرش له قبره من الجنة ويُفتح له باب إلى الجنة يأتيه من روحها وطيبها.

(٢٢) يُفسح له فى قبره مدَّ بصره.

(٢٣) يُمثَّل له عمله الصالح فى صورة رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح.

(٢٤) يرى منزله الذى كان فى النار لو عصى ربه.

(٢٥) يرى منزله فى الجنة فيفرح ويقول: رب عجّل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلى ومالى.

(٢٦) ومسك الختام: دخول روحه إلى جنة الرحمن ونعيم جسده فى قبره حتى يدخل الجنة يوم القيامة بروحه وجسده.

مشاهد الحسرة عند الموت للعصاة والكافرين

وها هى نبذة يسيرة نلقيها على مشاهد الحسرة التى تحدث للعصاة والكافرين عند الموت.

* رؤيته لملائكة العذاب - وهم غلاظٌ شداد سود الوجوه - فيذوب قلبه من الحزن والفزع فى آن واحد.. قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا** ﴾ (١).

(١) سورة الفرقان: الآية: (٢٢).

* ملك الموت يبشره بسخط الله وغضبه وعذابه.
* يعلم مكانه من النار قبل نزع روحه.
* شدة نزع روحه من جسده حتى تتقطع العروق والأعصاب.
* الضرب والإهانة عند خروج الروح.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[١] .

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٢] .

* توضع روحه في مسوحٍ من النار.
* يلعنه كل ملكٍ بين السماء والأرض وكل ملك في السماء.
* يخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض.
* تُغلق أبواب السمـاء دونه... ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قِبَلِهِم.
* تناديه الملائكة بأقبح أسمائه التي كان يُسمَّى بها في الدنيا.
* يقول الله تعالى: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السُفلى.
* يتمنى الرجعة إلى الدنيا ليعمل صالحاً.

قال تعـالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٣] .

* يدعو على نفسه بالويل عند حمل جنازته.

قال ﷺ : «إذا وُضعت الجنازة واحتملها الرجالُ على أعناقهم، فإن كانت

---

(١) سورة الأنفال: الآيتان: (٥٠، ٥١).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٩٣).

(٣) سورة المؤمنون: الآيتان: (٩٩: ١٠٠).

صالحةً، قالت: قـدمُونى، وإن كانت غيـر صالحة، قالت: يا ويلها، أين يذهبُون بها؟ يسمعُ صوتَها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعهُ، لصعق» (١).

* تُطرح روحه من السماء طرحًا حتى تقع فى جسده.

* لا يستطيع الإجابة على أسئلة الملكين.

* ينادى منادٍ من السماء: أن كذب عبدى.

* يُفرش له قبره من النار ويُفتح له باب إلى النار.

* يُضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.

* يُمثل له عمله الخبيث على صورة رجل قـبيح الوجه قبيح الثياب مُنتن الريح فيقول له: أبشر بالذى يسؤوك.

* يُقـيض له أعمى أصم أبكم فـيضـربه بمرزبة لو ضُـرب بها جـبل لكان ترابًا.

* يُفتح له باب من النار ويُمهد من فُرش النار.

* «تفكَّر يا مغرور فى الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعدٍ ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، كفى بالموت مفزعًا للقلوب، ومُبكيًا للعيون، ومفرقًا للجماعات، وهادمًا للذات، وقاطعًا للأمنيات.

أسأل الله (جل وعـلا) أن يوقظ قلوبنا من غـفلتها وأن يرزقنا جـميـعًا حسن الخاتمة.

سبـحانك اللهم وبحـمدك نشـهد أن لا إله إلا أنت نستـغفـرك ونتوب إليك. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

أبو عمار

---

(١) صحيح: رواه البخارى (١٣١٤) كتاب الجنائز.



اقتربت الساعة يا شباب



مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[2].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[3].

أما بعد:

فإن الأمة المسلمة فى تلك الأيام انقسم أفرادها إلى ثلاثة أقسام: قسمٌ تمكَّن الإرجاء من سويداء قلبه، فهو بعيد عن الله كل البُعد، ولكنه يدندن حول اسم الله (الغفور الرحيم) وقسمٌ تملَّكه اليأس والقنوط من رحمة الله بسبب ذنوب ارتكبها يظن فى قرارة نفسه أن الله لن يغفرها أبدًا فهو يدندن حول اسم الله (المنتقم) وقسمٌ ثالث عاش على طاعة الله وهو يعلم أنه ليس معصومًا من الوقوع فى المعاصى، فهو يستحضر عظمة الله ورحمته فى آن

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

واحد فهو يعيش بالحب والخوف والرجاء، وهذا الصنف نادرٌ فى تلك الأمة المسكينة، وهو الذى وفقه الله للصواب. وأرشده إلى طريق الحق.

ولذلك فإننى أُهدى للصنف الأول قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾(٢).

وأُهدى للصنف الثانى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٤).

وأُهدى للصنف الثالث قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾(٥).

ومن هنا جاءت الحاجة الماسة لأن يعرف المسلمون قدر نعمة العبودية لله -جل وعلا- ومن ثَم ليعرفوا كيف يحاسبهم الله يوم القيامة على كل ما فعلوه فى تلك الحياة الدنيا.

وها أنا أسوق لحضراتكم فى تلك الوريقات صورًا من مشاهد الحساب يوم القيامة عسى الله أن ينفع بها من أراد أن ينجو من تلك الغفلة التى

(١) سورة المائدة: الآية: (٩٨).

(٢) سورة الحجر: الآيتان: (٤٩ - ٥٠).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٤) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

(٥) سورة فصلت: الآيات: (٣٠ - ٣٢).

تملكت من قلوب أكثر الناس (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

فأسأل القائم على كل نفسٍ بما كسبت -جل وعلا- أن يجعلنا من الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

كتبه
الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصرى
(أبو عمار)

الاستعداد ليوم الرحيل

يقول الإمام ابن الجوزى -رحمه الله-:

يجب على من لا يدرى متى يبغته الموت أن يكون مستعدًا، ولا يغتر بالشباب والصحة، فإن أقل من يموت الأشياخ، وأكثر مَن يموت الشبان، ولهذا يندر من يكبر، فالحذر الحذر من المعاصى. فإن عواقبها سيئة، فكم من معصية لا يزال صاحبها فى هبوط أبدًا من تعثير أقدامه، وشدة فقره وحسراته على ما يفوته من الدنيا (١).

ولقد قال ﷺ : «**اغتنم خمسًا قبل خمسٍ: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتجهزوا للعرض على الله ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ**﴾ (٣).

ولذلك فإن على كل مسلمٍ أن يقف مع نفسه وقفة يحاسبها فى الدنيا على كل فعلة فعلها وعلى كل كلمة قالها، فإن من حاسب نفسه فى الدنيا خفَّ عليه الحساب فى الآخرة.

كلمات على فراش الموت

ولقد كان سلفنا الصالح يحاسبون أنفسهم حتى عند سكرات الموت!!!... فلنتأمل سويًا تلك الكلمات.

قيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه: كيف تجدك يا أمير

(١) صيد الخاطر للإمام ابن الجوزى (ص: ٢٠٥-٢٠٦) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه الحاكم (٤/ ٣٤١، رقم ٧٨٤٦)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٢٦٣، رقم ١٠٢٤٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٣) سورة الحاقة: الآية: (١٨).

المؤمنين؟ قال: أجدنى كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (١). ثم مات.

ولما حضرت معاذاً ﷺ الوفاة قال: اللهم إنى كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك. اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُّكَب عند حِلق الذكر.

ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته: واحزناه: فقال: بل واطرباه غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه.

وحُكى أن هارون الرشيد انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ (٢).

هكذا كانوا يرون الحقيقة الكبرى (الموت) واضحة جلية جلاء الشمس فى رابعة النهار.

- بل هذا الإمام ابن الجوزى يبكى عند الموت فيقول له تلاميذه: يا إمام ألست قد فعلت كذا وكذا؟! فقال: والله إننى أخشى أن أكون فرّطت ونافقت فيحقّ علىَّ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ۝٤٧ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣).

ثم قال: ولقد تاب على يدىّ فى مجالس الذكر أكثر من مائتى ألف. وأسلم على يدىّ أكثر من مائتى نفس.

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (٩٤).

(٢) سورة الحاقة: الآيتان: (٢٨ : ٢٩).

(٣) سورة الزمر: الآيتان: (٤٧-٤٨).

وكم سالت عين متجبر بوعظى لم تكن تسيل. ويحق لمن تلمَّح هذا الإنعام أن يرجو التمام.

وربما لاحت أسباب الخوف بنظرى إلى تقصيرى وزللى.

ولقد جلست يومًا فرأيت حولى أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا مَن قَدْ رقَّ قلبه، أو دمعت عينه، فقلت لنفسى: كيف بك إن نجونا وهلكت: فصحت بلسان وجدى: إلهى وسيدى إن قضيت علىّ بالعذاب غدا فلا تُعلمهم بعذابى، صيانة لكرمك لا لأجلى، لئلا يقولوا عذَّب الله من دَلَّ عليه(١).

سلفنا الصالح والاستعداد للآخرة

لقد ضرب سلفنا الصالح المثل الأعظم فى الاستعداد للآخرة بالعمل الصالح بكل أنواعه، سواءً كان من أعمال القلوب أو الألسنة أو الجوارح.. فلم يتركوا بابًا من أبواب الخير إلا وكانوا يتسابقون إلى الدخول منه، ولم يتركوا بابًا من أبواب الشر إلا وكانوا يحذرون منه ومن الدخول فيه.. وكل ذلك لأنهم امتثلوا قول الحق - جل وعلا-: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾(٢).

* وكان استعدادهم للقاء الله لا يتوقف عند بعض الكلمات التى تخرج من الأفواه وليس لها رصيد من العبودية فى القلوب، بل كانت جوانحهم

---

(١) صيد الخاطر: (ص: ٢٤٩).

(٢) سورة آل عمران: الآيات: (١٣٣-١٣٦).

وجوارحهم تنقاد طوعًا أو كرهًا لطاعة الله ولسان حال كل واحدٍ منهم: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾(١) .

* فنجد أنهم يخلصون العمل لله؛ لأنهم قرؤوا قوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾(٢) .

وقول النبى ﷺ : «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابتُغى به وجهه»(٣) .

وكان إبراهيم التيمى يقول: المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته، وكان الشعبى رحمه الله يقول: من أدب العلماء إذا علموا أن يعملوا، فإذا عملوا شُغلوا بذلك عن الناس، فإذا شُغلوا فُقدوا، وإذا فُقدوا طُلِبوا، وإذا طُلبوا هربوا، خوفًا على دينهم من الفتن.

* وكانوا دائمًا يؤثرون ويقدمون أعمال الآخرة على كل مصالحهم الدنيوية، لأن قلوبهم أيقنت وأذعنت لقول الله -جل وعلا- ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾(٤) .

قال ﷺ : «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه وفرّق شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له»(٥) .

وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول: «من خطب الدنيا طلبت منه دينه كله فى صداقها، لا يرضيها منه إلا ذلك».

(١) سورة طه: الآية: (٨٤).
(٢) سورة الزمر: الآية: (٣).
(٣) حسن: رواه النسائى (٣١٤٠) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨٥٦).
(٤) سورة الإسراء: الآيتان: (١٨، ١٩).
(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥١٠).

وقال عليّ رضي الله عنه: ارتحلت الآخرة مقبلة، وارتحلت الدنيا مدبرة، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل.

* ومع ذلك كانوا يخافون من التقصير.. وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

* وكانوا يشعرون مع كل هذا بأن أعمالهم ضئيلة لا تصلح أن يقفوا بها بين يدى الله -جل وعلا- وذلك لأنهم يعلمون أن النبى ﷺ قال: «**لو أن رجلاً يُجر على وجهه من يوم وُلد إلى يوم يموت هرمًا فى مرضاة الله -عز وجل- لحقَّره يوم القيامة**» (٣).

* وكل ذلك جعل قلوبهم رقيقة ودموعهم غزيرة من خشية الله تعالى.

كان لعمر بن الخطاب فى وجهه خطان أسودان من كثرة الدموع.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما أسفل عينيه مثل الشراك البالى من كثرة البكاء.

وقال رسول الله ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**» فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين (٤).

وقال عليّ رضي الله عنه: رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فلم أر اليوم شيئًا يُشبههم، كانوا يصبحون شعثًا صفرًا غبرًا، بين أعينهم أمثال رُكب المعز، قد باتوا سُجَّدًا وقيامًا، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا تمادوا كما

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٤٧).

(٢) سورة الحشر: الآية: (١٨).

(٣) حسن: رواه أحمد (١٧١٩٧) مسند الشاميين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٤٩).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٤٦٢١) كتاب تفسير القرآن.

يميد الشجر يوم الريح، وهملت أعينهم بالدموع، فوالله لكأنى بالقوم باتوا غافلين.

* وكان الواحد منهم إذا وقع فى ذنب فإنه يسارع بالتوبة والعودة إلى الله -جل وعلا-.

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

سُئل سفيان بن عيينة -رحمه الله-: ما علامة التوبة النصوح؟ فقال: أربعة أشياء: قلة الدنيا وذلة النفس، وكثرة التقرب إلى الله تعالى بالطاعات ورؤية القلة والنقص فى ذلك.

وكان عمر ﷺ يقول: جالسوا التوابين فإنهم أرقّ أفئدة.

* وكانوا يخافون من الرياء وغيره من الآفات التى تُبطل الأعمال، فكان الواحد منهم يُخفى عمله عن أخيه، بل عن زوجته وأولاده خشية أن يحبط عمله بالرياء وغيره.

كان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول: قد رضى علماء زماننا هذا بالكلام وتركوا العمل. وقد كان السلف ﷺ يفعلون ولا يقولون، ثم صار الذين بعدهم يفعلون ويقولون، ثم صار الذين بعدهم يقولون ولا يفعلون، وسيأتى زمان أهله لا يقولون ولا يفعلون.

بل لقد طلب الناس من سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى أن يجلس يحدثهم فأبى وقال: ما أنا بأهلٍ أن أُحدِّث ولا أنتم بأهل أن تسمعوا، وما مثلى ومثلكم إلا كما قال القائل: افتضحوا فاصطلحوا.

وكانوا يخافون من مظالم العباد خوفًا شديدًا، لأنهم يعلمون أن النبى ﷺ قال: **«من كانت لأخيه عنده مظلمة من عِرضٍ أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عملٌ صالح أُخذ منه بقدر**

(١) سورة النور: الآية: (٣١).

مظلمته، وإن لم يكن له عمل أُخذ من سيئات صاحبه فجُعلت عليه»[١].

وعن أبى هريرة أن رسـول الله ﷺ قـال: «أتدرون مـا المفلس؟» قالوا: المفلس فينـا من لا درهم له ولا متاع. فـقال: «إن المفلس من أمـتى يأتى يوم القيامـة بصلاة وصيام وزكاة؛ ويأتى قد شـتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا، فيُـعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قـبل أن يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح فى النار»[٢].

* وكانوا يخافون من التقصير فى شكرهم لله -جل وعلا-.

قال تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٣].

وكان مجـاهد ومكحول رحمهـما الله تعالى يقولان فى قـوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[٤] إنه الشراب البارد وظل المساكن، وشبع البطن، واعتدال الخلق، ولذة النوم.

وكان سـهل التسـترى رحمه الله تعـالى يقول: أداء الشكر لله تعالى أنك لا تعصيه بنعمه عليك، فإن جوارحك كلها من نعمه عليك فلا تعصه بشىءٍ منها.

* ولذلك امتن الله عليهم ورزقهم بنعمة التقوى التى لا توازيها الدنيا بما فيها.

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: «لا يبلغ أحدٌ مقام التقوى حتى لا يكون له فعل ولا قـول يفتضح به فى الدنيـا والآخرة، وقد قال له رجل مَرة: متى يبـلغ العبد سنام التقـوى؟ فقال: إذ وضع جميع مـا فى قلبه من الخواطر فى طبق، وطاف به فى السوق لم يستحِ من شىءٍ فيه.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.
(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٣٤).
(٤) سورة التكاثر: الآية: (٨).

وقال رجل للفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: أى البلاد تحب لى أن أقيم فيه؟ فقال: ليس بينك وبين بلد نسب، بل خير البلاد ما حملك على التقوى.

* وكانوا يخافون ربهم خوفًا عظيمًا ويرجون ثواب هذا الخوف.

فقد قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾(١). وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾(٢).

وقال ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»(٣).

وقد قيل للشعبى رحمه الله تعالى مرة: أفتنا أيها العالم، فقال: لا تقولوا لمثلى عالم، فإن العالم هو الذى تقطعت مفاصله من خشية الله.

وكان علىّ بن الحسين إذا توضأ اصفرّ، فيقال له: ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدى مَن أريد أن أقوم.

* وكانوا يخافون من سوء الخاتمة ويهتمون بأمر الموت اهتمامًا عظيمًا.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك»، فقلت: يا نبى الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء»(٤).

وقال ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»(٥).

---

(١) سورة الرحمن: الآية: (٤٦).

(٢) سورة النازعات: الآيتان: (٤٠: ٤١).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢١٤٠) كتاب القدر، وابن ماجه (٣٨٣٤) كتاب الدعاء، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٨٠١).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٠٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر.

وكان أبو هريرة ﷺ إذا رأى أحدًا يحمل جنازة يقول لها: امضِ إلى ربك فإنَّا على إثرك ماضُون.

وكان مكحول الدمشقي يقول إذا رأى جنازة: اغدوا فإنَّا رائحون، موعظة بليغة قليلة، وغفلة شنيعة، يذهب الأول والآخر لا يعتبر.

وكان ثابت يقول: كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متلفعًا باكيًا. وذلك لأنهم كانوا يتذكرون جنازة أنفسهم، فلا يبكون على الميت، ولكن على أنفسهم.

فجدير بمن الموت مصرعه، والقبر مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة أو النار مورده، ألا يكون له فكر إلا في ذلك، ولا استعداد إلا له.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا**﴾(١).

قال بعض السلف: إنما تقول الملائكة ذلك لمن طال خوفه من الله عز وجل وحزنه مما فرط منه، أما من لم يخف الله عز وجل ولم يحزن على ما فاته من الخير فلا يقال له شيء من ذلك(٢).

أخي الكريم.. أختي الفاضلة: كانت تلك بعض أحوال سلفنا الصالح ﷺ مع الاستعداد للقاء الله بالطاعة والحب والخوف والرجاء ومحاسبة النفس، فتلك هي مؤهلات النجاة في ذلك اليوم الذي يشيب لهوله الوِلْدَان.

فنسأل الله أن يتغمدنا بعفوه ومغفرته ورحمته.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة فصلت: الآية: (٣٠).

(٢) مستفاد من رسالة (من أخلاق السلف) / دكتور أحمد فريد - حفظه الله -.

يا أيها المزمل

وبعد تلك الرحلة القصيرة مع أحوال سلفنا الصالح -رحمة الله عليهم- آن الأوان لننفض غبار الغفلة ونقوم لنتزود من الليل للنهار ومن الدنيا للآخرة.. فلا ندع لحظة واحدة إلا ونملؤها بالطاعة والعبادة والعمل لهذا الدين.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً** ﴾(1).

إنها دعوة السماء، وكلام الكبير المتعال.. قُم.. قُم للأمر العظيم الذى ينتظرك والعبء الثقيل المُهيأ لك.. قم للجهد والنَّصَب، والكدِّ والتعب، قم فقد مضى وقت النوم والراحة.. قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد.

وإنها لكلمة عظيمة رهيبة، تنتزعه ﷺ من دفء الفراش فى البيت الهادئ؛ لتدفع به فى الخضمِّ بين الزعازع والأنواء، وبين الشدِّ والجذب، فى ضمائر الناس، وفى واقع الحياة سواء.

قيل لرسول الله ﷺ: ﴿**قُمِ**﴾، فقام وظل قائمًا بعدها أكثر من عشرين عامًا! لم يسترح، ولم يسكن، ولم يعش لنفسه ولا لأهله، قام وظلَّ قائمًا على دعوة الله، يحمل على عاتقه العبء الثقيل الباهظ، ولا ينوء به عبء الأمانة الكبرى فى هذه الأرض، عبء البشرية كلها، وعبء العقيدة كلها، وعبء الكفاح والجهاد فى ميادين شتى.

حمل عبء الكفاح والجهاد فى ميدان الضمير البشرى الغارق فى أوهام الجاهلية وتصوراتها، المُثقَّل بأثقال الأرض وجواذبها، المُكبَّل بأوهاق الشهوات

---

(١) سورة المزمل: الآيات: (١-٧).

وأغلالها، وقام على دعوة الله، وعلى المعركة الدائبة فى ميادينها المتفرقة؛ فى شظف من العيش، والدنيا مقبلة عليه، وفى جهد وكدٍّ، والمؤمنون يستروحون من حوله ظلال الأمن والراحة، وفى نَصَبٍ دائم لا ينقطع... وفى صبر جميل على هذا كله.

إن الذى يعيش لنفسه قد يعيش مستريحًا، ولكنه يعيش صغيرًا ويموت صغيرًا، فأما الكبير الذى يحمل هذا العبء الكبير... فما له والنوم؟ وما له والراحة؟ ما له والفراش الدافئ، والعيش الهادئ والمتاع المريح؟! ولقد عرف رسولنا ﷺ حقيقة الأمر وقدَّره، فقال لخديجة رضي الله عنها: «مضى عهد النوم يا خديجة». أجل! مضى عهد النوم، وما عاد منذ اليوم إلا السَّهر والتعب والجهاد الطويل الشاق[1].

بادروا بالأعمال الصالحة

وها هو ميدان المنافسة الحقيقى الذى قال عنه الحق -جل وعلا-: ﴿**وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾[2].

فما الذى يمنعك أن تقف فى (مضمار السباق) لتسبق الكون كله إلى طريق الجنة وتعلنها قوية من قلبك قبل لسانك وتقول: لن أدع مسلمًا يسبقنى إلى الله.

قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ»[3].

وقال ﷺ: «بادروا بالأعمال الصالحة، فتنًا كقطع الليل المُظلم، يُصبح

(١) فى ظلال القرآن/ سيد قطب (٦/ ٣٧٤٢).
(٢) سورة المطففين: الآية: (٢٦).
(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق.

الرجل مؤمنًا ويُمسى كافرًا، ويُمسى مؤمنًا ويُصبح كافرًا، يبيعُ دينه بعرضٍ من الدنيا قليل»(١).

وعن الحسين بن عليّ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله تعالى يُحبُّ معالى الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها»**(٢).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ الله يُحبُّ معالى الأخلاق، ويكره سفسافها»**(٣).

وعن كُليب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى يُحبُّ من العامل إذا عمل أن يُحسن»**(٤).

فما ظنُّك بالعمل للآخرة، وهو العمل كُل العمل.

وقال ﷺ: **«المؤمن القوى خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شىء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل»**(٥).

وفى الحديث القدسى: **«يا عبادى، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفِّيكم إياها»**(٦).

وعن عتبة بن عبد قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو أنَّ رجلاً يُجرُّ على وجهه من يوم وُلد إلى يوم يموت هرمًا فى مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة»**(٧).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١١٨) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى (٦/ ١٨١ ، رقم ٥٩٢٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨٩٠).

(٣) صحيح: رواه الحاكم (١/ ١١١ ، رقم ١٥١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨٠١).

(٤) حسن: رواه الطبرانى (١٩/ ١٩٩ ، رقم ٤٤٨)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨٩١).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٤) كتاب القدر.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٧) حسن: رواه أحمد (١٧١٩٧) مسند الشاميين، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٤٩).

وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كما لا يُجتنى من الشوكِ العنب، كذلك لا ينزلُ الفجارُ منازل الأبرارِ، وهما طريقان، فأيهما أخذتم أدركتم إليه»(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن من الناس ناسًا مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإنَّ من الناس ناسًا مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ جعل الهموم همًّا واحدًا -همَّ المعاد- كفاه الله سائر همومه، ومن تشعَّبت به الهموم من أحوال الدنيا؛ لم يُبال الله فى أى أوديتها هلك»(٣).

أخى، من صفا صُفِّى له، ومن كدر كُدِّر عليه، ومن أحسن فى ليله كوفئ فى نهاره، ومن أحسن فى نهاره كوفئ فى ليله، وإنما يُكال للعبد كما كال.. فمن أراد المنزلة العليا من الجنة فعليه أن يكون فى المنزلة العليا فى العبادة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أراد أن يعلم ما له عند الله، فلينظر ما لله عنده»(٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، إلا إن سلعة الله الجنة»(٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغُرف من فوقهم،

---

(١) صحيح: رواه ابن عساكر (٦٧/ ٢٦٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٧٦).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٢٣٧) فى مقدمة سننه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٢٢٣).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه (٢٥٧) فى مقدمة سننه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٨٩).

(٤) حسن: رواه أبو نعيم فى الحلية (٦/ ١٧٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣١٠).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٢٢).

كما تراءون الكوكب الدُّرِّىّ الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب؛ لتفاضل ما بينهم» (١).

لا ترضَ عن الجنة بديلاً

وعليك أخى الحبيب بالإخلاص وأنت تقطعِ هذا الطريق إلى الله.. واعلم بأن الناس إذا مدحوكَ فلن ينفعوكَ وإذا أهانوك فلن يضروكَ فعليك أن تصبرَ على أذى البشرِ، فهذا هو طريق الأنبياء -صلوات ربى وسلامه عليهم-.

قال تعالى حاكيًا عن العبد الصالح (لقمان) وهو يعظ ابنه: **﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾** (٢).

واعلم بأن الله سيَجْبُر كسرك مع أول غمسة تُغْمَسهَا فى جنته.

قال ﷺ: «يُؤتَى بأنعم أهل الدُّنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغُ فى جهنم صبغةً، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويُؤتَى بأشد الناسِ بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبَغُ فى الجنة صبغةً، فيُقالُ له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مرَّ بى بؤسٌ قط، ولا رأيت شدة قط» (٣).

فاحذر أيها الأخ الكريم أن ترضى عن الجنة بديلاً.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ (٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٥٦) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٠) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) سورة لقمان: الآية: (١٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٤) سورة الإسراء: الآية: (١٩).

الذى يُريد الآخرة لابدَّ أن يسعى لها سعيها، فيؤدى تكاليفها، وينهض بتبعاتها، ويُقيم سعيه لها على الإيمان، وليس الإيمان بالتمنِّى، ولكن ما وقر فى القلب وصدَّقهُ العمل. والسعى للآخرة يُمدُّ بالبصر إلى آفاق أعلى، فلا يكون المتَاع فى الأرض هو الهدف والغاية، ولا ضير بعد ذلك من المتاع حين يملك الإنسان نفسه، فلا يكون عبدًا لهذا المتاع.

وإذا كان الذى يُريد العاجلة ينتهى إلى جهنم مذمومًا مدحوراً، فالذى يُريد الآخرة ويسعى لها سعيها؛ ينتهى إليها مشكوراً، يتلَّقى التكريم من الملأ الأعلى، جزاء السعى الكريم لهدفٍ كريم، وجزاء التطلُّع إلى الأفق البعيد الوضىء.

إن الحياة للأرض حياةٌ تليقُ بالديدان والزواحف والحشرات والهوامّ والوحوش والأنعام، فأما الحياة للآخرة فهى الحياة اللائقة بالإنسان الكريم على الله، الذى خلقه فسوَّاه، وأودع روحه ذلك السر الذى ينزع به إلى السماء، وإن استقرَّت على الأرض قدماه... إنها رفرفة الروح إلى آفاق لائقة بكمال الإنسان، أما الذين يقفون عند الحياة الدنيا؛ بما فيها من نقصٍ وهبوطٍ، ويرضونها ويَستَغرِقُونَ فيها، فلا يُنكرون فيها نقصًا، ولا يُدرِكون أنها لاَ تصلحَ أن تكون نهاية البشر، فإنها تهبط بهم ثم تهبط، لأنهم لا يرفعون رؤوسهم إلى قمة، ولا يتطلَّعون بأبصارهم إلى أُفِق، إنما يخفضون رؤوسهم وأبصارهم دائمًا إلى هذه الأرض وما عليها.

قال تعالى: ﴿**انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**﴾ [١].

«من شاء التفاوت الحق، ومن شاء التفاضُل الضخم، فهو هناك فى الآخرة. هنالك فى الرقعة الفسيحة، والآماد المتطاولة التى لا حدود لها... وفى ذلك فليتنافس المُتنافسون، لا فى متاع الدنيا القليل الهزيل» [٢].

(١) سورة الإسراء: الآية: (٢١).

(٢) الظلال (٤/ ٢٢١٨ - ٢٢١٩).

وقامت القيامة

وبعد موت الخلائق من الملائكة والإنس والجن، فلا يبقى إلا الواحد الديان، فهو القائل ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾[١]. ثم يُحيى اللهُ إسرافيل ويأمره بالنفخ فى الصور ليقوم الناس من قبورهم إلى أرض المحشر حفاة عُراة غرلاً... الشمس فوق الرؤوس كمقدار ميل. قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ (١٥) يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا (١٠٤) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾[٤].

---

(١) سورة الرحمن: الآيتان: (٢٦-٢٧).

(٢) سورة الزمر: الآيات: (٦٨ : ٧٠).

(٣) سورة غافر: الآيات: (١٥-١٧).

(٤) سورة طه: الآيات: (١٠٢ : ١١١).

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال: «يُحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا فمن أطعم لله أطعمه ومن سقا لله سقاه ومن كسا لله كساه ومن عمل لله كفاه، ومن نَصرَ الله أراحه الله فى ذلك اليوم».

ويقف الناس فى أرض المحشر حيث لا طعام ولا شراب ولا ظل حتى يَشْفَعُ النبى ﷺ للخلائقِ لبدء الحسابِ. . ويقبل الله شفاعته ويبدأ الحسابُ.

وهذا اليوم يمر على الكفَّار والمنافقين كخمسين ألف سنة كما قال تعالى: ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ (١).

ولكنه يمر على المؤمنين، كما قال النبى ﷺ: «**يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر**»(٢).

والمؤمنون رغم هذا الوقت القصير يجلسون فى ظل عرش الرحمن ويأكلون (زيادة كَبِدِ الحوت) تلك الوجبة التى أعدها لهم الرحمن -جل وعلا- ثم يشربون من حوض النبى ﷺ شربة هنيئة لا يظمأون بعدها أبداً.

صور من الحساب

لقد أخبر النبى ﷺ عن صورٍ عديدة تحدث يوم القيامة من محاسبة الله لعباده. . فى ذلك اليوم الذى قال عنه تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** ﴾(٣).

---

(١) سورة المعارج: الآية: (٤).

(٢) صحيح: رواه الحاكم (١/١٥٨، رقم ٢٨٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨١٩٣).

(٣) سورة الحج: الآيتان: (١-٢).

وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1].

تذكَّر وقوفك يوم العرضِ عُريانا
مستوحشًا قَلِقَ الأحشَاءِ حيرانًا
والنار تلهب من غيظٍ ومن حَنَق
على العُصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبد على مَهَل
فهل ترى فيه حرفًا غير ما كانا
فلما قرأت ولم تُنكر قراءته
وأقررت إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي
وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانًا
المشركون غدًا فى النار يلتهبوا
والموحدونَ بدار الخُلدِ سكّانا

وتالله إن مجرد مناقشة الحساب (عذاب).

قال ﷺ: «من نُوقش الحساب عُذِّب»[2]، وفى رواية: «من نُوقش المحاسبةَ هَلَكَ»[3].

* * *

(١) سورة المعارج: الآيات: (١-٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٣٦) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٧٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير وأحمد والحاكم وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٧٩).

اتقوا النار ولو بشق تمرة

قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمهُ الله يوم القيامة ليس بينهُ وبينه تُرجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلاّ ما قدَّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدَّم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة»(١).

فأعظمَ به من موقف وأعظِم به من سائل سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (٢).

قال ﷺ: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شىء أكنت مفتديًا به؟ فيقول نعم؟ فيقول الله: كذبت قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك فى ظهر آدم أن لا تشرك بى شيئًا فأبيت إلا أن تشرك»(٣).

وقال ﷺ: «يؤتَى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلَكَ؟ فيقول: أى رب! خير منزل، فيقول: سَلْ وتَمنَّ. فيقول: يا رب ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردنى إلى الدنيا فأُقتل فى سبيلك عشر مرات... لما يرى من فضل الشهادة... ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له: يا ابن آدم: كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب! شرَّ منزل فيقول له: أتفتدى منه بطلاع الأرض ذهبًا؟ فيقول: أى رب: نعم فيقول: كذبتَ قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فيُردُّ إلى النار»(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥١٢) كتاب التوحيد، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

(٢) سورة الحاقة: الآية: (١٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٣٤) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٠٥) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٤) صحيح: رواه النسائى (٣١٦٠) كتاب الجهاد، وأحمد (١١٩٣٣) باقى مسند المكثرين، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٩٦).

سترٌ في الدنيا.. ومغفرةٌ في الآخرة

عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: **«يُدنَى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه، فيُقرِرُهُ بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف. قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيُعطَى صحيفة حسناته، وأما الكفَّار والمنافقون فينُادَى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله»**(١).

يا رب أين الكبائر؟!!!

إنه مشهدٌ من أجمل مشاهد الفرحة يوم القيامة.

فإن العبد في ذلك اليوم يهرب من صغائر ذنوبه، ولكن هذا الرجل يبحث عن كبائر ذنوبه.. فيا تُرى ما هو السبب؟!!

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً وآخر أهل النار خروجًا منها، رجل يُؤتَى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فتُعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقول: نعم. لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه. فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا،.... فلقد** رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه»(٢).

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٤١) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٧٦٨) كتاب التوبة، واللفظ له.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٠) كتاب الإيمان.

يا ليتنى كنت ترابًا

رَوَى أبو ذر: أن رسول الله ﷺ رأى شاتين ينتطحان فقال: «**يا أبا ذرّ أتدرى فيم ينتطحان؟**» قلت: لا، قال: «**ولكن الله يدرى وسيقضى بينهما يوم القيامة**»(١).

وقال أبو هريرة فى قوله عز وجل: ﴿**وَمَا من دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾(٢).

أنه يَحْشُرُ الخلق كلهم يوم القيامة -البهائم والدواب والطير وكل شىء- فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجمّاء من القرناء، ثم يقول كونوا ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتنى كنت ترابًا.

ولله در القائل:

مَثِّل لقلبك أيها المغرورُ
يوم القيامةِ والسماء تمورُ

قد كُورت شمس النهارِ وأُضعفت
حرًّا على رأس العباد تفورُ

وإذا الجبال تعلقت بأصولها
فرأيتها مثل السحاب تسيرُ

وإذا النجوم تساقطت وتناثرت
وتبدلت بعد الضياء كدورُ

وإذا العشارُ تعطلت عن أهلها
خَلَتْ الديار فما بها معمورُ

---

(١) رواه أحمد (٢٠٩٢٧) مسند الأنصار ﷺ، حديث حسن وهذا إسناد ضعيف لجهالة أشياخ منذر الثورى.

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٣٨).

وإذا الوحوش لدى القيامة أُحضرت
وتقـول للأمـلاك أين نسير
فيقال سيروا تشهدون فضائحًا
وعجائبًا قد أُحضرت وأمورُ
وإذا الجنين بأمه متعلقٌ
خوف الحساب وقلبه مذعورُ
هذا بلا ذنبٍ يخافُ لهوله
كيف المقيم على الذنوب دهورُ؟

الجوارح والأركان تعترف بجرائم الإنسان

بل إن الجوارح والأركان تنطق وتعترف بجُرم كل من كفر بالله جل وعلا، وبذنب كل من عصى الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١). ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٢). ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾(٣).

قال ﷺ: «هل تُضارّون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟»

(١) سورة النور: الآية: (٢٤).
(٢) سورة يس: الآية: (٦٥).
(٣) سورة فصلت: الآيات: (١٩-٢٤).

قالوا: لا. قال: «هل تُضارّون، فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة؟» قالوا: لا. قال: «فوالذى نفسى بيده لا تضارّون فى رؤية ربكم عز وجل إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما فيلقى العبد فيقول: أى فُل ألم أُكرمك وأُسوِّدك وأزوجك وأُسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أى رب! فيقول: أفظننت أنك ملاقىَّ؟ فيقول: لا فيقول: فإنى أنساك كما نسيتنى. ثم يلقى الثانى فيقول له: أى فُل؟ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأُسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أى رب! فيقول: أفظننت أنك ملاقىَّ؟ فيقول: لا. فيقول: إنى أنساك كما نسيتنى. ثم يلقى الثالث. فيقول له مثل ذلك. فيقول: رب آمنت بك وبكتابك. وبرسلك وصليت وصُمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول: ها هنا إذن. ثم يقال: الآن نبعث شاهداً عليك ويتفكر فى نفسه: من ذا الذى يشهد على؟ فَيُختم على فِيه ويقال لفخذه: انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليُعذر من نفسه، وذلك المنافق الذى يسخط الله عليه»(١).

قال أنس رضي الله عنه: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال: «أتدرون مما أضحك» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربه يقول: يارب ألم تُجرنى من الظلم؟» قال: «يقول: بلى» قال: «فيقول: فإنى لا أجيز على نفسى إلا شاهداً منى؛ فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا وبالكرام الكاتبين شهودًا» قال: «فيُختم على فيه ويقال لأركانه انطقى» قال: «فتنطق بأعماله ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه: بُعداً لكنَّ وسُحقًا فعنكنَّ كنت أناضل»(٢). فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء. . . . إلا أن الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره.

* * *

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٨٠٦) كتاب الأذان، ومسلم (٢٩٦٨) كتاب الزهد والرقائق، واللفظ له.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٩) كتاب الزهد والرقائق.

والوزن يومئذ الحق

إن موازين البشر ليس لهـا أى قيمة، إلا إذا كانت موافقة لميزان الشرع، ولذلك فإن المؤمن كلما ازداد إيمانًا كلما ازداد وزنه فى الآخرة؛ لأنه يوضع فى ميزان ربانى لا يشبه موازين البشر.

ولك أن تتخيل مع ذلك المشهد المهيب الذى حدث لذلك الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنت أجتنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الأراك (ليأتيه بالسواك) قال: فضحك القوم من دقة ساقى، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «**مم تضحكون؟**» قالوا: من دقة ساقيه. فقال: «**والذى نفسى بيده لهى أثقل فى الميزان من أُحُد**»[١]، أى من جبل أُحُد، .... وفى المقابل يقول النبى صلى الله عليه وسلم: «**إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اقرؤوا: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[٢]**»[٣].

وهذا مشهد نراه فى حياتنا فى كل يوم... فقد يرى الناس رجلاً فقيراً، ولكنه من أهل التقوى والصلاح فلا يلتفتون إليه مع أنه قد يكون من أحب الناس إلى الخالق جل وعلا.

قال صلى الله عليه وسلم: «**رُب أشعث مدفوعٍ بالأبواب. لو أقسم على الله لأبرّه**»[٤]... وفى رواية: «**رُب ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه**»[٥].

---

(١) حسن: رواه أحمد (٣٩٨١) مسند المكثرين من الصحابة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٥٠).

(٢) سورة الكهف: الآية: (١٠٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٧٢٩) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٧٨٥) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٢) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٣٨٥٤) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥٧٣).

وفى المقابل فقد يرى الناس رجلاً كافراً أو فاسقًا ولكنه من أصحاب الجاه والمال والرئاسة فيعظمون قدره مع أنه قد يكون من أبغض الناس إلى الخالق -جل وعلا-.

صفة الميزان

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[٣].

* والقول فى الموزون على أربعة أوجه:

١- أن الأعمال هى التى توزن وأن أفعال العباد تُجسَّم فتوضع فى الميزان، . . . قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٤].

٢- أن صحائف الأعمال هى التى توزن، ويدل على ذلك حديث البطاقة.

٣- أن الموزون ثواب العمل.

٤- أن الموزون هو العامل نفسه.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٤٧).

(٢) سورة المؤمنون: الآيات: (١٠١-١٠٣).

(٣) سورة الكهف: الآية: (١٠٥).

(٤) سورة الزلزلة: الآيتان: (٧- ٨).

قال صاحب معارج القبول -رحمه الله-:

والذى استظهر من النصوص والله أعلم أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن بالجمع بين النصوص ولا منافاة بينهما.. والله أعلم.

سعادة لا شقاءَ بعدها أبدًا

فعن أنس ﷺ قال: «يُؤتَى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكّل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يُسمع الخلائق... سَعِدَ فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وإن خفّ ميزانه نادى بصوت يُسمع الخَلائق... شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا...».

فتفكَّر الآن فى نفسك إن خلت صحيفتك من المظالم أو تلطَّف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد: كيف يكون سرورك فى منصرفك من مفصل القضاء، وقد خلع عليك خلعة الرضا وعُدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء؟ وعند ذلك طار قلبك سرورًا وفرحًا وابيضّ وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر، فتوهّم تبخترك بين الخلائق رافعًا رأسك خاليًا عن الأوزار ظهرك، ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك، وخلق الأولين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويغبطونك فى حُسنك وجمالك، والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤوس الأشهاد: هذا فلان بن فلان رضى الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا... أفترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التى تنالها فى قلوب الخلق فى الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنُّعك وتزيُّنك؟ فإن كنت تعلم أنه خير منه، بل لا نسبة له إليه فتوسل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص الصافى والنية الصادقة فى معاملتك مع الله، فلن تدرك ذلك إلا به.

الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب

ففى الوقت الذى يحاسب الله فيه عباده.. وقد انقسم الناس فى نوع الحساب إلى صنفين ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾[١].

هنا نجد صنفًا كريمًا على الله سوف يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب... قال ﷺ: «عُرضت علىَّ الأمم، فرأيتُ النبى ومعهُ الرَّهطُ، والنبى ومعه الرجل والرجلان، والنبى وليس معه أحدٌ؛ إذ رُفع لى سوادٌ عظيمٌ، فظننتُ أنهم أمَّتى، فقيل لى: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيل لى: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لى: هذه أُمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذابٍ، همُ الذين لا يرقون[٢]، ولا يسترقون، ولا يتطيَّرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون»[٣].

وفى رواية: «وعدنى ربى أن يُدخل الجنة من أُمتى سبعين ألفًا بلا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثيات ربى»[٤].

فاللهم اجعلنا منهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة الانشقاق: الآيات: (٧: ١٢).

(٢) قال الشيخ الألبانى: قلت: قوله: «لا يرقون»، هو مما تفرد به مسلم دون البخارى وغيره، ثم هو شاذ سندًا ومتنًا، كما بينته فى محل آخر! وحسبك دليلاً على شذوذه أن النبى ﷺ قد رقى غيره أكثر من مرة! - قلت (محمود): ورقاه جبريل (عليه السلام).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤١) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٣٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٢٨٦) كتاب الزهد، وأحمد (٢١٦٥٢) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٥٥٥٦).

محاسبة المؤمنين من أهل البلاء

قال الله تعالى: «وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ولا خوفين إن هو أمننى فى الدنيا أخفته يوم أجمع عبادى، وإن هو خافنى فى الدنيا أمَّنته يوم أجمع عبادى»[١].

فيا من ابتلاك الله فى الدنيا فصبرت واحتسبت وعشت على طاعته ولم تتسخط على قضائه.. أبشر بالجزاء الذى يحسدك عليه أهل العافية يوم القيامة... فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تُنصب الموازين يوم القيامة، فيؤتَى بأهل الصلاة، فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتَى بأهل الصيام؛ فيوفون أجورهم بالموازين؛ ويؤتى بأهل الصدقة، فيوفون أجورهم بالموازين، ويُؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء، فلا يُنصب لهم ميزان، ولا يُنشر لهم ديوان، ويُصب عليهم الأجر صبًّا بغير حساب ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢] حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا، أن أجسادهم تُقرض بالمقارض، مما يذهب به أهل البلاء من الفضل».

وفى رواية: قال ﷺ: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطَى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرضت فى الدنيا بالمقاريض»[٣].

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم

قال تعالى مصورًا هذا المشهد العظيم الذى يحدث بين المؤمنين والمنافقين يوم القيامة على الصراط: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٤].

---

(١) حسن: رواه أبو نعيم (١/ ٢٧٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٣٢).
(٢) سورة الزمر: الآية: (١٠).
(٣) حسن: رواه الترمذى (٢٤٠٢) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨١٧٧).
(٤) سورة الحديد: الآية: (١٢).

فيخبر -جل وعلا- عن حال عباده الذين آمنوا أنهم يسعى نورهم بين أيديهم... وبأيمانهم كتبهم.

قال ابن مسعود: (على قدر أعمالهم يمرون على الصراط... منهم مَن نوره مثل الجبل، ومنهم مَن نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه، يتّقد مرة ويُطفأ مرة).

ثم عقّب -جل وعلا- بذكر أحوال المنافقين فقال: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (١).

قوله: ﴿انظُرُونَا﴾، أي: انظروا إلينا، وقيل بمعنى انتظرونا.

والمراد حينئذ من الانتظار الاقتباس من نورهم، ورجاء شفاعتهم، أو دخول الجنة معهم، طمعًا في غير مطمع، يقولون لهم ذلك حين يسرع بهم إلى الجنة.

﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ قال الزمخشري: طَردٌ لهم وتهكُّمٌ بهم، أي: ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أُعطينا هذا النور فالتمسوه هناك فمن ثمّ يقتبس، أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نوراً بتحصيل سببه، وهو الإيمان والعمل الصالح، أو ارجعوا خائبين وتَنحُّوا عنا فالتمسوا نوراً آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور، وقد علموا أنه لا نور وراءهم وإنما هو تخييب وإقناط لهم.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾، وهو سور الأعراف ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ من ناحية المؤمنين ﴿وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ من ناحية الكفار.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (٢).

---

(١) سورة الحديد: الآية: (١٣).

(٢) سورة الحديد: الآية: (١٤).

أى: ينادى المنافقون على المؤمنين، أما كنا معكم فى الدار الدنيا، نشهد معكم الجمعات، ونقف معكم بعرفات، ونؤدى معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ لقد كنتم معنا ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾.

أى: فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصى والشهوات، وتربصتم أى: أخرتم التوبة، وقال قتادة: تربصتم بالحق وأهله ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾، أى: برسالة محمد ﷺ، وبالبعث بعد الموت ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾، أى: قلتم سيُغفر لنا ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾، أى: مازلتم فى هذه الحالة بغير توبة حتى جاءكم الموت ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾، أى الشيطان.

قال قتادة: كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله فى النار.

قال بعض العلماء: إن للباقى بالماضى معتبراً، وللآخر بالأول مزدجراً، والسعيد من لا يغتر بالطمع، ولا يركن إلى الخدع، ومن ذكر المنية نسى الأمنية، ومن أطال الأمل نسى العمل، وغفل عن الأجل.

فمعنى قول المؤمنين للمنافقين إنكم كنتم معنا، أى: بالأبدان لا بالقلوب. كنتم معنا بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم فى حيرة وشك وتربُّص وغرور. ثم بالغ المؤمنون فى توبيخهم وتقريعهم وتقنيطهم، فقالوا: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1]، أى: لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهبًا ومثله معه ليفتدى به من عذاب الله ما قُبل منه، كما لا تُقبل الفدية كذلك ممن أظهر كفره وعناده.

وقوله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ هى مصيركم وإليها منقلبكم، وقوله تعالى:

---

(١) سورة الحديد: الآية: (١٥).

﴿هِىَ مَوْلاكُمْ﴾، أى: وأولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم وبئس المصير، ثم قال عز وجل لكل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(1).

يقول تعالى: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أى تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه...

عن ابن عباس قال: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾.

ثم قال عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(2).

فيه إشارة إلى أن الله عز وجل يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدى الحيارى بعد ضلَّتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيى الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الوابل، كذلك يحيى القلوب ببراهين القرآن والدلائل ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادى لمن يشاء بعد الضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذى هو لما يشاء فعَّال، وهو الحكيم العدل فى جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال.

صرخة نذير

أخى الكريم.. أختى الفاضلة:

أحذركم وأحذر نفسى من النفاق، فإنه الداء العضال الذى يذهب بالدين كله ولا يُبقى لصاحبه شيئًا، بل لا يتركه حتى يدخله نار جهنم (أجارنا الله وإياكم منها).

(1) سورة الحديد: الآية: (16).

(2) سورة الحديد: الآية: (17).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (١).

بل لقد وصفهم الله بقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (٢).

وبقوله: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢) مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ (٣).

سمع حذيفة رضي الله عنه رجلاً يقول: اللهم أهلك المنافقين فقال: (يا ابن أخى لو هلك المنافقون لاستوحشتم فى طرقاتكم من قلة السالك).

تالله لقد قطع خوف النفاق قلوب السابقين الأولين، ساءت ظنونهم بنفوسهم حتى خشوا أن يكونوا من جملة المنافقين.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحذيفة: (يا حذيفة! نشدتك بالله هل سمانى لك رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم؟ قال: لا ولا أزكى بعدك أحدًا».

وقال ابن أبى مُليكة:(أدركت ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل)....

وذُكر عن الحسن البصرى (ما أمِنه إلا منافق، وما خافه إلا مؤمن).

القنطرة والقصاص بين المؤمنين

وبعد أن فصل الله -جل وعلا- بين أهل الجنة وأهل النار فيدخل أهل النار منازلهم فى نار جهنم، ويعبر المؤمنون الصراط إلى القنطرة التى بين الصراط والجنة فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا، ثم يدخلون الجنة.

(١)سورة النساء: الآية: (١٤٠).

(٢)سورة المنافقون: الآية: (٤).

(٣)سورة النساء: الآيات: (١٤٢-١٤٣).

إنها القنطرة التى لا يعلم عنها الكثير من الناس شيئًا. فهى القنطرة التى يقتص فيها المؤمنون من بعضهم البعض... فبعد خروجك من تلك الأهوال وبعد مرورك من على الصراط تظن أن الأمر قد انتهى عند ذلك ولم يبق سوى دخولك الجنة وفجأة تجد نفسك على قنطرة المظالم التى قال عنها النبى ﷺ: **«إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا نُقّوا وهُذّبوا أُذن لهم بدخول الجنة، فوالذى نفس محمدٍ بيده لأحدكم بمسكنه فى الجنة أدلّ منه بمسكنه كان له فى الدنيا»**(١).

وإليك تلك الآيات التى تجمع لكم حال أهل النار وأهل الجنة.

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٢).

كيف ننجو من أهوال يوم القيامة؟

إن أعظم حسنة يأتى بها العبد يوم القيامة لكى ينجو من أهوالها هى حسنة التوحيد لله -جل وعلا-.

قال تعالى فى الحديث القدسى: «يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٤٤٠) كتاب المظالم والغصب.

(٢) سورة الزمر: الآيات: (٧١-٧٥).

غفـرت لك ما كـان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السـماء ثم استغفـرتنى غفرت لك ولا أُبالى، يا ابن آدم لو أنك أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»(١) .

ومن هذا القبـيل (مشهد البطاقـة والسجلات)، فهذا المشـهد يوضح لنا كيف ينجو صاحب التوحيد من أهوال يوم القيامة .

فعن ابن عمرو ﷺ **قال:** قال رسول الله ﷺ : «**إن الله سيُخلّص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثلُ مدّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًـا؟ أَظَلَمَك كتبتى الحافظون؟ فيـقول: لا يارب. فـيقـول: أَفلَك عذر؟ فـيقـول: لا يارب. فيقـول: بلى إن لك عندنا حسنةً وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فـيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمـدًا عبده ورسوله، فيقول: أَحْضـر وزنك. فيقول: يارب! ما هذه البطاقة مع هذه السـجلات؟ فيقال: فـإنك لا تُظلم. فتوضع السجـلات فى كفة والبطاقة فى كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شىء»**(٢) .

وكذلك ينجـيك بعد التوحـيد (عملك الصـالح) من الفرائض والنوافل وغيرها من سائر أنواع العبادات القلبية والبدنية والقولية .

ومن بين ذلك (على سـبيل المثـال) قوله ﷺ : «**سبـعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشابٌ نشأ فى عـبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتـمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمـال فقـال: إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصـدقة فأخفـاها حتى لا**

---

(١) حسن: رواه الترمـذى (٣٥٤٠) كتاب الدعـوات، وحسنه العلامـة الألبانى رحمـه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٧).

(٢) صحـيح: رواه الترمـذى (٢٦٣٩) كتاب الإيمـان، وأحمد (٦٩٥٥) مـسند المكثرين من الصـحابة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٧٦).

تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»(١)(٢).

وكذلك من أسباب النجاة: محاسبة النفس والبُعد عن مظالم البشر.

قال الإمام الغزالى: ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل، لعلمت أنه لا يمضى عليك يوم إلا ويجرى على لسانك من غِيبة المسلمين ما يستوفى جميع حسناتك، فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام، والشهوات والتقصير فى الطاعات؟ وكيف ترجو الخلاص من المظالم فى يوم يقتصُّ فيه للجماء من القرناء؟ ﴿**وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا**﴾(٣)، فكيف بك يا مسكين فى يوم ترى فيه صحيفتك خالية من حسنات، طال فيها تعبك؟ فتقول: أين حسناتى؟ فيقال: نُقلت إلى صحيفة خُصمائك، وترى صحيفتك مشحونة بسيئات غيرك. فتقول: يارب هذه سيئات ما قارفتها قط. فيقال: هذه سيئات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم فى المعاملة والمبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة، فاتقِ الله فى مظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وأبشارهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق فى معاشرتهم، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة المغفرة إليه أسرع، ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم من حيث لا يطَّلع عليه إلا الله فليكثر من الاستغفار لمن ظلمه، فعساه أن يقربه ذلك إلى الله فينال به لطفه الذى ادَّخره لأرباب المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم بإرضائه إياهم.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٢) ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتابنا (لهيب النار ورياح الجنة) فقد جمعت فيه ما استطعت من أسباب دخول الجنة أو النار... فأسأل الله أن يجمعنا فى جنته.

(٣) سورة النبأ: الآية: (٤٠).

وأخيراً... فهل من مشمّر للجنة؟!

وبعد أن تكلمنا بإيجازٍ شديدٍ عن الحساب والاستعدادِ ليوم الحسابِ كان لابد لنا من وقفة مع أنفسنا -التى لا تأمرنا إلا بكل سوء ولا تحضنا إلا على كل شرٍّ- لكى نأخذ بزمامها إلى مرضاة الله فلقد علمنا أن يوم الحساب يوم عصيب، فمن أراد النجاة فليتخلص من رق النفس والدنيا والهوى والشيطان، وليكن عبدًا من عباد الرحمن وليحاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة، فلقد قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[2].

فلنُسرِع الخُطَا إلى صراط الله المستقيم ولسان حالنا ومقالنا ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[3].

فأسأل الله -جل وعلا- أن يجمعنى وإياكم فى جنته إخوانًا على سُررٍ متقابلين. . . إنه ولى ذلك والقادر عليه.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٤٧).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٤٩).

(٣) سورة طه: الآية: (٨٤).



الفهرس

الموضوع الصفحة

التوبة يا شباب

يا شباب.. حى على الصلاة

القرآن يا شباب

يا شباب.. الوقت هو الحياة

الشباب.. ولذة الشوق إلى الله

يا شباب ماذا قدمتم لرسول الله ﷺ ؟

استجيبوا لربكم يا شباب

الشباب.. ونعمة الاستقامة

كيف تغض بصرك؟

يا شباب.. احذروا العادة السيئة

الشباب والطريق إلى العفاف

الشباب.. واللقمة الحلال

خطر ممنوع الاقتراب

يا شباب.. احذروا هاذم اللذات

اقتربت الساعة يا شباب

* * *

تم التجهيز والزنكات بمكتب
العابد
للتجهيزات الفنية
مونتاج - زنكات
0185309021 – 0111014355



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
التقوى